سلسلة التراث الفاطمي

عيون الأخبار وفنون الآثار

« في فضائل الأئمة الأطهار »

السبع السادس

تأليف

الداعي المطلق

إدريس عماد الدين القرشي

المتوفى سنة ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧م

حققه وكتب مقدمته

الدكتور مصطفى غالب

دار الأندلس

للطباعة والنشر والتوزيع

عيون الأخبار وفنون الآثار

الطبعة الثانية
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

دار الأندلس - بيروت، لبنان
هاتف: ٣١٧١٦٢ - ٣١٦٤٠١ - ص.ب: ٤٥٥٣ ١١ - تلكس ٢٣٦٨٣

مقدمة

السبع السادس من الموسوعة التاريخية عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار تأليف الداعي المطلق إدريس عماد الدين القرشي ، الذي نضيفه إلى ما أصدرناه من هذه الموسوعة الهامة من أجزاء لاقت التقدير والاعجاب في كافة الأوساط العلمية في جميع أنحاء العالم ، كونها الموسوعة التاريخية الوحيدة التي تؤرخ للعهود الفاطمية في المغرب ومصر وبعض البلدان الإسلامية التي انتشرت دعوتهم فيها .

ومما يعطي هذه الموسوعة التاريخية مكانتها العلمية ، كون مؤلفها الداعي المطلق إدريس عماد الدين القرشي اعتمد وهو يدونها على ما لديه من وثائق سرية محفوظة في بيت الدعوة الاسماعيلية ، باعتباره الداعي المطلق لطائفة الاسماعيلية المستعلية في اليمن ، وعلى ما تركه كبار الدعاة الذين تقدموه من نصوص وأقوال ، أتاحت له أن يعالج الموضوع بأسلوب المؤرخ الملتزم الهادف إلى الكشف بروية وإمعان عن الحقائق الغامضة ، فسرد الوقائع والأحداث بتاريخها وأسرارها وأشخاصها ، بإطار محكم من الصدق والأمانة ، مما أضفى على هذه الموسوعة التاريخية أهمية فكرية عقلانية قيمة ، قلما نعثر عليها في مصنفات التاريخ المعروفة التي أرخت لهذه الفترة .

وفي ضوء الوقائع التاريخية وما تبعها من أحداث يمكننا أن نعتبر السبع السادس الذي نقدمه للعلماء والباحثين من أوثق المصادر التاريخية التي يحتاجها الباحث في تاريخ الدولة الفاطمية التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ العالم الإسلامي بصورة عامة ، والعالم العربي بصورة خاصة .

ففي هذا السبع يتحدث المؤلف عن مسير القائد جوهر الصقلي إلى مصر على رأس جيش كبير ضخم ، وما رافق مسيره من أحداث ووقائع ، وعن انتقال الخليفة الفاطمي المعز لدين الله إلى القاهرة ، وحروبه مع الأموي في الأندلس ، والروم ، والقرامطة ، وغيرهم ممن شقوا الطاعة ، وادعوا الخلافة والإمامة . كما استعرض عهود الخلفاء الذين تعاقبوا على الخلافة الفاطمية في مصر بعد وفاة المعز لدين الله . فالعزيز بالله وما جرى في أيامه من أحداث داخلية وخارجية ، وما تعرض له من حروب وأخطار ، ويسر ورخاء وتسامح ديني وثقافة . وعهد الحاكم بأمر الله وأدوار خلافته ، والسياسة التي انتهجها في حكم البلاد الخاضعة لنفوذه . وكذلك بالنسبة لعهد الظاهر لإعزاز دين الله واشتغاله بالعمل في ضبط الأمور في داخل البلاد وخارجها .

ويأتي دور الخليفة المستنصر بالله الذي تمتعت مصر في عهده بالرخاء والطمأنينة فترة طويلة من الوقت ، كما خطب له في كثير من البلدان الإسلامية .

تحقيق الكتاب

رغم المحاولات العديدة ، والاتصالات الكثيرة التي قمنا بها لم نتمكن من العثور سوى على نسختين خطيتين من السبع السادس لعيون الأخبار وفنون الآثار . النسخة الأولى رمزنا إليها بالحرف (ب) قدمتها لنا الجمعية الإسماعيلية النزارية في باكستان عدد صفحاتها ٤٨٩ صفحة قياس ١٣× ٢٣ سم وفي كل صفحة ١٦ سطراً ، وفي كل سطر ٩ كلمات . جاء في نهايتها أنه انتهى من نسخها سنة ١٣٢٩ هـ في عصر داعي الله الأمين أبي محمد طاهر سيف الدين في بندر سورت في القبة المنورة ، وقد نسخ الكتاب عن الأصل المكتوب بخط المؤلف .

وهذه النسخة كثيرة الأخطاء ، رديئة الخط ، فيها تقديم وتأخير وإعادة ، وعدم تنسيق في القصائد الشعرية ، ومع ذلك فقد استفدنا منها كثيراً في المطابقة والمقابلة ، فشكراً لرئيس المجلس الإسماعيلي الأعلى في باكستان السيد قاسم علي

لتفضله بوضع هذه النسخة تحت تصرفنا ، جزاه الله عنا وعن العلم والمعرفة كل خير .

أما النسخة الثانية التي رمزنا إليها بالحرف (جـ) فقد حصلنا عليها ضمن الموسوعة كاملة من مدينة بمباي في الهند قدمها لنا أحد الأصدقاء من مشايخ طائفة البهرة السليمانية وشاء أن يظل اسمه مكتوماً لأسباب خاصة . عدد صفحاتها ٤٩٩ صفحة قياس ١٥× ٢٣ سم وفي كل صفحة ١٥ سطراً ، وفي كل سطر ١٠ كلمات . جيدة الخط ، قليلة الأخطاء ، مرتبة ومنسقة ، كتبت العناوين بالحبر الأحمر . اعتبرناها الأصل في التحقيق .

ورد في نهاية النسخة (جـ) ما يلي : كان الفراغ من نساخة هذا السبع السادس من عيون الأخبار في اليوم الثامن من شهر ذي القعدة إحدى شهور سنة ثمانية وأربعين ومائتين بعد الألف من الهجرة ، صلوات الله عليهما في عصر داعي الله الأمين في بندر سورت في القبة المنورة ، نسخ من الكتاب الذي نسخ من الأصل بخط مصنفه وقل بحسب الطاقة قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، ورزقنا شفاعته ، آمين ، بخط الأقل عبيد عبيده ، الراجي عفو ربه حميد بن علي حسين محسن الجيل اليعبري .

وفي نهاية المطاف أقدم جزيل الشكر والامتنان للآنسة سميرة حسين عاصي صاحبة دار الأندلس في بيروت التي شاءت أن تتولى إخراج هذه الموسوعة من عيون الأخبار خدمة للعلم والحقيقة ، وفقنا الله لما فيه الخير والسعادة والسلام .

مصطفى غالب

بيروت في ١/٥/ ١٩٧٨

/١

السبع السادس من عيون الأخبار

الحمد لله الجاعل أولياءه لخلقه أسباب النجاة ، القائل في كريم كتابه : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُم مَن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾[1] وصلى الله على رسوله محمد الوسيلة إلى الله الذي بفضله استجاب الدعوات ، وعلى وصيه علي بن أبي طالب وآلهما أفضل السلام ، وأسنى التحيات .

ذكر نبذ من الأخبار مما كان في أيام المعز لدين الله أمير المؤمنين معد أبي تميم بن اسماعيل المنصور بالله ع . م وعلى آبائه أجمعين .

قد ذكرنا في أخبار الإمام المنصور بالله سلام الله عليه ما يأتي ذكره من أخبار ولده المعز لدين الله ع . م ونذكر الآن من بعض ما أتاه الله من فضله ، وخصه جل جلاله به ، وما كان من الفتوح في أيامه ، ونأتي بنبذ من القول نختصرها ، ونأتي منها بجملها ، وبالله نستعين ، وعليه نتوكل وهو سابع أسبوعين[2] من أئمة دور النبي محمد (ﷺ) القائمين بعد الوصي أمير المؤمنين علي ع . م ، ورابع / أربعة /٢ من أئمة الظهور[3] الذين أولهم جده أمير المؤمنين أبو محمد الإمام المهدي ع . م أجمعين . وكان القاضي النعمان بن محمد مما تقدمت له القدم في خدمة الإمام المهدي

---

(١) سورة : ٢/ ٢٥٣

(٢) يقصد المؤلف بقوله سابع أسبوعين : أي الإمام الرابع عشر ، ويتمتع بقوة تعادل قوة من تقدمه من الأئمة بمقتضى ترتيبات وتنظيمات الدعوة الاسماعيلية وحسب تحركات الكواكب والأفلاك : ولهم في هذا أفكار عقلانية عرفانية .

(٣) الظهور : الظاهر في جـ

بالله في آخر خلافته ، وكان قد ظهر فضل القائم بالله له ولغيره ؛ ثم أطلعه الإمام المهدي بالله على فضل ولد ولده الإمام المنصور بالله ، وانه ثالث الأئمة في الظهور ، قال : يا أمير المؤمنين ثلاثة أئمة في عصر واحد يستكبر ذلك : فأراه الإمام المهدي بالله المعز لدين الله وهو صبي في مهده وقال : هذا رابعنا يا نعمان ، وقد اجتمع في وقت إبراهيم الخليل النبي أربعة وهم : ابراهيم الخليل النبي المرسل في دوره الذي أوصى الله إليه فقال : ﴿ إني جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتي ﴾[1] فكان معه إسماعيل وإسحق ويعقوب . ثم كان في وقته موسى بن عمران ، وكان معه أخوه هارون ، ويوشع بن نون ، وفيحاس بن هارون . ثم في وقت نبينا محمد خير الأنبياء وخاتمهم الذي ختم به الله بنبوته النبيين ، وبرسالته المرسلين ، وفضله / على خلقه أجمعين . وجعل شرعه باقياً إلى يوم الدين ، وكان في عصره أخوه وناصره[2] ومعاضده على إقامة دين الله ومظاهره ، وأبو الأئمة من ذريته ومطاهره[3] علي وصيه أمير المؤمنين ، وخاتم الوصيين ، وإبناهما الحسن والحسين ع . م . /٣

وكان اجتمع مع جعفر الصادق ، وإسماعيل بن جعفر ، ومحمد بن إسماعيل ع . م ثلاثة أئمة في عصر واحد ، وكان كذلك المهدي بالله ، والقائم بأمر الله ، والمنصور بالله ، والمعز لدين الله ، ولا تكون الإمامة إلاّ في واحد بعد واحد هو المختص بفضلها ، والحائز لشرف[4] محلها ، يشير إلى الخليفة من بعده وينص عليه لأهل دعوته ، القائم مقامه ، ويسلم إليه ، لكنه يبين له من كان في عصره يترشح لها ويجعله الله أهلها ، فكانت تظهر في المعز لدين الله معد بن إسماعيل الفضائل وتقدمه باستحقاقه لخلافة آبائه الطاهرين الدلائل ، وقد آثر القاضي

---

(١) سورة : ٢/ ١٢٤﴿ قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾
(٢) ناصره : سقطت في ب
(٣) ومطاهره : مطهرة في جـ
(٤) لشرف : إشراف في جـ

النعمان بن محمد فيما رواه عن الإمام المعز لدين الله قال[1] : إني لأذكر من أمير المؤمنين المهدي بالله يوماً حملت فيه إليه وأنا يومئذٍ فطيم أعقل الكلام ، وأحفظ ما يكون فتناولني وقبلني وأدخلني تحت ثوبه / وكشف عن بطني وألصقها ببطنه ، ثم أخرجني وبارك عليّ ، وسألني عن حالي ، وأجلسني في حجره ، ودعا لي بما آكل فأتيت بطبق من فضة [مذهب][2] فيه موز وتفاح خريفي وعنب ، فوضع بين يدي فلم أتناول منه شيئاً ، فأخذه بيده وناولنيه فأخذته بيدي فقال : إمضِ به فكل أنت ما فيه ، [وأعط الطبق فلانة][3] وذكر بعض البنات ، وهي يومئذٍ في مثل سني ، فقلت : [بل آخذ أنا][4] الطبق وأعطيها ما فيه ، فضحك وتعجب من انتباهي لذلك ، ودعا لي بخير ، وقال للخادم احمله فحملت وحمل الطبق بين يدي ، وقال : سيكون له نبأ ومثل هذا الكلام .

٤ /

وقال القاضي النعمان : لم أضبطه أنا عن المعز ع . م . ثم قال المعز : كان[5] المهدي واحد الزمان ، وخبيئة آل محمد عليه وعليهم السلام ، وعالم[6] علمهم ، وكاشف جلباب المحنة عنهم . قال القاضي النعمان بن محمد : وكان المعز لدين الله يحل من جده القائم قدس الله روحه وصلى عليه وعلى الأئمة من آبائه وذريته الطاهرين محلاً خصيصاً منذ نشأته ، وكان يقربه ويدنيه ، / ويسر إليه دون أبيه ، وكان رسوله وسفيره إلى الناس فيما يأمر به ، وينهي عنه ، ويحتاج إليه ، فإذا خلا كان بين يديه ، ومتى غاب عنه أرسل إليه .

٥ /

وكان المنصور من جده المهدي بهذه المنزلة ، لا يكاد يفارقه إذا خلا به ،

(١) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان المجلد الثاني صفحة ٤٦٠ مخطوط
(٢) مذهب : مذهبي في ب
(٣) وأعط الطبق فلانة : وأعطاني الطبق فلاني في جـ
(٤) بل آخذ أنا : لها بلا أخذت في جـ
(٥) كان : سقطت في الأصل ونقلناها عن المجالس والمسايرات
(٦) وعالم : وعالمهم في ب

ويحدثه سراً ، ولا يعلم أحد ما يجري بينهما ، فأخبرني[1] بعض من كان يدخل إلى المهدي بالله في أكثر الأوقات لما لا بد له منه ، أنه لم يكن قط دخل إليه في خلوة إلاً وجد المنصور بالله بين يديه يناجيه ، فإذا رآه تنحى من بين يديه حتى يقضي ذلك الرجل حاجته ، فإذا خرج عاد إليه . قال : وما سمعت قط ما يجري بينهما ، وما علمت أحداً ممن يقرب من المهدي بالله كان يحل محل المنصور ، ولا رأينا أحداً يخلو معه فأدخل عليه على ذلك إلاً كلمه كلمة بحضرتي ، وسمعت ما يجري بينهما ، إلاً المنصور بالله . وقال : فذكر المعز لدين الله يوماً مثل هذا من حاله ، وأن المهدي بالله كان يغذيه بالحكمة ، ويرشحه للإمامة ، بحسب ما كان القائم بالله يفعل به هو .

وعنه قال : وسايرت[2] الإمام المعز لدين الله في بعض أسفاره فذكر القائم ع . م / واختصاصه إياه ، ومحبته له ، وقربه منه ، وما كان امتحن به[3] المنصور بالله من طول ستر أمره ، وترك إظهاره إلى أن قرب وقت انتقاله ، فقال المعز : دخلت إليه بعد أن أظهر المنصور ونصبه[4] للناس بعد مدة اثنتي عشرة سنة من يوم أفضى إليه بذلك الأمر ، وذلك قبل[5] وفاته بثلاثة أيام ، وعنده بعض حرمه فأمرها فتنحت[6] عنه ، ثم أدناني من نفسه ، وضمّني إلى صدره ، وقبل بين عيني ، وبكى فبكيت لبكائه ، ولا أدري ما أبكاه ثم قال لي : يا بني إن مولاك ومحبك مفارقك بعد [ثلاثة أيام][7] وعقدها بيده . قلت : بل يبقي الله أمير المؤمنين ويمد في عمره ، ويقدمنا قبله . قال : إسمع ما أقول لك : إنّ أخوف ما أتخوفه عليك من

٦ /

(١) فأخبرني : فخبرني في ب
(٢) سايرت : سائر في حـ
(٣) امتحن به : امتحانه في جـ
(٤) ونصبه : وصابه في جـ
(٥) قبل : قبلات في ب
(٦) فتنحت : فمحت في ب
(٧) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٣٥٠ وقد جاء بالنص ما يلي : « بعد ثلاث وعقدها » . مخطوط في مكتبة المحقق الخاصة .

أبيك ما أعلمه[1] من إيثاري إياك ، وإيثارك أمري على أمره ، وميلك إليَّ دونه ، وما أعلمه من ميله إلى أمهات أخوتك فأخشى خشية المشفق عليك أن يعدل بهذا الأمر عنك[2] إلى غيرك منهم كلا لا يفعل / ذلك إنشاء الله . ٧ /

لكن متى رأيت منه أثرة عليك ، أو ميلاً عنك فاصبر صبر من أحلَّه الله محلك ، وأقامه مقامك ، فأنت والله صاحبها ، ولولا صغر سنك اليوم ما عدتك ، وعن قريب تصير إليك ، فأوصيك بتقوى الله واحتمال ما حملت ، والصبر على مضض ما يؤتى إليك ، [وإخوتك إخوتك][3] فاحكم أمر معاملتهم في يومك وغدك . ثم أدركه ضعف وبهر[4] فقطع الكلام ساعة ، ثم تنفس الصعداء ، وقال : الأخوة وما الإخوة إلاَّ إخوة يتهول ع . م أمرهم لما كان ناله من المشقة في سياسة أمرهم ، ثم خفق ، ورأيت أن الكلام أجهره ، فقمت عنه وخرجت ، فإذا بالمرأة من وراء الباب تسمع ما جرى من الكلام ، وهي بعض أمهات الأولاد ، فهنأتني بما سمعت ، وقبض ثالث ذلك اليوم . فحين أفضيت خلافة الله إلى المنصور بالله ورأى الخير كله في ولده الإمام المعز لدين الله عهد إليه بعهده ، وأطلع على ذلك خلصاء أهل ولايته ووده ، وأقام جوذر خادم له في قصره بالمهدية ، وفوض إليه جميع أموره / بالكلية ، وخرج لحرب الدجال حتى فتح الله عليه ، ٨ / فأظهر النص فيه على المعز لدين الله ، وأشاع ذكره ، وأعلى أمره ، وكان قرينه في سفره وحضره ، وخليله في كل أمره ، وموضع أمانته وسره ، ولم يكن أحد يصل[5] إليه من الأبواب ، والدعاة ، وأهل المملكة ، إلاَّ على يد المعز لدين الله وتسببه إليه ، وكان يظهر له فيه من مخايل الفضل ، ويشاهد فيه من علو القدر ما يزيده منه قرباً وعلواً ، ورفعة لديه ، وسمواً .

---

(١) ما أعلمه : ما أعلم في جـ

(٢) عنك : سقطت في جـ

(٣) وإخوتك إخوتك : وإخوتك في ب

(٤) وبهر : سهر في جـ

(٥) يصل : يواصل في جـ

وقد جاء عن القاضي النعمان بن محمد قال[1] : خرج أمير المؤمنين المنصور باقي أيامه لبعض ما كان يخرج إليه من اطلاع الحال فانتهى إلى طنباس[2] وخرج المعز لدين الله معه ، وكنت فيمن خرج معهما ، فانتهى إلى وادي يجري فيه ماء المطر فيسقي[3] أراضي كثيرة المنازل شتى ، فإذا فيه [سد عظيم فلما][4] انتهى إليه ، ووقف عليه ، [وقف إليه][5] رجلان من [وكلاء الضياع][6] فذكر أحدهما أن الآخر سد [بذلك السد عن الضياع التي يتولاها ما كانت][7] تشرب منه من سيل المطر ، وذكر الآخر أن ذلك من حقه ، ومما يجب له أن يفعله ، /٩ واحتج/ كل واحد منهما في ذلك بحجج كثيرة ، وعلت أصواتهما واعتكر الكلام بينهما ، وطال تنازعهما ، والمنصور بالله في كل ذلك لم يفصل بينهما ، والمعز لدين الله ع . م . قائم على فرسه ناحية ، والناس بالبعد ركوباً على دوابهم ، وقيام ينظرون إلى ذلك ، ويسمع أكثرهم كلام الرجلين ، وكنت فيمن يسمع ذلك ولا أرى وجهاً [لفصل ما][8] بينهما ، وكلما قلت في نفسي قد قامت الحجة لأحدهما أدخل الآخر عليه حجة ، فقال لي بعض من كان[9] في الموكب ممن قرب مني : أما تسمع ما دار بين هذين ؟ قلت : نعم . قال : فما ترى فيه ؟ قلت : والله ما وقفت من ذلك على حقيقة أمر أقطع القول به ، ولقد اشتبه عليّ أمرهما ، وحسبك ما ترى من توقف أمير المؤمنين عن الفصل بينهما ، ولكني أقول : إنهما لو وقفا بين يدي الأمير أعني المعز لدين الله لفصل بينهما[10] . قال : ومن أين

---

(١) المجالس والمسايرات للنعمان جـ ١ ص ٢٥
(٢) طنباس : طبنة في ب
(٣) فيسقي : فيبقى في ب
(٤) سد عظيم فلما : أمد خطير في جـ
(٥) وقف إليه : سقطت في جـ
(٦) وكلاء الضياع : رجال السياح في جـ
(٧) سقطت الكلمات المحصورة من النسخة جـ
(٨) لفصل ما : يفصل في جـ
(٩) كان : سقطت في ب
(١٠) بينهما : أحدهما في جـ

قلت ذلك ؟ قلت : لعلمي به ، والله ما ضاق عليّ أمر منذ رأيته ، ولا اشتبه عندي وجه الحق فيه فرفعته إليه إلاّ أجابني عنه قبل استيفائه آخره ، أو عندما يستوفيه بجواب ما خطر ببالي بعد الروية له ، والفكر فيه الأيام الكثيرة ، والليالي العديدة ؛

/ ١٠ مما لا أشك فيه أنه الوجه / الذي لا وجه له غيره، وذكرت له وجوهاً من ذلك [سنذكرها وغيرها مما يجري مجراها في كتابي هذا][١] فإني لعلى ذلك أحدثه وهو يتعجب مما هيئه الله له ، وما يهديه من الصواب إليه في ذلك إذ نظرنا إلى الرجلين قد انصرفا من بين يدي المنصور بالله ع . م إليه ، فوقفا بين يديه ، وكان أقرب إلينا من المنصور بالله[٢] ع . م فما هو إلا أن وقفا بين يديه حتى انصرفا إلينا وما سمعنا لهما كلمة .

وجاء أحدهما حتى وقف بيني وبين الرجل الذي كنت أخاطبه ورأيت وجهه يتهلل ، فقلت له : ما كان من أمركما ؟ فقال : انقطع كلامنا وفصل الأمير بيننا في كلمة واحدة بعدما سمعت مما كان بيننا بين يدي [مولانا ع . م][٣] . فقلت له : وكيف ذلك ؟ ونظرت إلى الرجل الذي كنت قلت له [فيه ما قلت][٤] وقلت له : ألم أقل لك . ! قال له الرجل : وكيف كان ذلك ؟ قال له : إنه لما طال مقامنا وكثر

/ ١١ كلامنا بين يدي [أمير المؤمنين ع . م][٥] [قال لنا إذهبا][٦] إلى مولا كما ينظر فيما بينكما . فإنصرفنا إليه فلما مثلنا بين يديه وأردنا أن نتكلم قال : أسكتا أكفيكما[٧] / ونفسي، ثم نظر إلى صاحبي فقال: أليس هذا الوادي وما يجري[٨] فيه من الماء وما يسقي من الأرض لنا ؟ قال : نعم . قال : وأنتما تنازعتما في هذا

---

(١) سقطت الكلمات المحصورة من ب
(٢) بالله : سقطت من جـ
(٣) مولانا ع . م : أمير المؤمنين في ب
(٤) فيه ما قلت : قلت له من ذلك في ب
(٥) أمير المؤمنين : مولانا في جـ
(٦) قال لنا إذهبا : قال أنا أذهب في ب
(٧) أكفيكما : كفيتكما في جـ
(٨) يجري : روي في ب

السقي يطلب كل واحد منكما توفير ما يجري لنا على يديه . قال : نعم . قال : فأخبرني لو كنت وكيلاً[1] على الموضعين جميعاً أكنت تسقي موضعاً وتدع موضعاً بلا شرب ؟ فسكت . فقال : قل لا إن كنت تؤثر قول الحق ؟ قال : لا والله يا مولاي ما كنت أفعل ذلك . قال : [صدقت فما لم تكن تفعله لنفسك][2] فلا تلزمه لغيرك ، اذهب فأزل السد واسق أنت ما عندك ، وهذا ما عنده بحسب ما يعطيك الله الماء ويعطيه . فحكم لي بما طلبت فانصرفت .

قال : فنظر إليّ الرجل الذي كنت خاطبته [وقال لي : كأنما والله كُشف لك][3] عن غيب هذا الأمر ؟ ! قلت : ما ذاك إلاّ مما جربته وعرفته [بما قدمت عندك ذكر بعضه][4] . قال القاضي النعمان : ثم نظرت في هذه القضية العجيبة التي ألهمه الله ع . ج إياها وسترها عن الإمام فذكرت قول الله ع . ج ﴿ وَدَاوُدَ وسليمانَ إذْ يَحْكُمَانِ في الحَرْثِ إذ نَفَشَتْ/ فيهِ غَنَمُ القَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ١٢ فَفَهَّمنَاهَا سُليمانَ وَكُلاًّ آتينا حُكْماً وعِلماً ﴾[5] الآية .

وما رواه الرواة لنا عن أئمتنا ع . م في ذلك من أن رجلين اختصما إلى داود النبي (ص) في غنم لأحدهما وقعت في زرع الآخر فأفسدته[6] . فقال داود في ذلك قولاً ثم صرفهما إلى سليمان لينظر بينهما ، فقال سليمان : إن كان صاحب الغنم تعمَّد إرسالها في الزرع فهو ضامن لما أفسدته ، وإن لم يتعمد ذلك وأفلتت من غير إرادة منه ولا قصد ذلك فلا شيء عليه ، والعجماء جبار ، والعجم البهائم ، والجبار الهدر يعني ما أصاب البهائم من ذات أنفسها فهو هدر . قال : وهذا إنما

---

(١) وكيلاً : أنت الوكيل في جـ

(٢) صدقت فما لم تكن تفعله لنفسك : الصدقة ما كنت لا تفعله لنفسك في جـ

(٣) وقال لي : كأنما والله كشف لك : كأنما كشف الله لك والله في جـ

(٤) بما قدمت عندك ذكر بعضه : ذكر البعوضة في ب

(٥) سورة ٢١/ ٧٨ ـ ٧٩

(٦) فأفسدته : حتى أفسدته في جـ

يكون في النهار وعلى أهل[1] الحوائط [حياطة حوائطهم][2] بالنهار ، فأما إن أفلتت في الليل فصاحبها ضامن لما أصابت تعمد ذلك أم لم يتعمده ، لأن أهل المواشي عليهم أن يحفظوا[3] مواشيهم ليلاً ويمنعوها من الخروج من منازلهم ، وليس على أهل الحوائط[4] أن يحفظوا حوائطهم ليلاً . ففهّم الله ع . ج سليمان هذه القضية في حياة أبيه وحجبها عنه ليريه فضله/ في حياته، ويسره بما أودعه من ١٣ /
حكمته ، وكذلك فهم المعز [لدين الله][5] هذه القضية في حياة أبيه المنصور وحجبها عنه ليريه فضله في حياته ، ويسره بما ألهمه من الحكمة ، وبين له ما أتاه ليقر به عينه . وكما روى الرواة لنا أيضاً عن أئمتناع . م أن اعرابياً أتى إلى مسجد رسول الله [ﷺ][6] في أيام عمر فقال له : إني رجل محروم مررت على بيض نعام فجنيت وشويت وأكلت . فقال عمر : ما عندي في هذا علم ، ولكن اجلس فالساعة يجيء من عنده علم ذلك . فجلس حتى أقبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع . م فقال عمر : سل هذا ؟ وكان الحسن بن علي غلاماً مع أبيه علي بن أبي طالب فأتى الاعرابي عليا فأعاد عليه السؤال . فقال له علي ع . م سل هذا ؟ وأومى إلى الحسن . فقال الإعرابي يا ويلتاه مالي ولكم يا أصحاب محمد أعجزتم عن الجواب ؟ كلما سألت أحداً منكم أحالني على الآخر ! ! فقال له عبد الله بن مسعود : سله يا أعرابي فإنه من[7] أهل بيت النبوة . فسأله الاعرابي ، فقال له الحسن : يا أعرابي ألك إبل ؟ قال : نعم . قال : فخذ بعدة البيض نوقاً فاضربهن بالفحل/ فما حمل منهن وفصل من أولادهن فاجعله هدياً. فقال[8] ١٤ /

---

(١) أهل : أصحاب في ب
(٢) حياطة حوائطهم : أن يحوطوها في جـ
(٣) يحفظوا : يحوطوا في ب
(٤) الحوائط : الحرابة في ب
(٥) لدين الله : سقطت في جـ
(٦) صلى الله عليه وآله : سقطت في ب
(٧) من : وفي جـ
(٨) فقال : سقطت في ب

الاعرابي : فرجت عني فرج الله عنك ، وقام فاستقبله عمر فقال : ما الذي قال لك ؟ فأخبره . قال له : ارجع إليه[1] فقل له : أما علمت أن النوق يزلقن ؟ فقال له الحسن : قل للذي قال لك هذا أوما علمت أن البيض يمزقن ؟ فقام إليه أبوه علي فقبل بين عينيه وقال : ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . فقال عبد الله بن مسعود : إن الذي فهّم هذا الغلام هذه القضية [العجمية هو][2] الذي فهّم سليمان بن داود تلك القضية ، والذي أنطق هذا الغلام بالحكمة هو الذي أنطق يحيى بن زكريا بالحكمة ، والله لو رد هذا[3] الأمر في نصابه لأكلوها خضراء خضرة إيمانهم وعن شمائلهم ! فقال له عمر : أتؤلب الناس علينا يا ابن مسعود ؟ قال الحسن : كنت تفتيه ولا ترشده إلينا !! فهذه القضية أيضاً كانت من الحسن بحضرة علي إلهاماً من الله له ليقر به في حياته عينيه[4] كما ذكرنا في قضية المعز ع . م ، ودل

/ ١٥ قول الاعرابي أنه شوى البيض وأكلهن على أنه لم يكن فيهن/فراخ ، فأمره الحسن ابن علي لذلك بأن يرسل الفحل في [عدة نوق كعدة][5] ما أصاب من البيض فما حمل من ذلك الضرب ونتج أهداه ، وإن لم [يحمل أو حمل][6] بعضها لم يكن عليه غير هدي ما نتج ، لأن البيض كذلك قد يفسد كما ذكر الحسن بن علي ، وإن كان فيها فراخ لم تنشأ فيها الأرواح كان عليه أن يضرب النوق بالفحل حتى يتبين حملها فما نتج منها كان هدياً ، وإن كانت الأرواح قد نشأت فيها كان عليه أن يضرب النوق بالفحل حتى تحمل وتتحرك أجنتها في بطونها فما نتج منها بعد ذلك أهداه ، وما مات في بطونها لم يكن عليه بدله لأن الفراخ كذلك قد تموت في البيض .

وقول المعز لدين الله للرجل : ما لم تكن تفعله لنفسك [فلا تلزمه لغيرك

---

(١) إليه : سقطت في جـ
(٢) العجمية هو : سقطت في ب
(٣) هذا : وا في ب
(٤) عينيه : عليه في جـ
(٥) عدة نوق كعدة : نوق عدة في جـ
(٦) يحمل أو حمل : تحمل أو في ب

من قول آبائه (ص) أحب للناس ما تحب لنفسك][1] وحسبك أدباً لنفسك ما كرهته من غيرك ، ومن قول بعضهم لبعض من سأله عن نكاح المتعة فقال له : هل ترضى لنفسك أن تنكح ذات محرم منك [عن نكاح متعة ؟ قال : لا والله . قال : فكفاك بهذا لا ترض لغيرك إلا ما ترضاه لنفسك][2] وكلام أولياء الله كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، ويشهد بعضه لبعض ، لأنهم بنور الله [يستبصرون ومنه يقتبسون][3] وبحكمته ينطقون ، وعن أسلافهم يأخذون ، فهم حجج الله سبحانه في الأرض ، وهو كما قال الله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[4] .

هـذا قول القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه ، إلى أن قال :

/ ١٦ حدثني / بعض إخواننا عن المنصور بالله أنه قال[5]: أردت أن أستعمل على بعض الثغور عاملاً فأجلت فكري في اختيار من أراه يصلح لذلك ، فلم يقع اختياري إلاَّ على رجل سماه لي الرجل ، قال : (فلما لم أر) اختياري كلما أجلته ، وفكريَ كلما صرفته ، لا يقع إلاَّ عليه ، علمت أن ذلك من توفيق الله ، فأردت امتحان ما عند الله لمن رجوته لمقامي ، وآثرته بأمري ، فكتبت اسم الرجل الذي [خطر ببالي][6] في رقعة ، وختمت عليها ووضعتها بين يدي ، ودعوت به يعني المعز لدين الله ، فسلم ، ثم وقف . فقلت : يا بني إني أردت إخراج عامل إلى بلد كذا وكذا ، وذكرت البلد ، فمن تراه يصلح لذلك ؟ فقبل الأرض ، وقال : يا مولاي وأي رأي لي مع رأيك ، والله يمدك بالتوفيق ؟ فقلت : قل عليَّ ذلك ! فامتنع من القول ، وجعل يعتذر[7] ويستعفي . فقلت له : لا بد من أن

---

(١) سقطت الكلمات المحصورة من ب

(٢) سقطت الكلمات المحصورة من ب

(٣) يستبصرون ومنه يقتبسون : يستضيئون في جـ

(٤) سورة : ٣/ ٣٤

(٥) المجالس والمسايرات جـ١ ص (٤٠ ـ ٤١) مخطوطة في مكتبة المحقق

(٦) خطر ببالي : سقطت في جـ

(٧) يعتذر : يعذر في ب

تقول في ذلك ، فإني ذكرت رجلاً واسمه في هذه الرقعة ، فخذ أنت رقعة واكتب من تراه . قال : فلما لم يجد من ذلك بداً ، تناول قلماً ورقعة وكتب ، ودفع إليّ الرقعة ، فإذا فيها اسم الرجل الذي وقع اختياري عليه ، فحمدت الله تعالى على ما أنعم به عليّ فيه ، ورميت إليه بالرقعة التي كتبتها[1] وفيها ذلك الإسم وقلت له : فكها وانظر ما فيها . ففعل ،/فلما رأى ما وافق من ذلك من رأي ، حمد الله تعالى واستبشر ، وتهلل وجهه لذلك . ‎/ ١٧

قال القاضي النعمان بن محمد[2] : وهذا مما قدمت[3] ذكره وكررته [في هذا الباب وفي الباب الذي قبله][4] من إدخال السرور على أولياء الله[5] بما يريهم في من أقاموه مقامهم ، وفوضوا إليه أمرهم . ثم أخبرني المعز لدين الله بهذا الخبر بعد ذلك . وفيما رواه أيضاً عن المعز لدين الله قال : وسمعته يقول ع . م[6] : انتهت إلى الإمام القائم بأمر الله في آخر أيامه ، وفاة داع من دعاته ببعض جزائر المشرق ، وتنازع وصيته رجلان من أهل دعوته ، كلاهما زعم أنه أوصى إليه ، فلم يمض القائم ع . م من أمرهما شيئاً حتى قبض قدس الله روحه ، واشتغل المنصور ع . م بما كان فيه من أمر الحروب إلى أن أخمد الله نار تلك الفتنة ، وأزال به المحنة ، وكاتب الدعاة فاحتاج إلى إثبات داع بتلك الجزيرة ، وكان لكلا[7] الرجلين اللذين ادعيا وصية الداعي المتوفى رسول بالحضرة أتى من عنده بكتاب يذكر أنه وصي ويسأل إطلاقه . فقال لي يوماً : من تراه يصلح من هذين الرجلين لهذه الجزيرة؟ فقلت: الله ووليه أعلم. قال: قل عليّ ذلك/ فتوقفت واستعفيته . ‎/ ١٨
فقال : لا بد من أن تقول وقد قلت أنا في ذلك ولكني أردت أن أعلم ما عندك فيه

(١) كتبتها : ختمت عليها في المجالس والمسايرات جـ ١ ص ٤١
(٢) المجالس والمسايرات جـ ١ ص ٤٢ مخطوطة في مكتبة المحقق الخاصة .
(٣) قدمت : قدرت في ب
(٤) في هذا الباب وفي الباب الذي قبله : سقطت في ب
(٥) أولياء الله : أوليائه في جـ
(٦) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص (٣١ ـ ٣٢)
(٧) لكلا : سقطت في ب

هل يوافق ما قلته أو يخالفه ؟ فقلت : ينظرني أمير المؤمنين . فقال : أنظرتك . فانصرفت فجولت فكري وأدرت نظري فوقع اختياري على أحدهما فكتبت اسمه في رقعة وجئت بها إليه فوضعتها بين يديه : فقال : ما هذه ؟ فقلت : إسم الرجل الذي وقع اختياري عليه . فتركها مكانها وأخرج رقعة مدرجة فقال : وفي هذه اسم من وقع اختياري أنا عليه منهما . وفتحتها فإذا اختياره واختياري قد وقع على رجل واحد ، فسررت بذلك وحمدت الله تعالى عليه . ثم جئته بعد ذلك ، فقال : أسرك موافقتك إياي من أمر الرجل ؟ قلت : وكيف لا يسرني موافقة مولاي ؟ قال : أفأزيدك سروراً ؟ قلت : أن تفضل أمير المؤمنين ، فأخرج إليّ رقعة فيها توقيع القائم بخطه باختيار ذلك الرجل ، وقال : قلبت كتبه فمرت بي على غير تعمد ، ورأيت الرقاع الثلاث[1] التي كتب القائم والتي/كتب المنصور والتي كتبت أنا ، فكأنها كتبت من نسخة واحدة تقابل[2] بعضها بعضاً ، وكان ما فيها : ادعى وصيه فلان وفلان فنظرت إلى كتاب كل واحد منهما فرأيت أن فلاناً أحق بذلك لوجه كذا ولوجه كذا لم يزد ما في رقعته منها على أخرى . قال : فأدناني المنصور بالله إلى نفسه ، واعتنقني ، وضمني إلى صدره ، وقبل صفحة[3] عنقي وألصق خده إليها مدة طويلة ، وهو يبكي حتى بل بدموعه أطواقي ، وبكيت لبكائه ولا والله ما علمت ما كان معنى ذلك البكاء حتى قبض ، فعلمت حينئذٍ[4] أن ذلك كان وداعاً منه لي ، وأنه رأى ما رآه[5] أن في ذلك أجله ، قد قرب لما رآه انتقل إليّ من التأييد .

١٩ /

قال القاضي النعمان بن محمد[6] : وليس هذا الذي قاله المعز بخلاف ما قاله من انتقال ما عند الماضي ، وإنما ينتقل إلى الباقي في آخر دقيقة تبقى من نفس

---

(١) الثلاث : سقطت من ب

(٢) تقابل : سقطت في ب

(٣) صفحة : لمحة في جـ

(٤) حينئذ : سقطت من ب

(٥) ما رآه : لما رآه في جـ

(٦) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٣٣ .

الماضي ، إنما ذلك في إكمال[1] الأمر ، واستحقاق الإمامة ، ووجوب الطاعة ، لأن

/ ٢٠ ذلك لا يكون في اثنين باقيين ، فأما الدلائل والبراهين والقوة / والتأييد فإنها توجد في الحجج في حياة الأئمة كما ذكر ﷺ وتزيد حالاً بعد حال إلى وقت الكمال ، كلما قرب أجل الإمام[2] تقوى به[3] أسباب حجته ، وظهرت علامته ، ولذلك ما كان من بكاء المنصور لما نظر إلى المعز قد [وافقه ووافق][4] القائم علم أن ذلك من قوة الدلائل ، وأن أجله قد قرب ، وعلى مثل هذا تجري أمور أكثر العالم ، لا ينتقل الشيء إلى الشيء دفعة واحدة ، ولا يكون ذلك إلا على التدريج والنمو شيئاً بعد شيء كنمو الخلق ، ودخول الفصل[5] من الزمان في الفصل حتى يتقصى[6] الشيء من الشيء ويخلص بنفسه ، ويتبين بحالته ، وينسخ[7] ما قبله ومن ذلك ما روي عن جعفر ع . م أنه قال : قال علي ع . م : عالم هذه الأمة ، ونحن نتوارث علمه ، وليس يهلك منا هالك حتى يرى من أهله من يعلم مثل علمه . وفي مثل بكاء المنصور ع . م لما رأى من اتصال المادة بالمعز ع . م . قال بعض الحكماء : من سره بنوه ساءته نفسه . يعنون أن بكمال الولد وزيادته يكون

/ ٢١ نقص[8] الوالد وانحطاطه / ، وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

إذا الرجال ولدت أولادها ... واضطربت من كبر ، أعضادها[9]
وجعلت علاتها تعتادها ... فهي زروع قد دنا حصادها

فإذا كان هذا في ظاهر خلق الأبدان ، وما يداخلها من الزيادة والنقصان

---

(١) في إكمال : كمال في جـ
(٢) الإمام : الأول في جـ
(٣) تقوى به : تقوت في ب
(٤) وافقه ووافق : وافق في ب
(٥) الفصل : الفضل في ب
(٦) يتقص : ينقضي في جـ
(٧) وينسخ : وينتج في جـ
(٨) يتقصى : نقصان في جـ
(٩) أعضادها : أجسادها في ب

فكيف به في باطن علم الأديان ؟

وفيما رواه عن المعز ع . م القاضي النعمان عليه من الله الرحمة والرضـوان قال : وسمعته ع . م يقول[1] : لما احتضر المنصور بالله ع . م جعل يوصيني بما أعمل عليه [بعده ، وهذا قائم ، وأومى إلى رجل من عبيده كان قائماً بين يديه ، قال : ثم نظر إليه وقد دمع فقال : والله لتعـاين من مولاك][2] هذا ومـن جميل أفعاله وسيرته ، وما يجريه الله ع . ج من الخير على يديه ، ويصنعـه من الجميل إليه ، ويؤيده به ، ويمكنه [له ، ويفتحه][3] عليه ما لم تر [ولا سمعت][4] قط مثله ، فقال [له الرجل :][5] : يا مولاي وأي شيء بقي له [مـن ذلك][6] لم تفعله أنت ؟ قال : كثير والله جداً هو في القوة لم يظهر بعد إلى الفعل ، يظهره الله له ويجري على يديه . وقال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه[7] : قال الإمام المعز ع . م : شهدت مشهدين لو حملت الجبال ما حملته لما أطاقته ، وهـي وفـاة القائم بأمر الله ، والمنصور بالله . وحين أفضت خلافة/الله إلى أمير المؤمنين الإمام المعز لدين الله معد بن إسماعيل أبي تميم ع . م قام بالأمر ، والتزم بالصبر ، على جليل المصيبة ، وعظم الرزية ، كما قال القاضي النعمان بن محمد . هذه بعض ما أتى عنه ، وقد ذكرناه ، وهو قول المعز ع . م فبينما كنت أخشى من الوجد عليه إذ صار يعزيني عنه ع . م ، وأنا أعلم من مكانه عنده ، ومحله لديه ، وموقعه من قلبه ، ما قد كنت أخاف عليه إن حدث به حدث من أجله ، فرأيت من العزاء ، والصبر ، والتجلد ، وجميل الأمر ، ما قد أيقنت أن ذلك لانتقال الإمامـة إليه ، ٢٢ /

(١) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ١ ص (٨١ - ٨٢)

(٢) سقطت الكلمات المحصورة من كلا النسختين وأخذناها من المجالس والمسايرات جـ ١ ص ٨١ .

(٣) له ، ويفتحه : ويفتح في جـ

(٤) ولا سمعت : سقطت في جـ

(٥) له الرجل : سقطت في ب

(٦) من ذلك : سقطت في ب

(٧) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ١ ص ٨٥ .

ورأيت تأثيرها ومخائلها فيه ، لتأييد الله له ، وتوفيقه إياه ، وما وهبه له من جميل المادة وأجراه عليه من حسن العادة[1] .

وكتم أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م وفاة والده المنصور صلوات الله عليهما ، من آخر شهر شوال يوم وفاته إلى عاشر ذي الحجة يوم النحر ، وقد خرج لصلاة العيد ، وعليه شعار السكينة ، وهيبة الإمامة ، فصلى صلاة العيد ، ثم ارتقى المنبر، وخطب / خطبته التي أظهر فيها وفاة أمير المؤمنين المنصور بالله ع . م وسلامه، ورحمته، وبركاته، فقال: [2] ٢٣ /

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلاّ الله ، والله أكبر ، الأعز الأقدر ، الخالق المدبر ، ذو الكبرياء والجبروت ، والعزة والملكوت ، الأحد الصمد ، الفرد المتفرد ، الأعلى القاهر ، الباطن الظاهر ، الأول الآخر ، مبدع[3] السموات والأرض بالقدرة ، ومالكها بالعزة ، ومدبرها بالحكمة ، وخالقها بما فيها من عجائب الفطرة ، وبدائع التركيب والصنعة ، الذي كل شيء من موات وهي ناطق بالدعاء إليه ، والدلالة عليه ، والشهادة له بالتوحيد ، والتعظيم ، والتمجيد ، فتكوينه[4] الأشياء كلها من عدم شاهد بأن لا شيء قبله ، وانتهاؤها إلى الغايات دليل على ألا غاية له ، وإحاطته[5] بحدودها منبيء بأن لا حدّ له ، فالضعف ، والعجز ، والفقر ، والنقص الذي لم يخل منه مخلوق / أفصح ناطق ،وأصدق شاهد للخالق ، وحده جل ثناؤه بالإلهية ، والفردانية ، والقدرة ، والربوبية ، والتمام ، والكمال ، والأزل ، والدوام ، تبارك الله رب العالمين ، أحسن كل شيء خلقه ، ٢٤ /

---

(١) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ١ ص ٦٣

(٢) سيرة الأستاذ جوذر صفحة ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨

(٣) مبدع : سقطت في ب

(٤) فتكوينه : كأنه في جـ

(٥) وأحاطته : وحاطه في ب

وتكفل لكل حي رزقه ، ثم هدى بالعقل الذي قامت به حجته ووجبت طاعته ، والكتب والرسل الذين تمت بهم حكمته ، فصلى الله عليهم أجمعين ، وعلى محمد سيد المرسلين الذي رفع ذكره ، وأعلى قدره ، فأكرمه[1] بالوسيلة ، واختصه بكل فضيلة ، وابتعثه هادياً للعباد ، ونوراً في البلاد ، [علم به من الجهل ،][2] وهدى به من الضل ، وكثر به القل ، وأعز به من الذل ، فألّف به بعد الشتات ، ونوّر به دياجير[3] الظلمات ، صلوات[4] الله عليه وعلى آله المهديين ، الأخيار الطيبين .

يا أيها الناس : إن الله لم يخلقكم عبثاً ، ولم يهملكم[5] سدى ، ولم يجعل عليكم في الدين حرجاً ، ولم يضرب الذكر عنكم صفحاً ، [للعبادة خلقكم ، وبطاعته وطاعة رسوله أمركم ، وجعل للطاعة][6] أعلاماً منصوبة ، وفروضاً مكتوبة ، ومن أفضل أعلامها ، وأكرم أيامها ، يوم الحج الأكبر إلى البيت العتيق مبوأ ابراهيم خليل/الله ، وقبلة محمد رسول الله ﷺ ، فتقربوا إلى الله بما أمركم / ٢٥ به ، ورزقكم إياه ، من بهيمة الأنعام ، مقتدين بسنة محمد نبي الرحمة والهدى ، مستشعرين لله التقوى ، فإن الله ع . ج يقول : ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوى مِنكُمْ﴾[7] فبالتقوى تقبل الأعمال ويدرك الأمل ، وكبروا الله على ما هداكم وأشكروه على ما أولاكم ، ألا وأن خير الهدى الإبل ، وخير الإبل إناثها ، وكذلك من البقر ثم الفحول من الضأن ، وسلامة الضحايا سلامة العين والأذن ، وأن تكون من حلال الأموال ، نسأل الله لنا ولكم قبول

---

(١) فأكرمه : فألزمه في ب
(٢) علم به من الجهل : علم به من بالجهل في جـ
(٣) دياجير : دياجي في جـ
(٤) صلوات : سقطت في جـ
(٥) يهملكم : يمهلكم في ب
(٦) سقطت الكلمات المحصورة في كلا النسختين وأخذناها من سيرة الأستاذ جوذر ص ٧٧ .
(٧) سورة : ٢٢/ ٣٧

العمل بامتنانه[1] وبلوغ الأمل من رضوانه ، ورحمته ، وإحسانه . ثم جلس جلسة خفيفة ، وقام للخطبة الثانية : فقال :

[بسم الله الرحمن الرحيم]"[2]"

الله أكبر ،الله أكبر ،لا إله إلا الله،والله أكبر، الله أكبر شأناً وأعظم سلطاناً ، وأوضح آيات وبرهاناً ، عن أن تنكر[3] العقول توحيده ، أو تروم تحديده ، خالق السموات والأرض ، [ومالكهما ومدبرهما][4] الفرد الصمد ، الواحد الأحد ، الذي لا شريك له ولا ند ، الخالق القدير ، الرحمن الغفور ، النافذ قضاؤه ، الكائن ما يشاؤه ، المتقن / كل شيء صنعاً ، الواسع كل شيء رزقاً ، والمحيط بكل شيء علماً ، أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه[5] ، وأفوض إليه وأتوكل في كل الأمور عليه ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً خيرته من عباده ، ونجيبه من بريته ، وصفوته من المتطهرين ، ورسوله إلى كافة العالمين ، وبعيثه[6] بالإمامة إلى الثقلين ليبلغ حجة الرب ، ويوضح محجة[7] الحق ، فأدى رسالة الله ورحم [ورأف بعباد][8] الله ، وصبر على الكبار من مكر الكفار إلى أن أدال الله للحق على الباطل ، [والهدى على الأضائل ،][9] محمدﷺ وآله أفضل الصلاة وأزكاها وأكملها وأنماها ، وأخلدها وأبقاها ، وعلى الأئمة من عترته المهديين الكرام الأبرار الذين اختارهم الله للخلافة ، وارتضاهم للإمامة ، وأكد بوصية الرسل حجتهم وأوجب في التنزيل طاعتهم ، بعد تفضيله إياهم على

/ ٢٦

(١) بإمتنانه : منانه في ب

(٢) سقطت الكلمات المحصورة من سيرة الأستاذ جوذر ، وربما كانت إضافة من الناسخ

(٣) تنكر : تفكر في جـ

(٤) ومالكهما ومدبرهما : ومالكها ومدبرها في جـ

(٥) وأستهديه : وأشهد به في ب

(٦) وبعيثه : وبعثه في جـ

(٧) محجة : حجة في ب

(٨) ورأف بعباد: وأراد بعاد في جـ

(٩) والهدى على الأضائل : سقطت في جـ

العالمين بأبوة محمد سيد المرسلين ، وعلي أفضل الوصيين ، [وعلى أمه][1] سيدة النساء ، وخامسة أصحاب الكساء ، صلى الله عليهم أجمعين ، وعلى أمير المؤمنين المهدي بالله/ والقائم بأمر الله ، سيدي الورى وإمامي[2] الهدى ، اللذين أعلن[3] الله بهما دعوة الحق ، وأنطق بهما الإيمان والمؤمنين ، وأقام بهما معالم[4] الدين ، وأزهق بحقهما باطل المدعين ، وأكاذيب المتخرصين ، وقطع بسيوفهما دابر الظالمين ، صلوات الله ورحمته وبركاته ورضوانه وتحياته عليهما اللهم أخصص الإمام الفاضل ، والوصي العادل ، والبر الفاضل ، والغيث الوابل ، ذا الآيات الباهرات ، والمعجزات النافذات ، الباذل نفسه الكريمة في حين[5] الأزل والكربات ، الصابر في البأساء والضراء حتى طهر الأرض من جبابرة الأعداء ، عبدك ووليك ونجيبك وصفيك أبا الطاهر المنصور بك ، والمتوكل عليك ، والمفوض إليك ، العامل بما يرضيك ويقرب إليك ويزلف لديك ، الذي فجعتنا بفقده ، وأوحدتنا من بعده ، وأفردتنا منه وأوحشتنا فقبلت دعاءه ، وأجبت نداءه ، وجمعت بينه وبين أحبته في مستقر جنتك وسعة رحمتك ، وإن القلق وشدة الحرق عليك يا أبتاه ، [يا سيداه ، يا إسماعيلاه ، يا أبا الطاهراه ،][6] / يا بحر علوم الأئمة الطاهرين الهداة المهديين ، يا بقية أبناء الرسول ، وأولاد الوصي والطاهرة البتول ، يا إمام الأئمة ومفتاح باب الرحمة ، يا سراج الهدى وشمس الورى ، ومجلي [الطخياء ، يا مخصوصاً][7] من الله بتعجيل الكرامة ، عظم والله علينا المصاب بك ، وحل البلاء ، وعدم العزاء لفقدك ، وقصرت الألسن عن

27 / (الهامش عند السطر الثالث) — 28 / (الهامش عند السطر الخامس عشر)

---

(١) وعلى أمه : ومن أمهم في ب
(٢) وإمامي : وإمام في جـ
(٣) أعلن : أعلى في ب
(٤) معالم : علم في جـ
(٥) حين : فهو في ب
(٦) سقطت الكلمات المحصورة من كلا النسختين فأخذناها من سيرة الأستاذ جوذر ص ٧٩ .
(٧) الطخياء : الصحباء في جـ ومعنى الطخياء : الليلة المظلمة .

إدراك إحصاء فضائلك[1] ، وتعداد مناقبك ، فوالذي[2] اختصك بكرامته ، وحباك بجزيل عطاياه ، وشرفك بأبوة رسوله ، لولا ما أوعزت إليَّ به وأكدته عليَّ ، من القيام بحق الله والذب عن أمة جدك رسول الله (ﷺ) ، واستنقاذهم من غمرة الجهالة ، وبحار الضلالة ، ومهادي الفتن ، ومعاطب[3] المحن . وما تقرر[4] عندي ، ورسخ في صدري من الجزاء بمقدار الوفاء لله ولرسوله ، ولأئمة الهدى لضربت على وجهي سائحاً في البلاد ، قالياً للمهاد[5] ، راضياً ببلغة من الزاد ، إلى أن يلحقني الموت سريعاً بك ، فأفوز بقربك ، ورحمة بك ، لكنني فكرت/ ٢٩ / ونظرت وتدبرت فلم أر لي وجهاً استوجب به درجتك واللحاق بشرفك سوى الصبر والاحتساب ، فتجلدت ، وصبرني ربي فصبرت ، وغلب عليَّ البين[6] فأمسكت ، فأقول إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم الرحمن الرحيم ، له الحمد على ما أبلى ، والشكر على ما أولى . معاشر أوليائنا ، والقائلين بطاعتنا ، والمتمسكين[7] بولايتنا هذه والله المحن الشداد ، المنضجة[8] للأكباد، هذه الزلازل العظام التي لا تثبت لها الأقدام، هذه المشاهد التي لم يألكم أئمتكم لها تثبيتاً[9]، ولم تزل راغبة إلى الله في تثبيت أقدامكم وعصمة قلوبكم عند حلولها بكم ، ووقوع المحنة فيها عليكم ، فتثبتوا تسلموا ، ولا تضلوا لتندموا فلن يخلي الله أرضه وعصره في كل زمان من قائم لله بالحقّ شاهد على الخلق ، يقر به المؤمنون ، ويجحده الكافرون الضالون الأخسرون ، إن الله بحمده خالق الخلق من غير حاجة كانت منه إليهم ، لكن لعبادته وإظهار فضله وجوده

---

(١) فضائلك : شمائلك في جـ
(٢) فوالذي : فوحق في جـ
(٣) ومعاطب : ومعاطي في ب
(٤) تقرر : تقرب في ب
(٥) للمهاد : سقطت في ب
(٦) البين : اليقين في جـ
(٧) والمتمسكين : والمتوسلين في ب
(٨) المنضجة : المستجنة في جـ
(٩) تثبيتاً : تبيناً في ب

عليهم ، وجعل الحياة فيهم قوة عاملة ، والموت كأساً دائرة ، وما بعد الموت جزاء للعمل وبيّن لهم بين هذين / نهج[1] السبيل برسله المنتجبين[2] ، وبأئمة الهدى المختارين ، وجعل ثوابهم[3] وحظهم على مقدار بلاغهم وقيامهم ، واضطلاعهم بأمره وإرشاد خلقه ، وجعل بينهم درجات في الفضل فقال جل ثناؤه : ﴿ ثُمَّ أَورَثْنَا الكِتَابَ الذينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيراتِ بِإِذْنِ الله ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ﴾[4] تبارك الله رب العالمين ، الذي لم يرض بالدنيا ثواباً للمؤمنين ، ولا عقاباً للكافرين .

/٣٠

يا أيها الناس : ما من حي إلاّ وهو رهين بالموت ، ولا موت إلاّ وبعده نشور ، ولا نشور إلا بحساب ، فثواب أو عقاب ، وطوبى لمن لقي الله متمسكاً بحجزة أوليائه ، معتصماً بعصمتهم ، قائماً بلوازم الطاعة المفترضة عليهم بحججه وأصفيائه ، متفيئاً بظلال ألوية عترة رسوله محمد سيد المرسلين ، يوم لا ينجي[5] إلا الدين ، ولا ينفع إلا صحة اليقين ، ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيرٍ محضراً ، وما عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ انَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَداً بعيداً ، ويُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ والله رَءوفٌ بالعِبَادِ ﴾[6] .

/٣١

يا أيها الناس: إنما الأعمال بخواتمها ،والجزاء / من الله بحسب الوفاء لله ولرسوله ، ولأئمة الهدى من ذرية[7] الرسول ، وقد شاهدتم سيد الأئمة وراعي الأمة وسراج الدجنة في مواطن ومشاهد قضى فيها فرض ربه عليه ، وأدى وديعة جده محمد لديه ، وبين لكم من سنته ما إن اقتديتم[8] به لن تضلوا ، ولن تبت

---

(١) نهج : نحو في ب
(٢) المنتجبين : المجتبين في ب
(٣) ثوابهم : فعالهم في جـ
(٤) سورة : ٣٥/ ٣٢
(٥) لا ينجي : لا ينفع في ب
(٦) سورة : ٣/ ٣٠
(٧) ذرية : آل في ب
(٨) ما إن اقتديتم : اقتديتم في ب

أيديكم من رحمة الله ، ولن تعشو أبصاركم عن قصد السبيل الأقوم ، والتمسك بالدليل الأعظم ، وما من ولي سالف إلاّ وبعده وصي خالف قائم لله بحقه [منخر ثوابه][1] ، عامل بما يرضيه حسب طاقته ، ومنتهى استطاعته ، ولا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها ، ولا يرتضي للقيام بدينه وهداية خلقه ورعاية أمة نبيه إلا الأفاضل الأمجاد ، [الآحاد الأفراد][2] ، ذوي الهمم العالية ، والأخلاق الرضية والنفوس الأبية من خالص الذرية ، وقد جرت سنة الله في خلقه ، ونفذ في حكمه ما لا يستطاع له جحد ، ولا للقول به رد ، من مواصلة الرسل لتبيين السبل في الزمان بعد الزمان ، ولإعلان دينه حسب الإمكان ، وأوجب للعباد الثواب بطاعتهم وإجابة دعوتهم وقبول هدايتهم ، والعقاب بإسخاطهم وجحدهم وإنكارهم ، وليس المؤمن بأولهم جاحداً[3] آخرهم ، ولا ينفع جاحد أولهم/ تصديق آخرهم /٣٢ للثواب والرحمة ، من العذاب الأليم والخزي المقيم ، وقد قرن الله طاعة أئمة الهدى بطاعة الرسل ، وطاعة الرسل بطاعته ، قال الله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[4] كذلك جرت عادته في الأنبياء والأوصياء[5] ﴿ لَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴾[6] ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً ﴾[7] وهل لمقر بنبوة موسى ورسالة عيسى عليهما السلام حاجة بتفضيل محمد سيد[8] النبيين وخاتم[9] المرسلين إذا أنكر نبوته ، وهل له انتفاع بأعماله أو ثواب لعبادته ؟ النور أيها الناس فينا مصون ، وعطاء ربكم لنا غير ممنون ، فأين تذهبون ، وفي أي أرضٍ تتيهون ، هيهات هيهات لما توعدون فأطيعونا تهتدوا ، وتمسكوا بحبلنا ترشدوا ، واعملوا بما

---

(١) منخر ثوابه : بمستنجو ثوابه في ب
(٢) الآحاد الأفراد : الأفراد في جـ
(٣) جاحداً : جحاد في ب
(٤) سورة : ٤/ ٥٨
(٥) الأوصياء : المرسلين في ب
(٦) سورة : ٣٣/ ٦٢
(٧) سورة : ٣٥/ ٤٣
(٨) سيد : خاتم في ب
(٩) خاتم : سقطت في جـ

تفوزون في أخراكم[1] تسعدوا ، ولا تجعلوا أكثر همكم دنياكم ، فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أبا الأئمة المهديين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين قال : « إن الله أحلَّ حلالاً وأعان عليه ، وحرَّم حراماً وأغنى عنه » . فدعوا ما قل لما كثر ، وما ضاق لما اتسع ، فقد أمركم بالعمل ، وتكفل لكم بالرزق ، فلا يكون طلب المضمون لكم أولى بكم من طلب المفروض عليكم . اللهم أوزعني[2] شكر نعمتك ووفقني لما يرضيك ويقرب إليك ، ويوجب المزيد [من فضلك ، والذخر عندك][3] بإتمام نعمتك عليَّ في الدنيا والآخرة . إله الخلق رب/ العالمين ، اللهم أيدني بنصرك ، وافتح لي على أعدائك فتحاً مبيناً[4] تحيي به الدين ، وتعز به ملة محمد سيد المرسلين ، وارزقنا زيارة قبره والارتقاء[5] على منبره ، وحلول داره ع . م ، وقضاء الحج إلى بيتك الحرام ، والوقوف بتلك المشاهد العظام براياتنا ، وقد جددت لنا العز ولأوليائنا ، وقد أيدتنا وإياهم بالنصر ، وأكرمتنا بالظفر وأظهرتنا على القوم الظالمين ، وأخضعت لنا رقاب العاصين ، وقد تقدم منك الميعاد للآباء والأجداد ، ولا خلف لوعدك ، ولا رادّ لأمرك ، والرضا والتسليم بما قضيت ، عجلت أو أجلت . اللهم اجعل ما مننت به من إحسانك ، وما تجدد لي من فضلك ونعمتك عليَّ وعلى العباد رحمة منك ، اللهم واقرن بكل عز تجدده لي ذلاً تسكنه قلبي لعظمتك وجلالك وهيبتك ، فلا عز إلاَّ في الخضوع والعبودية لك ، ولا غنى إلاَّ في الفقر إليك ، ولا أمن إلاَّ في خوفك[6] ، ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلاَّ برضاك ، يا رب العالمين ، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات واخصص أولياء دولتنا وأنصار دعوتنا المجاهدين الصابرين الشاكرين من رحمتك بما استوجبوه من طاعتك ، وقضاء فرضك ،

/ ٣٣

---

(١) اخراكم : أخرتكم في ب
(٢) اللهم أوزعني : سقطت في جـ
(٣) من فضلك ، والذخر عندك : سقطت في ب
(٤) مبيناً : باناً في جـ
(٥) والارتقاء : والارتفاع في ب
(٦) خوفك : خافك في جـ

وموالاة أوليائك ، ومعاداة أعدائك ، وصلى الله على محمد سيد المرسلين في الأولين والآخرين . اذكروا الله العظيم / يذكركم ، [واستغفروا الله لي ولكم ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله][1] . /٣٤

وخرج أمير المؤمنين المعز لدين الله بعد انقضاء عيد الأضحى بشريف نفسه ، وقد أوعز إلى كتامة فجاءته منهم جنود عظيمة ، وجمع جنوده وعبيده فاجتمع الكل يوم الأضحى ، وسمعوا خطبته ، وذلك في سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة ، وقصد جبل أوراس على حصانته ، ومنعته ، وكثرة أهله ، والناس بعد فتنته وأطراف المملكة على سبيل المعصية ، والسبل خائفة ، ولهب نار الفتنة لم [يخمد ، وحرها][2] لم يبرد ، ورؤساء القبائل [الذين هاجوا][3] الحرب وعتوا ، واستكبروا ، وتمادوا في آثار الفتنة والشغب ممتنعون في معاقلهم في الجبال والأطراف ، فنهض إليهم أمير المؤمنين بجنوده المنصورية ، وأعلامه المشهورة ، فأنزلهم من معاقلهم[4] ودان له دانيهم وقاصيهم ، وقذف الله الرعب في قلوبهم ، وملك عليهم جبل أوراس عنوة ، فأخذهم بالعفو على عظيم الذنب والقوة ، وسار فيهم بالصفح والعدل ، وأجرى فيهم من حسن السياسة ما اعترفوا جميعهم له بالفضل ، فدانوا / له خاضعين ، وأطاعوا لأمره متواضعين ، وكان له في ذلك الفتح العظيم ، والفضل العميم ، وحقن الدماء ، وسكنت الدهماء ، وأمنت الروعات ، واطمأن الناس ، وألف الله له قلوب العباد ، وقطع به أسباب الفساد ، فلم يعرض له عارض ، ولم يبق له معارض ، وأتاه محمد بن خزر[5] أخو /٣٥

---

(١) سقطت الكلمات المحصورة في ب وربما كانت زيادة أضافها النساخ .

(٢) يخمد ، وحرها : يخمدها في جـ

(٣) الذين هاجوا : الذي هاجرا في جـ

(٤) معاقلهم : هياجهم في جـ

(٥) هو محمد بن الحسن بن خزر المغراوي أشعل نار الثورة في بلاد المغرب فأرسل إليه المعز قائده زيري بن مناد ، فلم ير هذا الثائر بداً من التسليم . فوصل إلى المعز مستأمناً في شهر ربيع الثاني سنة ٣٥٩ هـ ، وطلب الدخول في طاعته فقبل منه المعز ذلك ، وفرح به ، وأجرى عليه رزقاً كثيراً . الكامل لابن الأثير جـ ٨ ص ٢١٥ .

معبد أمير البربر ، وابن أميرها ، ومن له رياستها وسياستها ، فألقى بيده إليه ، وتطارح بنفسه عليه ، وأراه الله طريق رشده ، وأطلعت له طوالع سعده ، فدخل في دعوة الإمام ع . م ، وأخذت عليه البيعة ، وعاد بعد النصب إلى رأي الشيعة ، موالياً لعلي بن أبي طالب ع . م أمير المؤمنين ، والأئمة من ذريته الطاهرين ، فشمله من تطول الإمام المعز لدين الله ع . م وأنعامه ، وجوده ، وإكرامه ، ما صار[1] به له كأحد العبيد المملوكين ، وهو في ذلك عند الإمام ع . م وفي المكان المكين لم تتضع رياسته ولا تدنو مكانته وآباؤه المملكون على البربر[2] من قبل الإسلام ولهم الانقياد إليهم وهم فيها جاروا الأحكام ونقل عياله و/ أولاده ٣٦ / وأهل بيته إلى باب أمير المؤمنين ع . م وحضرته وحل عنده ومعه في قراره ودار مملكته راضياً في ذلك أشد الرغبة جاعلاً طاعة إمامه إلى الله وسيلة[3] وقربه وسار معه قواد البربر ووجوههم ، والمشهورون بالرياسة منهم ، كأيوب بن سماك والي المعز ، ومستويه ، وغيرهم طائعين غير مكرهين مستسلمين ، عازمين[4] الكون في جملة الإمام ع . م ، والحلول في دار مملكته ، لما شملهم من الأفضال ، والأنعام .

وانصرف أمير المؤمنين ع . م من سفره ظافراً قاهراً ، قد دانت له الجبابرة ، وذلت له العظماء صاغرة ، ووصل إلى دار مملكته بالمنصورية سالماً غانماً ، ثم وصل ع . م إلى المهدية مدينة جده ع . م فأقام بها أياماً وأقبل[5] على الأستاذ جوذر إقبالاً حسناً ، وأفضل عليه إفضالاً واسعاً ،[6] وراجعه الأستاذ في حاجة طلبها منه من حوائج الدين ، وفيما ينتفع به في الآخرة من العلم ، فكان جواب أمير المؤمنين ٣٧ / ع.م : يا جوذر صانك الله ، والله ما وعدتك بشيء وأنا أرجع لك / فيه ،

---

(١) ما صار : صدر في ب
(٢) البربر : سقطت في جـ
(٣) وسيلة : سله في ب
(٤) عازمين : فاجرا في ب
(٥) سيرة جوذر ص ٨٤
(٦) واسعاً : جزيلاً في سيرة جوذر

وأنك لمحقوق عندنا لكل خير ، وبالله ما ادخرنا عنك شيئاً يجب[1] إعطاؤه لغيرك ، وما في نيتك وولايتك[2] كدر يحتاج إلى التصفية ، ولم يبق لك علينا إلا إسعافك بما سألت ، ونحن فلم نجيء إلى مهدية إلاَّ بالمستخف من القش[3] ، ولا يتهيأ وصول هذا إليك إلاَّ من يدي إلى يدك ، ونحن نصل إلى المنصورية على خير وعافية إن شاء الله ، والذي تطلبه بها ، ولا يتهيأ أن يخرجه غيرنا ، فبعد وصولنا بيومين أو ثلاثة إن أمكنك أن تظهر أنك عليل ، وتختفي عن الناس ، بعد أن تسكن وحشتهم منا ، ثم تنسل إلينا في الليل من حيث لا يعلم بك إلا من تثق به ، إلى أن يكون نزولك عندنا ، فتنال[4] ما أملت ، وتزور وتشاهد زيارة قبر المنصور ع . م ، وتنصرف من وقتك ، فإن وصولنا من المهدية يبعد من الساعة إلى حين الربيع ، والموت بيد الله ، وقد قال الله تعالى[5] : ﴿ وَمَا تَدري نَفْسٌ [مَاذا تكسبُ غداً ، وَمَا تَدريْ نَفْسٌ][6] بِأَي أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾[7] . وأنا أوجه إليك بكتاب مليح[8] هو بخط المنصور بالله فيه كلام الأئمة عليهم[9] أجمعين أفضل[10] التحية والسلام ، ومواعظ ، تتدبره هذين اليومين ، ونحن لك على إتمام ما أملت ، فكن من ذلك على ثقة إن شاء الله / . ٣٨ /

ورجع أمير المؤمنين المعز ع . م إلى المنصورية ، فبعد إقامة[11] أيام قلائل ،

---

(١) يجب : بغير في جـ
(٢) وولايتك : سقطت في ب
(٣) القش : القنب في جـ
(٤) فتنال : فتناول في ب
(٥) الله تعالى : عز وجل في سيرة جوذر ص ٨٥
(٦) سقطت الكلمات المحصورة من كلا النسختين فأخذناها من سيرة جوذر ص ٨٥
(٧) سورة : ٣١/ ٣٤
(٨) مليح : ملح في جـ
(٩) عليهم : سقطت في جـ
(١٠) أفضل : سقطت في جـ
(١١) إقامة : سقطت في ب

نفذ الأستاذ على [حسب ما كان نفذ به الأمر إليه ،][1] قال صاحب سيرة الأستاذ : وبلغ ما أمله من حاجته ، وانصرف مسروراً لم يشعر به أحد ، ولم يقم جوذر الأستاذ بعد ذلك بالمهدية إلاً قليلاً ، ثم نقله أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م إلى المنصورية ، وأسكنه عنده في دار البحر داخل قصره [المبارك حسب ما][2] جرت به عادته من السكن مع مواليه ع . م حيث كانوا عليهم أفضل الصلاة . وهو الذي عناه القاضي النعمان رضي الله عنه حين قال : وسمعت المعز لدين الله يقول لبعض خاصة عبيده ، وقد قدم عليه منّ المهدية ، وكان مقيماً بها ، وأمره بالمقام بحضرته ، وخصه بالقرب منه لقديم ولايته وصحبته وعفافه ، إنك لن تعدم بقربك منا خيراً تفيده ، ومسرة تغتبط بها ، وتطيب نفساً بورودها ، ونعمة تحوزها وتستفيدها ، كما لا يعدم من قرب من عدونا ، وحل من خاصته محلك منا من غضب الله ، ولعنته ، وخزيه ، ومقته ، في عاجل دنياه حسب ما يستحقه ، ولما أعد لهم في الآخرة أنكى وأشقى ، / ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، كما [أن ما][3] لأوليائنا ولمن سعد بقربنا ورضانا[4] من ثوابه في الدار الآخرة عنده أجل وأعظم مما يظنه أو يسمو[5] إليه أمله ، قال : فقبل الأرض الأستاذ بين يديه ، ومن حضر ممن خصه بقربه ، وحمدوا الله على ما أولاهم من فضله ، وشكروا ذلك له بما قدروا عليه[6] .

٣٩ /

وكان العمال بالمهدية على يد جوذر ومن تحت أمره ، وهو المورد فيهم والمصدر عن أمر أمير المؤمنين مولاه ، عليه أسنى السلام والصلاة ، فكان نصير خليفته في المهدية[7] ، ونظيف صاحب بيت المال ، وحسين بن يعقوب صاحب

---

(١) سقطت الكلمات المحصورة في ب
(٢) المبارك حسب ما : سقطت في ب
(٣) أن ما : سقطت في ب
(٤) ورضانا : ورمضانا في جـ
(٥) أو يسمو : وسما في ب
(٦) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٣٤١ مخطوطة في مكتبة المحقق الخاصة .
(٧) جاء في سيرة جوذر ما يلي : وكانت كتب من بقي من المتخلفين بالمهدية في الخدمة مثل نصير =

البحر ، وكلهم من مماليك الأئمة ع . م وعبيدهم الذين نشأوا على يد جوذر في الطهارة والأمانة والأخلاق المحمودة ، والأفعال الصالحة ، اقتداء بأئمتهم ، وسيراً على منهجهم ، واستنارة بأنوار سرجهم . قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه وأرضاه : وكان اعتمادي في أيام الإمام المنصور بالله ع . م في ما أحاوله عنده ، وأرفعه إليه ، وأطالعه فيه ، على المعز لدين الله فما أردته من ذلك بدأته به ورفعته إليه/ وسألته حسن رأيه فيه ، فما أمرني أن أفعله من ذلك فعلته ، وما كرهه لي تركته ، وكان لي في ذلك رفد عظيم ، وفرج كبير ، ولم أكن أعمل على رأيه إلاّ ظهرت لي بركته والسعادة فيه ، ولم ينهني عن شيء فتركته إلاّ تبين لي بعد ذلك غيه . فلما قبض المنصور بالله ع . م وبركاته ورحمته احتجب إلى مطالعة أمير المؤمنين المعز لدين الله ومعاملته بما كنت أعامل المنصور وأطالعه فيه ، فعدمت[1] من دونه ما كنت وجدته فيه دون المنصور ع . م ، فبقيت وقتاً طويلاً أتهيب ذلك ، وأخاف التقحم فيه ، فلما طال ذلك عليَّ كتبت إليه رقعة رأيت أن أقدم فيها عذراً عنده[2] فيما عسى أن أرفعه[3] إليه وأخاطبه فيه . وكان فيها[4] : قد علم أمير المؤمنين ع . م اعتماد عبده فيما كان يرفعه إلى المنصور [قدس الله روحه][5] على فضل رأيه ، ومطالعته به قبل رفعه وعمله فيه بعد ذلك على أمره ونهيه ، وإن ذلك مما وجدت [غب عاقبته][6] ودامت السلامة وحسنت[7] الحال له به ، ولم يجد

٤٠ /

= خليفته ـ أي خليفة جوذر في منصبه ـ ونظيف صاحب بيت المال ، وابن حسون وصافي ، وحسين بن يعقوب صاحب البحر وغيرهم ممن يكاتب . . فيكاتبه كل إنسان بما يحتاج إليه من خدمته ، ويستأمر عليه هو ، وكان الأستاذ يخرج من كتبهم . . ص (٨٦) .

(١) فعدمت : فقدمت في جـ

(٢) عنده : عنه في ب

(٣) أرفعه : أدفعه في ب

(٤) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص (١٥٨ ـ ١٥٩) .

(٥) قدس الله روحه : سقطت في ب

(٦) غب عاقبته : خافيته في ب

(٧) وحسنت : سقطت في جـ

عند أمير المؤمنين الآن دون مولاه مولى[1] يعتمد في مثل ذلك عليه في ما يخاطبه به أو يرفعه إليه . وقد روي فيما يرويه عن مولاه/علي أمير المؤمنين ع . م في فصل من فصول كلام ذكر فيه الواجب على الأمة للأئمة فقال فيه : وإذا كان العلماء في زمان إمام حق وأهله فاسقون وجب على العلماء عرض أنفسهم على إمامهم ، وتعريفه من الكفاية والأحوال الصالحة ما لديهم ، وتسليم أنفسهم إليه ، ليسلمهم إلى الأشكال والحدود التي يجدها أبلغ وأنفع لما يريده ، فالذي يجب على عبد أمير المؤمنين من هذا الكشف لمولاه من حال نفسه اعتقاد ولايته ، والاخلاص له فيها ، وذلك أصل ما لا يزكو عمل إلاَّ به ، والصدق فيما يقوله له وعليه لا يسأله الله عن [كذب إنشاء الله تعالى يتعمده][2] ولا يقصده ، والتسليم لمولاه ، واستفراغ المجهود فيما يتحرى به رضاه ، وأمير المؤمنين أعلم بعبده وما يراه أهلاً له ، فإن وقع من قوله أو فعله شيء بخلاف [موافقة مولاه][3] فمن حيث رأى أن يقع ذلك بموافقته[4] وهواه ، وقد قال جده رسول الله [ﷺ وآله][5] قد تجاوز الله عن أمتي خطأها ونسيانها ، وما أكرهت عليه ، وأمير المؤمنين محيي سنة جده ، ومقتفي أثره ، ومنجز وعده لأهل عصره ، ومتبع أمره ، فإن أمر عبده بإيراد أموره عليه على جميل الظن في الصفح/ به وبلوغ الأمل من التجاوز منه ، فعل من ذلك ما هو أهله ، قال[6] : فوقع [إليَّ في ظهر][7] الرقعة بخطه : صانك الله يا نعمان ، وقفت على كل الذي وصفته في رقعتك هذه واستدللت من لفظك على شيء قد تبين لي منك [ولم أتحققه إلاَّ عند وقوفي على رقعتك هذه][8] فنفارك عما كنت عليه من

/ ٤١

/ ٤٢

(١) مولى : موكلاً في ب
(٢) كذب إنشاء الله تعالى يتعمده : كذاب أنساه الله يعمده في ب
(٣) موافقة مولاه : سقطت في ب
(٤) بموافقته : يوافقه في ب
(٥) صلى الله عليه وآله : سقطت في ب
(٦) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ١٦٠
(٧) إليَّ في ظهر : أمير المؤمنين بظهر في جـ
(٨) سقطت هذه الكلمات المحصورة من المجالس والمسايرات وربما أضافها بعض النساخ إلى النسخة ب من هذا الكتاب .

الانبساط والاستراحة إلينا فيما عساه يعرض لك ويقع إليك ، فرأيت منك انقباضاً أو حشني إذ لم يكن له سبب ولا علة توجبه ، بل الأمل فيك خلاف ما يسمو إليه أملك من التشريف والتنويه باسمك ، ورفع منزلتك ، إذ لم أكن أطلع إلاّ على خير وأحوال يجب أن يكون عليها كل ولي لنا مثلك ، وكان الأولى بك التزيد في السعي المحمود ليكون حالك حال يغبطك بها الولي ، ويكيدك عليها العدو ، وفقك الله وسددك ، والذي وصفته من حالك مع منﷺ وألحقنا به فحال لم يخف علينا بل كنا أصلها وفرعها ، وإن كان الشخص الجسماني المقدس قد غيب [عن أبصارنا ونقل إلى سعة][1] رحمة الله فإن المادة الروحانية متصلة غير منقطعة ، والحمد لله رب العالمين ، فمولاك مضى ، وإمامك خلف ، فاحمد الله/واشكره ، / ٤٣ وسلم لأمره ، واكتب إليّ بما عساك تحب ذكره ، ليأتيك من أمرنا[2] ما تعمل عليه إنشاء الله تعالى والسلام عليك .

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه[3] : [فما أعلم اني سررت منذ كنت سروري][4] يومئذ لما قرأت هذا التوقيع ، وأسقطت عن نفسي وحشة التعقب ، وأزحت عنها مؤنة التحفظ ، واعتمدت فيما أعامله وأرفعه إليه ، وأخاطبه به على حسن النية ، وسلامة الطوية ، وتركت التصنع في كل الأمور ، فما زلت أتعرف على ذلك منه ع . م فضلاً عندي يتجدد ، ونعمة [تتصل ، وأسباب خير تتأكد][5] أكمل شكرها عندي الإقرار بالعجز عنه ، وأبلغ وصفها لديّ الاعتراف بالتقصير فيه .

وكان القاضي النعمان بن محمد قس مع الأئمة ع . م الذين عاصرهم المكان المكين ، والمنزلة التي يقل فيها المماثل والقرين ، وقد ذكرنا خدمته للإمام المهدي ،

---

(١) عن أبصارنا ونقل إلى سعة : سقطت في ب

(٢) أمرنا : ذكرنا في ب

(٣) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ١٦١

(٤) فما أعلم اني سررت منذ كنت سروري : سررت منذ كنت سروراً في ب

(٥) تتصل ، وأسباب خير تتأكد : لتصل وإتيان خير تتأكد في جـ

وللقائم ، والمنصور ، عليهم السلام ، وهو يزداد في وقت كل إمام رفعة ، وإزداد في أوان المعز لدين الله ع . م سمواً وعلواً ، وقرباً منه ع . م ودنواً ، وجعله ع . م قاضي القضاة ، وأضاف إليه الدعوة ، وأسماه في مراتب الدعاة إلى أسمى ذروة ، وجعل إليه إزالة المظالم ، وأمضى حكمه على قول كل حاكم ، وأمره بقراءة كتب الأئمة من آبائه ، ونشر علومهم على أتباعه وأوليائه ، وأن يرتبهم على مراتبهم ، ويوليهم من منن ولي الله بحسب علومهم ، وما هو من واجبهم . قال القاضي النعمان بن محمد قس[1]/ ولما فتح المعز لدين الله ع.م للمؤمنين باب رحمته ، وأقبل عليهم[2] بوجه فضله ونعمته ، أخرج إليَّ كتباً من علم الباطن والتأويل ، وأمرني أن أقرأها عليهم في كل يوم جمعة في مجلس في قصره المعمور بطول بقائه ، فكثر ازدحام الناس ، وغص بهم المكان ، وخرج احتفالهم عن حد السماع ، وملأوا المجلس الذي أمر بإسماعهم فيه ، وطائفة من رحبة القصر ، وصاروا إلى حيث لا ينتهي الصوت إلى آخرهم ، وقيل له في ذلك صلوات الله عليه ، ووصف له أن فيهم ممن قد شملته الدعوة أهل تخلف ، وممن لا يكاد أن يفهم القول ، وأن مثل هؤلاء لو ميزوا وجعل لهم مجلساً يقرأ عليهم فيه ما يحتملون ويفهمون ، لكان أنفع لهم ، فهم بذلك ع . م فعظم الأمر على أهل هذه الطبقة ، ورأوا أنه إنما[3] قصر بهم من أجل تخلفهم في حالهم[4] قال : وجرى ذكر ذلك بين يديه ، وأنا حاضر ، وقد دعي بالحجام ليأخذ من شعره ، فدخل وقمت [وتنحى من كان][5] بين يديه ، فدعاني ، وقد وقف الحجام على رأسه ، فقال[6] : لقد مر بي البارحة في أمر هؤلاء ما منع من إبعادهم من كتاب الله تعالى ، وذلك ما ذكره ع . م في سورة هود فانظر هناك ، فلم يتهيأ لما كان عليه أن استفهمه عن ذلك ،

٤٤ /

(١) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٢١٣
(٢) عليهم : على أوليائه في جـ
(٣) إنما : قد في جـ
(٤) في حالهم : سقطت في جـ
(٥) وتنحى من كان : وتنحيت في جـ
(٦) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٢١٤

٤٥ / ولا/ كيف مر به ذلك، أم من[١] قراءة قرأها، أو في رؤيا رآها، غير اني قلت : انظره يا مولاي . فانصرفت ونظرت في سورة هود ، فوجدت في قصته نوح ع . م قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ . أن لاَ تَعْبُدُوا إلاَّ الله إني أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ . فَقَالَ الملأُ الذينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ما نراكَ إِلاَّ بَشراً مِثْلَنَا ومَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الذينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرأيِ ومَا نَرى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُم كاذِبِينَ . قال يا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وآتاني رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ . وَيَا قَوْمِ لاَ أَسأَلُكُمْ عَلَيه مَالاً إِنْ أَجرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذينَ آمَنُواْ إِنهُمْ مُلاقُوا رَبِهِمْ وَلَكِنِي أَراكُمْ قَوْماً تَجْهلُونَ . ويا قوم من يَنصرُني مِنَ اللهِ إِن طَرَدتُهُمْ أَفلاَ تَذَكَّرُونَ . وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندي خَزائِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الغَيبَ وَلاَ أَقُولُ إِني مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ للذين تَزدَرِي أَعْيُنكُمْ لَنْ يُؤتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً اللهُ أَعْلَمُ بِمَا في أَنفُسِهِمْ إِني إِذاً لَمِنَ الظَّالمين ﴾[٢].

فعلمت أن هذه الآيات أراد ع . م وأمر [أدام علو أمره][٣] بإسباغ رحمته على كافة المؤمنين، وأوسعهم منهاجاً من عطائه، وجزيلا/ من نعمائه، ٤٦ / وإن كان ذلك لا يستقر إلاَّ في قراره ، ولا يعيه إلاَّ أهله ، ولا يأخذ كل امرىء إلاَّ قسطه ، بحسب ما فيه من القوة ، وما يتصل به من المادة ، كما أن ضوء النهار قد يتصل بالأبصار وإنما يقبل منه كل بصر بقدر صحته وقوته ، والذي لا صحة له ، ولا قوة فيه منها ، لا يتصل به شيء من ذلك الضوء ، كما أن الأنية لو وضعت تحت سماء ممطرة لم يستقر الماء إلاَّ في ما كان منها أجوف ، وما كان مسطحاً[٤] ومكبوباً على رأسه أو ملقى على جانبه لم يدخل فيه شيء من ذلك الماء ، وما استوى[٥] على

(١) أم من : أمن في جـ
(٢) سورة : ١١/ ٢٥ - ٣١
(٣) أدام علو أمره : سقطت في ب
(٤) مسطحاً : مسطوحاً في جـ
(٥) استوى : سوى في ب

اعتداله منها وكان ذا جوف أخذ من الماء بقدر سعته واحتماله ، وصغره وكبره ، وكذلك هذا الأمر ، وقد قيل ان بعض الأئمة أطلق لبعض المؤمنين قولاً في الباطن وبحضرته بعض غلمانه فظن بعض من حضره أنه لم يره فنبه عليه وأشار إليه فقال قد رأيته ، [وليتكم أنتم تفهمون][1] ما أقول ، وقد أخبر الله ع . ج بمثل ذلك عن قوم سمعوا من رسول الله (ﷺ) ما لم يفهموه[2] ولا وعوه ، فقال تعالى : ﴿ ومِنْهُم مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مَاذا قَالَ آنفاً﴾[3]/ فأخبر الله ع .ج أنهم شهدوا وسمعوا ما سمع أولو العلم فلم يعرفوه ، ولم يعلموا ما سمع أولو العلم فلم يعرفوه ، ولم يعملوا ما قاله رسول الله ، وأخبر عن رسول الله أنه قد جمع مثل هؤلاء في ما أسمعهم مع ذوي العلم ، وقد شاهدنا مثل هذا ، ورأينا كثيراً من قوم[4] يسمعون ولا يعلمون ما سمعوه ، ولا تعلق منه شيء في قلوبهم ، وقوم سمعوا ذلك منهم ووعوه وعلموه ، وانتفعوا به ، وأولياء الله ع . ج أعلم بما يفعلون وبمن يحضرون ، ومن يجمعون ، وعلى أي شيء يجمعون ، ويفرقون كل شيء عندهم من ذلك[5] . بمقدار ووزن ، وعلى منهاج ، وسنن . /٤٧

هذا ما رواه القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه ، وكان القاضي النعمان بن محمد من أهل العلم والفضل ، وله تأليفات كثيرة ، وعلوم مأثورة ، وقد أقر المخالفون بفضله ، واتساع[6] علمه ، وإنما ألف ما ألف ، وجمع ما جمع ، وصنف مما أخذه عن أئمته الذين عاصرهم مما ألقاه إليهم آباؤهم الطاهرون ، صلوات الله عليهم أجمعين، ولم يؤلف تأليفاً ولا جمع كتاباً حتى / عرضه عليهم شيئاً فشيئاً ، فأثبتوا الثابت منه والصحيح ، وقوموا الأود بالتصحيح ، ومن /٤٨

---

(١) وليتكم أنتم تفهمون : وليت أنكم تفقهون في جـ

(٢) يفهموه : يفقهوه في جـ

(٣) سورة : ٤٧/ ١٦

(٤) قوم : سقطت في ب

(٥) من ذلك : سقطت في ب

(٦) واتساع : وسعي في جـ

بحرهم اغترف ، وبهم عرف ما عرف ، وبفضلهم فيما ألف وصنف اعترف . فمن تأليفه في الفقه كتاب الإيضاح ، إيضاح ما اجتمعت الرواة عليه في الفقه ، والثابت منها بالأسانيد الصحيحة ، والروايات المتفقة ، وهو مائتان وعشرون جزءاً ، كما ذكر في قصيدته المنتخبة بقوله :[1]

فكلمت في مائتي كتاب ألفت منها مائتي كتاب تزيد عشرين على الحساب

وكتاب مختصر الإيضاح في الثابت منه فيما رواه عن الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ، وكان ابتداؤه تأليف كتاب الإيضاح على عهد أمير المؤمنين المهدي بالله ع . م بأمره ، وعلى ما أراه ، وأصله ، وبينه ، وفصله . وكتاب الأخبار في الفقه ثلاثة عشر جزءاً ، وله كتاب البيوع في الفقه أيضاً وكتاب الإقتصار في الفقه[2] ، وكتاب الإتفاق والإفتراق فيما اختلف فيه الفقهاء ووافق قول أهل البيت ع . م أربعون جزءاً ، وكتاب المختصر اختصره من كتاب الإتفاق والإفتراق ، وألف كتاب دعائم الإسلام في الحلال والحرام والقضايا والأحكام[3]/ ٤٩ عن المعز لدين الله أمير المؤمنين عن أهل البيت ، وذلك أنه حضر النعمان وجماعة من الدعاة عند أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م فذكروا الأقاويل التي اخترعت ، والمذاهب والآراء التي افترقت بها فرق الإسلام ، وما اجتمعت ، وما ادعت أكثرها ، وابتدعت ، فذكر أمير المؤمنين ع . م قول جده رسول الله (ﷺ) مما أثبت روايته آباؤه الطاهرون ، إذ قال (ﷺ) : لتسلكن سبل الأمم قبلكم حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه . وفي حديث آخر : لتركبن سنن من كان قبلكم ذراعاً بذراع ، وباعاً بباع ، حتى لو سلكوا خشرم دبر لسلكتموه . ثم ذكر لهم قول رسول الله (ﷺ) : إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه ، وإلاً فعليه لعنة الله .

---

(١) القصيدة المنتخبة للقاضي النعمان مخطوطة في مكتبة المحقق الخاصة

(٢) كتاب الإقتصار في الفقه

(٣) دعائم الإسلام حققه آصف فيضي في مجلدين من منشورات دار المعارف المصرية .

ونظر المعز ع . م إلى القاضي النعمان بن محمد (رضي) فقال له :[١] أنت المعني بذلك في هذا الأوان يا نعمان . ثم أمر بتأليف كتاب الدعائم وأصّل له أصوله وفرّع له فروعه ، وأخبره بصحيح الروايات عن الطاهرين من آبائه عن رسول الله (ﷺ) من غير ما اختلف فيه الرواة وابتدعته[٢]/ ولفقته من الإختراعات وجمعته ، وقال له : إنا قد روي لنا عن الصادق ع . م أنه قال : بني الإسلام على سبع دعائم الولاية وهي أفضلها وبها وبالولي يوصل إلى معرفتها ، والطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، وصوم شهر رمضان ، والحج إلى بيت الله الحرام ، والجهاد . وأمره فابتدأ بذكر ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وتبيين[٣] ما خصه به النبي (ﷺ) من فضله ، وإنه أولى الأمة بخلافته ، بعد ذكر الايمان الذي لا يقبل الله عملاً إلاً به ، ولا يزكوه إلاً من كان من أهله ، وذكر ولاية الأئمة من ذرية[٤] الرسولﷺ وعليهم ، وإيجاب الصلاة عليهم ، والبيان بالتوقيف على الأئمة من ذرية الرسول (ﷺ) ، والإمامة لا تكون إلاً بالنص والتوقيف[٥] ، ومنازل الأئمة عند الله ع . ج وبراؤهم ممن غلا فيهم ، وشيئاً من وصاياهم[٦] لشيعتهم وأوليائهم ، وذكر ما أوجبه الله تعالى من مودتهم والحض على العلم ، ومن الذين أوجب الله الأخذ عنهم ، ثم ذكر فرائض الإسلام من طهارة وصلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد / وما يلي ذلك من ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام والأتربة والبياعات والمأكولات والمشروبات والطلاق والمناكحات والمواريث والشهادات وسائر أبواب الفقه الواحيات . فأتم القاضي النعمان (قس) تأليف هذا الكتاب الموسوم بدعائم الإسلام[٧] على ما وضعه له أمير المؤمنين

٥٠ / ٥١ /

(١) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٩٢
(٢) ابتدعته : سقطت في ب
(٣) وتبيين : وبان في جـ
(٤) ذرية : زاوية في ب
(٥) والتوقيف : والتوافق في جـ
(٦) وصاياهم : سقطت في جـ
(٧) دعائم الإسلام : دعائم المسلام في ب

المعز لدين الله ع . م واصله ، وكان يعرضه عليه فعلاً فعلاً وباباً باباً فيثبت الثابت منه ويقيم الأود، ويسد الخلل ، حتى أتمه فجاء كتاباً جامعاً مختصراً على غاية الأحكام[1] ، وتلك معجزة أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م أظهرها على يد داعيه ووليه النعمان بن محمد (رضي) وإيضاح لشريعة جده محمد رسول الله (ﷺ) ورفع لمعالم الإسلام وأمر بالسنة وترك للبدعة التي قال النبي (ﷺ) :«كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» . ثم أمر أمير المؤمنين ع . م القاضي النعمان فاختصر دعائم الإسلام إختصار الآثار في ماروي عن الأئمة الإطهار وقربه للراغبين وأباحه للطالبين. قال القاضي النعمان بن محمد (رضي) :[2]/ وسألني بعض القضاة والحكام والطلبة[3] بسط كتاب مختصر من قول أهل البيت ع . م لهم يقرب معناه ، ويسهل حفظه ، وتخف مؤونته ، فابتدأت شيئاً منه ، وقدرت أن الكتاب إذا[4] أكمل قام على من يريد إنتساخه بدينار فما دونه ، وسميته كتاب الدينار ، وذكرت في بسط افتتاحه ورفعت ما ابتديته[5] منه إلى المعز لدين الله أمير المؤمنين ع . م وطالعته فيه وسألته قراءته عليه وسماعه منه ، ليكون مأثوراً عنه ، وكتبت مع ما رفعته منه إليه ، رقعة ذكرت فيها ذلك له ، فوقع ع . م بخطه في ظهرها ، بسم الله الرحمن الرحيم ، صانك الله يا نعمان ، وقفت على الكتاب[6] وتصفحته ، فرأيت ما أعجبني فيه من صحة الرواية ، وجودة الإختصار ، ولكن فيه كلمات تعتاص على كثير من أوليائنا معرفتها ، فأشرحها بما يقرب من أفهامهم ، فيستوي في معرفته والإحاطة بعلم ألفاظه ، الشريف والمشروف ، فإنه يجيء طريقاً[7] قريب المأخذ ، وسمه كتاب الإختصار لصحيح الآثار ، عن الأئمة الأطهار ، فإن ذلك

٥٢ /

(١) الأحكام : حكام في جـ
(٢) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص (١٦٦ - ١٦٧) .
(٣) والطلبة : سقطت في ب
(٤) إذا : إن في ب
(٥) إبتديته : إبتدلته في ب
(٦) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ١٦٧
(٧) طريقاً : سقطت في جـ

/ ٥٣ أشبه به من كتاب الدينار ، / لأن فيه من علم[1] أولياء الله ما يحق على كافة الخلق طلبه ، بأرواحهم فضلاً عن أموالهم ، وهذا الإسم يضع من قدره عند ذوي النعم ، ويرون أنهم يصلون إليه وإلى ما هو أجل منه ببذل اليسير من حطام دنياهم ، ويرون أن الذي جمعوا وقمشوا من وسخهم[2] هو الغنيمة التي عليها المدار ، إذ كان الفساد على عقولهم أغلب طباع اللوم عليهم ، إلاً من عصم الله منهم ، وقليل ما هم ، ثم وقع بعد ذلك إصلاح أشياء تصلح فيما رفعته منه ، وحذف أشياء مما كتبته وأثبته[3] فيه ذكرها ، وعلم عليها ، قال : وقرأته بعد ذلك قراءة عليه وأثبت فيه كل ما صححه [وارتضاه لي وأسقطته][4] [مما كنت كتبت فيه][5] ما أمر بإسقاطه منه ، وأخذته لفظاً منه ، وإذن لي أن أرويه لمن أخذه عني عنه عمن ذكره فيه من آبائه الطاهرين ع . م بعد أن أثبت ذلك عنهم ، فعظمت فائدتي فيه ، وجلت نعمته عليَّ به ، ولم أكن تعرضت برفعي ذلك إليه غير ذلك ليصح لي ما كنت قد آثرته عن آبائه ، وجمعته من كتب الرواة عنهم ، وسمعته قبل ذلك منهم ، وفتق لي ع . م فيه ، وأمدني من بحر علمه بما صار به هذا الكتاب مشتملاً على جميع الحلال ، والحرام ، والقضايا ، والأحكام ، وصح لي ذلك عنه

/ ٥٤ في ما أعمل به من الفرائض المفروضة عليَّ ، وأفتي به[6] من سألني وأقضي/ به في أحكامي بحمد الله ونعمته ، وفضل وليه ، وأنا أؤمل إن مد في عمري عرض كل شيء أتدين به كذلك وآخذه صحيحاً عنه ، والله يبلغني ذلك ، ويمن عليَّ به ، بحوله وقوته ، فقد رويت عن بعض من لحق جعفر بن محمد الصادق ع . م أنه قال : يا مولاي أحب أن أعرض عليك ديني . قال : ذلك من الفرض الواجب ،

---

(١) علم : أعلام في جـ
(٢) وسخهم : وسخمهم في ب
(٣) وأثبته : وذكرته في جـ
(٤) وارتضاه لي وأسقطته : ورواه وأسقطت في جـ
(٥) مما كنت كتبت فيه : مما كتبته فيه في ب
(٦) به : سقطت في جـ

فشهد الشهادتين ، وأقر بالأئمة ، واحداً بعد واحد يسميهم[1] حتى يبلغ إليه .
فقال له : اعلم أن من دان الله ع .ج بهذا فقد دانه بالدين الذي لا يقبل غيره ، ولا يرض من أحد سواه ، واستحسن ذلك منه[2] وصوبه من قوله ، فمن فتح الله له في عرض أصول دينه وفروعه ، على وليه ، فقد أتم نعمته ، إذ وفقه إلى أخذها عن إمامه وتصحيحها عن وليه ، والحمد لله على ما فتح لي فيه من ذلك ، ونسأله البلوغ إلى ما نأمله مما بقي منه ، وقبولاً لذلك ،[3] وتوفيقاً لما يرضيه منه .

وللقاضي النعمان بن محمد (رضي) من التأليف في الفقه كتاب يوم وليلة ، لطيف في الصلاة المفروضة ، وله كتاب الطهارة والصلوات بفروضها وسننها ، وله الرسالة الأرجوزة المختارة المنتخبة ، قصيدة نظمها في أبواب الفقه ، وله كتاب كيفية[4] الصلاة / على النبي (ﷺ) كتبه رداً على من خالفه ، وله كتاب / ٥٥ التعريف والتعنيف لمن لم يعلم العلم فتعاطى[5] التصنيف ، جزآن كبيران ، وله الرسالة المصرية في الرد على الشافعي جزآن كبيران ، وكتاب فيه الرد على أحمد بن شريح البغدادي جزآن ، وله رسالة ذات البيان في الرد على ابن قتيبة ، وله كتاب إختلاف أصول المذاهب جزآن[6] وله كتاب نهج السبيل إلى معرفة التأويل ، وله القصيدة المختارة أرجوزة في الإمامة والحجة فيمن يستحقها ، ومن ادعاها ، وأما الذي له في الأخبار فله كتاب شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ستة عشر جزءاً ، وله كتاب مناقب بني هاشم ومثالب بني أمية جزآن[7] ، وله كتاب إفتتاح

---

(١) يسميهم : بأسماءهم في ب
(٢) منه : سقطت في ب
(٣) وقبولاً لذلك : سقطت في جـ
(٤) كيفية : كافة في جـ
(٥) فتعاطى : مغطى في ب
(٦) إختلاف أصول المذاهب : حققه الدكتور مصطفى غالب من منشورات دار الأندلس بيروت .
(٧) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ١ ص ١٢٤ أتى على ذكر هذا الكتاب ولا يزال مخطوطاً ولدينا نسخة منه في مكتبتنا الخاصة .

الدعوة و ابتداء الدولة جزآن[1] .

قال القاضي النعمان بن محمد (قس) :[2] وأمرني أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م لجمع أخبار الدولة في كتاب ومناقب بني هاشم ، ومثالب بني أمية في كتاب ففعلت ، وجمعت من كل فن من هذين الفنين كتاباً جامعاً ضخماً يجتمع على أجزاء كثيرة على ما رتبه وأفادينه ع . م ورفعتهما إليه فاستحسنهما[3] وارتضاهما ، واستجاد/ معناهما ، وقال ع . م: أما أخبار الدولة ومن قام فيها، وسعى في إقامتها من الدعاة والمؤمنين ، فإنا نحب أن نخلد أخبارهم هكذا في الباقين ، ويبقى ذكرهم بالخير في الغابرين ، ويلحقهم فيه دعاء السامعين ، ويعرف ذلك لأعقابهم من بعدهم مع ما أعد الله ع . ج لهم من الكرامة في دار المقامة ، وهذا مما يجب علينا لهم من الحفظ والحق ، إذ لم يلحقونا فنؤدي ذلك إليهم ، وأما فضل الآباء ومناقبهم وصفة الأعداء ومثالبهم فإن ذلك مما ينبغي أن يعرفه الأبناء ، والذرية والأولياء ، ويبكت به المخالفون والأعداء ، وينشر في الأنام[4] ، ويبقى على الأيام ، وإن كان فضل أهل الفضل ، وضعة أهل الضعة معروفين وغير مجهولين ، وظاهرين غير مستورين ، فقد ألقوا كثيراً من الشبهات ، واحتالوا بصنوف من الإحتيالات ، وهم في ذلك كما قال الله ع . ج :﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾[5] . ٥٦ /

وله كتاب معالم الهدى جزءاً واحداً ، وله كتاب حدود المعرفة في تفسير القرآن والتنبيه على التأويل سبعون جزءاً، وله / كتاب أساس التأويل[6] فيه ٥٧ /

---

(١) كتاب إفتتاح الدعوة للقاضي النعمان حققه فرحات الدشرواي ونشره في تونس .

(٢) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ١ ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٣) وارتضاهما : سقطت في ب

(٤) الأنام : الأيام في ب

(٥) سورة : ٦١/٨

(٦) من منشورات الثقافة بيروت ولكن النسخة التي نشرتها الدار المذكورة مليئة بالأغلاط وفيها=

تأويل الولاية وقصص الأنبياء ع . م والصلاة والموجود منه ستة عشر جزءاً ، وله كتاب تأويل الدعائم[1] والموجود منه إثني عشر جزءاً . إلى آخر كتاب الجهاد ، وله كتاب دامغ الموجز في الرد على العتكي أربعة أجزاء ، وله كتاب التعقب والانقياد جزء واحد ، وله رسالة إلى مرشد الداعي بمصر في تربية المؤمنين جزء واحد ، وله منامات الأئمة جزء واحد ، وله كتاب التوحيد والإمامة من خطب أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ع . م ، وكتاب الدعاء جزآن ، وكتاب إثبات الحقائق في معرفة توحيد الخالق جزء واحد ، وكتاب في الإمامة أربعة أجزاء ، وكتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة جزآن ، والأرجوزة الموسومة بذات المنن جزآن ، في سيرة المعز لدين الله ع . م ، والأرجوزة الموسومة بذات المحن في سيرة مخلد الدجال المارق جزآن ، وكتاب المجالس والمسايرات مع المعز لدين الله ع . م أربعة أجزاء ، وكتاب الحلي والثياب / جزء واحد ، وكتاب الشروط ، وله رسائل كثيرة إلى القضاة ، وغير ذلك . / ٥٨

فهذا ما ذكره صاحب سيرة كتامة ، ومن هذه الكتب ما هو موجود في جزيرة اليمن معروف مشهور ، وهو الأكثر منها ، وقليل منها مفقود ، ولا شك في وجود ما فقد منها حسب مقامات[2] الإمامة العظيم ، وحجة الله على خلقه أجمعين ، الذي لا يخلو منه زمن ، بل يقوم واحد بعد واحد بحجة الله ما هلّ غيث وهتن ، صلى الله عليه ، وعلى آبائه الأكرمين ، عقبه[3] الباقية فيهم كلمة الإمامة إلى يوم الدين .

ومما ورد عن القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه قوله[4] : خرج إليَّ من

= نواقص وزيادة تجعلها عديمة الفائدة ذلك ما توضح لنا بعد مقارنتها بالنسخة المخطوطة الموجودة في مكتبة المحقق ، وربما حاولنا إعادة تحقيقها وضبطها في المستقبل القريب .

(١) نشر هذا الكتاب في مصر مشوهاً ومبتوراً وعامراً بالأغلاط الكثيرة التي ارتكبها المحقق .

(٢) مقامات : قوامات في جـ

(٣) وعقبه : سقطت في ب

(٤) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ١ ص ١٥٩

الإمام المنصور بالله ع . م توقيع يقول فيه : يا نعمان استخرج من كتاب الله ع . ج ما رفضه العامة وأنكرته . فقلت في نفسي : وأي شيء من كتاب الله يتهيأ لأحد يدين بدين الإسلام أن ينكره ويرفضه ، وتعاظمت ذلك ، ورأيت في الوقت اني لأجد منه حرفاً ، ولم أستحسن مراجعته ع . م ، ثم استعنت بالله ع . ج وعلمت أن ذلك [لم يقله ولي الله الا وهو][1] موجود ، ففتحت المصحف الكريم لأقرأه/ ٥٩ / فأول ما وقفت عليه بسم الله الرحمن الرحيم ، فذكرت قول من قال : إنها ليست من القرآن . فأثبت ذلك ، فانفتح لي القول حتى جمعت من ذلك جزءاً فيه عشرون ورقة ، فرفعته إلى المنصور ع . م فاستحسنه ، وأعجب به ، ثم قال : تماد ، فانتهيت إلى سورة المائدة من أول فاتحة[2] الكتاب ، والبقرة ، وقد جمعت[3] من ذلك ستمائة ورقة . وكان المنصور بالله ع . م ورحمته وبركاته ، إذا لقيه أعجبه ما رفعت إليه منه ، وقال : ما تقدم لأحد مثله . ثم قبض ع . م ولم اتممه .

وفضائل القاضي النعمان بن محمد (قس) مشهورة ، ومناقبه مأثورة مذكورة ، وهو الذي قال فيه أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م[4]: من أتى بعشر عشير ما أتى به النعمان ضمنت له علو الله الجنة .

وأما جعفر قلنا فيه قول أخيه يعني جعفر بن منصور اليمن (قس) وكان وأبوه من أكبر الدعاة وأفضلهم ، وهو الداعي جعفر بن منصور[5] قدس الله

---

(١) لم يقله ولي الله إلاَّ وهو : لم يعلم ولي الله الأمر في ب

(٢) فاتحة : فاتم في ب

(٣) جمعت : جامع في جـ

(٤) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ١٤٠ عيون الأخبار وفنون الآثار ٧/ ٥ ص ١٥٠ .

(٥) جعفر بن منصور اليمن : هو الداعي جعفر بن الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي ، قصد المغرب من اليمن بعد وفاة والده وتآمر أخوه الحسن على قتل الشاوري ، وثار على الخليفة الفاطمي المهدي ، فاختلف مع أخيه واعتبر تصرفاته خروجاً على المذهب الفاطمي ، فوصل بلاد المغرب حيث وجد المهدي قد توفي ، وقام بعده ابنه القائم ، فرحب به ، وانتهى أن بلغ مراتب الأبواب .

روحه ، هجر مملكة أبيه وترك حطام الدنيا ، ولم يطمع فيه ، وهاجر إلى حضرة الأئمة ع . م ، فكان عندهم الفضل العظيم ، والمكان الكريم ، وبلغ جعفر بن منصور مع أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م مبلغاً يقصر عنه المدى ، وصار في الفضل والزهد / علماً مفرداً . /٦٠

ويروى أن القاضي النعمان بن محمد قس اعتل بعلة فزاره جميع الدعاة وأولياء الدولة وقوادها لدين الله ، ثم نقه من علته ، وزال عنه ما كان يجده ، فأتى إلى حضرة أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م بعد زوال ألمه فسأله عن حاله وألمه ، وحمد الله تعالى على ما مَنَّ به عليه من عافيته . ثم قال له : من زارك من أوليائنا ؟ قال : كلهم زارني إلاَّ جعفر بن منصور اليمن . فأخذ أمير المؤمنين في حديثه ، ثم أمر بكتب فأحضرت إليه ففتح كتاباً منها وقال للنعمان بن محمد : انظر في هذا الكتاب . فلما نظر فيه وتصفحه ، قال أمير المؤمنين ع . م : ما تقول في هذا ؟ فقال : وما قال عيسى أن أقول في قولكم صلى الله عليكم . فقال له الإمام ع . م : هذا تأليف مولاك جعفر ، إعلاماً له بعالي فضله ، وبياناً لسامي محله . فلما خرج القاضي النعمان رضي الله عنه من حضرة إمامهﷺ لم يكن له قصد غير دار جعفر ، فلما استأذن له خرج مبادراً إليه إجلالاً له ، ومعرفة بعالي محله ، فلم يتمالك[1] القاضي النعمان أن وقع على رجليه يقبلهما إعترافاً له بالفضل ، وتواضعاً/ ٦١ غير مستكن ، ولا مستكبر ، ولا حاسد له ، علو عالي مقامه ، ولا منكر . فللّه من أولياء عظم الله محلهم ، ورفع قدرهم[2] عند أوليائه ، وأحلهم ، أولئك إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، الذين لا يتعارضون ، ولا يتباغضون[3] ، ولا يترافضون ، جعلنا الله ممن اتبعهم ، واقتدى بهديهم ، وتمثل بمثالهم ، ولا قطع بنا عنهم بحق صفوته[4] من خلقه ، وخيرته من عباده .

---

(١) يتمالك : يملك في جـ
(٢) قدرهم : قدراتهم في ب
(٣) يتباغضون : يبغضون في ب
(٤) صفوته : سقطت في ب

وللداعي جعفر بن المنصور قس تأليفات كثيرة في علم أهل البيت من توحيد الله جل جلاله ، ومعرفة ملائكته ودار ثوابه ، وابتداء خلقه ، وقصص الأنبياء[1] ، وعلم الملائكة ، وذكر فرائض الشريعة ، ما هو الحق المبين الذي تتجلى به قلوب العارفين . وله سيرة في ذكر أبيه المنصور ، وافتتاحه اليمن . وقد ذكرنا من ذلك . وكان لأمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م من العدل والصفح ما أدنى له العبد والبعيد ، وجعلهم له كالخول والعبيد ، وقد ذكرنا ما كان له من دنو أهل جبل أوراس وخضوعهم بعد العتو والشناس ، قال : قال القاضي النعمان بن محمد (قس)[2] : وما أحصي ما رأيته من المعز لدين / ع . م الله في مجلسه ، وتصرفه في خروجه ، يعترض بما يوجب العقوبة والغضب ، وربما اعترض[3] عليه بعض عبيده في رأيه ، وقطع عليه كلامه ، واحتج عليه من يأمره ، ويخاطبه ، ويراجعه في ما لا ينبغي المراجعة فيه ، مما يضيق لذلك صدر من سمعه ، فما رأيته غضب لشيء من ذلك ، ولا عاقب فيه ، وأكثر ما رأيت أنه خرج ع . م يوماً إلى خارج المنصورية[4] في بعض ما يخرج ، فازدحم الناس على ركابه ، وأحاطوا من كل جهة به يسألونه حوائجهم ، ويرفعون إليه قصصهم ، وقد أقام لذلك من يتولاه ، فأبوا إلاَّ مواجهته به ، وهو في ذلك يقبل عليهم ، ويسمع[5] منهم ، ويأمر بقضاء حوائجهم ، إلى أن جاء من ذلك ما لم يمكنه معه المشي ، ونفر له الفرس ، ودار تحته ، فأمرهم[6] بالإنصراف ، وأمر من بين يديه من المشاة بصرفهم ، فألحوا عليه ، ولم ينصرفوا عنه ، وقصر المشاة عن دفعهم ، فتناول رمحاً من أحدهم وقال[7] : ما جزاء أحدكم إلاَّ ضربة بهذا ، ثم نظر ع . م إليَّ وتبسم في

٦٢ /

---

(١) كتاب أسرار النطقاء وسرائر النطقاء حققه الدكتور مصطفى غالب من منشورات دار الأندلس بيروت .

(٢) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٣١٢

(٣) اعترض : عراض في ب

(٤) خارج المنصورية : خراج المنصورية في ب

(٥) ويسمع : سقطت في جـ

(٦) فأمرهم : فحملهم على في ب

(٧) أحدهم وقال : سقطت في ب

/ ٦٣ الوقت بعقب[1] ذلك ، وقال : ما' دون/ ما نحن فيه ، وتحدث كأن لم يعارضه بشيء ، وقد نالني ومن رأيته حولي ممن كنا نسايره ، لما رأينا من ذلك غم ، وغضب شديد ، فلها والله ما كان منه ع . م ذلك إلاّ ما ذكرته مما استعمله ، وطبعه الكريم يظهر استعماله إياه ، كما يستعمل الغضب على الطفل إذا جهل ليروع ويفزع من أجله . قال : ولقد قاسيت به في الحلم عن من يجهل ، ويخالف الواجب من دخلتي وعبيدي والإعراض عن زلاتهم ، والصفح عن هفواتهم . ولقد نظروا لذلك ، وأحال عليَّ كثير من أمورهم ، ثم قرنت ذلك بما كنت أجده من ألم ألغيه ، أو العقوبة ، وما صرف إليه من راحته الحلم ، ولذة العفو ، والإغضاء ، فرأيت أن الذي صرت[2] إليه من ذلك أفضل ، وقد كنت كثيراً ما أعاقب فأندم على العقوبة إذا سكن غضبي ، وأعاتب[3] بذلك نفسي ، ثم صلح لي بحمد الله تعالى مع الدوام على ذلك كثير من الأمور ، مما لم يكن يصلح بالعنف ، وكذلك رأيت أمر المعز ع . م على ما منّه الله ع . ج من الحلم ، والأناة بالصبر باقي مع ذلك بحسن[4] العواقب ، وجميل الأمور ، وكثيراً ما فكرت في ذلك فذكرت له قول بعض / أهل الأدب ، وقد رأى عبيداً له يفعلون في أموره غير الواجب ، فقيل له في ذلك : ألا تؤدب[5] عبيدك هؤلاء وتصلحهم ؟ فقال : قد رمت ذلك فرأيت أن إصلاح حالي أعود عليّ من صلاح أحوالهم ، فتركتهم لذلك يصفو منهم ما صفا ، ويكدر منهم ما كدر . قال[6]: وركب المعز لدين الله ع . م يوماً من أيام الربيع ، إلى مكان وصف له أن فيه زهراً حسناً ، ونباتاً[7] عمياً وفي الطريق الحامل إليه مثل ذلك . فلما خرج ع . م من باب المنصورية اكتنفه الناس يسألونه / ٦٤

(١) بعقب : بعد في ب
(٢) صرت : صورت في جـ
(٣) وأعاتب : عاتبت في ب
(٤) بحسن : حسان في حـ
(٥) تؤدب : سقطت في ب
(٦) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٢٥
(٧) ونباتاً : ونبتاً في ب

حوائجهم ، ويرفعون أمورهم ، فما زال يقبل بوجهه على الواحد بعد الواحد والجماعة بعد الجماعة منهم ، ويكلمهم ويجيبهم حتى انتهى إلى المكان الذي وصفه له ، وانصرف وهو على مثل ذلك ما تملأ عينه مما أراد النظر إليه ، ولا أعاره الطرف إلاً اختلاساً ، ولا أضجره ما كان من أمر الناس [فيأمرهم بتخليته][1] وأنا حوله [لنفجر له][2] لذلك ، وإن المشاة بين يديه يدفعون الناس ، فيأمرهم بتخلية من يدفعونه ، وأن كثيراً منهم ليطيل مسايرته ، / ويكرر حاجته ، فيأمر من حوله بالإنصراف ، ويغمره بعضهم إرادة التخفيف عليه ، وأن ينظر إلى ما خرج إليه فينهاهم[3] عن ذلك ، ويأمر أن يدعوا من كلمه إلى أن يقضي حاجته ، وينصرف عن رأي نفسه ، وهذا دأبه في أكثر خروجه . قال : ولا أعلم ، ولا سمعت أحداً ، وصف بمثل ذلك من الصبر [وسعة الصدر][4] قال : ولقد حضرت يوماً مجلس أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م فتحدث[5] ملياً ثم قال لبعض الخدم بين يديه أصلح الحمام ، قال : نعم . فجلس بعد ذلك طويلاً ، ولا شك إلا أنه قد كان أمر قبل ذلك بإصلاحه ، ثم دعا بالفرس فركب ، ومشينا بين يديه إلى الحجرة التي فيها الحمام من قصره ، فدخل ، ونزل ليدخل الحمام فأصاب بابه مقفلاً ولم يصلح بعد ، فسأل عن المفتاح ، فلم يوجد ، فوقف طويلاً وما تنكر [حاله][6] ولا بدا منه غضب ، ولا قال في ذلك قولاً . ثم دعا بالكرسي فجلس عليه ، وجعل يتحدث حتى أتى بالمفتاح ، وأصلح الحمام ، وقام فدخل ، وما حرك ذلك منه ساكناً ، ولا أهاج كامناً ، وإن الذي [زعم له][7] أنه أصلح الحمام من العبيد

/ ٦٥

(١) فيأمرهم بتخليته : سقطت في ب
(٢) لنفجر له : لفجر به في ب
(٣) فينهاهم : فيمنعهم في ب
(٤) وسعة الصدر : سقطت في ب
(٥) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ١ ص ٢٨٩
(٦) حاله : سقطت في ب
(٧) زعم له : بزاعم في ب

لقائم بين يديه . ولقد تداخلني لذلك غيظ شديد عليه ، وعلى من يلي إصلاح

٦٦/ الحمام/ .

وبما رواه القاضي النعمان من حلم أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م وتغمده ، وصبره قال[١] : ذكر المعز لدين الله ع . م رجلاً ورد عليه من جهة المغرب كان يعنى بعلم النجوم ، فأحسن أمير المؤمنين نزله[٢]، وكساه ، وحمله ، ووصله ، وأجرى عليه جراية لقصده إياه [من بعد][٣] ورحلته إليه ، ولم يلبث إلاّ قليلاً حتى سأل الإذن له في الإنصراف ، فأذن له ، وكنا نتعجب لذلك منه ، فقال المعز ع . م لي يوماً وأنا بين يديه : ألا أخبرك بسبب انصرافه ؟ قلت : يفعل ذلك أمير المؤمنين ما رآه . فقال : إن هذا الرجل لما وفد علينا ، وصار إليه فضلنا ، ما صار إليه ، حسده بعض أهل صنعته[٤] ممن أولع بالشناعة علينا ، فذكر له مولداً من المواليد ، وقال : ما ترى لمن ولد بهذا المولد ؟ قال : أرى النحوس قد أظلته ، ولا أشك[٥] أن أيامه قد انقضت . قال له : فكذلك الذي أنت في نزله ، وقصدك [إليه يعيننا][٦] وهذا مولده ، فرأى الضعيف العقل أن إنصرافه بما نال منا غنيمة ، فسألنا الاذن ، وقد انتهى إلينا ما قيل له فأذنا له فانصرف ، ولقد رفع إلينا في حين

٦٧/ انصرافه رقعة يعرض[٧] [بالمسألة ، وقد كنت قبل ذلك][٨] أمرت / له بمئتي دينار ، فصرت في صرة ، وكنت على البعث بها إليه ، ثم نظرت إلى وقت رفعه الرقعة فرأيته وقت سعد ، فقلت لا أظنه إلاّ وقد تحرى برقعته هذا السعد ، ولكن والله لأبطلن[٩] ذلك عنده ، فتركها على أن نجعلها له في وقت آخر على غير

(١) المجالس والمسايرات .
(٢) نزله : منازله في ب
(٣) من بعد : سقطت في ب
(٤) صنعته : صناعة في جـ
(٥) أشك : أشكر في ب
(٦) إليه يعيننا : إليك قال في ب
(٧) يعرض : تعبر من في ب
(٨) بالمسألة ، وقد كنت قبل ذلك : للمسألة وكنت قد في ب
(٩) لأبطلن : لا يطلق في جـ

سؤاله ، فانسيتها ، وخرج محروماً فقلت لقد أعطى الله وليه من الصبر ، والحلم ، والتغمد ، ما لا أظنه أعطاه أحد ، فقال ع . م : أولم أخبرك عن فلان [مذ مدة][1] بأنه يتكلم فينا ، وكنيت لك عن كلامه ، فرأيت ذلك أغضبك وأهاجك عليه ، وقلت لي : وددت اني ظفرت به في ما يوجب بسط اليد بالمكروه إليه ، فأنيله من ذلك ما أشفي به صدري منه ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قد كان ذلك ، وإني عليه . قال : أفكنت فاعلاً به ومنتقماً منه بمثل انتقام الله ع . ج إياه لنا ؟ قلت : وكيف ذلك ؟ قال : أوما بلغك خبره ؟ قلت : لا والله . قال : قد [هلك مذ ثلاثة أيام][2] بأكلة أصابته في فمه ، فأكلت داخله وخارجه . قلت : إلى غضب الله . قال نعم ، وإلى سعير ناره . أتدري [ما كنيت عندك][3] في ما بلغنا عنه ؟ قلت : لا ، إلا أن يخبرني أمير المؤمنين . قال : حكم علينا في ما دلته عليه / بزعمه النجوم ، بأن أمرنا ينقطع ، ويزول في الوقت الذي قطع الله فيه مدته بالآفة التي أصابها ما لفظ به بذلك أفكه[4] ، نقدر على أن نفعل به أكثر من هذا إن كثيراً ممن يتصل بنا أذاه ، وقوله فينا لربما قيل لهم أما تخافون أن يعلم بمثل هذا منكم فيقولون هو ممنوع منا . ثم تبسم ع . م ، وقال : نعم والله إني لممنوع من الظلم[5] والتعدي ، وإنّ الله ع . ج لينتصر[6] ، لي وينتقم ممن تناول مني ما ليس له ، أما والله لو شئت لبطشت بهم ، ولا انتصفت منهم ، ولكني لو فعلت ذلك ، وعلم الناس اني أنتصر لنفسي من مثل هذا لأكثروا[7] من البغي من بعضهم على بعض ، وأشغلوا صدري بذلك ، كما شغلوا من قلبي ، ولكني تغافلت عنهم ، وما الله بغافل عمّا يعمل[8] الظالمون ، وهو أعلم بما يسرون وما يعلنون ، قلت :

٦٨ /

---

(١) مذ مدة . سقطت في ب

(٢) هلك مذ ثلاثة أيام : هلكت مئة ثلث في ب

(٣) ما كنيت عندك : ما كتب في ب

(٤) أفكه : أفكها في ب

(٥) الظلم : الظن في ب

(٦) لينتصر : سقطت في جـ

(٧) لأكثروا : لأكبره في جـ

(٨) يعمل : يعقلها في جـ

الحمد لله الذي منح أمير المؤمنين هذا الفضل العظيم ، وأبانه بهذا البرهان المبين ، ووسمه بالآنات والصبر والحلم ، وولي الإنتقام له من أهل البغي والظلم ، وأمير المؤمنين وسلفه كما قال الله / تعالى [وهو أصدق القائلين][1] ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2] ثم ذكرت (في مثل ما)[3] ذكر من منعه المنجم المحروم ، وما منعه [لئلا يرى][4] أن علمه بالنجوم وتوخيه ساعة السعد به ، قال ذلك ما رويناه عن جعفر بن محمد ع . م : أن داراً صار له نصفها عن بعض مواليه ، ونصفها لرجل كان يعني بعلم النجوم ، وأنه دعاه إلى قسمتها ، فسوف ذلك الرجل إلى أن اختار لنفسه ساعة[5] سعد فأتاه فيها بعد مدة يسأله القسمة ، فأرسله معه من يقاسمه ، فانصرف إليه وهو[6] يذم علم النجوم ، وقال له : يا ابن رسول الله كنت أجد ناحية من هذه الدار فما طلت بقسمتها إلى أن اخترت لنفسي ساعة سعد ، ووثقت فيها بأنني أنال بغيتي ، فلما قسمت الدار ورمي السهم ، وقع لك ما كنت أحب ، ولي ما كنت أكره . فقال له أبو عبد الله ع . م : لولا أن ترى أن اختيارك أصارك[7] إلى ما تحب لأعطيناك ما أحببت نعم ، ولتركنا الكل لك ، ولكن لا والله ما تأخذ إلاّ ما صار لك ، ولكني أفيدك بما إن قبلته كان خيراً لك مما أردته ، قال : وما هو جعلني[8] الله فداك ؟ قال : إذا أصبحت فتصدق بصدقة فإنها تذهب[9] عنك نحس يومك ، وإذا أمسيت/ فتصدق بصدقة فإنها تذهب عنك نحس ليلتك ، فتبسم أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، وقال : هو كما قال ع . م ، وقام أمير المؤمنين المعز لدين الله بأمور أهل دعوته ، وفتح أبواب

٦٩ /

٧٠ /

---

(١) وهو أصدق القائلين : سقطت في ب
(٢) سورة : ٣/ ٣٤
(٣) في مثل ما : فيما في ب
(٤) لئلا يرى : كيف لا يرى في ب
(٥) ساعة : ساعة في ب
(٦) وهو : سقطت في ب
(٧) أصارك : صيرك في جـ
(٨) جعلني : جعل في جـ
(٩) تذهب : ذاهب في ب

علمه وحكمته ، وكان يجلس بنفسه ، ويعظ أولياءه وشيعته بالمواعظ الجليلة ، ويشوقهم للعمل والعلم ، ويعلمهم بنفسه ، ويدنو صغيرهم وكبيرهم ، وظهر منه من العلم والحكمة والبيان[1] ما لم يشاهد مثله ، وكان مبرزاً في فنون العلم ، بالغاً منه مبلغاً يقصر منه أولو الفهم .

وقد ذكر القاضي النعمان (قس) من فضائله ، ومناقبه ، وعلمه ، ما لا يكون[2] إلاَّ عنه ، ومن أمثاله من حجج الله ، وأوليائه الذين أقامهم لهداية عباده ، واختارهم في بلاد جعلهم خلفاء النبيين ، وأئمة المؤمنين . وظهر عن المعز لدين الله ع . م من البلاغة والعلم ما دل على تأييد الله ع . ج له إذ كان ذلك على قرب عهده وممارسته ، ولا يعلم أحد أن معلماً علمه ، ولا ملقناً لقنه ، غير ولي الله الذي أفضى إليه بسره ، وألقى إليه زمام أمره ، وأودعه[3] علم ما عنده من علم آبائه وأجداده ،/ الذين أخذوه عن رسول الله (ﷺ) مما نزل به الروح الأمين[4] على قلبه ، وهو مع ذلك مجد في العلم ، حريص في طلبه ، مستكثر منه ، راغب فيه .

٧١ /

ولقد روي عن القاضي النعمان بن محمد (رضي) قال[5]: سمعته ﷺ يقول في ما يجده في نفسه : والله إني لأجد من اللذة ، والراحة والشهوة في النظر في الحكمة ، ما لو وجده أهل الدنيا لأطرحوها لها ، ولولا ما أوجب الله سبحانه عليَّ من أمور الدنيا [لأهلها وإقامة ظاهرها][6] ومصالحهم فيها لرفضتها للتلذذ بالحكمة ، والنظر فيها ، وإن كان الذي قلدته من أمور الدنيا والنظر فيها حكمة بالغة لمن أبصر ، وحجة لمن تدبر ، ونظر .

---

(١) والبيان : والبان في ب
(٢) ما لا يكون : ما لا يصير في ب
(٣) وأودعه : وادعه في ب
(٤) الأمين : الأمي في جـ
(٥) المجالس والمسايرات جـ ١ ص ٨٣
(٦) لأهلها وإقامة ظاهرها : وإقامتها لأهلها في ب

وبما آثره القاضي النعمان بن محمد قس من مثل ذلك عن الإمام المعز لدين الله ع . م قال[1] : وسايرت الإمام المعز لدين الله ع . م يوماً في بعض ما خرج إليه فذكر شيئاً من العلم في من جرى الذكر فيه فقال : ذكرت مثل هذا من ليال وأنا أعرف كتاباً فيه كلام منه مستقصي[2] فأمرت بإحضاره فلم يعلم من يقوم على الكتب مكانه ، فقمت بنفسي إلى خزانة الكتب ، وفتحت بعض الصناديق ، وأنا قائم[3] أطلب ذلك الكتاب / من المكان الذي قدرت أنه فيه ، وذلك في أول الليل ، وقلبت الكتب ، وجعلت إذا مر بي كتاب أتصفحه فيعرض لي فيه ما أحب أن أستقصيه ، ثم مر على يدي غيره فيجري[4] مني كذلك مجراه ، فلم أزل قائماً كذلك أتصفح كتاباً بعد كتاب وقد شغلني[5] ذلك عن أن أذكر ما أنا فيه من[6] وجع شديد بقدمي من طول القيام فانصرفت ، وأصبحت وقد عرض لي من ذلك وجع مؤلم برجلي كان لسبب ذلك قال : قلت والله يا مولاي هذه الشهوة للعلم ، والرغبة فيه التي لم يتحدث بمثلها عن أحد قبل أمير المؤمنين ، فهناه الله على ما وهبه من ذلك ، وبارك له فيه . فأطرق ع . م كالمستحي من ذلك ، وتكلم بكلام خفي لم أفهم عنه .

/ ٧٢

فهذه رواية القاضي النعمان وسيرة الأئمة من آل الرسول (ﷺ) معروفة ، وفضائلهم[7] موصوفة ، فلا يوجد في أخبارهم وآثارهم ، إلاَّ ما يشهد بفضلهم ، وعلو محلهم ، من أمر بمعروف ، ونهي عن منكر ، وموعظة ، وذكر للمؤمنين ، وقول حسن ، وعبادة لله جل وعلا ، وزهد[8] في الدنيا ، وتذكير بالآخرة ، ونشر

---

(١) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٢٤١

(٢) مستقصي : مفتش في ب

(٣) قائم : سقطت في ب

(٤) فيجري : جرى في ب

(٥) شغلني : شاغل في ب

(٦) من : سقطت في جـ

(٧) وفضائلهم : وفنائهم في ب

(٨) وزهد : وزاهد في جـ

/٧٣ العلم عن الرسول ، ووصيه أمير المؤمنين علي ع . م / صلى الله عليهما ، ليست كبيرة في أمية وبني العباس وأخبارهم ، التي هي لهو بطنبور (القذع الخنا والفحش) وذكر قذع أو إحياء باطل ، أو إماتة سنة ، أو إظهار بدعة ، أو ملاعبة قنية ، فماذا يطعن[١] فيهم الطاعنون ، ويقول فيهم القائلون الذين على أولياء الله يفترون ، ألا بغية عليهم ، وحسداً لهم ، وإنكاراً لفضلهم ، وما آتاهم الله من المحل الأسنى ، والمقام الأشرف الأعلى ، ولأنهم مالوا بالناس عن عاداتهم الدنية ، وإقبالهم على المحرمات[٢] في الشريعة الحنيفية ، ولذلك مالوا عنهم ، وعادوهم ، وافتروا عليهم افتراء عظيماً ، وقالوا فيهم قولاً منكراً ، ومن أنصف في قوله ، وحكم عقله ، وجد فضلهم عظيماً ، ومقامهم[٣] عند الله كريماً ، فآمن بالله وبهم ، وسلم الله فيما أوجب من طاعتهم ، تسليماً .

وقد روى القاضي النعمان قس عن أمير المؤمنين المعز لدين الله قال[٤]: وسمعته يوماً ع . م يقول في مجلس : أما إني لو شئت رضى الناس لبلغت رضاهم بأيسر الأمور عندهم ، ولكن ذلك لو يدرون فيه اقتحام النار . فقيل له : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : التخلية بينهم وبين شهواتهم نبيح لهم وأعوذ بالله المظاهرة /٧٤ بشرب / الخمور ، والزنى ، واللواط ، وإظهار المعاصي والمعازف كما يفعله اليوم ، وقبل اليوم المتغلبون[٥] من ملوك الأرض لأنفسهم ، ويبيحونه لمن تغلبوا[٦] عليه ، فما كنا نسمع منهم إلاَّ الثناء والشكر ، ولكن الله تعالى قلدنا أمورهم ، وافترض علينا تقويمهم ، واستنقاذ من أناب إلينا منهم ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر فيهم ، فنحن نريد نجاتهم من النار ، وهم يسخطون علينا ، ونحب

---

(١) يطعن : يطمن في ب
(٢) المحرمات : الحرامات في ب
(٣) ومقامهم : سقطت في ب
(٤) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ١ ص ٧٨
(٥) المتغلبون : الغالبون في جـ
(٦) تغلبوا : غلبوا في جـ

إدخالهم الجنة ، وهم يكرهون ذلك منا ؛ فذكر له بعض من حضر المجلس أمر المتغلبين من بني أمية بالأندلس وأنهم ورعاياهم يشربون الخمور ، ويتبايعونها في أسواقهم جهاراً ، ويتفكهون[1] بالغلمان صراحاً ، ويزنون علانية ، وإن سجن[2] النساء عندهم ليأتي إليه من [يؤثر الزنى][3] فيدخل إلى السجان[4] فيختار من النساء على عينه من أراد ولكل واحدة منهن رسم معروف ، فأيهن اختار دفع رسمها وفجر بها في وجوه كثيرة من المنكر ظاهرة بينة ذكرها . فقال ع . م[5]: هذا الذي قدمنا ذكره . ثم قال ع . م : ونحن نعلم أن استصلاح / ظاهر العامة /٧٥ واستمالة قلوبها أيسر وأقرب من استصلاحها واستمالتها بالدين ، والحمل على الحق ، لأن الحق مر إلاَّ عند القليل ، وما كره الناس منا في القديم والحديث غيره ، ولولا حمل على ع . م الناس عليه جميعاً ، وتركه الإغضاء عن شيء منه ، والرخصة فيه ، والمداراة عنه ، لما عدل إلى معاوية من عدل ، ومال إليه عنه ، فالرخصة بالباطل ، والمداهنة[6] في الحق ، والحيف ، والأثرة بالدنيا ، وترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإقامة حقوق الله ، وحدوده التي أمر بإقامتها كان سبب تغلب بني أمية أولا ، وبه تمسكوا إلى اليوم ، وتمسكنا بالحق هو الذي قصر بنا عند عامة الناس ، ولا والله ما ندعه حتى يظهر الله أمره ، فقد قال جل ثناؤه : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[7] وأرجو أن ذلك قد قرب أوانه ، وحان حينه ، إن شاء الله تعالى .

وفي ما أتى عن القاضي النعمان بن محمد (رضي) قال[8]: وانتهى إلى أمير

(١) ويتفكهون : فاكهين في ب
(٢) سجن : جليس في ب
(٣) يؤثر الزنى : من أراد في ب
(٤) السجان : السبحان في ب
(٥) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ١ ص (٨٠ ـ ٨١)
(٦) والمداهنة : والأوهان في ب
(٧) سورة : ١٨/٢١
(٨) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ١ ص (٢١٠ ـ ٢١١)

المؤمنين المعز لدين الله ع . م أن مركباً لبني أمية قدم من المشرق ، فلما صار بين صقلية وأفريقية ، مر بجزيرة فصادف فيها / قارباً فيه نفر قدموا من صقلية ، يريدون أفريقية ، ومعهم[1] كتاب من عامل صقلية إلى أمير المؤمنين ، فخاف الأندلسيون أن ينذروا[2] بهم فأخذوا رجل قاربهم ، واختطفوا بعض أمتعتهم ، وأخذوا فيما أخذوا الخريطة التي فيها كتاب عامل صقلية ، وتركوا القارب بمن فيه في الجزيرة ، ولا يجدون من يحملهم إلى أن مر بهم مركب فركبوا فيه ، وأتوا بالخبر ، فغضب أمير المؤمنين ع . م. لذلك ، وأمر بإخراج مراكب حربية[3] وأدخل فيها رجالاً من رجال البر والبحر ، وأمر عليهم الحسن بن علي عامل صقلية ، في سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، وأمره بطلب المركب حيث أخذ وإن وصل إلى الأندلس فلا ينصرف عنه حتى يحرقه ، فلم يلحق المركب [إلا وقد][4] أرسي بالمرية مرسى الأندلس ، ومجمع مراكبها ، وأساطيل الأموي المتغلب عليها ، ودار صناعة مراكبه ، وبها عدته ، واتصل الخبر بالأموي أن الأسطول قد نفذ إليه ، فأعد عساكره ، وعمر مراكبه ، بالعدة والسلاح والرجال ، وجاء الحسن / بن علي في مراكبه ، وكانت قليلة العدد ، وإنما أخرجت في طلب مركب واحد فوهب[5] الله ع . ج [لوليه النصر][6] فاستولى حسن بن علي ومن معه على أساطيل الأموي ، فأضرمها ناراً وغادرها [بأسرها رماداً][7] ونزل من في [الأساطيل من رجال البر][8] واستولوا على المرية فأحرقها وأخربها بعد أن قتل من وقف له بها ، وانهزم عنها جمع الأموي فأحرقوا جميع ما بها من المراكب والعود [9] والعدد والقوة ،

٧٦ /

٧٧ /

(١) ومعهم : وفيه في ب
(٢) ينذروا : يغدروا في ب
(٣) حربية : سقطت في ب
(٤) إلا وقد : حتى في ب
(٥) فوهب : سقطت في ب
(٦) لوليه النصر : له النصر في ب
(٧) بأسرها رماداً : ما فيها رماداً في ب
(٨) الأساطيل من رجال البر : الأسطول من الرجال في ب
(٩) والعود : والخزائن في جـ

وانتهبوا جميع ذخائرها ، وهرب من استطاع الهرب من أهلها ، ولم يعرضوا لمن بقي بها ممن استسلم بها بمكروه ، وقتلوا من ناصبهم أولاً ، وأحرقوا المركب الذي صنع أهله ما صنعوه فيما أحرقوه ، ولم يكن أمير المؤمنين أمرهم بغير ذلك ، وانصرفوا سالمين غانمين لم يزر أحد منهم بسوء[1] فوصلوا يوم الجمعة لست بقين من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، وحلت بالأموي الداهية ، واضطرب عليه البلد ، وخاف خوفاً شديداً ، فألف المراكب وجمع جميع رجاله ، ومن يوصف بالنكاية (ببلده)[2] وأخرج أسطولاً في العام / المقبل بعد أن كتب إلى طاغية الروم يسأله النصرة ، وأهدى إليه الهدايا ، وأرسل إليه رسلاً من قبله ، فأجابه إلى ذلك وجاءت أساطيل الروم من القسطنطينية مع الدمستق ، ومراكب بني أمية من الأندلس . /٧٨

فجمع أمير المؤمنين ع . م الأولياء وعرفهم ذلك ، وأن الروم سألوه عقد هدنة إلى مدة طويلة على أن ينصرفوا عنه ، وقال لهم : ما ترون في ذلك ؟ فقالوا : أمير المؤمنين أعلى عيناً ، والذي نراه نحن مهادنة الروم ، فيما علينا من ذلك ، وأن نصرف وجوهنا إلى هؤلاء بجملتنا ، فقال : معاذ الله ما كنت بادياً إلاَّ بمن بدأ الله ع.ج ، قال ع.ج ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾[3]. وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوْا قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِنَ الكُفَّارِ ﴾[4] فهم أقرب إلينا وحسبنا انتصاراً بالله على هؤلاء الفسقة بني أمية استنصارهم بالمشركين إخوانهم في الدين علينا ، ودخولهم في جملتهم ، وكونهم من حزبهم ، وكفاهم بذلك خزية وعاراً في دنياهم وأخراهم .

وأخرج / عمار بن الحسن بن أبي الحسين في عساكر عظيمة ، وأساطيل عظيمة ، وانتهى إلى صقلية ، وظفر بالروم ، وغرق كثير من /٧٩

---

(١) بسوء : بشر في ب
(٢) ببلده : سقطت في ب
(٣) سورة : ٦٦/ ٩
(٤) سورة : ٩/ ١٢٤

أساطيلهم ، وذلك سنة خمس وأربعين وثلاثمائة .

وخرج أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م من المنصورية متوجهاً إلى المهدية بعد أن جمع كتامة ، وأهل أفريقية في جيوش تملأ الفضاء ، ورايات[1] تخفق في جو السماء ، وقوة تبهر ، ومدة تزهر ، فحين صار أمير المؤمنين في المهدية أمر بعمل الأساطيل ، وانتقى فيها الحماة والكماة ، واختار فيها أولي النجدة والمراس ممن لا يهولهم اليأس ، وقدم عليهم عبده جوهر الكاتب ، وحسن بن علي عامل صقلية ، وأنفذ الأساطيل ، وأمر بكون العساكر في كل مرسى بطريق الأندلس ، وأقبل أسطول الروم فلقي أساطيل أمير المؤمنين ع . م دون صقلية ، وأقبل أسطول بني أمية لميعاد المشركين ، وفتح الله لوليه ع . م على الروم ، فانهزموا في البحر بعد أن وقعت بينهم وبين عسكر أمير المؤمنين وقعة عظيمة ، ومعركة كبيرة[2] / ٨٠ / [وقتال شديد قتل فيه][3] وغرق خلق عظيم من الروم ، وولوا هاربين بين يدي أساطيل أمير المؤمنين إلى مجازرية ليحموا بلدهم وأمتعتهم ، [واتبعوهم إلى هناك][4] ولقوهم أيضاً في البحر فهزموهم ، وفل الله شوكتهم ، ونزلت عساكر أمير المؤمنين بأرضهم ، وأكثرت القتل فيهم ، وأحرقت مدائنهم ، وأخربت كنائسهم ، ونالت منهم غاية الأمل من النكاية[5] .

قال الحسن بن جعفر الهلالي (رح) فقتل الروم قتلاً ذريعاً ، ما سمع بمثله إلاّ في وقعة اليرموك مع الروم في الشام عند طبرية ، وانتهى أسطول بني أمية إلى بعض مراسي المغرب[6] الخالية القليلة العدد فنزلوا بها يريدون أن يؤثروا أثراً يرجعون به إلى بلدهم ليسكنوا بها من ورائهم ، فخرج إليهم أهل تلك الناحية

---

(١) ورايات : ولايات في ب

(٢) كبيرة : عظيمة في ب

(٣) وقتال شديد قتل فيه : وعراك شديدة في ب

(٤) واتبعوهم إلى هناك : في هنالك في ب

(٥) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ١ ص ٢١٥ .

(٦) المغرب : الغرب في ب

فقتلوا منهم بشراً كثيراً فهزموهم ، فمات منهم في البحر أكثر ممن قتل ، وغنموا ما كان معهم من سلاح ، ووجهوا برؤوس من قتلوه وبما غنموا ، واتصل بأهل الأندلس خبر الروم فانصرفوا منكوبين خاسرين ، ووصل البريد إلى / أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م بخبر الفتح ، وقد خرج للتنزه ، وهو في جحفل عظيم ، فنزل عن ظهر فرسه ، وخر ساجداً شكراً لله تعالى ، وتواضعاً ، وعفر وجهه الشريف في الثرى .

٨١ /

وقال محمد بن هاني المعروف بالأندلسي يصف الفتح ووصول البريد ويمدح أمير المؤمنين المعز لدين الله سماع قصيدة أولها[١] .

يومٌ عريضٌ في الفَخارِ طَويلُ … ما تَنقَضي غُرَرٌ لهُ وحُجُولُ
يَنجابُ منهُ الأفْقُ وهو دُجُنّةٌ … ويَصحُّ منْهُ الدهرُ وهو عليلُ
مَسَحَتْ ثُغورُ الشامِ أدمُعها بهِ … ولقد تَبُلُّ التُّربَ وهي هُمُولُ

قوله مسحت بثغور الشام أدمعها به لما كان غلبته الروم لمن في الشام من المسلمين ، وقوتهم عليهم ، يعني أن بهذا الفتح قد زال عنهم الأسف ، وانجلى الكرب ، ثم قال فيها :

وجَلا[٢] ظَلامَ الدِّين والدُّنيا بهِ … مَلِكٌ لما قال الكِرامُ[٣] فَعُول
مُتَكَشِّفٌ عن عَزْمَةٍ عَلَوِيّةٍ … للكُفْرِ منها رنّةٌ وعَويل
فَلَوْ أنّ سُفْناً لم تُحمِّلْ جَيشَهُ … حَمَلَتْ عزائمَهُ[٤] صَباً وقَبول
ولَوْ أنّ سَيْفاً لَيسَ يَبْتُك حَدُّهُ … جَذّ[٥] الرِّقابَ بكفهِ[٦] التّنزيل

(١) ديوان ابن هاني الأندلسي ص ٢٥٦ منشورات صادر ، بيروت ـ لبنان .
(٢) وجلا : وتجلى في ب
(٣) الكرام : الملاك في ب
(٤) عزائمه : عزائم في جـ
(٥) جذ : حز في ب
(٦) بكفه : بكفر في جـ

/٨٢ مَلِكٌ تَلَقّى عن أقاصي ثَغْرِهِ(١) / أنبـاءَ ذي دُوَلٍ إليه تَدول

بُشْرَى(٢) تَحَمَّلُها الليّالي شُرَّداً خَيرُ المَساعي الشاردُ المحمول

تأتي(٣) الوُفُودُ بها فلاَ تكرارُهَا نَصَبٌ ولا مقرونُهَا(٤) مملول

ويكادُ يَلقاهم على أفواهِهِمْ قبلَ السَّماع الرَّشْفُ والتَّقبيل

يجلو البشيرُ ضياءَ بِشْرِ خَليفةٍ ماءُ الهُدى في صَفحتَيهِ يجول

[للهِ عَيَنا من رأى إخباتَهُ](٥) لما أتاهُ رسولها(٦) الأجْفيل

وسُجودَهُ حتى التقى عَفْرُ الثرى وجَبينُهُ والنَّظْمُ والإكليل

لم يَثْنِهِ عِزُّ الخِلافَةِ والعُلى والمجْدُ والتَّعظيمُ والتبجيل

بينَ المواكِب خاشِعاً مُتَواضِعاً والأرضُ تَخشَعُ بالعُلى وتَميل

فَتَيمَّمُوا ذاكَ الصَّعيدَ فإنّهُ بالمِسكِ من نَفَحاتِهِ معلول

سَيَصِيرُ بعدَكَ في الأئمةِ سُنّةً في الشكر ليس لمثلها تبديل(٧)

من كانَ ذا إخلاصُهُ(٨) لم يُعْيِهِ في مُشْكِلٍ رَيْثٌ ولا تعجيل

لو أبصرَتكَ الرّومُ يومئذٍ دَرَتْ أنّ الإلهَ بما تَشاءُ كَفيل

يا لَيْتَ شِعري عن مَقاوِلِهِمْ إذا سمعتْ بذلك عنك كيفَ تقول

ودُّوا وَداداً(٩) أنّ ذلكَ لم يكُنْ [صدقاً وكلٌّ](١٠) ثاكِلٌ مَشكول

/٨٣ هذا يدُلُّهُمُ على ذي عَزْمَةٍ/ لا فيهِ تسليمٌ ولا تخذيل

أنتَ الذي تَرِثُ البلادَ لَدَيْهِمُ فالأرضُ فالٌ والسجودُ دَليل

---

(١) ثغره : شعره في جـ

(٢) بشرى : بشراً في جـ

(٣) تأتي : تمضي في ب

(٤) مقرونها : مقروؤها في ب

(٥) لله عينا من رأى إخباته : لله يمناً مزاري اخباقه في ب

(٦) رسولها : بريدها في جـ

(٧) تبديل : تحويل في جـ

(٨) إخلاصه : خلاصه في ب

(٩) وداداً : وراداً في ب

(١٠) صدقاً وكل : حقاً فكل في ب

قُلْ للدُّمُستُقِ مُورِدِ الجمعِ الذي ... مـا أصْدَرَتْـهُ له قَنـاً ونُصُول
سَلْ رَهطَ مَنويلٍ وأنتَ غَرَرْتَهُ ... فـي أيِّ مَعـركَةٍ ثَوى مَنويل
منَعَ الجنودَ من القفُول رواجعاً ... تَبّـاً لهُ بالمُنْـديات[1] قُفُول
لا تُكذَبَـنَّ[2] فكلُّ ما حُدِّثْتَ مِن ... خَبـرٍ يَسُرُّ فإنَّـهُ منحـول
وإذا رأيت[3] الأمْـرَ خالَفَ قَصْدَهُ ... فالـرأيُ عن جِهَـةِ النُّهَـى مَعدول
قد فالَ رأيُكَ في الجـلاد ولم تَزَلْ ... آراءُ أغمـارِ الـرِّجالِ تَفيـل
وبعثْـتَ بالأسطـول يحمـلُ عُدَّةً ... فأثـابَنَا بالعُـدَّةِ الأسطول
ورميْتَ [في لَهَواتِ أُسْدِ الغابِ ما][4] ... قـد باتَ ، وهـي فَريسَـةٌ مأكول
أدّى إلينـا ما جمعْـتَ مُؤَخَّراً ... ثـمَّ انثنـى في اليَمِّ وهـو جَفول

إلى أن قال :

إنَّ التـي رامَ الدُّمُستُقُ حَربَها ... للهِ فيهـا صـارمٌ مسلول
لا أرضُهـا حَلَـبٌ ولا ساحاتُها[5] ... مِصْـرٌ ولا عَرَضُ الخليجِ النِّيل

ويعرض إلى قوة الروم في حلب ، ومصر ، فيقول :

٨٤ / [فلْتَعْلَـمِ الأعـلاجُ عِلمـاً ثاقِباً][6] ... أنّ الصّليبَ وقد عزرتَ ذليـل /
وليَعبُـدُوا غيرَ المسيحِ فليس في ... دينِ الترهُّـبِ بعدهـا مأمول
ما ذاك ما شهِـدَتْ له الأسـرى بهِ ... إذ يَهْـزَأُ الطّاغـي به الضِّليل

---

(١) بالمنديات : بالمنبثات في ب
(٢) لا تكذبن : لا تكبرن في ب
(٣) رأيت : رميت في جـ
(٤) في لهوات أسد الغاب ما : أسد الغار ما في ب
(٥) ساحاتها : ساحتها في ب
(٦) فلتعلم الأعلاج علماً ثاقباً : فليعلم الأعلاج علماً باقياً في ب

بَرِئَـتْ منَ الإِسـلامِ تحـتَ سيوفِهِ　　إلاَّ اعْتِـدَادَ الصَّبْـرِ وهـو جميل
سلَكتْ سبيلَ المُلحِدينَ ولـم يكُنْ　　مـن بعـد ذاكَ إلـى الحياةِ سبيل

ويقول في مدح أمير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه[1] :

مَن يهتـدي دونَ المعـزِّ خليفةً　　إنّ الهـدايةَ دونَـهُ تضليل
مَنْ يَشْهَـدُ القـرآنُ فيه بفضْلِهِ　　وتُصَـدّقُ التّـوراةُ والإنجيـل
والـوَصْفُ يُمـكِنُ فيه إلاَّ أنّهُ　　لا يُطْلَـقُ التّشـبيهُ والتّمثيـل
والنـاسُ إن قِيسـوا إليه فإنّهُمْ　　عَـرَضٌ له في جوهـرٍ محمول
تَرِدُ العيونُ عليه وهـي نَواظِرٌ　　فـإذا صَدَرْنَ فإنَّهُـنَّ عقول
غامَرتُـهُ فعَجَـزتُ عن إدراكِهِ　　لكنّـه بضمـائـري معقـول
كلُّ الأئِمّـةِ من جُدودِك فاضِلٌ　　فـإذا خُصِصْـتَ[2] فكُلُّهُـمْ مفضـول
فافخَـرْ فمِن أنسابـك الفـردوْس إن　　عُـدّتْ ومـن أحسابِـكَ[3] التنزيل
وأرى الـورى لَغْـواً وأنـتَ حقيقةٌ　　مـا يَسْتَوي المعلـومُ والمجهـول
٨٥ / شَهِـدَ البـرِيّةُ كلُّهـا لكَ بالعُلى　　إنّ البـرِيّةَ شاهِـدٌ[4] مقبـول /
واللهُ مدلـولٌ عليه بُصْنْعِهِ　　فينـا وأنْـتَ علـى الـدّليلِ دَليل

وقال يمدح الإمام المعز لدين الله ع . م ويذكر خيبة بني أمية ، وقصورهم عما تداولوا إليه[5] :

[ألُؤلُـؤٌ دَمْـعُ هذا الغيْثِ أم نُقَطُ][6]　　مـا كان أحْسَنَـهُ لو كان يُلتَقَطُ
فكأنّه ساخِـطٌ يَرضـى علـى عَجَلٍ　　فمـا يدومُ رِضـىً منـه ولا سَخَط

(١) ديوان ابن هاني الأندلسي منشورات دار صادر بيروت لبنان صفحة ٢٦٤
(٢) خصصت : خصيت في ب
(٣) أحسابك : أوصافك في ب
(٤) شاهد : شهر في جـ
(٥) ديوان ابن هاني الأندلسي منشورات صادر ص ١٨٤
(٦) ألؤلؤ دمع هذا الغيث أم نقط : سقطت في ب

بينَ السّحابِ وبينَ الريحِ مَلحمَةٌ[1] مقاقِعٌ وظُبي في الجوّ تُختَرَطُ

أهْدى الرَّبيعُ إلينا روضةً أُنُفاً كمها تَنَفّسَ عن كافورةِ السَّفَط

غمائمٌ في نواحي الجوّ عاكفةٌ جَعْدٌ تَحَدَّرَ[2] منها وابلٌ[3] سَبِط

كأنَّ تهتانها[4] في كُلِّ نَاحيَةٍ مَدٌّ من البحرِ يعلو ثم ينهبط

والبَرْقُ يَظهرُ في لألاء طَلعتِهِ[5] قاضٍ من المُزْنِ في أحكامه شَطَط

وللجَديدَينِ من طُولٍ ومِن قِصَرٍ حَبْلانِ مُنقَبِضٌ عنّا ومُنبَسط

والأرْضُ تبسُطُ في خَدِّ الثرى وَرَقاً كما تُنَشَّرُ في حافاتها البُسُطُ

والريحُ تبعثُ أنفاساً مُعَطرةً مثلَ العبيرِ بماءِ الوَرد يختلِط

كأنّمَا هي أنفاسُ[6] المِعزِّ سَرَتْ لا شُبْهَةٌ للنّدى فيهَا ولا غَلَط

تاللهِ لو كانتِ الأنْواءُ تُشْبِهُهُ ما مَرَّ بُؤسٌ على الدّنْيا ولا قَنَط

٨٦ / شَقّ الزمانُ [لنا عن نورِ غُرَّتِهِ][7] عن دولةٍ ما بها وَهْنٌ[8] ولا سقط /

حتى تسلّطَ منْهُ في الورى مَلِكٌ زينَتْ بدولتِهِ الأملاك والسُّلطَ

يختط فوق النجوم الزهر منزلة لم يدن منها ولم يقرن بها الخطط][9]

إمامُ عدْلٍ وفى في كلِّ ناحيةٍ كما قضَوْا في الإمامِ العدلِ واشترطوا

قد بانَ بالفضلِ عن ماضٍ ومؤتَنِفٍ كالعِقدِ عن طَرَفَيْه يفضُلُ الوسَط

[لا يغتدي فَرِحاً][10] بالمالِ يجمعُهُ ولا يبيتُ بدُنْيا وهو مغتبط

---

(١) ملحمة : بلحمة في جـ
(٢) تحدر : تجدر في ب
(٣) وابل : وائل في ب
(٤) تهتانها : ثقلانها في ب
(٥) طلعته : طبعه في جـ
(٦) أنفاس : أخلاق في ب
(٧) لنا عن نور غرّته : الناعس نور طلعته في ب
(٨) بها وهن : ما وهي في ب
(٩) سقط البيت بكامله من كلا النسختين فأخذناه من الديوان ص ١٨٥ .
(١٠)لا يغتدي فرحاً : ما يغتدي فارحاً في ب

لكنّــهُ ضِدُّ ما ظَنّ الحسُــودُ بهِ   وفـوقَ ما ينتهــي غالٍ ومُنبسِطِ[1]

[يُزْري بفَيض بحـــارٍ][2] الأرض لو جُمعــتْ   بنـانُ راحتـه المُغلَـولِـب الخَمِـط

وجْــهٌ بجَوْهَــرِ ماء العــرْشِ مُتّصِلٌ   عِرْقٌ بمحض صريح المجد مرتبط[3]

شمسٌ من الحــقّ مملــوءٌ مطالِعُها   لا يهتَــدي نحوهــا جَورٌ ولا شَطَط

يُرَوِّعُ الأُسْــدَ منــه في مكامنها   سيْفٌ له بيمينِ النّصْــرِ مختَرط

خابــتْ أُميّةُ منــه بالّــذي طلَبتْ   كمــا يَخيبُ برأسِ الأقْــرَع المُشُط

وحاولوا من حضيض الأرض إذ غضبوا   كواكباً عن مرامــي شأوهــا شحَطوا

هذا وقــد فَرّقَ الفرقــان بينكما   بحيْثُ يفتــرِقُ الرِّضْــوانُ والسَّخَط

النــاسُ غيركُمُ[4] العُرقـوبُ في شرَفٍ   وأنْتُــمُ حيْثُ حَلَّ التّــاجُ والقُرُط

/٨٧ [ولست أشكو لنفسي][5] في مودَّتِكم   [لأنكم في][6] فؤادي جِيرةٌ خُـلُـط/

يا أفضَلَ الناس من عُرْبٍ ومن عَجَمٍ   [وآل أحمدَ إن][7] شبـوا وإن شَمِطوا

لِيَهْنَكَ الفَتْــحُ لا أنّــي سمِعــتُ بهِ   ولا علــى الله فيمــا شاءَ أشْتَرِط

لكن تفاءلْــتُ والأقــدارُ غالبَةٌ   واللهُ يَبْسُــطُ آمــالاً فتنبسِط

ولســتُ أســألُ إلاّ حاجَــةً بَلَغَتْ   سُؤلَ الإمـام[8] بهـا الرُكّاضَـةُ النُّشُط

من فوْقِ أدهَــمَ لا يَجتــازُ غَايَتَهُ   نجمٌ من الأفُقِ [الشمسيّ فنخرط][9]

---

(١) ومنبسط : ومشترط في ب

(٢) يزري بفيض بحار : يزر بفيض تجار في ب

(٣) مرتبط : مغتبط في جـ

(٤) غيركم : عندكم في ب

(٥) ولست أشكو لنفسي : وليس لنفسي نفسي في ب

(٦) لأنكم في : ولا لكم من في ب

(٧) وآل أحمد إن : والأحمدان في ب

(٨) الإمام : الأماني في ب

(٩) الشمسي فنخرط : الشمي مخترط في ب

يَحْتَثُّـهُ راكبُ ضاقَـتْ مذاهبُهُ [بادي التشحُّبِ في عُثْنُونـهِ شَمَط][1]
إنّ الملـوكَ إذا قِيسـوا إليكَ معاً فأنـتَ من كثـرةٍ بحـرٌ وهـم نُقَط

وأرسل ملك الروم إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م بأموال جليلة ، وهدايا عظيمة[2] ، ورغب في التوقف عمن بقي من الروم بأرض قلورية ، على مال قطعه على نفسه يؤديه عنهم ، وجزية يحملها إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، وأسرى من أسارى أهل المشرق ، ليطلقهم (في كل عام لمدة يسيرة يسأل الهدنة فيها) ورأى ذلك أمير المؤمنين صلاحاً للدين والمسلمين بعد أن أقدره الله وأمكنه ، وشفى صدره ، وصدور المؤمنين .

قال القاضي النعمان رضي الله عنه[3]: والذي قدم إلى المعز لدين الله أمير المؤمنين ع . م بطريق من بطارقة / الروم وأشرافهم ، رسولاً عن طاغيتهم ، وملكهم صاحب القسطنطينية بما أوجبه على نفسه من مغرم الجزية عن أرض أهل قلورية [كما يبعث بذلك لكل سنة][4] وجاء منه بهدايا كثيرة ، من آنية الذهب ، والفضة مرصعة بالجوهر ، وديباج ، وحرير وبرذون[5] وغير ذلك من نفيس ما عندهم ، وبكتاب من مرسله يخضع فيه إلى أمير المؤمنين ع . م ، ويرغب ويسأل ، ويطلب الكف عن حربه ، ويسأل الموادعة ، وبعث بعدد كثير من أسارى أهل المشرق ، ما لم يكن قط[6] قبل ذلك طاغية الروم بعث بمثلهم إلى ملك من ملوك المغرب ، ولا إلى أحد ممن مضى من الأئمة ع . م قبل أمير المؤمنين المعز لدين الله ، ولا أن طاغية الروم يؤدي خراجاً ولا جزية عن أحد من أهل ملته[7] إلى غيره ع . م ، /٨٨

(١) بادي التشحب في عثنونه شمط : بادي أشهب في عشقونه شمط في ب
(٢) المجالس والمسايرات جـ ص
(٣) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص (١٧٩ - ١٨٠)
(٤) كما يبعث بذلك لكل سنة : سقطت في ب
(٥) وبرذون : سقطت في ب
(٦) قط : سقطت في ب
(٧) ملته : مملكته في جـ

فقبل ذلك الرسول الأرض مراراً بين يدي المعز ع . م ومثل قائماً بين يديه ، وأدى إليه رسالة مرسله ودفع إليه كتابه واستأذنه في إدخال هديته ، وذلك بعد أن وصل مال الجزية إلى عامل صقلية على الرسم المقدم[1] الجاري / في ذلك ، فأذن له أمير المؤمنين ع . م في إدخالها ، وأسعفه بقبولها ، وكان أكبر ما أدى إليه الرسول عن طاغية الروم ، وما في كتابه إليه سؤاله الهدنة مؤيدة على ما أجراه من الخراج والجزية على مثله لمحبته وميله[2] بزعمه ، فأجاب أمير المؤمنين ع . م رسوله عن ذلك بأن الدين والشريعة يمنعان من الذي سأله من الهدنة المؤيدة لأن الله ع . ج لما بعث محمداً رسوله (ﷺ) ، وأقام الأئمة من ولده من بعده ، يدعون إلى دينه ، ويجاهدون من خالفه حتى يدخلوا فيه ، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون داخلون في حكم ، إمام أهل[3] الإسلام وذمته ، وأن الموادعة إنما تجوز لمدة معلومة على ما يراه إمام المسلمين صلاحاً لهم وللدين ، ولو كانت مؤيدة لبطل الجهاد المفروض على العباد ، وانقطعت دعوة الإسلام ، وخولف حكم الكتاب وعرفه ، [إنه مما][4] ينبغي لمثل من كان محل ملكه الذي أرسله ، أن لا يغيب عنه مثل هذا من شريعة من يخاطبه ، ويكاتبه ، وأن لا يسأل ما لا[5] توجبه الشريعة لمن سأله .

/٨٩

قال[6] : فاعترف العلج بذلك عن مرسله ، وسأل الزيادة في مدة الهدنة عنه له ، فقال / أمير المؤمنين ع . م : جواب هذا [ما ذكرنا له][7] في كتابنا [المتقدم معك قبل اليوم إليه][8] أنه ما دام على ما شرطناه عليه وأوجبه لنا على نفسه

/٩٠

---

(١) المقدم : سقطت في جـ
(٢) وميله : وميوله في ب
(٣) أهل : هلل في ب
(٤) إنه مما : ما في جـ
(٥) لا : سقطت في جـ
(٦) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ١٨٢
(٧) ما ذكرنا له : قلنا له في ب
(٨) المتقدم معك قبل اليوم إليه : سقطت في جـ

لم نبدأه بحرب حتى [ننبذ إليه عهده][1] أو بعد أن تنقضي هذه الموادعة بيننا وبينه ، لا نخفر ولا نغدر كما تخفرون أنتم وتغدرون ، وعدد عليه أشياء من ذلك فعلوها فاعتذر منها عن ملكه بأن ذلك لم يكن من علمه ، وأنه أنكره وطالب من فعله فأعجزه .

فقال له أمير المؤمنين ع . م : فإذا كان الأمر على ما تصفه عن ملكك انه يغلب على أمره ، ويعجز عمن خالفه وغلب عليه من أهل ملته ، فأي فائدة في موادعته إذا كان عاجزاً مغلوباً ، ولكن هل لك وله في أن أعقد لها ما يتفق [معه على ما][2] عقده على من يرى أنه[3] في غير مملكتي ممن يقابله من جهة[4] المشرق كابن حمدان وغيره ، فإن خرجوا عما أعقده عليهم فلا عقد بيني وبينه ، فإن من حوته مملكتي ، وحدود طاعتي ، فقد علم وعلمت أنهم أقدر على أهل دينه ومملكته وبلده لو قد أرادوا الخفر[5] والغدر منهم ، فهل بلغه أو بلغك / أن أحداً منهم تعدى لي فيما جعلته له أمراً وخالف شيئاً منه ؟ فجعل العلج يعترف بذلك ، وبالفضل لولي الله عزم ويسأل[6] ويرغب إليه ، فأعرض المعز ع . م عن جوابه عن ذلك وجعل يسأله عن كيفية المحال بينهم وبين أهل طرسوس ، وابن حمدان في حروبهم ، ومعاملتهم إياهم ، في حديث أطاله[7] فكل ذلك العلج يجيبه عما يسأله عنه من ذلك ، فنظر بعض من في المجلس إلى بعض كمن لا يدري ما معنى السؤال عن ذلك ، والمفاوضة فيه . ثم عاود العلج في سؤال رسول[8] يرسله إلى ملكه ، وذكر له تواتر رسله عليه ، وعلى آبائه ، مذ أفضى الله بالأمر إليهم ، وإنه[9] لم يمض

/ ٩١

(١) ننبذ إليه عهده : ننبت إليه بعهده في ب
(٢) معه على ما : على في ب
(٣) أنه : إن في ب
(٤) جهة : أهل في جـ
(٥) الخفر : الختر في ب
(٦) ويسأل : وسأله في جـ
(٧) أطاله : الحالة في ب
(٨) رسول : سقطت في جـ
(٩) وإنه : وإن لم يجدوا أنه في ب

رسول منه ولا منهم إليه ، فقال له المعز ع.م : إن أحداً من الناس لا يرسل رسولاً إلى أحد من الناس إلاّ لحاجة تعرض له إليه ، أو لأمر يجب له عليه ، ونحن بحمد الله تعالى لا نعلم أن لنا إلى صاحبك من حاجة ، ولا له علينا واجب ، فلماذا نرسل

٩٢/ إليه اللهم أن يكون أمراً من أمور الدين / ينبغي لنا مراسلته ومفاوضته فيه ، وهو من المباح في دينه ، ولكننا نظن أنه يكبر عليه ، فإن نحن أرسلنا إليه فيه فعلمت أنه يجيبنا[1] فيه سهل علينا أن نرسل إليه رسولاً كما سأل وسألت عنه ، فلولا أن ذلك من الله ع.ج ولدينه لم نفعل ذلك له ، ولا ينبغي لنا أن نفعله ، إلاّ بعد أن يتحقق عندنا أنه مجيب إليه ، لأننا لا نرى أن نسأل أمراً وإن كان لله ع.ج فنجبه[2] فيه ، وذلك لو كان لكانت[3] سوء عاقبته عليه ، ونحن لا نلزمك الجواب في ذلك عنه ، والقطع فيه عليه ، إذ ذلك مما لا يلزمكم ، ولا ينبغي لك ، ولكنا سنأمر بذكر ما نريد ذكره لك ، ونتصرف وتقف على ذلك[4] منه ، لأنه أمر كبير ، فإذا علمت منه بالحقيقة أنه يجيب عليه عرفتنا[5] ذلك عنه ، فيسهل علينا أن نرسل إليه فيه ، ولو كان ذلك في ما حوته الدنيا بحذافيرها ، واشتملت عليه بأقطارها ، لما سهل علينا أن نرسل فيه رسولاً من قبلنا ، ولكنه لما كان لوجه[6] الله ع.ج وابتغاء

٩٣/ ثوابه سهل علينا ، ووجب[7] لدينا . فاستعظم العلج القول في / ذلك ، وأقبل على أمير المؤمنين بالمدح والشكر حتى خرج في قوله ذلك إلى الكفر والتشبيه الذي يعتقده ، فرد ذلك المعز ع.م عليه ، وتواضع لله ع.ج كما يجب أن يتواضع له ، وعرفه ذلك ليعلم أنه لم يرضه من قوله ، وإن كان عند نفسه إنما قصد به تعظيمه ، ورأى أن ذلك مما يجوز عنده . ثم أمره ع.م بالإنصراف إلى المكان الذي

---

(١) يجيبنا : يهبنا في ب
(٢) فنجبه : فنجود في ب
(٣) لكانت : لكان في ب
(٤) على ذلك : أذلك في ب
(٥) عرفتنا : سقطت في ب
(٦) لوجه : سقطت في جـ
(٧) ووجب : ووحيد في ب

أنزله فيه ، فانصرف . ثم عطف على من كان في المجلس كأنه أطلع على ما كان في قلوبهم ، فقال : لعل بعضكم أنكر ما أطلنا سؤاله عنه من أمرهم مع أهل المشرق ، ولم نرد بذلك منه الحديث والمذاكرة ، ولكني علمت أنه رسول قد لقن ما يقول ، وأوقف عليه ، وعلى ما يجب فيه ، مما قد جعل من أرسله علم أنه سيسأل عنه ، فأتيناه من مكان نعلم أنه لم يتقدم إليه فيه ، ولم يعلم مرسله أن يسأل عنه ، حتى أخذنا من قبله ما تقوم به حجتنا عليه من وجه كذا ، ومن وجه كذا ، وعدد وجوهاً كثيرة ، مما سمعنا جرى بينهما لم ندر أن في ذلك حجة ، حتى ذكره ع . م ، فإذا فيه / حجج وكيدة ، لم تظهر[1] إلى أحد ممن حضر إلاً عند ذكره إياها ، وبيانه لها ، فقبلوا الأرض[2] بين يديه ، وأظهروا السرور بما وهب الله من التأييد له ، وأمده من الحكمة والعلم ، وكان ذلك منه ع . م بعد أن سألهم ما رأوه في مخاطبته إياه في ما خاطبه ، وما توهموه في مراده بذلك ، ولم يكن عند أحد منهم علم من ذلك ، ثم سألهم هل في ما سمعوه من حجة يرون أنها تقوم عليه ، وعلى مرسله ، [فما علم][3] أحد منهم ذلك ، فبعد ذلك قال ما قاله لهم مما ذكرته عنه سلام الله عليه . هذا كله قول القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه ، في ما ثبت وورد عنه . وقال محمد بن هاني المغربي يمدح الإمام المعز لدين الله ع . م ويذكر ورود رسول الروم يتضرعون[4] :

٩٤ /

[ألا طَرَقَتْنا والنّجُومُ رُكُودُ][5]	وفي الحي أيقاظ ونحن هُجُودُ
وقد أعجَلَ الفَجرُ المُلَمَّعُ خَطوَها	وفي أُخرياتِ اللَيْلِ منْهُ عَمودُ
سَرتْ عاطلاً غضْبَى على الدُّرّ وحده	فلَم يدرِ نحر ما دَهاه وجيدُ
فَما برِحتْ إلاّ ومن سِلكِ أدْمُعي	قَلائِدُ في لَبّاتِها ، وعُقُودُ /

٩٥ /

(١) لم تظهر : ظهور في ب
(٢) الأرض : التراب في ب
(٣) فما علم : فاعلم في ب
(٤) ديوان ابن هاني الأندلسي من منشورات صادر ص ٩٦ .
(٥) في النسخة ب ورد هذا المصراع كما يلي : في الصلح الا طرقتنا والنجوم ركود .

ومــا مُغْــزِلٌ أدْمــاءُ دانٍ بَريرُها تَرَبَّــعُ أيْكاً ناعمــاً وتَـرُودُ
بأحْسَنَ منهـا [يوم تقصـر][1] سَوالِفاً تَــرُوغُ إلــى أتْرابِهــا وتَحيدُ
أَلَــمْ يأتِهــا أنــا كَبُرْنــا عن الصِّبَى وأنَــا بَلينــا والزَمــانُ جَديدُ
فليْتَ مَشيبــاً لا يزالُ ولــم أقُلْ بكاظمَــةٍ ليتَ الشّبــابَ يَعودُ
ولــم أرَ مثلــي ما له من تجلُّدٍ ولا كجفونــي ما لهــنّ جُمودُ
ولا كالليالــي ما لهُــنّ مواثِقٌ ولا كالغوانــي ما لهُــنّ عُهود
ولا [كالمُعِز ابنِ الــنبي][2] خليفــةٌ لــه اللهُ بالفضــلِ المبينِ شهيدُ
ومــا لسمــاءٍ أن تُعَــدّ نجومُها إذا عُدّ آبــاءٌ لهُ وجُدود
فأسيافُــهُ تلك العــواري نصولُها إلــى اليوم لم يُعْــرَفْ لهُــنّ غُمود
ومِــنْ خَيْلِــهِ تلك الجوافِــلُ انّهَا إلــى اليوم[3] لم تُحْطَــطْ لهُــنّ لبُودُ

إلى أن قال فيها :

ألا في سبيلِ اللهِ تَبْــذُلُ كلّ مَا تَضِيــنُّ[4] به الأنــواءُ وهْــيَ جُمود
فلا غَرْوَ أنْ أعــزَزْتَ دينَ محمد فأنْــتَ لهُ دونَ الملــوكِ[5] عقيد
وباسمِك [تدعوه الأعــادي][6] فإنّهُمْ يُقــرونَ حَتْمــاً والمُــرادُ جُحود
/٩٦ غَضِبْــتَ له أن ثُلّ بالشــامِ عرشُهُ وعادَكَ من ذكر العواصم عِيــد /
فبِــتّ له دونَ الأنــام مُسَهّداً ونــامَ طَليقٌ خائــنٌ وطريد

يريد بالطليق خليفة بني العباس ، وبالطريد صاحب الأندلس المرواني ، بحيث قال :

---

(١) يوم تقصر : حين نصت في الديوان صفحة ٩٦ .
(٢) كالمعز ابن النبي : كالمعز بن النبي في ب
(٣) اليوم : الآن في ب
(٤) تضن به : تقن بها في ب
(٥) الملوك : الأنام في ب
(٦) تدعوه الأعادي : تدعو الكل المهادي في ب

بِرَغْمِهِــمُ أن أيّدَ الحَــقُّ أهلَهُ ... وان باءَ[1] بالفعــلِ الحمــدِ حميد
فللوحْــيِ فهــمْ جاحِــدٌ ومكذبٌ ... وللــدينِ منهُــمْ كاشِــحٌ وعَنود[2]
[وما سرهــم ما ساء أبنـاءَ][3] قيصرٍ ... وتلك تِراثٌ لم تزَلْ وحُقود
هُمُ بَعـدُوا عنهم علــى قُرْبِ دارهم ... وجَحْفَلُكَ[4] الدّانــي وأنــتَ بَعيد
وقلتُ أنــاسٍ ذا[5] الدمستقُ وشكرَهُ ... إذا جاءهُ بالعفْــوِ منــكَ بَريد
وتقبيلَــهُ التُّــربَ الــذي فوقَ خدّهِ ... [إلــى ذِفْــرَيَيْهِ][6] من ثراه صَعيد
تُنـاجيكَ عنـه الكُتْبُ وهــي ضراعةٌ ... ويأتيك عنــه القــولُ وهــو سجُود
إذا أنــكرت فيهــا التراجِــمُ لفظَةً ... فأدمعُــهُ بينَ السّطــورِ شُهود
ليالــي تَقفـو الرُّسْــلَ رُسْــلٌ خواضع ... وتــأتيكَ من بعــد الوفــود وفود

ويقول فيها :

فليتَ أبــا السبــطين والتــربُ دونَه ... يَرى كيف تُبْــدي حكمَــه وتُعيد
ومَلْــكَكَ ما ضمّــتْ عليه تهائم ... ومَلْــكَكَ ما ضَمّــتْ عليه نجود[7]
/ ٩٧ وأخذَكَ قسراً من بني الأصفر الذي[8] ... تَذبذَبَ كِسرى عنه وهو عنيد /
إذاً لرأى يُمنــاك تخضِــبُ سيفَهُ ... وأنــتَ عن الــدين الحنيف تَذود
شهــدتُ لقــد أُوتيتَ جامــعَ فضْلِهِ ... وأنــتَ علــى علمــي بذاكَ شَهيد
ولو طُلِبَتْ في الغيــث منكَ سجيّةٌ ... لقــد عَزّ موجــودٌ وعــزّ وجُود

---

(١) باء بالفعل : فاء بالفعل في ب
(٢) وعنود : وحسود
(٣) وما سرهم ما ساء أبناء : وما أهم في ب
(٤) وجحفلك : ومجفلك في ب
(٥) ذا : سقطت في جـ
(٦) إلى ذفرييه : الذفرى : العظم خلف الأذن .
(٧) وملكك ما ضمت عليه تهائم ... وملكك ما ضمت عليه نجود
(٨) جاء هذا البيت مضطرباً ناقصاً بعض الكلمات فأصلحناه من الديوان ص ١٠٣ .
(٩) الذي : سقطت في ب

إليك يُقِر المسلِمونَ بأمرِهِمْ   وقد وُتِروا وتْراً وأنتَ مُقيد[1]
وإنّ[2] أمير المؤمنينَ كعهدِهِمْ   وعندَ أمير المؤمنينَ مزيد

ولم يزل ملك الروم يردد رسله وبطارقته إلى أمير المؤمنين ع . م ، ويتضرع بالطافة وهداياه في طلب الهدنة ، وهو [يتوسل إلى] أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م الذي أرسل له كتاباً ألفه في الحجة على النصارى في إثبات ما جحدوه من نبوة محمد (ﷺ) ، وما يشهد بذلك مما في التوراة والإنجيل ، وفي صحف الأنبياء ما لم يعرفه إلاّ أولياء الله ، ولا يؤخذ علمه إلاّ منهم ، وكما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع . م لو ثنيت لي وسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم ، وأهل الإنجيل بإنجيلهم ، ولا شك أن ذلك السيل من ذلك الجبل ، وهل ينبت الخطى إلا الأسل ، ولا يوجد الجواهر إلاّ / في معادنها، ولا يوجد اللجين والعقيان إلا في خزائنها ، ولو ردت الأمة الكتاب إلى الله ، وإلى الرسول لعلموا ، ولو سلموا للطاعة لولاة الأمر من آل محمد لسلموا ، ولكنهم رضوا بالحياة الدنيا عن الآخرة ، وأتوا بالصفقة الخاسرة ، وتوالوا[3] غير العترة الطاهرة ، وقدموا برأيهم الطغاة الجبابرة ، بغير نص من الرسول عليه يعولون ، ولا يرد[4] إلى أهل الذكر الذين هم عن المشكلات يسألون . فتعساً لهم ، ولا يخسرون إلاّ المبطلون .

٩٨/

وبهذا الكتاب الذي أمر به أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م إلى صاحب الروم ، معروفاً موجوداً متاحاً مباحاً لمن أراد الإطلاع عليه الورود . ولما انتهى إلى الأموي صاحب الأندلس أمر الروم ، ومطالبة ملكهم في الصلح ساءه ذلك ، وكثر وجله ، وخاف الوقيعة به . قال القاضي النعمان (رضي)[5] فدس الأموي رسولاً من قبله ، وكتب كتاباً على لسان بعض رجاله إلى بعض رجال أمير المؤمنين ع . م في

---

(١) مقيد : تفيد في ب
(٢) وإن : سقطت في ب
(٣) وتوالوا : وتناولوا في ب
(٤) ولا يرد : ولا يردد في ب
(٥) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ١ ص ٢١٧

٩٩ / المـوادعة / والصـلح ،وكـف الحـرب ، ويذكر ما يتوقع في ذلك من سفك دماء المسلمين ، واشتغال بعضهم ببعض عن غزو المشركين ، وجاء الرسول بالكتاب ، وأدى بلسانه عن الخائن[1] ما لم يرد الكتاب به من طلب الصلح ، والالفة ، وكف الحرب والفتنة ، وذكر الرسول ذلك لأمير المؤمنين ع . م شفاهاً ، فقال له : أما ما تخوفه من الحرب والفتنة[2] وسفك الدماء فما ظهر له منها ما يتخوف منه ذلك ، وما نحن بمن يؤمن منه ، ولكنه[3] بغى علينا من بغى من أهل عمله فانتصرنا بالله[4] فنصرنا الله ، وبلغنا فوق[5] آمالنا فقام وقعد وأبرق وأرعد ، ووالى علينا المشركين الذين رأى الآن اشتغالنا به ، واشتغاله بنا ، داعياً إلى ترك قتالهم ، وجهادهم ، وأن ذلك نقص ووكف على الإسلام ، فهلا رأى ذلك إذ بعث بأموالـه وهـداياه ورسلـه إليهـم ، واستنصر علينـا بهـم ، فكيف رأى الله ع . ج فعـل بهـم ، وبجمعهم ؟ ألم يصرف الجمعين مغلوبين خائبين[6] خاسرين ، ونحن بعـد فما

١٠٠ / رأى منـا إليه حـركة ، فمـا هذا القلق ، وما هذه العجلة ؟ وأمـا / ما دعـا إليه من السلم ، والكف ، والموادعة ، والصلح ، وهو يزعم أنـه أمـير المؤمـنين كما تسمى[7] دون من سلف من آبائه ، وإمام الأمة بدعواه وإنتحاله ، ونحن نقول بأنا أهل ذلك دونه ، ودون من سواه ، ونرى أن الله ع . ج فرض علينا محاربـة من انتحل[8] ذلك دوننا وادعاه ، مع ما بين أسلافنا وأسلافه ومـن مضى في القـديم والحديث من آبائنـا وآبائـه من العـداوة القديمـة الأصـلية والبغضـة في الإسـلام والجاهلية ، وما اعتقدوه[9] لنا في ذلك في الإسلام ، وطالبوا بأنه في قديم الأيام ،

---

(١) الخائن : صاحبه في ب
(٢) والفتنة : سقطت في ب
(٣) ولكنه : ويمكنه في ب
(٤) بالله : سقطت في جـ
(٥) فوق : سقطت في جـ
(٦) خائبين : سقطت في ب
(٧) تسمى : سمانا في ب
(٨) انتحل : إحتال في جـ
(٩) اعتقدوه : عقدوه في ب

من لعن رسول الله (ﷺ) آباءهم ، وقتل من قتله[1] على الكفر والشرك بالله منهم ، وطلبهم بثأرهم ودمائهم ، وطلبنا نحن (إياهم بمن)[2] قتلوه منا كذلك في سلطانهم ، وأيام تغلبهم ، فكيف بالصلح الذي ذكره بعد هذا النبأ الجليل خطره يأبى لنا من ذلك قول الله ع . ج : ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الأَخِرِ يُوَادُّونَ من حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ / وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أو أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[3] ما أنا بالمداهن في دين الله ، ولا بالراكن في المودة إلى أعداء الله ، ولا بالمخادع في أمر من أمور الله إرجع بجوابي هذا إليه ، فما له عندي سواه ، ومالي من الأمر من شيء ، إن الأمر كله لله ، عليه توكلت وإليه أنيب . فإن حركني الله إليه[4] ، وقذف في قلبي حربه وغزوه ، فلا أشك أن الله ع . ج أراد قطع دابره واستئصال[5] شأفته ، وتطهير الأرض من رجسه ، وحسم أيامه ومدته ، وإلا يقذف ذلك في قلبي ، ويصرف إلى من سواه وجهي ، فلأمر هو بالغه فيه ، وإملاء هو محتج به عليه ، ومدة سبقت في علم الله له . قال الله تعالى ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُملي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً ﴾[6] فلينتظر أحد الأمرين ، وليتوقع وجهاً من الوجهين : إما هلاكاً يعجل إصطلامه ، وإما إملاء من الله ع . ح يوفر آثامه ؛ ونحن ننتظر من الله ع . ج إحدى الحُسْنَيَيْن[7] ، ونرجو لنا منه خير الأمرين: إما نصراً / من الله ع . ج يعجله لنا عليه ، فيشفي قلوبنا وقلوب المؤمنين به ، وإما أن يملي له على ما هو عليه من معاصيه ومساويه ومخازيه ، ففي ذلك سرور من رأى عدوه عليه ، فقد كان يقال : حسبك درك أمل من عدوك ، أن تراه عاملاً بمعاصي الله ، جل ذكره ، وذلك أن المعاصي تعجل

١٠١ /

١٠٢ /

---

(١) قتله : قتلاه في ب
(٢) إياهم بمن : عمن في ب
(٣) سورة : ٥٨/ ٢٢
(٤) إليه : به في ب
(٥) واستئصال : إصطلام في ب
(٦) سورة : ٣/ ١٧٨
(٧) الحسنين : الحسنيين في ب

الدمار ؛ وتولج عما قليل عذاب النار .

وصرف أمير المؤمنين ع . م الرسول ، وأمر الذي[1] ورد عليه الكتاب ، أن يجيب عن كتابه جواباً غليظاً[2] ويتواعده فيه ، ففعل ، وانصرف الرسول بالجواب ، والكتاب .

قال القاضي النعمان بن محمد[3] : وجاء الرسول الثاني بكتاب آخر من الأموي ؛ فرفع الكتاب إلى أمير المؤمنين ع . م ، وقربا جميعاً بين يديه ، وفيهما من العوار والفساد ، وسوء التوجيه ، ما قد ذكره القاضي النعمان في المجالس والمسايرات ، وذكر احتجاج أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م على كل فصل منه ، وبين فساده ، وعواره ، وصرف الرسول بلا جواب منه سوى / أن قال للرسول: ١٠٣ / قد قيل الصدق ينبىء[4] عنك ، لا الوعيد.

وكتب المنصور ع . م إلى ملك الروم : إذا نطق السيف سكت القلم . وأمر الذي ورد عليه الكتاب ألا يجيب عنه بحرف ، وانصرف الرسول خائباً ، وأمر بتجهيز[5] الجيوش إلى أرض المغرب ، لتتبع[6] كل من مال إلى بني أمية بالقتل ، واجتياحهم من جديد عن وجه الأرض[7]. وأخرج أمير المؤمنين ع . م قائد القواد عبده جوهر الكاتب في جيوش عظيمة ، فخرج إلى المغرب فاستفتح البلاد ، ونفى أتباع بني أمية والقائلين بإمامتهم عنها ، وكانت في ذلك فتوح عظيمة . وكان أمير المؤمنين ع . م على العزم أن يرسل أساطيل في البحر إلى طرابلس للأندلس لقطع

---

(١) الذي : الثاني في ب
(٢) غليظاً : غلط في ب
(٣) في المجالس والمسايرات جـ ١ ص ٢٣٤ إلى ٢٦٨ أورد القاضي النعمان الكتاب بكامله وهو يتألف من ستة عشر فصلاً .
(٤) ينبىء : يبنى في ب
(٥) بتجهيز : بتهيئة في جـ
(٦) لتتبع : لباع في جـ
(٧) المجالس والمسايرات جـ ١ ص ٢٢٣

دابر بني أمية واستئصال شأفتهم ، إلى أن حصل من الروم ما حصل من الغلبة في حلب والشام ، واستحلّ لهم أهل الإسلام ، وآنصرف عنهم أمير المؤمنين إلى الشام والشرق ، وافتتح مصر والشام، وسنذكر من أخبار / ذلك إذ انتهينا إليه ، ما يعين الله عليه ، وإملاء الله بني أمية الفاسقين ، ومنعهم إلى حين ، حتى استوفوا مدة ما يلي لهم ، ونالوا من الدنيا ما هو في الآخرة أشد وبالاً عليهم ، وسوف يلقون عملهم بما ظلموا به العباد ، وسعوا في الأرض بالفساد ، وذلك كما قال أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م لرسول الأموي وقد ذكرنا قوله . وانتهى جوهر القائد إلى البحر المحيط بالمغرب ، وجاء بهدايا إلى أمير المؤمنين ع . م يجل قدرها ، ويعظم أمرها .

/ ١٠٤

وفي ذلك يقول محمد بن هاني المغربي يمدح أمير المؤمنين المعز لدين الله ، ويذكر هدايا جوهر القائد[١] :

ألا هكذا فليُهْـد مَن قاد عسكراً ... وأوردَ عن رأي الإمـام وأصدَرا
هديّةُ من أعطـى النّصيحـةَ حقّها ... وكانَ بمـا لا يُبصرِ النـاسُ أبصرَا
ألا هكذا فلتُجْلَـب العيس بُدّناً ... ألا هكذا فلتُجنَـبِ الخيلُ ضُمرا
مُرَفّلَـةً يسْحبـنَ أبرادَ[٢] يُمْنَةٍ ... ويركُفْـنَ ديباجـاً وَوَشْياً مُحبَّرا
تَراهُـنَّ أمثـالَ الظبـاءِ عَواطياً ... لَبِسـنَ بنسرين[٣] الـربيعَ المُنَوَّرا
يُمشّـينَ مشي الغـانياتِ تهادياً ... عليهِنَّ زِيُّ الغانياتِ مُشَهَّرا مُشَهَّراً /
وجَـرَّرتَ أذيالَ الحِسـان سوابغاً ... فعلَّمْـنَ فيهـنَّ الحِسـانَ تَبختُرا
فلا يَستُـرنَّ الـوَشيُ حُسـنَ شياتِها ... فيَسْتُـرَ أحلى منـه في العـين منظَرا

/ ١٠٥

وقال منها[٤] :

ألا إنمـا تُهـدَى إلى خـير هاشمٍ ... وأفضِـل منَ يَعلـو جَواداً ومَنبرا

---

(١) ديوان ابن هاني الأندلسي ص ١٤٠
(٢) أبراد : أذيال في ب
(٣) بنسرين : بيبرين في الديوان صفحة ١٤٠ ويعني يبرين : أرض فيها رمل مترامي الأطراف من نواحي البحرين .
(٤) أسقط المؤلف من القصيدة مقدار ستة عشر بيتاً جلها في الوصف والتصوير الجمالي الرائع .

مَنِ استَـنَّ تفضيلَ الجياد لأهلِها ... فأوطاهَــا هامَ العِـدى والنوَّرا

وجلّلَهَــا أســلابَ كل مُنافِقٍ ... وكلٍّ عنيدٍ قد طغــى وتجبَّرا

وقلَّدهــا الياقــوتَ كالجمـرِ أحمراً ... يُضيءُ سَنـاهُ والزُّمُّـردَ أخضرا

فكم نظـمِ قُرطٍ كالثُّـريّا مُعلَّقٍ ... يزيدُ بهــا حُسنـاً إذا ما تمرقرا

وكم أذنٍ من سابـحٍ قد غدتْ بهِ ... يُنــاطُ عليهــا مُلْكُ كِسرى وقيصرا

تحلّى بمــا يستغـرِقُ الدهـرَ قيمةً ... فتختــالُ فيه نخـوةً وتكبُّرا

وانتهى فيها إلى قوله(١) :

ألا إنمّــا كانــت طلائــعُ جوهَرٍ ... ببعضِ الهـدايا كالعُجالِـة للقِرى(٢)

ولـو لم يُعجِّـلْ بعضَهــا دون بعضِها ... لضــاقَ الثَّـرى والماءُ طُرْقــاً ومعبَرا

أقــولُ لِصَحْبــي إذ تلقَّيْتُ رُسْلَهُ ... وقد غصَّـتِ البَيداءُ(٣) خُفَّـاً ومَنسِرا(٤)

/١٠٦ وقـد مارَت البُـذلُ القنــاعيسُ أجيُلاً ... وقدماجَتِ الجُرْدُ العناجيجُ أبحُـرا /

فطابَــتْ لِيَ الأنبــاءُ عنــهُ كأنّهُ ... لَطائــمُ إبْـلٍ تحمـلُ المِســكَ أذفَرا

لَعمــري لئــن زانَ الخلافــةَ ناطِقاً ... لقــد زانَ أيّامَ الحـروبِ مُدبِّرا

تَضِـجُّ القَنَــا منْــهُ لمَا جشَّـمَ القَنَا ... وتَضرّعُ منــه الخيلُ والليل والسُّرَى

هو الرمحُ فاطعَنْ كيفَ شئـت بصدره ... فلن يَســأمَ الهَيجــا ولن يتكسَّرا

لقـد أنجبَتْ منــه الكتائــبُ مِدْرَهاً ... سريعَ الخُطـى للصّالحـاتِ مُيسرا

وصرَّفَ منــه الملكُ ما شاء صارماً ... وســهماً وخَـطّيّاً ودِرعــاً(٥) ومِغفرا

ولـم أجـد الإنســانَ إلاّ ابــنَ سعيهِ ... فمـن كان أسعـى كان بالمجـد أجدرا

وبالهِمَّــةِ(٦) العلياءِ يُرقــى إلى العلى ... فمـن كان أرقـى(٧) هِمَّــةً كان أظهرا

---

(١) أسقط المؤلف من أصل القصيدة مقدار ثمانية أبيات .
(٢) للقرى : للفرا في ب
(٣) البيداء : الصحراء في جـ
(٤) ومنسرا : ومشغرا في جـ
(٥) ودرعاً : وسرعاً في ب
(٦) وبالهمة : وبالقمة في ب
(٧) أرقى : أعلى في ب

ولـــم يَتأخَّـــرْ مَن أراد تقدُّماً	ولـــم يَتقَــدَّمْ من أراد تأخُّرا
ومـا كانـتِ القـوّادُ من قبـلِ جوهرٍ	لَتَصْلَـحُ أن تسعَـى لِتخـدمَ جوهرا
على أنهـم كانـوا كواكبَ عصرهم	ولـكن رأينـا الشـمسَ أبهـى وأنوَرا
فلا يُعـــدِمَنَّ اللهُ عبـدَكَ نَصرَه	فما زالَ منصـورَ اليَدين مُظفَّرا
إذا حاربــتْ عنــهُ الملائـكةُ العِدى	مــلأنَ سماءَ الله باسمـكَ مُشعَرا
وما اخترْتَه حتى صفـا ونقى القَذى	بـلِ اللهُ في أُمِّ الكتـابِ تخيَّرا
١٠٧ / ووكَّلْتَـهُ بالجيش والأمْـرِ كلِّهِ	فوكَّلت بالفيلِ الهِزَبَر الغـضنَفـرا /

قال القاضي القضاعي (ر . ح)[١] : وأصل جوهر رومـي جاء به خادم يعرف بضامن ، وانتقل من ضامن إلى خيزران ، ومنه إلى حفيف ، وحمله حفيف إلى الإمام المنصور بالله ع . م ، فعلا ذكره معه ، وسايره في غزواته ، وكان كاتبه وكاتب أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، ثم انتهى به الحال إلى أن بلغ مع المعز لدين الله سلام الله عليه الرتبة الجليلة ، والمنزلة السنية ، وآخى بينه وبين جوذر ، وقرن بينهما لفضلهما ، ودينهما ، وأمانتهما ، ومودتهما للأئمة ع . م ونصيحتهما ، وجعل جوهر قائد القواد ، وسيره في عساكره ، وأمراء جنوده ، واستفتح البلاد ، وجرى في خدمة الأئمة ع . م على الصلاح والرشاد السداد ، وثـار ابـن واسـول واستولى[٢] على سجلماسة ، وخلع طاعة الأئمة ، وتسمى بالشاكر لله . ولـكن[٣] أمير المؤمنين القائم بأمر الله ع . م قد أمكنه الله منه بعد أن كان قد تغلب ، وأتى به أسيراً ، فأمر باعتقاله ، فاعتقل بالمهدية باقي مدة القائم بأمـر الله ، ثم مَنَّ عليه المنصور بالله ع . م وأطلق سبيله ، فعاد إلى تغلبه وفسقه ، وخلع طاعة الأئمة من ١٠٨ / عنقه ، ودعـا إلى بنـي أمية (لـع) / وأظهـر لعنـه الله لعـن الأئمـة على منبره ، وكان من رأي أمير المؤمنين إخراج عسكر إلى سجلماسة ، ثم إلى فاس ، والطريق

(١) حاولنا بقدر الإماكن معرفة القليل عن هذا القاضي فلم نوفق .
(٢) واستولى : سقطت في ب
(٣) ولكن : سقطت في ب

فيه [الشقاء ، والبعدن][1] والإنقطاع ، والمخافات على ما يعظم في صدور الناس أمره ، ويتهيبون سلوكه ، واقتحامه ، فأمر أمير المؤمنين ع . م أن يندب إلى ذلك من سارع [2] إليه من شبان كتامة طائعاً ، فلم تمض أيام حتى أتاه منهم من العدد فوق ما أراده ، مسارعين [3] إلى ذلك فرحب بهم ، وأوسع لهم العطاء ، وأجزل لهم الحباء ، وقدم عليهم أبا الحسين جوهر غلامه ، وغلام الإمام المنصور بالله ع . م ، وجعلهم تحت رايته ، وفي جماعته .

قال القاضي النعمان بن محمد (رضي) [4] : ولما أراد الخروج حضر الشيوخ من كتامة ، وحضرت معهم مجلس أمير المؤمنين ع . م ، فذكر مسارعته من سارع منهم إلى الخروج في ذلك الجيش ، وأنه كان فيما تقدم يتهول سلوك ما ندبهم إليه دون تعاطي الخروج إليه ، [وذكر ع . م شقاقهم قبل ذلك مما هو دون ذلك][5] ، ثم قال ع . م : وهذا الذي كنت ذكرته لكم في غير مجلس / ومقام إني لو ندبت من عَيّيْت[6] أن أندبه منكم لوجدت فيه ما أريده ، ثم أذن لمن سارع منهم إلى الخروج فدخلوا عليه فوجاً فوجاً ، وغص القصر بهم ، فأثنى عليهم خيراً ، وقال لهم قولاً جميلاً طويلاً ، كان فيما حفظت منه ، أن قال لهم : بارك الله فيكم ، وأحسن صحابتكم ، والخلافة عليكم ، فقد صدقتم ظني فيكم ، وأملي عندكم ، وأنتم من معدن البركة [والنصر بكم بدا][7] لله إظهار أمرنا ، وبكم يتمه ويصله بحوله وقوته . وقد علمت مسارعتكم إلى ما ندبتم إليه ، وإجابتكم لما أردتم له[8] وأرجو أن تبلغوا من ذلك بحسب الأمل فيكم ، ويرفع الله ع . ج

١٠٩ /

(١) الشقاء والبعد : الشقار والبعة في ب
(٢) سارع : سراعاً في جـ
(٣) مسارعين : سراعين في جـ
(٤) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ١٨
(٥) وذكر ع . م شقاقهم قبل ذلك مما هو دون ذلك : وتثاقلهم قبل ذلك عزماً هو دونه في ب
(٦) عييت : حيث في ب
(٧) والنصر بكم بدا : وعنصر الخير بكم في ب
(٨) له : سقطت في ب

بذلك درجاتكم ، ويعلي ذكركم ، أنتم البنون والأخوة ، والأقربون ما يعدلكم عندي أحد ، وما يبلغ مبلغكم من قلبي بشر ، وما ذلك إلاَّ [لما لي في][1] قلوبكم ما نصر الله ولياً من أوليائه قبلنا بمثل نصرتكم لنا ، على ذلك مضى أولكم ، وعليه أنتم على نصرتنا [ومحبتنا وولايتنا][2] وموالاتنا تتناسلون . وتنشؤون ، وبها غذيتم ، وعليها فطرتم فأبشروا بما قسم الله ع . ج من الفضل لكم ، فأنتم حزب الله ع . ج وأنصاره ، وجنده ، وأحباؤه .

/١١٠ والله / ما أردت بهذا البعث الذي بعثتكم فيه [شراً سندفعه][3] ولا دفع مكروه إخافة ، ولا استكثاراً من دنيا أصيبه ، أما المكروه فقد علم الخاص والعام ، والقريب والبعيد ، أن غاية أماني من حولنا من أهل الأرض المتغلبين ممن دان بملة[4] الإسلام ، والمشركين إن سلموا[5] منا وتعافوا[6] من بأسنا ، وما أحد منهم أمسى ، وصبح اليوم بحمد الله تعالى يطمع في شيء مما عندنا ، وما اكتساب حطام الدنيا فهذا نحن ننفق[7] من أموالنا على هذا البعث ، ما لا نرى أنا نرجع مثله ، وإن مكننا الله ونصرنا وأيدنا ، ولكنا أردنا بذلك وجوهاً منها ما افترضه الله ع . ج علينا من جهاد من خالف أمرنا ، وتسمى بأسمائنا ، [وأدعى ما جعل][8] الله لنا ؛ ومنها أن الله ع . ج قد امتحن عباده بالجهاد في سبيله معنا ، فنحن نندبهم إليه ليعلم المجاهدين منكم ، والصابرين وليرفع الله به درجاتهم ، ويجزل ثوابهم ، وينقل حالاتهم ، فكم منكم اليوم من ينفذ[9] في هذا الجيش تابعاً يعود

---

(١) لما لي في : لما في في ب
(٢) ومحبتنا وولايتنا : سقطت في ب
(٣) شراً سندفعه : نشراً ندفعه في ب
(٤) بملة : بميله في ب
(٥) سلموا : يسلم في ب
(٦) وتعافوا : وعافوا في جـ
(٧) ننفق : نتفق في ب
(٨) وأدعى ما جعل : وأدعوا ما جعله في ب
(٩) ينفذ : وقف في ب

/١١١ متبوعاً، / ومرؤوساً يصير رئيساً ، إنما ترفعكم عندنا وعند ربكم نياتكم ، وأعمالكم بها تتوسلون إلينا ، وإلى باريكم[١] لولا السنة التي أمر الله ع . ج باتباعها التي لا يصلح العباد إلاَّ بها ما قدمت عليكم أحداً منكم ، ولا من غيركم ، إذ كل واحد منكم عندي يستحق أن يكون المقدم ، ولكن لا يصلح الناس إلا برئيس ، وقد قدمت عليكم من قد علمتموه يعني جوهراً ـ أقمته فيكم مقام نفسي ، وجعلته معكم كأذني وعيني ، وكل[٢] امرىءٍ منكم على نفسه بصيرة،وقد أمرت لكم بأجزل عطاء أعطيته من قبلكم إلى أبعد من مسافتكم ، وقد علمتم أنه لم يعط من قبلكم أحد قبلي مثل ما أعطيتكم ، ولا استكثرت لكم ذلك بل استقله لأقلكم ، والذي لكم عند الله وعند في الذي تستقبلونه أجل وأكبر ، فسيروا على بركة الله ويمنه ، وسعادته ، ونصره ، وتأييده ، كونوا عندما رجوتكم له من العناء[٣] والكفاية ، وصلاح الحال بينكم ، أحسنوا عشرة بعضكم لبعض ،
/١١٢ وعشرة من تصحبونه من غيركم ، وأنزلوا من ينفذ / معكم من عبيدي منازل إخواتكم وأبنائكم ،[٤] واجمعوا معهم كلمتكم فهم لكم عضد ولحمة ، وموالاتي تجمعكم وإياهم فلا تجعلوا بينكم وبينهم فرقاً ، أحسن الله لكم الصحابة ، وعليكم الخلافة . فقبلوا الأرض مراراً بين يديه ، وشكروا ما كان منه ، ووعدوا من أنفسهم الوفاء بما أمرهم به ، و (غلب عليهم)[٥] من السرور بما سمعوا منه ما ظهر فيهم ، وتبين على وجوههم ، ثم أمر بإدخال من نفذ في ذلك[٦] الجيش من الحضرة من قبائل البربر ممن كانوا قد دخلوا في الفتنة ، وأنابوا بعد المقدرة عليهم إليه ، فقبلهم وعفا عنهم ، كبني كملان ، وغيرهم ، وقد سارعوا أيضاً إلى الخروج ، فلما صاروا بين يديه ع . م قبلوا الأرض ، ووقفوا .

---

(١) باريكم : ربكم في ب
(٢) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٢٢ .
(٣) العناء : الغنى في ب
(٤) وابنائكم : سقطت في جـ
(٥) غلب عليهم : غلبهم في ب
(٦) ذلك : سقطت في ب

فقال بعض من حضر من مشايخ كتامة :[1] هؤلاء يا مولانا ممن قال الله ع .ج عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة . قال : نعم ، قد فعل الله ذلك بهم ، لما سبق لهم عنده من السعادة ، ففازوا بالولاية / بعد العداوة ، وبالهدى بعد الضلالة ، وبالنصرة بعد القطيعة ، والمنابذة لنا ، والمحاربة ، فتوبتهم مقبولة ، وذنوبهم إنشاء الله تعالى مغفورة ، فقبلوا الأرض بين يديه ، واعترفوا بنعمته ، وشكروا فضله ، وعفوه . فقال : كم يسارع منكم إلى الخروج في هذا العسكر المنصور ؟ فقالوا : كلنا يا مولانا نسارع إليه ، فمن قبلته فهو السعيد . قال : بارك الله فيكم ووفقكم ، وأنا أنظر إنشاء الله تعالى في ما يصلحكم . ودخل العبيد فأوصاهم بمثل ما أوصى به الأولياء ، وأمرهم بأن يكونوا لهم أخوة ، ومعهم الفة ، وودعوا ، وخرجوا .

١١٣ /

ولما سار أبو الحسن القائد جوهر الكاتب بمن معه من عساكر أمير المؤمنين ، وجنوده في سنة سبع وأربعين وثلاثمائة تقدم إلى أهل سجلماسة من قبل أن يحل بهم بمدة بكتب منه بالتحذير لهم ، وأوعز إليهم في القبض على إبن واسول[2] ، وأنهم إن فعلوا ذلك أمنهم وأحسن إليهم ، وعفا عن ذنوبهم التي اقترفوها بطاعته ، على ما ارتكبه من عظيم جرمه ، والقائهم بأيديهم / إليه ، فلم يفعلوا.

١١٤ /

ولما قرب العسكر منه خرج من مدينة سجلماسة هارباً بنفسه ، فلقيه نفر من أهل المدينة فأخذوه ، وأتوا به إلى القائد فعاتب القائد أهل سجلماسة في تركه ، ثم رأى الصفح عنهم ، وولى عليهم والياً منهم ، وانصرف بجميع عساكر أمير المؤمنين إلى مدينة فاس ، فقتل جوهر في طريقه يعلى بن محمد الزناتي[3] في أفكان ،

---

(١) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ٢ ص (٢٣ - ٢٤)

(٢) ابن واسول : هو محمد بن الفتح والي سجلماسة قبض عليه جوهر وهو يحاول الهرب بعد مهاجمة سجلماسة من قبله .

(٣) يعلى بن محمد الزناتي والي الفاطميين على بلاد تاهرت إنضم إلى الأموي في الأندلس ، و انحرف عن الفاطميين ، فقبض عليه وعلى أبنائه القائد جوهر وهدم حاصرة ولايته . ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ١٨٩ .

ومضى إلى فاس ، وكان صاحب فاس تسمى بالإمام ، وجعل على قصره مظلة ينصبها علامة لجلوسه ، وترفع إذا قام ، فلما صار القائد بذلك الصقع الذي فيه أحمد بن بكر[1] صاحب مدينة فاس الخالع لطاعة الأئمة ع . م من عنقه ، الداعي إلى بني أمية ، فأجاب وأناب كل من في ذلك الصقع ، وفاؤوا إلى الطاعة ، سوى أحمد بن بكر ، فإنه أصر وتمادى على غيه ، وأحاطت العساكر بمدينة فاس ، فطال عليها الحصار ، وامتد الأمر ، وكاد الناس أن يغلبهم اليأس لطول إقامة الجيوش عليها ، وهرب من هرب من العساكر عنها .

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه[2] : قال المعز لدين الله ع . م يوماً وقد ذكر أحمد بن بكر وهو في هذه الحال يعني الحصار / لقد رأيت ١١٥ / البارحة عدو الله وكأني أتيت به ، فأمرت بقتله ، فجعل يسترحمني ، فقلت : والله لو وجدتك تحت أستار الكعبة لما أفلتك ولقتلتك ، فجعل يراجعني كالمحتج عليّ في قولي هذا ، ويقول : وما يوجب قتلي تحت أستار الكعبة ؟ فقلت : أقل ما يوجبه مراجعتك إياي هذه ، فاسمع قائلاً يقول من خلفي[3] ولم أره أحسنت ، والله أصبت ، أصاب الله بك المراشد ، أي والله لمراجعته إياك هذه توجب[4] قتله لعنه الله ، فالتفت فإذا الذي يقول ذلك المنصور بالله ع . م . قال القاضي : فلم يكن بين هذا اليوم الذي حدثنا بهذا الحديث فيه وبين اليوم الذي فتح الله فيه فاس عليه وأقدره على اللعين ابن بكر ، وأخذه أسيراً ، إلاَّ أقل من عشرة أيام . قال[5] : فسمعت أمير المؤمنين ع . م وقد أتاه فتح مدينة فاس بعد أن كان أكثر الناس يئسوا من ذلك لطول إقامة الجيش عليها ، وهروب من هرب منهم عنها ، وقوة أهلها ،

---

(١) أحمد بن أبي بكر بن سهل الجذامي ، استولى على بلاد فاس وانضوى تحت لواء الأموي الناصر وخلع طاعة الفاطميين ، ولم يتمكن القائد جوهر من احتلال فاس إلا بعد أن استولى على سجلماسة . العبر لابن خلدون جـ ٤ ص ٤٦ .

(٢) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص (٢١٢ - ٢١٣)

(٣) خلفي : خلافي في ب

(٤) توجب : تجاوب في ب

(٥) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٣٨٥ .

وكثرة الأطعمة فيها ، ووعر خنادقها ، وحصنها . قال الحسن بن جعفر الأنصاري في تاريخه : وكانت في فاس حروب وملاحم ، وحصار إحدى عشر شهراً من ظاهر السور ، ومات في الحصار أحمد بن بكر ، وبقي ولده محمد بن أحمد بن بكر ، ومحمد بن واسول ، فأسرا جميعاً .

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه[1] : فقال المعز حين بلغه فتحها هذا من قول الله ع.ج من قائل : ﴿ حتَّى إذا/ ، إستَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنّوْاْ أنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جاءَهُمْ نَصرُنَا ﴾[2] والله ما استيأس الرسل من فضل الله عليهم ونصره إياهم ، ولكنهم استيأسوا ممن خذلهم ، ولم يقم بواجب حق الله ع . ج الذي إفترضه في جهاد عدوهم ، فقطعوا من الخلق رجاءهم ووصلوه بالله ربهم ، فأتاهم نصره الذي به وعدهم . قال : وكان المعز ع . م كلما ورد عليه من أمر فاس هذه أمر يئس معه من سمعه من فتحها فيقول ونحن نسمعه من غير موطن إذا أتى مثل هذا ، ما أتوكل في أمرها ، وكل أموري إلاّ على الله [لا شريك له][3] ولا أرجو غيره ، وإني لواثق[4] بفضله ، ونصره . ثم قال لما أتاه الفتح : والله[5] إني لربما أريد أن اسأل الله ع . ج في الزيادة من فضله في ما يكون من مثل هذا فاستحي أن أسأله ذلك لكثرة ما أولاني منه ، له الحمد لا شريك له ، وإني[6] لربما سألت الله ع . ج طول البقاء[7] لعدوي ليخزيه الله بذنوبه ، ويرى ويسمع من صنع الله ع . ج عندي ما يبكيه ، ويؤلمه . ثم قال : أتدرون ما أردته بالكتاب الذي كتبته منذ قريب لأهل فاس هؤلاء الأشقياء ؟ وقد كان كتب لهم[8] كتاباً بالأمان ، إن

/ ١١٦

---

(١) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٣٨٥ .
(٢) سورة : ١٢/ ١١٠
(٣) لا شريك له : سقطت في ب
(٤) لواثق : موافق في ب
(٥) والله : سقطت في ب
(٦) وإني : والتي في جـ
(٧) البقاء : البغي في ب
(٨) لهم : إليه في جـ

أنابوا ، وعرفنا به . فلما انتهى إليهم ، رموه فلم يقبلوه ! قلنا : الله ووليه أعلم ! قال : والله إن أردت بذلك إلاّ هلاكهم بإقامة حق الله عليهم ، وإلا فقد علمت أنهم متى جاءهم وهم يرون / أنهم في قوة، ويرون عساكرنا قد سئمت من المقام عليهم ، وانحل بعضها عنهم ، وجاءهم مثل هذا من عندي أنهم يدفعونه ، فأردت أن أجعله ككتاب رسول الله ع . م [إلى صاحب فارس إذ أتاه فمزق الله ملكه ، وككتاب المنصور ع . م][1] إلى مخلد اللعين وأصحابه وقد حاصرهم بقلعة كيانة ، إذ كتب إليهم بالأمان ، فردوا كتابه ، فأمكنه الله تعالى منهم في أقرب وقت ، وكذلك أردت بكتابي الذي رأيتموه ، وقد كان كما أردت ذلك بحمد الله تعالى ، ونعمته ثم حمد الله ع . ج بما هو أهله ، وشكر فضله ، بما قدر عليه ، وأمكنه [2] .

117 /

قال : ولما قرب وصول الجيش من المغرب إلى الحضرة أمر الإمام المعز لدين الله ع . م لابن واسول وابن بكر بعمل عجلتين ليكون كل واحد منهما على واحدة تجربه في حين النداء عليه ، وذلك ما لم يعلم أنه سبق إليه ، ولا رآه أحد ، وجعل يصفهما للنجارين فقال : يجعل سطح من ألواح على خشب مصلبة ، وترفع على أربع فلك ، ويبنى عليه برج من ألواح واسع الأسفل ، ضيق الأعلى ، يكون طوله عشرة أذرع ، ويكون في أسفله قفص من خشب وثيق له من خلفه باب يدخل فيه أسد ويغلق ، وله سقف فوقه تابوت من البرج له باب يفتح ويغلق ، وفيه شباك

---

(1) سقطت الكلمات المحصورة من كلا النسختين فأخذناها من كتاب المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٣٨٧ .

(2) ويقول السلاوي : رجع جوهر بعد أن دوخ البلاد وأثخن فيها ، وقتل حماتها ، وقطع دعوة المروانيين فيها ، وردها إلى العبيديين ، فخطب لهم على جميع منابر المغرب ، وانتهى إلى المهدية ، دار المعز لدين الله ، وقد حمل معه أحمد بن أبي بكر أمير فاس وخمسة عشر من أشياخها ، وحمل أيضاً محمد بن أبي الفتح أمير سجلماسة ، ودخل بهم أسارى بين يديه في أقفاص من خشب على ظهور الجمال ، وجعل على رؤوسهم قلانس من لبد مستطيلة ، منبتة بالقرون ؛ فطيف بهم في بلاد افريقية وأسواق القيروان ، ثم ردوا إلى المهدية ، وحبسوا بها حتى ماتوا في سجنها ، الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى جـ ١ ص ٨٦ ـ ٨٧ .

يسير مقدار ما يدخل منه الضوء ، وفي وسط القفص خشبة عظيمة كصاري المركب ، في أسفلها مرود على سطح السرير يخرج من وسط سقف القفص ، وسقف التابوت الذي فوقه ، ويظهر على سقفه منها مثل قامة وعلى رأسها سرير بمقدار ما يجلس فيه الجالس ، / حوله حاجز من شباك مخروط يمنع من السقوط عليه وليكن في التابوت رجلان لا يريان ، وفي الخشبة معهما وتدان فيها يديرانها فيدور السرير الأعلى بمن يكون عليه ، ليرى كل من حوله وجهه ، ولا يعلمون بما يديره . قال : فتعجبنا لذلك لما عمل ، ورأيناه كيف اخترع ذلك ، واهتدى إليه ع . م ، فقال ع . م : رأيته فيما يرى النائم قبل أخذ هذين الفاسقين بمدة ، فجعلت أنظر إليه كما هو الآن بين يدي ، وأقلبه ، وأقول : ما هذا ؟ فيقال لي[1] : هذا يكون ينادي على أعدائك عليه ، ففهمت صورته ، وعملته على ذلك . قال : ولما قفل الجيش المنصور من أرض المغرب بعد أن أظفر الله ع . ج وليه بابن واسول المدعي الإمامة ، وابن بكر الناكث المتغلب بفاس ، وفتحها الله ع . ج على وليه ، وما والاها من أرض المغرب ، في سنة ثماني وأربعين وثلثمائة ، وكانت غيبة القائد جوهر إلى أن رجع إثنان وثلاثون شهراً .

١١٨ /

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه[2] : وأخذ القائد أبناء جميع وجوه أهل المغرب ورؤسائه رهائن عنده ، وقدم بهم ، وبكل وجه كان بذلك الصقع ممن يطاع له ، ويخاف جانبه ، وجاء فيهم بجماعة [من الذين تناسلوا هنالك من الحسينيين][3] ولد أدريس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقد قدمنا من خبره . وكانوا قد تآمروا في القبائل وادعوا الملك ، فلما وصلوا إلى حضرة أمير المؤمنين أمر بإنزالهم ، وكساهم ، ووصلهم ، / وحملهم ، وأجرى عليهم النزول الواسع ، فأقاموا على ذلك مدة ، ثم مَنَّ عليهم بتسريحهم ، وإطلاقهم إلى

١١٩ /

(١) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٢٧٣ .
(٢) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ. ٢ ص ٣٧٤ .
(٣) من الذين تناسلوا هنالك من الحسينيين : سقطت في ب .

بلدانهم وأهلهم ، وأمر لهم بصلات وخلع وحملان ، وبعث[1] معهم إلى [آبائهم و][2] أكابر أهلهم بكساء ، وصلات ، وسروج مغرقة ، وأمر بإدخالهم حين خروجهم ليودعوه ، فصفوا بين يديه ، وأدنى الحسينيين منهم ،وأمرهم بالجلوس ، ثم قال ع . م للجميع : قد علمتم ما كان من إحساننا إليكم ، وفضلنا عليكم ، وعفونا وصفحنا عن ما سلف من أموركم ، وقد سرحناكم لما اتصل بنا[3] من شهوتكم ، ومن خلفتموه وراءكم في سراحكم ، وشوق بعضكم لبعض ، فآثرنا إسعافكم بذلك ، والمن به عليكم ، فاعرفوا ذلك وتلقوه بالشكر وحميد السعي ، وحسن الطاعة ، تتعرفوا منا المزيد عندكم ، ويتصل فضلنا لديكم ، ومعروفنا عندكم ، وليعلم من أدلى إلينا بالنسب منكم أن ذلك إنما يتوسل به من اعتصم بالطاعة ، وتمسك بها ، فأما من عصى أولياء الله وخالفهم ، فقد انقطع نسبة منهم ، كما قطع الله ع . ج نسب إبن نوح منه لما عصاه ، ولولا أن الله ع . ج افترض الطاعة لنا على كافة خلقه وقرنها بطاعته وطاعة رسوله ، وجعلها ديناً تعبد العباد به ، وأقامنا لإقامة دينه ، لما عبأنا بمن أطاع منكم ، ولا من عصى ، ولكننا إنما نريد بذلك إقامة ما أمرنا الله ع . ج به، / من إقامة دينه ، ولو أن هذا الفاسق ابن بكر أطاعنا ما بخلنا[4] عليه بفاس ، وما هو أعظم منها ، وما لذلك عندنا ولا للدنيا بأسرها[5] من خطب نبتغيه ممن تغلب ، ولا نقيم أنفسنا لمحاربته ، لولا ما افترض الله ع . ج علينا من ذلك ، فاستخدمنا له ، ولو سلم ذلك[6] إلينا الفاسق ، ومن تمسك به ، وأطاعه على معصيتنا ، لما عرضوا أنفسهم للهلاك[7] ،

١٢٠ /

(١) وبعث : وجوز في ب
(٢) آبائهم و : سقطت في جـ
(٣) بنا : بربنا في ب
(٤) نسبه : نساب في ب
(٥) ما بخلنا : ما خللنا في ب
(٦) بأسرها : بسرها في ب
(٧) ذلك : سقطت في جـ
(٨) للهلاك : للتلاف في ب

وحرمتهم للإنتهاك ، وإن كان ما جبلنا الله ع . ج عليه من الصفح والرحمة ، منعنا من انتهاكهم ، وقد عرضوها للإنتهاك ، ومن سفك دمائهم ، وهلاكهم عن آخرهم ، وقد استهدفوا بها للسفك ، وبأنفسهم للهلاك ، ولكنا عفونا عند القدرة ،وصفحنا بما جبلنا الله ع . ج عليه من الصفح والرحمة ، وأبقينا على من بقي منهم ، وقد قدرنا الله ع . ج عليه من جميعهم ، وصنا حرمهم ، وعففنا عن دمائهم ، وما لهذا الفاسق الذي قدرنا الله ع . ج عليه بعد الذي كان منه من الحرب والمناصبة بعد عفونا قديماً عنه ، وإحساننا إليه من المقدار ما يوجب عقلته[1] وإبقاءه إلاً لما أردنا أن يديم الله ع . ج به حسرته ، من كونه في الأسر ، ونظره إلى فضل الله ع . ح علينا ، وعلى من حملناه إياه ممن رأينا المن عليه ، والإحسان إليه منكم ، ومن أمثالكم ممن أثر طاعتنا ، والتسليم لأمرنا [وأناب إلينا ولم يصر على معصيتنا فيعلم أن الله ع .ج لو أراد به خير الوفقة][2]/ إلى ذلك ، وقدره ١٢١ / له فنال من فضلنا وإحساننا ما قد نال غيره ، ففي ذلك ما ينكي الله ع . ج صدره ، ويديم حسرته ، وأسفه ، فينال من أليم عذابه [جل ثناءه في دنياه صدرا مما أعده له قبل مصيره إلى عذابه][3] الدائم ، والخلود في خزيه اللازم ، وإنا وار ما نبتغي من طاعتكم لنا ، وتسليمكم [لأمركم لأمرنا][4] وإنابة غيركم إلينا عزاً[5] إلى عزنا نستفيده ، ولا عرضاً من أعراض الدنيا نستزيده ، ولقد خولنا الله ع . ج من ذلك ، وملكنا وأعطانا بفضله علينا ، وإحسانه إلينا ، ما لا نتعاطى أن نقوم بشكره ، ولا تمتد أعيننا إلى غيره ، استقلالاً لما خولنا الله ع . ج وأعطانا من جزيله ، وكرائمه ، وأفضل علائقه ، وأعزنا به من عز سلطان حقه ، وأمجدنا من مجد شرف دينه ، وما وصل من أسبابنا بأسباب جدنا محمد نبيه (ﷺ) : وإن جعلنا

---

(١) عقلته : عقاله في ب

(٢) سقطت الكلمات المحصورة من النسخة ب و جـ فأخذناها من المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٣٧٧ .

(٣) سقطت الكلمات المحصورة في ب .

(٤) لأمركم لأمرنا : لأمرنا بينكم في ب .

(٥) عزاً : هذا في ب

أئمة خلقه الذين لا يقبل إلاّ من أقبل عليهم، ولا يرتضي إلاّ من ارتضاهم، فما بعد ما عندنا من فضل الله ونعمته فضل نعمة ينبغي أن [نتناولها من][1] أحد من عباده ، ولا فوق ما أعطانا من الشرف والمنزلة ما نؤمل أن يرتقي إليه بشيء نستزيده من قبل أحد من خلقه ، بل قد أحوج الله ع .ج جميع العباد إلينا ، ديناً ، ودنيا ، وله الحمد على ما خولنا وأعطانا ، ومَنّ به علينا ، ولكننا ندأب أنفسنا وأبداننا ، ونستعمل / أولياءنا ، وننفق أموالنا ، في ما استعملنا الله ع.ج فيه ، ‏/١٢٢ واستخدمنا له ، وأمرنا بإقامته من معالم دينه ، الذب عنه ، وإقامة شرائعه ، وإحياء ما أماته المبطلون من سننه ، وأحكامه ، فنحن ندعو من أناب إلى ذلك ، ونحضهم عليه ، ونجاهد من عند ذلك وصدف عنا فيه ؛ فاعلموا ذلك منا واعرفوه من تصيروا إليه ، وانكم لن تعدموا فضلاً من الله ومنا ما اعتصمتم بحبلنا وتوليتمونا ، ولن تفوتوا الله ع . ج وتفوتونا إن صدفتم عن أمرنا ، وأصغيتم إلى عدونا ، فيد الله العليا عليكم وعليهم ، وأيدينا ، وعلى من عصانا وصدف عن أمرنا ، [وعداً وعدنا][2] إياه في كتابه ، وواجبنا أوجبه لنا تبارك وتعالى في إيجابه إلى من عسى أن يميلوا عنا ، ومن يستبدلون بنا ، دعوة من يأثرون على دعوتنا ، وهي دعوة جدنا محمد (ﷺ) ، وطواغيت بني أمية الذين مال نحوهم ، ودعا إليهم ، وأصغى إلى باطلهم ، هذا النذل ابن بكر [واستبدلهم بنا هم][3] عدو جدنا محمد (ﷺ) وحربه ولعنائه ، وطردائه ، وحزب الشيطان وجنوده ، ونحن حزب الله وحزبه كما وعد الغالبون ، وحزب رسول الله وذريته المتطهرون[4] ‏/١٢٣ / والله ما ثبت أنفسهم الخسيسة ولا تتعاطى مقاومة فضلنا ، ولا ينكرون وإن أيدوا ما أيدوه من محاربتنا ، ومعاداتنا حقنا ، وأن قلوبهم لتخافنا ، وجلودهم لتقشعر منا ، ولو قرب جلد ميت منهم إلى جلد ميت منا لاقشعر منه ، كما قد قيل

(١) نتناولها من : يتناولها في جـ
(٢) وعداً وعدنا : ومواعدونا في ب
(٣) واستبدلهم بنا هم : هم في ب
(٤) المتطهرون : المطهرون في ب

إن ذلك يعتري جلود بعض الحيوان إذا قرب من جلود بعض السباع ، والذي جعله الله ع . ج لنا[1] من الهيبة في صدور عدونا ، والخوف لهو أشد مما جعله الله ع . ج في قلوب الحيوان للسباع لا محالة ، فمن ذا يعدلنا بالأرجاس بني أمية ، ومن هو في مثل حالهم إلاّ من أعمى الله ع . ج قلبه ، وغلبت عليه شقوته وجبنه ، فاعرفوا فضل ما وفقكم الله سبحانه إليه ، وحباكم به ، وقوموا بفرضه واشكروه على ما وهبكم منه ، ومنّ عليكم من رضانا به ، تستديموا[2] بذلك نعمته ، وتستزيدوا فضله ، أما أني لم أقل ما قلته في نفسي تكبراً ، ولا وصفت ما وصفته من فضل الله ع . ج عندي فخراً ، بل قلت ذلك اعترافاً بفضله عليّ ، وشكراً لنعمته ، وأنا أقل عباده عند نفسي ، تواضعاً لعظمته ، وأذلهم لديها تذللاً وخضوعاً لقدرته ، واستعبر ع . م فظهرت خشية الله على وجهه ، فقبلوا الأرض مراراً بين يديه ، / ١٢٤ / واعترفوا بفضله ، وشكروا له بما قدروا عليه ، وذكروا ما يعتقدونه ويعلمونه ممن خلفوه وراءهم من أوليائهم ، واعتقادهم طاعته ، وولايته ، وودعوا وانصرفوا ، وكان قد أدخل قبلهم[3] وجوه أوليائه من كتامة وغيرهم ، وخاصة عبيده ، فحضروا المجلس ، فلما انصرف القوم نهض[4] من كان جالساً للقيام ، فأمرهم بالجلوس فجلسوا ، ووقف كذلك من كان منهم واقفاً ، فأقبل عليهم وسألهم عن أحوالهم ، وذكر من مضى من أسلافهم ، وترحم عليهم ، وحضهم على ما كان عليه أسلافهم، من الرغبة في الحكمة ، وطلبها وسماعها ، والمواظبة عليها[5] .

قال : فذكرت له مواظبتهم على ذلك واجتماعهم في كل يوم جمعة ، واحتفالهم وغيرهم من أوليائه إلى الجامع لشهود الجمعة ، والتجمهر فيها ، ثم

---

(١) لنا : سقطت في جـ
(٢) تستديموا : تستدعوا في ب
(٣) قبلهم : قبالتهم في ب
(٤) نهض : رفض في ب
(٥) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٣٨٢ .

مقامهم بعد انقضاء[1] الجمعة لسماع الفقه ، والمناظرة فيه ، إلى انقضاء صلاة العصر ، ثم احتفالهم بأجمعهم[2] ، ومن عسى أن فاتته صلاة الجمعة إلى القصر [المعمور بطول بقائه][3] لسماع الحكمة ، وما يظهر من إقبالهم عليها ، ورغبتهم فيها ، فقال ع.م : هذا الذي نريده منهم ومن غيرهم مما فيه حظهم ، وصلاح أحوالهم ، / وتمام نعمة الله عليهم ، إنهم ومن مضى من أسلافهم ، كانوا ١٢٥ / مع من مضى من آبائنا قدس الله أرواحهم ، قليلاً ما ينعم عليهم بمثل ما ننعم نحن على هؤلاء بحسب ما أوجبه الزمان وجرت به الحكمة في أعصارهم ع . م وعصرنا هذا المبارك من بعدهم ، إنهم كانوا قل ما سمحوا به من العلم والحكمة لهم ، فلما أخذوا ذلك عنهم تركوهم ، ولم ينقموا عليهم تركهم سؤالهم المزيد من فضل الله ع . ج لهم ، ونحن نبذل لأهل عصرنا ما يجب في [بدء الأمور][4] بذله لهم ، ونزيدهم ما رأينا الرغبة والإقبال منهم ، وننعم عليهم إذا[5] سكتوا عن طلب الزيادة منا لهم ، ونحب أن نجعل جميعهم أعلاماً يهتدى بهم ، وسرجاً يستضاء[6] بنورهم ، وعلماء تقتبس[7] الخلائق منهم . قال : فقبلوا الأرض بين يديه ، وشكروا فضله ، وجزيل ما أولاهم من نعمه ، فقال ع . م : أحب لكم ولغيركم خاصة وللجميع من تمسك بولايتنا عامة ، أن يكون ما تكنه صدوركم لنا موافقاً لما تنطق به ألسنتكم عنه ، فإن الله ع . ج إنما يجزي العباد بنياتهم ، وإلا فمثل من سمع الخائب اللعين رجلاً يسمى قيصر . كان قد نافق / وسأله بعض ١٢٦ / رجالنا رفع حاجة إلينا فأعرض عنه ، وقال : إنما تقضى حوائج الرجال إذا احتيج إليهم ، واليوم فليس لمولانا عدو يحتاج معه إلى الرجال فيطوي هذا عنا ويرضاه من

---

(١) إنقضاء : قضي في ب
(٢) بأجمعهم : مع بعضهم في ب
(٣) المعمور بطول بقائه : سقطت في ب
(٤) بدء الأمور : بدعات الأمر في ب
(٥) إذا : ان في ب
(٦) يستضاء : ضاء في جـ
(٧) تقتبس : تقتص في جـ

قوله ، ويصحبه ويتولاه بعده ،فيكون قد حفظ لما أخذ لنا عليه ، أو صحت لنا نيته .(٥) فقالوا : لعن الله من فعل ذلك . قال ع . م : نعم. ورحم الله من بلغه إلينا نصيحة لنا كما أخذناه عليه ، وأنكره بقلبه لما سمعه منه ، فمثل هذا فارعوه من أنفسكم ، ولا تتخذوا ولائج من دوننا ، فوالله ما أحوجناكم إلى ذلك ، وإلاَّ فاخبروني أي كبير منكم أو صغير كتب إليَّ رقعة في ليل أو نهار ، يقول إنه يريد الدخول إليَّ فحجبته ، أو الإجتماع معي لحاجة يريدها ، أو لأمر ينهيه[1] إليَّ فمنعته أو دفعته ، وإذاً والله لا يقول ذلك قائل منكم ، ولا ينطق[2] به عليَّ ، فأي حجة لكم في وضع أنفسكم لمن هو دوني ؟ وأنا أريد رفعتكم ، وتشريفكم . فقبلوا الأرض بين يديه ، وشكروا له ، واعترفوا بإحسانه ، وقال محمد بن هاني الأندلسي

/ ١٢٧ يمدح جوهراً القائد ، ويذكر / ابن واسول وأسره ، ويشير إلى ابن بكر من قصيدة يقول فيها[4] :

كثيرُ وجوه الحزْم أردى به العِدى	وأنحى به ليْثَ العَرينَةِ فانتحى
ولمّا اجتباه والملائِكُ جُندُه	لَمهلكهم[5] دارت على قُطبها الرّحى
فقلّدهَا جَمٌّ السياسةِ مِدرهاً	إذا شاء رام القصْدَ أو قال افصحَا
نحاهم به أمضى من السيف وَقعهُ	وأجزَلَ من أركان رَضوى وأرجحا
وقد نَصَحَتْ قُوّادُه غيرَ أنّني	رأيتُ ربيبَ المُلكِ للملِك أنصحَا
رآه أميرُ المؤمنين كعهدِهِ	لديه ولم تَنْزَح به الدارُ مَنزَحا[6]
ولما تَغَشّتْ جانبَ الأرض فتنةٌ	تشُبُّ لظَى الهيجاء الفَحَ ألفَحا
رَمى بك قارونَ المغارِب عاتياً	وفرعونها مستحيياً ومذبِّحا
ورامَ جماحاً والكتائبُ حَولَه	فوافاكَ في ظلّ السُّرادق أجمَحا

---

(١) نيته : نوايا في ب

(٢) ينهيه : نهاه في ب

(٣) ولا ينطق : يطلق في ب

(٤) ديوان ابن هاني الأندلسي ص ٧٧ .

(٥) لمهلكهم : لمهلكم في ب

(٦) منزحا : مبرحا في ب

وأدركتُ سُولاً[1] في ابن واسول عنوةً ... وَزَحزَحتَ منه [يذبُلاً فتزحزحا][2]

[وإلا أبنُـه][3] في العُصـاة فإنني ... أرى شاربـاً منهـم[4] يميل مُرَنَّحا

يمـوت ويَحْيا بينَ راجٍ واكيسٍ ... فكانَ له [الهُلْكُ المُواشكُ][4] أرْوحَا

تَضمنَّـه حَجْـلٌ كلبَّـة[5] أرقَمٍ ... إذا خَرِسَ الحـادي تَرَنَّـمَ مُفصِحا

/ ١٢٨ أُريكَ بمـرآةِ الإمامَـةِ كأسهـا ... على كُورِ عَنْسٍ والإمامَ المرشَّحـا /

وقـد سَلَبَتـه الزاعبية[6] ما ادّعى ... فأصبـحَ تِنّينـاً وأمسى ذُرَحْرَحا

فمـا خطبُـه شاهَـتْ وجـوه دُعاتِه ... وجُـدِّعَ من مأفـون رأيٍ وقُبِّحا

وكأن الجذامـيُّ الطـويلُ نجادُه ... بهيمـاً مدَى أعصـارِهِ فتوضحّا

أقـولُ له في موثَـقِ الأسرِ عاتبـاً ... تُجاذبُـه الأغلالُ والقُـد مُقْمَحـا

لئـن حَمَلَـتْ أشياعُ بغيْكَ فادحاً ... يغـولُ لقـد حُمّلـتَ ما كان أفدحا

وكان لابن واسول ولد شجاع ، هو الذي أذكى نار الفتنة ، وحمل أباه على المنابذة للأئمة ، فقتله بعض عسكر القائد جوهر في توجهه إلى سجلماسة ، ففي ذلك يقول محمد بن هاني في هذه القصيدة[7] :

ولا كابنـه أذكى شهابـاً بمعركٍ ... واجمَـح في ثنـي العنـانِ وأطمحا

مرت لك في الهيجـاء ماءَ شبابِه ... يدٌ فَجَـرَتْ منـه جداولَ سُبَّحا

وأثكَلَتُـه[8] منـه القضيبَ تَهصّرَتْ ... أعـاليه والـرّوْضُ المُفـوَّفُ صُوِّحا

لعَمَـري لئـنْ ألحقتـه أهـلَ ودِّه ... لقد كان أوحاهم إلى [مأزِقِ الرّحى][9]

---

(١) سولاً : مثول في ب

(٢) يذبلا فتزحزحا : يذبل فترجزحا في ب

(٣) وإلا إبنه : فإن لا لين في ب

(٤) الهلك المواشك : الملك المواشكل في ب

(٥) كلبة : سقطت في جـ

(٦) الزاعبية : الزاهبية في ب

(٧) ديوان ابن هاني الأندلسي منشورات صادر ص ٧٩

(٨) وأثكلته : سقطت في ب

(٩) مأزق الرحى : مازق الوحا في ب

وكم هاجـع ليلَ البَيانِ اهتَبَلتَه[1] فصبَّحتَـه كأسَ المنيَّةِ مُصْبِحا
وهدَّمْتَ [ما شادَ العِنادُ وقد رَسَتْ][2] أو أخيهِ في تلك الهَزاهِـز رُجَّحا[3]

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه[4] : وأدخل أمير المؤمنين المعز لـدين الله / ابن واسـول إلى حضرتـه بعـد عدة أيام من يوم وصولـه ، وهـو في وثاقه ، فلما مثل بين يديه أمره بالجلوس فجلس ، فأمسك عنه حتى رأى أنه قد سكن روعه ، ثم أقبل عليه من غير تجهم فقال : ما الذي حملك على ما ادعيتـه وتسميت به ؟ قال : الحين والجهل يا أمير المؤمنين . قال ع.م : أوتحتج في ذلك بحجة ؟ قال : معاذ الله ما عندي في ذلك حجة إلا الإعتراف بالجهل ، والخطأ على نفسي . قال : ونظر إليَّ كالمستشهد بي وذلك انه قال لبعض من فاوضه : بلغني أن القاضي له تأليف وكتب وكنت أحب أن أرى منها شيئاً ، فلما عرفني ذلك الذي قال له بسطت له كتاباً في الحجة عليه في ما ادعاه من الإمارة بغير عقد إمام ، وما تعدى إليه بعد ذلك من ادعائه الإمامة ، وتسميته أمير المؤمنين ، وتلقبه بالشاكر لله ، والرد فيما بلغنا أنه احتج به لنفسه فتعاظم ذلك لما انتهى إليه ، واعترف بالخطأ والجهل على نفسه ، وعلم بذلك أمير المؤمنين ع.م ، فقلت له : يا أمير المؤمنين بمثل هذا من قوله اعتصم ، وعليه عول . فقال له ع.م : أفتحلف على ذلك وتشهد الله على [قـولك انـه اعتقـادك ونيتـك][5] / [فحـلف على ذلك وأشهـد الله ع.ج على نفسه أن اعتقاده ونيته][6] كالذي أظهره وقال به ؛ ثم جعل أمير المؤمنين يبسطـه ويسأله عن أخباره وأخبار البلد الذي كان به ، ثم إذا مضى في ذلك عاوده في ذكر

١٢٩ /

١٣ /

(١) اهتبلته : اهبله في ب
(٢) ما شاد العناد وقد رست : سقطت في ب
(٣) رجحا: رحرحا في ب
(٤) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٢٦٥
(٥) قولك انه اعتقادك ونيتك : انه اعتقاده في ب
(٦) سقطت الكلمات المحصورة من ب وجـ فأخذناها من كتاب المجالس والمسايرات للقاضي
(٧) النعمان جـ ٢ ص ٢٦٧ .

حجة إن كانت منه في دعواه فيرجع إلى الإعتراف بالخطأ والجهل على نفسه ، وكان فيما سأله عنه ع . م أن قال له : ما كان يقول الناس عندك فينا ، وينسبونا إليه في الذي ننتحله ، ونقول به ؟ فسكت . فقال له : قل ما عندك من ذلك ، وما قيل لك فيه ، فإنا لا نأنف من سماعه ، ولا ننكر عليك أن تقوله ، وإن كان من أفحش ما قاله المبطلون الطاغون ؟ إنما يأنف من سماع المكروه فيه عمن نسبه إليه من كان من أهله ، وكان يعلم أن الذي قيل هو عليه فيغتم لذلك إذا أبداه الله ع . ج عليه ، وأشهره به ، وعلمه الناس منه ، فيستحي[1] لذلك ، فأما من علم ما بينه وبين الله ع . ج وأنه نسب إليه من المكروه[2] ما ليس فيه ، وما لم يفعله ممن له تمييز وعقل ، فإن سماع ذلك مما يحبه لما يرجوه من ثواب الله ع . ج عليه ، وانتقامه ممن قاله فيه ، ونسبه إليه ، ونحن نحب سماع مثل ذلك ونشتهيه ، فقل ما بلغك عنا ، ولا تستحي من شيء منه . فقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من ذلك فليفعل ، ١٣١ / / فإن لساني لا ينطاع[3] للقول بذلك . فقال ع . م أليس مما بلغنا أنه انتهى إليك عنا أنا ندفع نبوة محمد (ﷺ) وندعي النبوة بعده ، وندفع سنته وشريعته ، وندعو إلى غيرهما ، فسكت . فقال أمير المؤمنين : ويحك قل أليس قد بلغنا أن ذلك مما قد قيل لك عنا ، ونسب إلينا ؟ قال : نعم . فقال ع . م : فلعن الله من قال بهذا أو انتحله أو ادعاه ، أو من تقوّله علينا ورمانا به ، ونسبه إلينا ، فكيف نقول ذلك وندعيه ؟ وشرفنا الذي حلانا الله[4] به ، وفخرنا الذي ألبسنا أثوابه بجدنا محمد (ﷺ) فيه علونا على الأمم ، وبه فخرنا على العرب والعجم ، فكيف ندفع[5] نبوته ، وننكر فضله ، أو ندعي أن ذلك لنا دونه ؟ والله لو بعث الله نبياً بعده ، وكلا لا يكون ذلك ، لكنا تمسكنا به أبعد الناس ، وأرغبهم عنه ، إن بني عبد شمس عادونا فيه ، وأبغضونا من أجله ، لما قال قائلهم : أطعمنا

(١) فيستحي : فحياه في ب
(٢) المكروه : الكره في جـ
(٣) لا ينطاع : لا ينصاع في ب
(٤) حلانا الله : جلببنا الله في جـ
(٥) ندفع : نرافع في ب

وأطعمتم[1] : وفعلنا من الجميل مثل ما فعلتم ، حتى إذا كنا كفرسي رهان ، قلتم : منا نبي والله لا سلمنا ذلك ولا أقررنا به إليكم ؛ فإذا كنا نحن ندعو إلى البراءة من شريعة جدنا محمد (ﷺ) فمن ذا يدعو إلى الإعتصام والتمسك بها ؟

١٣٢ / بلى والله ، فإنا قلنا : ان / الله ع.ج أورثنا شرفه ، ومجده ، وفخره ، وأقامنا أئمة للأمة بعده ، وأوجب لنا على الناس من الطاعة[2] بعده مثل الذي كان يجب له ، لقد صدقنا لقول الله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[3] فنحن والله أولو الأمر الذين يعبد الله الخلق بطاعتنا ، وأهل الذكر الذين أمرهم بسؤالنا على رغم من جحد ذلك أو أباه[4] لنا ، فهذا هو فضل الله ع.ح علينا ، ونعمته لدينا التي لا ننهض بأعباء شكرها إلاّ بعونه لنا ، وهي الخطة التي لا ينافسنا فيها إلاّ دعي مكابر ، ولا يدفعها عنا إلاّ ضال كافر ، وما بعدها من خطة فندعيها ، ولا فوقها من رتبة فنسمو إليها ، وحسبنا أن بلغنا شكر نعمة الله ع.ج علينا بها ، فكيف ندعها وندعي ما يصل الله من ادعاه النار ؟ ونقول بقول من أبطل نبوة جدنا محمد (ﷺ) من الكفار ؟ والله سائل[5] من قولنا من ذلك ما لم نقله ، ومؤاخذه . ثم قال ع.م : هات غير هذا مما قيل لك فينا ؟ ما أعرفه يا أمير المؤمنين ، وفي ما قلته محض الإيمان ، واليقين . بل : بعد لقد بلغنا أنه قيل لك إنا نعبد رأساً قالوا [هذا الرأس رأس إنسان][6] عندنا يكلمنا ونسجد له من دون الله

١٣٣ / / وينثر لنا من فيه الدنانير . قال : سمعنا من يقول ذلك . قال أمير المؤمنين ع.م : فأيُّ رأس قالوا هذا الرأس ؟ رأس إنسان ، أم بهيمة ، أم حية أم ما هو ؟ قال : لا أدري ما يقولون لعنهم الله[7] . فقال ع.م : بلى والله إنا لنعبد رأس كل

---

(١) وأطعمتم : وأطعمهم في ب
(٢) من الطاعة : سقطت في ب
(٣) سورة : ٤/ ٥٨
(٤) أو أباه : يأباه في ب
(٥) سائل : سقطت في ب
(٦) هذا الرأس رأس إنسان : سقطت في جـ
(٧) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٢٧٠

شيء ، وإلهه ، وخالقه الله رب العالمين ، وهو الذي أعطانا ، وفضلنا ، واصطفانا ، وكرمنا ، قال : كذلك هو والله يا أمير المؤمنين . قال أمير المؤمنين ع.م : والعجب من هذه العقول الناقصة ، والأوهام الفاسدة ، التي تقبل مثل هذا المحال من المقال ، وينطبع فيها ، ويثبت عند أهلها ، حتى ينسبوه[1] إلى أحد ، أو يقبلوه من قول قائل ، أو يصدقوا به ، لو قد رأوه بأعينهم ، أو سمعوا من يدعيه بآذانهم .

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه[2] : وأمر أمير المؤمنين بابن واسول المدعي الإمامة المتسمى بأمير المؤمنين ، لما أتى به ، فأنزل في سقيفة في القصر ، في وثاق ، ودخل شهر رمضان فسأل ابن واسول أن يصلي الجمعة خلف أمير المؤمنين المعز لدين الله ع.م ، وأخبر بذلك عنه ، فقال للذي أدى إليه ذلك عنه : قل إن الصلاة وجميع الأعمال لا تقبل إلا بنية واعتقاد ، ولو كنت تعتقد / ١٣٤ / إمامتنا ، لم تحل هذا المحل ، ولم نكن لنبخل عليك بسجلماسة ، ولا لها عندنا من الوزن ، ولا للدنيا بما فيها ، وما كنا نتكلف في ذلك ما كنا تكلفناه من تعبئة[3] أوليائنا في العساكر نحوك ، وأتعاب أنفسنا في تدبير ذلك ، وإقامته لك ، فلو كنت رغبت عن نية منك في أن تأتم بنا لنلت فضل ذلك وثوابه ، وأنت وادع في مكانك من في سلطانك ، بإقامتنا ذلك لك ، وإذ قد أنكرت إمامتنا ، وادعيت الإمامة دوننا إلى أن أظفرنا الله بك ، وأقدرنا عليك ، فماذا يغنيك أن تأتم بنا في صلاتنا [وأنت][4] أسير في أيدينا على ادعائك مقامنا ، فإن كان[5] الذي أردته من صلاتك ما تبتغي به الفضل ، وكان ذلك عقد نيتك ، وأنك معترف بإمامتنا ، منكر لما كنت عليه ، نادم راجع عنه ، فوالله لينفعنك ذلك صليت بصلاتنا أم لم

---

(١) ينسبوه : ينتسبوه في ب

(٢) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٢٥٩

(٣) تعبئة : بعثة في ب

(٤) وأنت : سقطت في ب

(٥) كان : كنت في ب

تصل ، وإن كنت إنما أردت أن ترينا من نفسك الميل[1] إلينا ، وتتوسل بذلك إلى ما يرضينا ، فوالله يرضينا منك إلا ما أرضى الله ع .ج عنك ، وإن قلوبنا لبيده ، وما يصرفها إلا لمن رضي عنه ، وارتضى عمله ، وأحب سعادته ، فإن أردت منا ذلك

١٣٥ / فاخلص / لله ع .ج في ما بينك وبينه ، واعتقد ذلك تجد ذلك عنده جل جلاله في الآجل ، وعندنا بما يجعله لك في قلوبنا من العاجل ، ودع عنك التزين بالباطل .

قال : فقال الرسول[2]: فلما بلغته ذلك تحير ، ولم يدر ما يقول ،غير أنه قال : والله ما هذا [إلاَّ من][3] كلام النبوة ، وهو ابن رسول الله حقاً ، وهذا من ميراث حكمته[4] . قال : وأخبره عنه بعض من كان يجتمع معه ممن أذن له في ذلك ، وفي أن يبسطه ويسأله حوائجه[5] أنه سأل هل عنده من كلام أرسطاطاليس شيء ، والذي سأله ذلك ممن يعني بمثل هذه الكتب ، قال : فقلت له : ما تريد من كلام أرسطاطاليس وأصحابك ينكرونه ؟ قال : ينكر ذلك من لا يحسن ، فأدى هذا القائل قوله هذا إلى المعز لدين الله ع .م فقال له المعز ع .م : قل له : لعلك أردت من كتب أرسطاطاليس رسالته إلى الإسكندر في الإبقاء على من ظفر به من الملوك ، لتأخذ منها ما لعلك تتوسل به إلينا في الإبقاء عليك ؟ قال الرجل : فبلغته ذلك ، من قول أمير المؤمنين ع .م ، فبهت ، إلى أن قال بعد حين : ما أظن

١٣٦ / من نحلهم[6] النبوة نحلهم[7] إياها إلاَّ من مثل هذا ، والله / ما عدا ما في نفسي ، وما أردت إلاَّ هذه الرسالة ، لمثل ما ذكر اني أردتها له ، ثم ذكر الحديث

---

(١) الميل : الميال في جـ
(٢) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٢٦١
(٣) إلا من : الأمر في ب
(٤) حكمته : حكمه في ب
(٥) حوائجه : حاجة في ب
(٦) نحلهم : بخلهم في ب
(٧) نحلهم : بخلهم في ب

الذي يؤثر عن رسول الله (ﷺ) ، بعثت وفي هاتين[1] القريتين يعني مكة والطائف أربعون رجلاً ظن أحدهم كيقين غيره ، قال : فإذا كان مثل هذا يوجد في سائر الناس ، فكيف في ذرية النبيين ؟ .

قال القاضي النعمان بن محمد قس[2]: وحضر عيد الفطر ، وتقدمه نوء عظيم ، وكثر الوحل والطين ، وذكر ذلك للإمام المعز لدين الله ع.م وما بالمصلى منه ، وما في الطريق إليه من الماء ، والوحل ، والطين ، وظنوا أنه يصلي صلاة العيد في المسجد ، فقال ع.م : يكون من ذلك ما كان ، لا بد من قضاء فرض الله ع.ج في البراح ، على ما أمر به جل ذكره ، وبسنة رسوله (ﷺ) ، وذكر حديث النبي (ﷺ) أنه ذكر ليلة القدر من شهر رمضان فقال : رأيت أني أسجد فيها في ماء وطين ، وأن الناس أمطروا بعد[3] ذلك فوكف المسجد ، وصلى رسول الله (ﷺ) وانصرف من الصلاة ، وقد أثر الطين والماء في جبهته ، وأنفه لسجوده فيه ، وقال المعز ع.م: وهذا من أقل ما ينبغي أن يفعل في ذات الله / وأكثر منه ، والله لو حبونا[4] في هذا الطين حبواً على الركب ، وكان ذلك مما يرضي الله ع.ج عنا ، ويقبله منا ، لفعلنا ، إن رسول الله (ﷺ) يقول : إذا سمعتم داعي أهل بيتي فسارعوا إليه ولو حبواً على الثلج ، والنار . فإذا كان الله ع.ج قد أوجب لنا هذا على عباده ، ونحن خلق[5] من خلقه ، قد ابتدأنا بفضله ، وأنعم علينا بإحسانه ، فكيف بما يجب له علينا ، وعلى الخلق جل ذكره أن نرخص فيه ، أو نتعاظم مشقة تدخل علينا من أجله ؟ معاذ الله أن نستكبر عن عبادته ، أو نستحسر[6] طاعته .

١٣٧ /

(١) هاتين : هذين في جـ
(٢) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٣٢٩
(٣) بعد : بعدت في جـ
(٤) حبونا : حبانا في ب
(٥) خلق : خلائق في جـ
(٦) نستحسر : نستحسن في ب

وخرج ع.م وخرج الناس في غد[1] يخوضون الماء والطين ، فما انصرفوا إلاّ وقد تخضبوا فيه ، وامتلأت ثيابهم منه ، وكان مشهداً يرضي الله ع . ج من وليه، وممن ذهب فيه مذهبه ، إنشاء الله تعالى . قال : وكان هذا العيد وابن واسول وابن بكر معتقلان في سقيفة القصر ، وكان وصولهما في آخر شعبان ، وظن الناس أن سيقتلا[2] إذا وصلا ، فلما أبقيا قيل إنهما يوم الفطر يقتلان ، فلما انصرف ع.م ودخل إلى داخل قصره أحضرهما إليه ، فمثلا بين يديه [وهو قائم على فرسه والرمح بيده فقبلا الأرض ووقفا][3] / فقال لهما : أيهما كان أحسن بكما أن تكونا اليوم في مثل حالكما هذه بمعصيتكما وعداوتكما ، [أو أن][4] تكونا اليوم في جملة أوليائنا ومن آئتم بنا ، فتقضيان فرض ربكما معنا ، أو حيث كنتما على طاعتنا التي افترضها الله عليكما ، وعلى سائر خلقه ، وأنتما وادعان ، مسالمان ، آمنان ؟ قال : فلم يفهم عنه ابن واسول ما قال ، وأظن الخوف والذعر[5] غلب عليه ، فقال بل الذي نحن فيه يا مولانا أفضل ، فتبسم أمير المؤمنين ع.م لما علم أنه لم يفهم عنه ، وظن البائس إنما ظن أنه خاطبه بمثل [ما خاطبه به][6] قبل ذلك ، فإنه ع.م قال له قبل ذلك في يوم أحضره إليه : والله إنك في حالك هذه التي أنت فيها وإن كنت في الأسر والوثاق ، لأفضل مما كنت فيه من معصية الله ع.ج بتخطيك إلى ما تخطيت إليه ، وتسميك بما تسميت به ، وإن كرهت ما أنت اليوم فيه ؟ فقال : هو كما قال أمير المؤمنين ، فأحسبه ظن أن الخطاب الذي خاطبه أمير المؤمنين في هذا المقام كذلك كان ، فأعرض عنه ع.م لما رآه لم يفهم قوله ، وعطف على ابن بكر ،

١٣٨ /

---

(١) في غد : سقطت في ب

(٢) سيقتلا : قتلا في ب

(٣) سقطت الكلمات المحصورة من كلا النسختين فأخذناها من المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٣٣١ .

(٤) أو أن : سقطت في ب

(٥) والذعر : والزجر في جـ

(٦) ما خاطبه به : ما خاطب في ب

فقال : وأنت يا ابن بكر أمكننا[1] الله منك ، وأنت على] غيك فمننا عليك وأطلقناك][2] من أسرك ، وصرفناك[3] إلى بلدك ، / فما رعيت الإحسان ، بل غمطت النعمة ، وتغلبت على البلاد دوننا ، ودعوت إلى غيرنا ، وتقول فيما انتهى عنك إلينا : هؤلاء الغواطم : تعني الذين بناحيتك[4] تسترضي أحدهم بقلة [من نبيذ واترجتين][5] تهدي ذلك إليه ، وتعني أنا نحن لا نرضى منك إلاَّ بالكثير ، فلو عقلت لعلمت أن الراضي منك بما وصفت مثلك في الحال ، أو دونك ، وليتك أقمت لنا ظاهراً وكنت واصلتنا بأترجة لعلك كنت تستميلنا بها كما زعمت انك استملت من استملته ، ولكنك [نابذتنا][6] وصارمتنا ، ثم سارت[7] عساكرنا إليك فأظهرت انك على الطاعة ، وغلقت دونهم أبواب مدينتك ، ولم تخرج إلى عبدنا قائد عسكرنا ، وسألك أن تبعث بابنك ليكون عندنا[8] فأومأت إلى أسوب بين يديك ، وقلت لرسوله إليك : لو سألني شعرة من رأس هذا الأسود ما أعطيته إياها ، وتقاتل عسكرنا ، وتقتل أولياءنا ، ثم تكتب إلينا ، إن كانت بينك وبين القائد هنيهة ، وتسألنا أن نحلك[9] محل الأولياء عندنا أفترى لو أنك أسخطت [بعض نسائك بعض السخط][10] فقابلتها بمثل [هذا الذي قابلتنا به أكانت راضية منك به][11] فأيانا يا شقي تقابل بمثل هذه المقابلة ،/وعلينا تجترىء بمثل هذه الجرأة ؟ يقول له ع . م مثل هذا القول بغضب والرمح بيده يديره فيها وسنانه

١٣٩ /

١٤٠ /

(١) أمكننا : مكن في ب
(٢) غيك فمننا عليك وأطلقناك : سقطت في جـ
(٣) وصرفناك : ومن في ب
(٤) بناحيتك : سقطت في ب
(٥) من نبيذ واترجتين : تبين واثرجن في ب
(٦) نابذتنا : تأنفتنا في ب
(٧) سارت : صار في ب
(٨) عندنا : نائباً عنك في ب
(٩) نحلك : نملكك في ب
(١٠) بعض نسائك بعض السخط : أعين بعضهم بيانك بعض السخط في جـ
(١١) هذا الذي قابلتنا به أكانت راضية منك به : سقطت في جـ

من قبل الفاسق ابن بكر فظن كثير ممن حضر أنه سيرسله إليه حتى لقد تنحى من كان واقفاً إلى جانبه ، فأسكت الخائب ودهش ، وأكثر ما قدر أن يقول : يا مولاي أنا عبدك ، وقد أخطأت . ثم عطف عليهما ، فقال : ما كنتما فاعلين بمن يحل عندكما[1] محلكما عندي ، لو أن الله أقدر كل واحد منكما عليه كما أقدرني عليكما ؟ فسكتا ، فنظر إلى ابن واسول فقال : قل والله الشاهد على ما في قلبك ، ما كنت صانعاً في ذلك ؟ فقال : وما أنا حتى أشبه بعبد من عبيد أمير المؤمنين فكيف به في شيء من فعله ؟ ثم نفج فرس أمير المؤمنين فبال ، فتباعد من كان حوله ، وتنحى ابن واسول قليلاً ، وكان قبالته ، وقد جرى من بول الفرس نحوه ، فقال له أمير المؤمنين : لم تأنفت من بول الفرس ؟ فسكت . قال : قل في ذلك ولا عليك ، فقد نرى كثيراً من عبيدنا فعل مثل ما فعلت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين قيل لنا انه نجس . قال ع . م: ولم قلتم أنه / نجس ؟ قال : لأنه لا يؤكل لحمه ، وما لم يؤكل لحمه فبوله نجس : قال له : وكيف لا يؤكل لحمه ؟ أولم يبلغك أنه يباع في مجازر المسلمين ، وفي كثير من أمصارهم ؟ ثم نظر ع . م إليّ فقال : ما تقول يا نعمان في ذلك ؟ قلت له : أقول فيه ما قاله موالينا وما رويناه عنهم عن رسول الله (ﷺ) : أن علياً ع . م قال : انه مر رسول الله (ﷺ) برجل من الأنصار وبين يديه فرس له يكيد بنفسه ، فقال له رسول الله (ﷺ) : اذبحه يضاعف لك أجره بذبحه ، واحتسابك إياه . فقال : يا رسول الله إليّ منه شيء ؟ قال : نعم ، كل واهدي إلينا إن شئت . فذبحه ، وأهدى منه فخذاً إلى رسول الله (ﷺ) ، قال علي ع . م فأكل منه رسول الله (ﷺ) وأطعمنا . قلت : وعلى هذا أكثر العامة يجيزون ذبح الخيل ، وأكل لحومها ، فأما أهل البيت فإنهم يرون ذبح ما عطب منها ، ويئس من حياته ، كهذا الذي وصف أن رسول الله أمر بذبحه لما كان يكيد بنفسه ، ولا يرون ذبح السالم الصحيح منها ، [لقول الله عز وجل من قائل : ﴿ والخَيلَ والبغـالَ والحميرَ لتركبوهـا وزينـة ﴾[2] وقوله : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَا

/ ١٤١

(١) عندكما : عندنا كما في ب

(٢) سورة : ١٦/ ٨

ٱسْتَطَعْتُمْ من قُوَّةٍ ومِن رباط الخيل ﴾[1] فأباحوا ذبح ما عطب منها ويئس منه أكل لحمه بالخير وتوقفوا عن ذبح السالم الصحيح منها][2] بالنص ولما فيها من عز الإسلام ، وقوة أهله وزينتهم ، إذا كانت سليمة ، فإذا عطبت ويئس منها زال
١٤٢ / عنها هذا المعنى ، وحل / ذبحها وأكل لحمها[3] بالحديث ، ويقول الله ع . ج: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهاكُمْ عَنْهُ انْتَهُوا ﴾[4] فقد روي عن رسول الله (ﷺ) في ذلك أخبار كثيرة . فتبسم عم وصرف عنان فرسه فدخل من باب الخاصة إلى داخل قصره ، وقد نصبت[5] الموائد للناس ، وصرف القيم على الطعام ابن واسول وابن بكر إلى حجرة ، وقرب[6] إليهما مائدة فأكلا وخرجا إلى مكانهما ، وتحدث الناس بما كان من أمير المؤمنين ع . م إليهما ، وقال لي بعضهم : ما ظننا إلاّ أن ابن بكر سيقتل[7] .

وقال القاضي النعمان بن محمد (قس) قلت : لو قتل الآن أليس قد مضى بما فيه واستراح مما هو بسبيله ، وإن كان صائراً إلى غضب الله ، ولكن في متعتنا بالنظر إليه ، [وإشهاره مثل][8] هذه المشاهد ، وتقريعه بمثل هذا التقريع ، إلى أن يرى فيه ولي الله رأيه أفضل البغية ، وأبلغ المأمول .

قال[9] : وكان القائد لما أخذ ابن واسول ، وأمكنه الله منه ، قد عاتب[10]

---

(١) سورة : ٨/ ٧١
(٢) سقطت الجمل المحصورة من ب
(٣) وأكل لحمها : وأكلها في ب
(٤) سورة : ٥٩/ ٧
(٥) نصبت : نضب في ب
(٦) قرب : قارب في ب
(٧) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٣٣٨
(٨) وإشهاره مثل : سقطت في ب
(٩) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٢٢١
(١٠) عاتب : عيب في ب

أهل سجلماسة ، ثم رأى الصفح عنهم ، وولي عليهم والياً منهم ، وانصرف ،

/ ١٤٣ فوثبوا على ذلك الوالي فقتلوه ، وأقاموا / مقامه منتصراً بن محمد بن المعتز ، وكان أبوه وجده قد وليا البلد باستعمال أمير المؤمنين ، وكانا من أهل الولاية ، وكان ابن واسول لما تغلب على البلد اعتقل منتصراً هذا ، وهو غلام حدث ، فأقام معتقلاً عنده مدة ، فقدمه أهل البلد لما قتلوا العامل الذي استعمل عليهم ، ونسبوا إليه من القبيح ما زعموا أنه أوجب قتله ، وذكروا أن الغوغاء ، والعامة قتلوه ، وذهبوا في تقديم هذا الذي قدموه إلى ما هم عليه من الولاية ، والمحبة ؛ وقيل انه سعى في ذلك ، وأرسل رسولاً من فوره ، وأرسل أهل البلد وكتبوا إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م يذكرون ذلك ، ويعتذرون منه ، ويصفون حالهم ، فصرف رسولهم بأنه غير قابل ذلك من عذرهم ، وأن لا أمان لهم عنده إلا أن يأتي وجوههم ، وسماهم ، ويأتي منتصر هذا إليه ، محكمين في أنفسهم ، فحينئذ يرى رأيه فيهم ؛ وانصرف الرسول إليهم بذلك ، فما كان إلاّ مقدار مسافة وصوله[1] إليهم ، وانصرافه حتى أتى منتصر هذا الذي قدموه ، ومائتا رجل من

/ ١٤٤ وجوهم ، وهم الذين سماهم / أمير المؤمنين ع . م قد ركبوا طرق الرمال والفلوات ، خوفاً من أن يصل إليهم أحد دون الباب ، حتى دخلوا به ، فأدخلهم أمير المؤمنين ع . م إليه ، فلما مثلوا بين يديه ، وقبلوا الأرض ، ووقفوا ، نظر إليهم نظرة مغضب ، وأطرق ساعة ، فامتقعت ألوانهم ، وارتعدت فرائصهم ، ولم يستطع أحد منهم أن ينطق بحرف ، لما داخلهم[2] من الخوف ، فرفع رأسه ع . م وقال[3] : يا أهل سجلماسة فعلتم في أيام المهدي ع . م ما فعلتم ، واقتدر عليكم مرة بعد أخرى ، فعفا عنكم ، وأحسن إليكم ، لحلوله كان فيكم ، ومجاورته إياكم مدة إقامته فيكم ، كما يرعاه من أحله الله محله من كرم الطباع ، وحسن الصنع ، من غير يد كانت لكم عنده ، ولا فعل من الجميل تقدم لكم لديه[3] ، فصفح

---

(١) وصوله : الرسول في ب

(٢) داخلهم : أدخلهم في ب

(٣) لديه : إليه في ب

وأحسن ، وعفا ، وأجمل ، فما رعيتم ذلك حق رعايته ، ولا فهمتم بشكره ، ثم نعق فيكم ناعق من الشيطان فلبيتموه ، ودعاكم إليه داع فأجبتموه ، قام فيكم دعي فيما ادعاه متوثب على ما تولاه ، قد عرفتم نسبه ، ودريتم سببه ، فتغلب على ولاية أمركم ، / وتحلى بالرياء والتصنع لكم ، وتسمى بأمير المؤمنين ، ١٤٥ / وإمام المسلمين لكم ، وأنتم على علم لا تشكون ، ويقين لا تمترون ، إن ذلك لا يجوز له ، ولا يحل تسليمه لمثله ، فسلمتموه ، وأطعمتموه ، وتوليتموه ، واتبعتموه ، ففارقتم جماعة المسلمين ، وخرجتم من حزب المؤمنين ، وأحدثتم حدثاً عظيماً في الدين ، وانتهى إلينا من أمركم وأمره ، ما لم يسعنا تركه ، والغفلة عنه ، لما افترضه الله علينا عز اسمه من القيام بحقه في أرضه ، وجهاد من صدف عن دينه ، وغير سنة نبيه ، وحل محلكم ، ومحل هذا الفاسق فيكم ، فأنهضنا إليكم جيشاً من أوليائنا ، وأنصار دولتنا ، وعبيدنا مع عبد أمرناه عليهم ، وتقدمنا إليه في الاعذار والانذار إليكم في الإنابة والتوبة ، قبل الوقوع بكم ، فلم يزل مع طي المراحل نحوكم يتابع الكتب[1] إليكم مع رسله تأكيداً[2] في الحجة عليكم ، مرة بالوعد ، ومرة بالوعيد ، وتارة باللين ، وأخرى بالتشديد ، يدعوكم إلى الطاعة ، والنزوع[3] عن ما أنتم عليه من المعصية ، والضلالة ، والقبض على عدو الله / فيكم ، إن تمادى على ما هو عليه من الغي والضلال ، إن ١٤٦ / استطعتموه ، أو البراءة منه وتركه بجانب ، إن لم تقدروا عليه ، ووصلت كتبه إليكم ، وأدى إليكم عنه من اجتاز به منكم ، وكل ذلك ، وأنتم على باطلكم مصرون ، بالفاسق المضل لكم متمسكون ، إلى أن حلت جيوشنا بقربكم ، وانتشرت عساكرنا ببلدكم ، وعاينها من عاينها من عيون عدو الله من جمعها ، وقوتها ، وعتادها [ما أنهاه إليه ، وقد علم أنه لا طاقة لكم ولا له بعسكر من عساكرها][4] فلما حلت بعقوبتكم ، ونزلت بداركم ، وأنتم مع الفاسق على ما أنتم

---

(١) الكتب : الكرب في ب

(٢) تأكيداً : بالنداء في ب

(٣) والنزوع : سقطت في ب

(٤) سقطت الكلمات المحصورة من ب

عليه ، نهض مولياً عنكم وهارباً ، متسللاً من بين أظهركم ، وقد كنتم تقدرون على أخذه لو أردتموه ، ويمكنكم من ذلك ومن حصاره في داره متى أجبتموه ، لو أخذتم بحظكم من ذلك ففعلتموه ، لكنكم أقمتم مصرين على طاعته وتوليه ، إلى أن نزع عنكم ، وأقدرنا الله ع.ج بفضله وإحسانه عليه ، كعادته[1] الجميلة بلا صنع لكم ، ولا لغيركم في ذلك ، وأقدرنا عليكم ، وأمكننا منكم ، وأنتم على ما أنتم عليه من غيكم ، وضلالكم ، وما تستوجبون به اجتياحكم ودماركم ، فسار عبدنا فيكم/ بما أمرناه به من العفو، والصفح، والرحمة ، وانصرف عنكم، ١٤٧ /
فأحدثتم بعده ما أحدثتم ، فماذا تستحقون أن نفعل بكم ؟ يكلمهم بهذا الكلام (ﷺ) كلام مغضب ، فاصفرت ألوانهم ، وتغيرت وجوههم ، وارتعدت فرائصهم ، وأفحم أكثرهم من الكلام ، وقال من قال منهم قول مذعور دهش أن يعاقب أمير المؤمنين فنحن أهل العقوبة ، وأن يعفو فهو أهل العفو ، والفضل ، والرحمة ، فأطرق ملياً ، ثم دعا منتصراً بن محمد بن المعتز فقربه[2] إليه ، وأمره بالجلوس ، فقبل الأرض مراراً ، وشكر لأمير المؤمنين ع . م ، ثم عطف ع . م على الوفد فقال : قد كنتم تستحقون أليم العقوبة ، والنكال ، ولكنا للذي جبلنا[3] الله عليه من الصفح ، والعفو ، والرحمة ، فقد عفونا عما سلف من ذنوبكم ، إن استقمتم ، وأصلحتم ، وقد استعملنا عليكم عبدنا هذا ، وأومى إلى منتصر فقبل ، وقبلوا الأرض مراراً ، وشكروا ما قدروا عليه ، وزال ما ظهر عليهم من الهلع والجزع ، وأمر ع . م بصرفهم إلى موضع [أنزلهم فيه][4] وخلع على[5] منتصر وحمله : وكذلك فعل بجماعة من وجوههم ،وأمر بإجراء النزول/ عليهم ١٤٨ /
أجمعين ، وأقاموا بذلك مدة في أرغد عيش ، وأحسن حال ، ثم لما رأى صرفهم

---

(١) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٢٢٤
(٢) فقربه : فقرهم في ب
(٣) جبلنا : حبانا في ب
(٤) أنزلهم فيه : اقامتهم في ب
(٥) وخلع على : وخلعوا في جـ

عقد لمنتصر على سجلماسة وعملها ، وخلع عليه خلعاً سنية ، وحمله على عدة من الخيل بسروج مغرقة ، ووصله بصلات جزيلة ، وحمل جميع من قدم معه ، وكساهم ، ووصلهم ، وصرفهم إلى بلدهم بما لم يؤملوه ، وكان غاية أملهم أن يسلموا من القتل ، فانصرفوا وقد طالت بالشكر ألسنتهم[1] وملئت فرحاً قلوبهم .

قال الحسن بن جعفر الأنصاري (ر.ح) : وفي سنة إحدى وخمسين وثلاثماية قتل إبراهيم بن أبي يزيد ، وأنفذ برأسه إلى الإمام المعز ع.م ، قتل باوراس من عمل باغاي[2]، وكان قد جمع جموعاً ليخرج ، فعمل أبو الحسين الموصلي العامل بباغاي عليه حتى قتل ، قال : وفيما فتحت بطرسين من بلاد الروم فتحها أبو القاسم علي بن الحسن بن أبي الحسين في حياة أبيه .

ومما أتى عن القاضي النعمان بن محمد قال[3]: ولما أراد الإمام المعز لدين الله ع.م تطهير أولاده ، عبد الله رضوان الله عليه ، والعزيز بالله ع.م وعقيل[4]، تقدم إلى / خاصته ، وأوليائه وسائر جنده، وعبيده ، وجميع رجاله ، وكافة من بالحضرة من سائر التجار ، والصناع ، وعامة الرعية ، بالمنصورية ، والقيروان ، وجميع أهل مدن أفريقية وكورها ، من حاضر وباد ، وأمر بالكتب إلى العمال من لدن برقة وأعمالها إلى سجلماسة وحدودها ، وما بين ذلك ، وما حوته[5] مملكته ، وإلى جزيرة صقلية ، وإلى من فيها ، من طبقات الناس من حضر وباد ، وأن يتقدموا في طهور أبنائهم[6] يوم الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الأول من سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ، إلى انقضاء هذا الشهر ، وأمر أن يحمل إلى كل بلد من

١٤٩ /

(١) ألسنتهم : سقطت في ب
(٢) باغاي : باخك في ب
(٣) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٤٩٠
(٤) وعقيل : سقطت في ب
(٥) وما حوته : مما حاوله في ب
(٦) أبنائهم : أبنائه في ب

هذه البلدان من الحضرة أموالاً وخلعاً ، وتفرق على كل من طهر من أبناء المسلمين ، من خاص وعام ، قال : وكان الذي رأيناه حمل إلى صقلية من المال خمسون حملاً سوى الخلع ، ونحو ذلك ومثله إلى كل عامل ، ليفرقه على أهل عمله ، وتقدم صلوات الله عليه في طهور أولاده يوم الثلاثاء هذا المذكور ، وجلس بنفسه الزكية لطهور سائر أولاد أهل الحضرة ومن / يليها من البوادي ، وأمر بضرب سرادقات بساحة قصر البحر حول الماء ، وبإدخال الصبيان مع من أراد الدخول معهم من آبائهم ، وأمهاتهم ، وعبيدهم ، وخدمهم ، ومن أرادوا أن يطهروه من عبيدهم ، واعتزم على أن يصل الطهور[1] أيام هذا الشهر كله ، وذاع في الناس أنه من لم يطهر ولداً يكون عنده في هذا الطهور ، ثم يطهره بعد ذلك لمدة سبع سنين ، فقد أنف عن فضله ، وخالف أمره ، فسارع الناس بأبنائهم وعبيدهم عن كافتهم ، واتصل به ع . م ما أشيع من ذلك ، فقال : لقد أحسن من أشاع هذا ، وأما ما يتخلف عنا في ذلك من [يجب إمامتنا][2] وكان يجلس ع . م من وقت الغداة[3] فلا يزال جالساً وهم يطهرون ويمرون بين يديه فيكسون ، ويوصلون ، لا يخيب من ذلك منهم شريف ، ولا مشروف ، ولا حر ولا عبد ، ولا بعيد حاضر ولا باد ، والختانون في السرادقات على الكراسي وبين أيديهم المنابر لجلوس الصبيان ، والقوم يمسكونهم في حجورهم / ويذرون عليهم الذرورات الممسكة للدم على ختاناتهم ، ويقفون بالبخور وماء الورد على رؤوسهم يرشونهم[4] على وجوههم لما يعتريهم من الروع ، والسند بأصناف الملاعب قياماً عليهم يلهونهم ، ويصحبون من طهر منهم يزفونه إلى منزله ؛ وكان الذي أعطاه الخاصة من الخلع والصلات على أقدارهم ما يتفاوت ويطول ذكره ، وكان الذي أعطاه من العامة من الصلة غير[5] الكسوة لكل صبي منهم مائتي درهم

١٥٠ /

١٥١ /

(١) الطهور : الطهر في ب
(٢) يجب إمامتنا : يجب إيامنا في ب
(٣) الغداة : الغرا في ب
(٤) يرشونهم : شونهم في ب
(٥) غير : سقطت في ب

إلى مائة وخمسين ، وأقل ما أعطيه المجهولون من أهل البوادي ونظرائهم وعبيدهم كل صبي منهم عشرة دراهم ، وكا يطهر في كل يوم من أيام هذا الشهر فهم من عشرة ألف صبي إلى خمسة ألف صبي أقل ذلك[1] وأكثر الناس الخوض والحديث[2] في ذلك وتعاظموه ، وأجمعوا في ابتداء الأمر أن ذلك لا يتم ، وأن الأموال لا تنهض

١٥٢ / به ،وذكروا الكثرة بما رأوه من الخلائق إن ذلك لو وصل / حولاً لما انقطع الناس ، ولا أتى على آخرهم فيه ، قال : وكنت ممن تعاظم ذلك ، وتداخله الإشفاق منه ، وعرضت يوماً بذكر ذلك ، فقال لي[3]: يا نعمان طب نفساً فقد عزلنا لهذا ما لا نرى أنا نأتي على نفقته فيه بأسره ، والله ما هو من شيء كنا نلقي له بالاً ، ولا وجدنا لاخراجه نقصاً ، ولا خللاً[4]، وما هو مما كنا نلتفت إليه من ذخائرنا ، ولا من ذخائر الآباء ع.م ، وما هو إلاَّ شيء كان لا يلتفت إليه ، وكثير ممن تقدمنا من ملوك الدنيا أنفق مثل هذا ، وأضعافه في معصية من معاصي الله جل ذكره ، وفي ما تبقى شناعته عليه ، وهذا شيء أردنا به وجه الله ع . ج، وإقامة فرض ، وإحياء سنة جدنا رسوله صلوات الله عليه وعلى آله ، وملة خليله إبراهيم ص.ع ، والله ما أردنا بذلك إلاَّ الله ع.ج والقربة بذلك إليه ، وما من هؤلاء من يريد[5] بذلك التجنب إليه ، ولا الترأس عنده بذلك ، وقد عزلنا لذلك [مالاً لا بد لنا][6] من إنفاذه ، نورد وقتنا له ، وقتاً لا بد لنا إن عشنا أن نبلغ به إليه ،

١٥٣ / / . يريد مدة هذا الشهر الذي وقته لذلك ع.م - وكان من صنع الله ع.ج لأنه لما كان يوم الأربعاء سلخ شهر ربيع الأول[7] هذا انقض جميع من كان بالحضرة ، ومن حضر إليه من البوادي ، واجتمع ذلك اليوم من الصبيان زهاء إثني

---

(١) أقل ذلك : قبل ذلك في جـ
(٢) والحديث : سقطت في ب
(٣) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٤٩٤
(٤) خللاً : خلال في ب
(٥) يريد : مزيد في ب
(٦) مالاً لا بد لنا : ما لا بد لنا في ب
(٧) الأول : سقطت في ب

عشر ألفاً فطهروا عن آخرهم ، وتلاحق من غد من بقايا من بقي مثل ثلاثة ألف فرآهم المعز ع . م من منظر كان له وقد اجتمعوا[1] بباب القصر ، فأمر بتطهيرهم ، فانقضى أمر جميع الناس عن آخرهم في الوقت الذي وقته [والحد الذي حده حتى أنهم لو حسبوا وقسموا على تلك الأيام لما اتفق أن يكون ما هيأه الله ع . ج من فراغهم عن آخرهم في الوقت الذي وقته لهم وجرى على ذلك جميع أهل الكور والبلدان بكل وجه][2] وأخرج في ذلك من الخلع والأموال ، والنفقات ما لا يحصيه إلاّ من وقف عليه ، وكانت أيام [هذا الشهر أيام][3] أعياد ، ومسرات ، وأفراح ، وهبات[4] بكل وجهة من مملكة أمير المؤمنين ، من بدو وحضر ، وعمهم فضله ، وتبين عليهم أثره ، وارتفق به أغنياؤهم ، وانتعش به فقراؤهم ، ودخلت المسرة على أهل كل بيت منهم ، وكان أثراً جميلاً لم يسبقه إليه أحد قبله ، ولا ظن أحد يتسع له مثله ، والحمد لله على ما أولى لوليه ، وأنعم به عليه .

[ولقد أقيمت][5] بالسند لأمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م [الدعوة ، وانتشرت معالمها][6] ، وكان في تلك الجزيرة السندية أحد الدعاة ممن خلط وغير ، واستجاب على يديه قوم كثير من المجوس ، فتركهم على كثير مما هو محرم في الإسلام ، مما / يستحلونه في دينهم [المجوسي السابق][7] وكان قد بلغ أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م أمره ، فاستهاله ، واستفظعه ، تواضعاً لله ، وإحياءً لملة جده محمد رسول الله ع . م ، وكتب إلى أهل دعوته بالسند يرفض ذلك

١٥٤ /

---

(١) اجتمعوا : أجمعوا في ب

(٢) سقطت الكلمات المحصورة من كلا النسختين ب وجـ فنقلناها عن المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٤٩٤ .

(٣) هذا الشهر أيام : سقطت في ب

(٤) وهبات : وهناء في ب

(٥) ولقد أقيمت : وكان فتح في ب

(٦) الدعوة ، وانتشرت معالمها : سقطت في جـ

(٧) المجوسي السابق : المجوسي في ب

الداعي المغير لدين الله ، ويعتزله[1] لتضيعه الواجب عليه من دين الله ، من النهي عن المنكر ، والأمر بالمعروف في أقواله ، وأفعاله ، وأقام مكانه الداعي حلم بن شيبان في تلك الجزيرة ، لما هو عليه من العبادة والإستقامة ، وحسن النية ، وصفاء السريرة ؛ فلم يصل كتاب أمير المؤمنين ع . م إلاً وقد هلك ذلك الذي توانى في ما يجب عليه ، وأقام المؤمنون حلم بن شيبان حتى يستأذنوا[2] الإمام ع . م ، وينهوا أمرهم إليه ، وقد قص ذلك القاضي النعمان بن محمد (رضي) في ما ألفه حيث قال[3] : وكان بعض الدعاة بجزيرة نائية في صقع بعيد يدعو إلى أولياء الله بعد دعاة تقدموا قبلة في المكان الذي هو فيه ، واستجاب لهم قبله واليه خلق عظيم من أهل تلك الناحية ، وعامة أهلها مجوس ، ولكن قد كان الإسلام فشا فيهم قديماً ، فاتصل بأمير المؤمنين المعز لدين الله أن هذا الداعي الآخر أحدث فيهم حدثاً ، وذلك / أنه دعا عالماً كثيراً من المجوس ، وهم على دينهم لم يسلموا ، ١٥٥ / وتركهم على ما هم عليه ، يستحلون من محارم الله ما كانوا يستحلونه ، ويعملون بما نهى الله ع . ج عنه ما كانوا يعملونه ، من نكاح ذوات المحارم ، وتناول ما لا يحل من المشارب ، والمطاعم ، تعدياً[4] منه لحدود الله جل ذكره ، ووضعاً لأمانته عز اسمه عند من لا يحل وضعها عنده ، لعاجل دنيا أراد نيله بذلك منهم ، واستكثاراً فيما حسنه سوء رأيه ، ثم تعدى ذلك به[5] إلى أن أباح ذلك[6] من محارم الله تعالى اسمه لبعض أهل دعوته من المسلمين ، وغيرهم . قال : فعظم على أمير المؤمنين ع . م من ذلك ما تناهى إليه وأكبره ، وتبرأ إلى الله ع . م منه ولعنه ، وأهمه أمره ، وأشغل صدره ، وكان قد أنفذ إليه رسلاً من قبله ، فطوى عن ما هو عليه ، وسأل الإمام ع . م الرسل عن ذلك فأعلموه به ، وكان فيهم خير فعرفهم ع . م عظيم ما

---

(١) ويعتزله : واعتزله في ب

(٢) يستأذنوا : يواذنوا في ب

(٣) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص (٣٦٠ - ٣٦١)

(٤) تعدياً : تعرى في ب

(٥) ذلك به : بها في ذلك في ب

(٦) أباح ذلك : فباح في جـ

ارتكبته من ذلك ، فتبرأوا منه ، وتابوا إلى الله ع.ج وإلى ولي الله ، من اتباعه على أمره ، ودعاهم ، ثم سألهم من بالحضرة من أهل الناحية وغيرهم عن أفضل من فيهم ، فسموا له رجلاً فكتب إليه ع.م بالعمل على أهل تلك الجزيرة ، واطلاع من يثق به من / المؤمنين المخلصين (قبله) على ذلك ، واستعمال الحيلة في قتل عدو الله المرتد عن دينه ، المبتدع ما ابتدعه ، ونسخ بدعته ، وإظهار دين الله على ما أمر الله ع.ج وأولياؤه به ، وأنفذ أولئك الرسل بذلك ، وبكتاب إليه جواباً عن كتابه ، وبما رأى ع.م أن يكتب به إليه . ١٥٦ /

قال : وعرفنا[1] ذلك في الوقت أهل خاصة مجلسه ، وتفرج بما اغتم به من ذلك إلينا تفضلاً وتطولاً منه ، وكنا نترقب مما نخشى أن يحدث عن ذلك في تلك الناحية ترقب المشفقين ، وقلنا قوم تطاعموا المحارم ، فما الذي يردهم عنها ، وقد فشت فيهم ، وصارت ديناً عندهم ؟ وكان تخوفنا على المكتوب إليه أغلب من الرجاء في هلاك الفاسق المبدل ، غير اننا نرجع في ذلك إلى الثقة بالله لوليه ، وأنه كما عوده[2] مبلغه ما يرجوه ، ومؤمله ، فما كان إلاَّ بقدر وصول الرسل إلى المكان وانصرافهم ، إذ جاء رسل آخرون من تلك الجهة بكتب وأمانات حملوها ، فأدخلهم ع.م فقبلوا الأرض بين يديه ، ومرغوا[3] خدودهم تقرباً إليه ، وحمدوا الله وشكروه على أن بلغهم إليه ، وأدناهم وقربهم لديه ، وبَعُدَ من حضر / في مجلسه عنه بحسب ما يجب لمكان سر إن[4] أخذ معهم فيه ، فسألهم عن الحال فتكلموا بكلام طويل سمعه ، ولم نصرف الإسماع إليه تقية من أن يكون مما لا ينبغي لنا سماعه ، وننظر إلى وجهه ع.م يتهلل لما سمعه ، ويكثر من حمد الله تعالى ، حتى إذا انقضى كلامهم وانصرفوا ، التفت علينا ع.م متهللاً مستبشراً ١٥٧ /

---

(١) وعرفنا : وعرفاناً في ب

(٢) عوده : عادته في ب

(٣) ومرغوا : وفرغوا في ب

(٤) سر إن : سرات في جـ

مروراً فقال[1]: قد سمعتم كلام القوم ؟ فقلنا : سمعناه ، ولم نفهم . فقال : نعم فاسمعوه : ذكروا أن الله ع . ج قد كثر أهل دعوتنا وأوليائنا قبلهم ، وإن كان هذا الفاسق قد بث ما بثه فيهم ، فإنه لم يشتهر فيهم كل الإشتهار ، ولم يكن أطلع عليه إلاً أهل ثقته ، ومن قرب منهم ، وإن الله ع . ج أقبل بملك من ملوك أهل الناحية له قوة ، ومنعة ، وعدة ، ورجال ، فاستجاب إلى الدعوة بمن معه ،وصار في حزب المؤمنين ، وقوي به أمرهم وأظهروه ، وأعلنوه[2] باسمي وشهروه ، وكتبوه على الأعلام ، وخطبوا به على المنابر ، وأن ملوك الناحية أنكروا ذلك عليهم ، فأقبلوا بجموع عظيمة إليهم لا تحصى عددها ، ولا يبلغ[3] عدد المؤمنين عشر معشارها، فلما رأى ذلك الملك المستجيب وأصحابه ، / ١٥٨ اجتمعوا في موضع ، واحتفروا عليهم خندقاً ، فما هو إلاً أن وصل عدوهم إليهم ، وردموا الخندق لكثرتهم ساعة [وصولهم إليه][4] واقتحموا عليهم ، فأمر ذلك الملك المستجيب أصحابه بالجملة ، وجماعة المؤمنين ، وقد حسنت بصيرته ، وخلصت نيته ، فقالوا له : على من نحمل ، وبين أيدينا عدد الثرى ؟ فقال : لا تنظروا إلى ما بين أيديكم من الملأ ، ولكن انظروا إلى السماء ، فإن من عليها معكم ، وهو ناصركم ، ومؤيدكم ، فحملوا حملة صدق ، بنيات خالصة ، وحمل جماعتهم ، وحمل بمن معه فانهزم الملأ بين أيديهم من عدوهم ، ومنحهم الله اكتافهم فقتلوا منهم ما لا يحصى عدده ، وغنموا من أموالهم ، وسلاحهم ، وكراعهم ، ما امتلأت منه أيديهم [وفرق الله جمع عددهم وأقبل الناس ممن حولهم بالطاعة لهم][5] والتسليم لأمرهم ، فدانت لهم مدن كثيرة استعملوا فيها عمالاً ، وأظهروا فيها دعوتنا ، وحازوا لأنفسهم معقلاً حصيناً بقلعة شاهقة منيعة قطنوا بها ،

(١) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٣٦٣ .
(٢) وأعلنوه : على منه في ب
(٣) ولا يبلغ : يبالغ في ب
(٤) وصولهم إليه : وصلوا في ب
(٥) وفرق الله جمع عددهم وأقبل الناس ممن حولهم بالطاعة لهم : سقطت في ب .

واتخذوها دار هجرة ، والداعي اللعين المبدل فيهم يعتقدون طاعته لولايتنا ،
١٥٩ / ويعظمون أمره ، إذ كان يدعو إلينا فما هو [إلى أن][1] انتهى الرسل /
الذين حملناهم في أمره إلى أدنى عمل[2] الجزيرة ، ولم يبق بينهم وبين الموضع إلاّ
مسيرة شهر حتى أذن الله تعالى في الفاسق بما أردناه ، بلا عنت ولا تكلف ، فطرقته
بغلته[3] أعجله الموت فيها على أن يوصي لأحد بمقامه ، ولا أن يقدم[4] أحداً
مكانه ، فيكون قد سد مسده ، وقام مقامه ، وكفى الله مؤنته ، وبلغنا في عفاف ما
أردناه منه بفضله ، ونعمته ، وما عودنا من جميل عادته .

ولما هلك عدو الله اجتمع الدعاة فيمن يقيمونه مقامه إلى وقت مطالعتنا ،
فوقع اختيارهم واتفاقهم على الرجل الذي اخترناه ، وأقمناه ، وكتبنا إليه ، لما
أراده الله ع . ج من تأليف أمرهم ، واجتماع كلمتهم ، وظهور أمرهم على عدوهم ،
ليقيموه عليهم ، ويرسلوا رسلاً من قبلهم لمطالعتنا بأمرهم ، فأكبر الرجل ذلك من
أمرهم ، وقال لهم : إذ قد اتفق رأيكم عليَّ فاسمعوا مني . قالوا : نعم نسمع ،
ونطيع لك . فاختاروا أربعة منهم ، فقال : يكونون على الجميع ، ويكون كل
داع على أهل دعوته ، وأكون أنا النافذ برسالة الجماعة إلى الحضرة ، فما أمر به ولي
الله امتثلناه ، ومن أقامه لنا سمعنا منه وأطعناه ، واختار رجالاً للقدوم معه علينا ،
١٦٠ / وقدم / فلم يسر بعض أيام حتى لقيته رسلنا ، ففرح واستبشر بلقائهم ،
وسألهم عن الحال ، فدفعوا إليه كتابنا إلى جماعة الدعاة ، بما أمرنا به في الخائب ،
فانصرف إلى مقامه ، وبعث بالقوم الذين كانوا بما حمله إلينا ، وكتاب المؤمنين الذين
وافاه الكتاب عندهم من أهل الناحية ،وتناول الكتابين ع . م فقرأهما علينا بنفسه إلى
أخرهما ، فسمعنا من كلام الرجل في كتابه ما لم نجد فيه لفظة ساقطة ، ولا معنى
فاسداً ، ووقفنا من جزالة لفظه ومعانيه ، على ما وثقنا لولي الله بقيامه له ، وذكر

(١) إلى أن : الآن في ب
(٢) عمل : سقطت في ب
(٣) بغلته : بغلة في ب
(٤) ولا أن يقدم : مقدماً في ب

مسرته وابتهاجه ، وما انتهى إليه أمر ولي الله بما أمر به وأحياه ، من دين الله جل ذكره ، وما كانوا أنكروه مما فشا[1] من الخائب من تغيير الدين ، وتبديل الملة ، وارتكاب محارم الله جل ذكره ، وذكروا ذلك في كتابهم ، وطالع الرجل بما يعمل عليه من دعوة من صار من المجوس إلى دين الإسلام ، كما يجب ، ثم الأخذ عليهم بعد أن يسلموا كما ينبغي ، وشاور في كثير من أعماله ، وما يجريه من أموره ، وذكر صنماً معبوداً قبله تحج المجوس إليه كحج المسلمين إلى البيت / الحرام في كل ١٦١ / عام ، فطالع في كسره ، وتعفيته أثره ، وفي أشياء كثيرة يطول بها الكتاب من أمره ، واستمد ولي الله من علمه ، واقتبسه من نوره ، ما يعمل به ، ويدفعه فيمن قبله ، قال[2]: فما ندري [كيف نصف][3] ما كان من ابتهاجنا بذلك ، وموقعه من قلوبنا بما أجراه الله منه على يد وليه ، وسيره له ، ومنحه من صنعه فيه ، وعولنا على تقبيل الأرض بين يديه ، وحمدنا الله وشكرناه ، بما قدرنا عليه واستطعناه ، وسألناه إنجاز وعد وليه ، وبلوغنا إليه .

واشتهر أمر ولي الله المعز لدين الله في الآفاق ، وخضع له أهل العناد والشقاق ، أولو العدوان والنفاق ، وانتشر الدعاة إليه في جميع الجزائر ، وظهرت علومه[4] للبادي والحاضر ، ولم يزل أمره في سمو وصعود ، وعلو تقارنه بضعف أمر بني العباس ، وتغلب عليهم وزراؤهم ، وملك أمرهم أمراؤهم ، فصاروا بين مجندل ومقتول ، أو مخلوع مسمول ، أو مضروب على يده مشوه خلقه ، وقد ذكرنا أمر المقتدر العباسي ومؤنس الخادم ، وما كان من قتل المقتدر[1] على يد

---

(١) فشا : وشى في جـ
(٢) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٣٦٥ .
(٣) كيف نصف : سقطت في ب
(٤) علومه : أعلامه في ب
(٥) كان من الطبيعي أن يكثر الخارجون على الخلافة العباسية في شرق الدولة وغربها ، مستغلين فرصة ذلك الإضطراب الذي عم البلاد منذ أن استأثر الأتراك فيها بالنفوذ دون الخلفاء . السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٤٣٥ . ويصف المسعودي حالة الخلافة في عهد المقتدر بقوله : ⇐

مؤنس ، وقيام المسمى بالقاهر وقتله لمؤنس ، وخلع القاهر في اليوم الـذي[1]

/ ١٦٢ استولى / فيه مخلد الدجال على القيروان ، وبويع بعد القاهر الراضي محمد ابن المقتدر، فأقام مستخلفاً في بغداد ستة أعوام وعشرة أشهر وعشرة أيام ، ثم مات في شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، وأقيم بعده أخوه المتسمى بالمتقي لله إبراهيم بن المقتدر ، ثم خلع بعد ثلاث سنين من خلافته وسملت عيناه لعشر بقين من شهرصفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وبويع بعده المتسمى بالمكتفي بالله عبد الله بن المكتفي فأقام مستخلفاً سنة وخمسة أشهر ، ومات في ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وبويع بعده المتسمى بالمطيع لله الفضل بن المقتدر فأقام تسعة وعشرين سنة ، والحل والعقد في الملك لبني بويه ، وليس له إلاً الاسم ، ذلك في السكة والخطبة ، وهو مغلوب على أمره ، مضروب على يده ، ومات لثمان ليال بقين من المحرم سنة أربع وستين وثلاثمائة بعد أن خلع نفسه مكرهاً ، وذلك أن علي بن أحمد بن بويه الديلمي عضد الدولة أمر رجلا من الديلم فرمى به من سريره ، وقبض عليه ، وبايع بعده لابنه المتسمى بالطايع بن المطيع بن المقتدر ،

/ ١٦٣ وقبض بهاء الدولة بن عضد الدولة / بن بويه على الطائع يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، وأكره فخلع نفسه ، وبايع لاسحق بن أحمد بن إسحق بن المقتدر مكرهاً ، وما زال ذلك دأبهم بين مخلوع ، ومقتول ، ومسمول ، فتحكم عليهم الأعاجم ، وأبقى الله كل ظالم منهم بظالم ، فلم يملكوا في الملك عقداً ولا حلاً ، ولا قطعاً في الأمر ، ولا وصلاً ، ولم نقصد ذكرهم فنستقصي أوائلهم وأواخرهم ، ونأتي على ما كان من دولتهم ، وإنما قصدنا ذكر ما ابتلاهم الله به ، وأتاح من الغلبة لأوليائه ، وبني نبيه

= أفضت الخلافة إليه وهو صغير ، لم يعان الأمور ولا وقف على أحوال الملك ـ فكان الأمراء والوزراء والكتاب يدبرون الأمور ، ليس له في ذلك حل ولا عقد ولا يوصف بتدبير ولا سياسة ، وغلب على الأمر النساء والخدم وغيرهم ، فذهب ما كان في خزائن الخلافة من الأموال بسوء التدبير الواقع في المملكة .

(١) الذي : سقطت في ب

أئمة الهدى ، شموس الحق الطالعة من المغارب ، الذين أخفت الله بهم ذكر كل مناصب ، فتضعضعت دولة بني العباس[1] ، ولم يقم لهم فيها أساس ، وقوي ملك [الروم ، وازداد نفوذه ، فأرسل][2] إلى اقريطش[3] بسبعمائة مركب لحربهم فاستغاث أهلها ببني حمدان ، وبكافور الأخشيدي صاحب مصر ، وبالمملكين على بني العباس من بني بويه ، فلم يجدوا منهم ولياً ولا نصيراً ، وابتلوا بالنصارى بلاء كثيراً ، وأشرفوا على الهلاك ، فاستعانوا بالإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين ع . م قال القاضي النعمان بن محمد (رضي)[4] : وقد / كان طاغية الروم رغب إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م في الموادعة [وبذل له على ذلك أموالاً ، وكانت رغبته إليه في الموادعة مدة طويلة أو][5] أبدية ، إن وجد ذلك ، فرأى الإمام ع . م لما تبيّن له أن ذلك خير للإسلام والمسلمين ، أو ليستجموا فيقووا على حرب المشركين ، ان أجابه إلى موادعة خمس سنين ، ثم اتصل به ع . م بعد ذلك ، وقبل أن تنقضي مدة الموادعة إن أرسل الدمستق الذي هو أقرب رجاله درجة إليه ، وأخصهم به في عدة من السفن كثيرة ، وجيوش جليلة ، حتى أناخ بها على جزيرة أقريطش ، وهم في دعوة بني العباس ، فلما حل بهم من ذلك ما لا قوام لهم به ، وعلموا أنه ليس عند بني العباس نهضة ، ولا لهم لديهم نصرة ، أرسلوا مركباً فيه رجال من قبلهم مع وجه من وجوههم إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م يستغيثون به ، ويسألونه استنقاذهم وإغاثتهم ، فلم ير ع . م وإن كانوا تنكبوا

/ ١٦٤

---

(١) وأجمل ما ينطبق على وضع الخلفاء قول المعتمد العباسي عندما احتاج يوماً إلى ثلاثمائة دينار فلم يجدها ، مما حدا به إلى القول :

أليس من العجائب أن مثلي	يرى ما قل ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً	وما من ذاك شيء في يديه
إليه تجمع الأموال طرا	ويمنع بعض ما يجبى إليه

(٢) الروم ، وازداد نفوذه ، فأرسل : الروم من نفاس في ب

(٣) اقريطش : وهي جزيرة (كريت) المعروفة الآن .

(٤) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٣٠٧

(٥) سقطت الكلمات المحصورة في جـ

عنه ، أن يخيب رجاءهم عنده ، ولا أن يسلمهم إلى المشتركين ، فأمر عندما اتصل به خبرهم ، وقبل أن يصل إليه رسولهم ، بالأخذ في الأهبة والعدة ، ليكون نفوذ الأساطيل في أول زمان الإمكان . ثم قدم الرسول / عليه ، وأدى عنهم ما أرسلوه به إليه ، فرأى ع . م أن ينبذ[1] إلى المشتركين عهدهم ، كما أمر الله بذلك في كتابه ، إن هم أصروا على حربهم ، وأمر بكتاب في ذلك إلى ملك الروم ، وأملاه على الكاتب بحضرة من بين يديه ، بكلام ما سمعت أجزل ، ولا أبلغ منه ، فقال بعد أن خيره بين أن يقلع عن حرب أهل اقريطش ، وبين أن ينبذ[2] إليه عهده ، كما نبذ[3] رسول الله (ﷺ) إلى مشركي العرب عهدهم ، وأرسل علياً ع . م ببراءة فقرأها بالموسم عليهم ، ولقول الله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾[4] إلى قوله ع . ح : ﴿ أَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾[5] وقال في كتابه ع . م : ولا أرى أن دعوة أهل اقريطش قبل اليوم إلى غيرنا ، وقد أنابوا اليوم إلينا ، واستغاثوا بنا ، مما يوجب لك عندنا تمام الموادعة بتركهم إليك ، وترك إعتراضك فيهم ، إن امتناع أهل الباطل من أهل الحق ليس بمزيل حقهم ، وإن تغلبوا عليه دونهم ، بل هو لهم بتصيير الله ع . ج إياه لهم[6] ، فاقريطش[7] وغيرها من جميع الأرض لنا ، بما خولنا الله منها ، وأقامنا له فيها ، أطاعنا من أطاع ، وعصانا من عصى ، / وليس بطاعتهم يجب لنا أن نملك ، ولا بعصيانهم وامتناعهم بحق علينا أن نترك ، ولو كان كذلك لكان الأمر إليهم ، لا لله ع . ج ، الذي خولنا ، ولا لنا ، إن شاءوا أعطونا ، وإن أحبوا

١٦٥ /

١٦٦ /

---

(١) ينبذ : تنبت في ب

(٢) ينبذ : ينبت في ب

(٣) نبذ : نبت في ب

(٤) سورة : ٨/ ٥٩

(٥) سورة : ٥٢١٢

(٦) إياه لهم : إليهم في ب

(٧) يقول فورنيل في كتابه فتح أفريقيا بواسطة العرب ص ٣٣٢ : إن الروم حاصروا هذه الجزيرة بقيادة نقفور فوكاس ، الذي حاصر حاضرتها « كاندي » أكثر من سبعة أشهر ، ثم فتح الجزيرة كلها .

منعونـا ، كلا إن الله الـذي له ما في السمـوات ، ومـا في الأرض ، هو الـذي اصطفانا ، وملكنا ، وأعطانا ، ولو كان ذلك للخلق لما وسعنا[1] قتال من امتنع منهم علينا ، ولا ردّ ما انتزعوه بالغصب من أيدينا ، إذا أقدرنا الله على ذلك ، وبه قوتنا ، فإن قلت أنت غير ذلك ، وأنت قد ترى أن ما في يديك لك ، فقد كان رومانس[2] تغلب عليك ، وعلى أبيك من قبلك ، ثم دارت لكما عليه الدائرة ، فإن رأيت أن من احتجز شيئاً وتغلب عليه فهو له ، دون صاحب الحق الـذي ملكه ، فلم يكن لك ولا لأبيك القيام على رومانس ، ولا انتزاع ما صار إليه من يديه ، فهذا سبيل الحق عندنا ، فإن اعترفت لها ، فقد أنصفت ، وإن جهلتها لم يكن جهلك إياها حجة على من عرفها ، وعهدك إن تماديت على حرب من أناب إلينا منبوذاً إليك ، فانظر لنفسك ولأهل ملكك فإنا مناجزوك[3] وإياهم الحرب ، بعون الله لنا وتأييده[4] ، ولا حول لنا ، ولا قوة إلاّ به . قال[5] : واستمـد أهـل ١٦٧ / / اقـريطش هـؤلاء صاحـب مصـر ، وهـم من أهـل دعـوة واحـدة ، تجمعهـم دعوة آل العباس ، ومراكبهـم بخـيرات بلدهـم ، وأطعمتهـا تمـير أهـل مصر ، وهداياهم تصل إلى عمالها ، فعجز عن نصرتهم ، وسأل من ينظر لأمير المؤمنين في ما قبله أن يكتب إليه ع . م في إعانتهم ، واستنفاذهم ، وأرسل قوماً كانوا منهم[6] قبله ليسألوا أمير المؤمنين ، ويرغبوا إليه في ذلك ، ثم أظهر أن ينصرهـم ، ورمى بعض مراكب في البحر لما اتصل به إنكار العامة عليه التخلف عن نصرتهم[7] فكتب أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م إلى من يكاتبه بمصر جواباً عن كتابه بذلك يخبره أنه قد أمر بإخراج الأساطيل ، وأخـذ في عدتهـا ، فكان فيما كتـب به إليه : أن قل

---

(١) لما وسعنا : وسعناه في ب

(٢) رومانس : ردافس في ب

(٣) مناجزوك : جزاؤك في ب

(٤) لنا وتأييده ، وتأكيده في جـ

(٥) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٣١١

(٦) منهم : من في ب

(٧) نصرتهم : نصر في ب

لصاحبك إن الله سبحانه ، قد خولنا من فضله ، وأمدنا من معونته وتأييده ، مما ترى أنا بحوله وقوته ونصره[1] لنا ، و إظهارنا على عدونا ، أنا نكف[2] أيدي الكفرة عن ما تطاولوا إليه ، من حرب هذا الصقع ، والإيقاع بأهله ، وقد انتهى إلينا أنك أظهرت الحركة إلى الجهاد ، وامداد هؤلاء القوم بمراكب من قبلك ، فأنت وعمري بذلك أجدر لقربهم منك ، واتصالهم بك ، [ومسيرتهم بلدك][3] وكونهم وإياك في دعوة واحدة ، ولو أسلمناهم إليك ، وقعدنا عنهم ، لما كان لك ولا لهم علينا من حجة ، ولكنا آثرنا نصرة أمة جدنا محمد (ﷺ) ، ولم نر التخلف عن ذلك ، وقد رجونا له ، وألقوا بأنفسهم إلينا فيه ، ونحن لا نحول / بينك وبين الجهاد في سبيل الله ، ولا نمنعك من تمام ما أملت منه ، فلا يكن ما يتصل[4] بك من إنفاذ أساطيلنا يريثك[5] عن الذين هممت من ذلك ، وإن كنت تخشى على من تبعث به ، وعلى مراكبك منا ، فلك علينا عهد الله وميثاقه ، أنا لا نكون منهم إلاّ بسبيل خير ، وانا نحلهم محل رجالنا ، ونجعل أيديهم مع أيدينا ، ونشركهم في ما أفاء الله علينا ، ونقيمهم في ذلك وغيره مقام رجالنا ، ومراكبك مقام أساطيلنا ، حتى يفتح الله لنا ، إن شاء الله ، ثم ينصرفوا إليك على ذلك ، أو يكون من أمر الله وقضائه ما هو فاعله ، فاعلم ذلك ، وثق به منا ، ففي تظافر[6] المسلمين على عدوهم ، واجتماع كلمتهم ، إعزاز لدين الله ، وكبت لأعدائه ، فقد سهلنا لك السبيل ، والله على ما نقول وكيل ، فإن وثقت بذلك ، ورأيت إيثار الجهاد ، فاعمل على أن تتقدم مراكبك إلى مرسى تينة من أرض برقة ، لقرب هذا المرسى من جزيرة اقريطش ، ويكون اجتماعهم مع أساطيلنا بهذا المرسى ، مستهل شهر ربيع

/ ١٦٨

---

(١) ونصره : سقطت في ب
(٢) أنا نكف : أنا كف في ب
(٣) ومسيرتهم بلدك : ومسيراتهم بلدهم في ب
(٤) يتصل : اتصل في ب
(٥) يريثك : يرثك في ب
(٦) تظافر : ظاهر في ب

الآخر بتوفيق الله ، وعونه [تأييده ، ونصره ، وعونه][1] وإلا[2] لا ترى ذلك فقد أبلغنا في المعذرة إليك ، والنصيحة لك ، وخرجنا مما علينا إليك ، ونحن بحول[3] الله وقوته وتأييده ونصره وعونه[4] ، مستغنون عنك ، وعن غيرك ، وعلى عزم وبصيرة[5] في إنفاذ / أساطيلنا ، ورجالنا ، وعدتنا ، وما خولنا الله إياه ، وأقدرنا عليه ، مما نرى بحوله وقوته أنا نبلغ به ما نؤم إليه بذلك ، ونصمد نحوه ، فبالله نستعين ، وعليه نتوكل ، وعلى عونه وتأييده نعول ، وهو حسبنا ، ونعم الوكيل[6] .

١٦٩ /

فسارع أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م في إخراج الأساطيل ، وشحنها بالرجال ، وصنوف العدة ، والأموال ، وهو في ذلك في جد وجهد ، إذ أتاه الخبر أن الروم قد ملكوا إقريطش ، ودخلو البلد ليلاً عن موافقة من خرج منهم مسلمة فقتلوا ونهبوا ، ودخلوا الجامع بخيلهم فأحرقوه ، وحملوا منبره إلى بلد الروم ، فاشتد على أمير المؤمنين ع . م ما حل بالمسلمين ، وما ظهر من تضييع أهل مصر لهم ، وهو أقرب إليهم ، وما فاته من نصرتهم[7] ، وكان ذلك في سنة خمسين وثلاثمائة ، وفيها خرج الدمستق ، وهو أعظم من يكون عند ملك الروم ، من

---

(١) تأييده ونصره وعونه : سقطت في ب

(٢) وإلاً : وأن في ب

(٣) بحول : نعون في ب

(٤) وعونه : سقطت في ب

(٥) وبصيرة : وصرة في ب

(٦) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٣١٥

(٧) يؤكد ابن خلدون احتلال الروم لجزيرة اقريطش سنة ٣٥١ هـ فيقول : « إن الربضيين من مهاجري الأندلس استقروا بهذه الجزيرة منذ أخرجهم إليها عبد الله بن طاهر الذي كان والياً على مصر سنة ٢١١ هـ . فكان خروجهم من هذه البلاد وقصدهم إقريطش في هذه السنة » .
استقر الربضيون في إقريطش مائة وأربعين سنة ، ثم غزاهم الروم وطردوهم منها في عهد « أريايوس بن قسطنطين الثامن » إمبراطور الدولة البيزنطي في سنة ٣٥١ هـ . العبر جـ ٤ ص ٢١١ .

الدرب المعروف بحصن الجبل ، فنزل على تل مورة ، فقاتله أهله وظفر بهم ، ودخل البلد فقتل الرجال ، والنساء والصبيان ، ورحل عنهم إلى عين ورن ، فقطع الماء عليهم ، واشتد بهم الأمر ، واختلفت الكلمة ، وليس لهم مدبر ، فقطعوا دعوة ابن حمدان ، حين يئسوا من مادته لهم ، وتناهت عليهم الشدة ، فأرسل الدمستق / إليهم أمير إقريطش ، فحذرهم بما حل بأهل إقريطش ،وأخذ لهم الأمان على أنفسهم ، وأموالهم ، ما خلا السلاح ، وملكها.

١٧٠ /

وكانت قد وقعت حروب كثيرة بين سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان صاحب حلب ، وبين النصارى من الروم ، ووقعات جليلة[١] ،وكانت لسيف الدولة ، وقعات مشهورة ، ونجده مذكورة ، وقتال اشتهر[٢] به ، وجهاد رفع قدره بسببه ، وكان كثير العطاء والإنفاق ، جميل المحيا حسن الأخلاق ، وكان قد جعل دنانير العطاء كل دينار وزن عشرة دنانير ، وقصدته الشعراء ، ومدحه البلغاء ، واجتمع بأبوابه ما لم يجتمع بأبواب الخلفاء ، من الشعراء المجيدين ،والفصحاء المفلقين ، وكفا فخراً يبقى على الأحقاب ، ويتوارث على الأعقاب ، ما طوق أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي في جيد مفاخره ، وعلق في أطواق المدح الذي استخرج درره ، من بحر خاطره ، وأبو الطيب من الفصاحة بحيث لا يجارى ، ولا يمارى ، وديوان شعره أجل من أن يوصف أكثر اشتهاراً ، وقد ذكر أبو الطيب حروبه ، ووقعاته ، وجهاده للنصارى من الروم ، وغاراته ، وما زال في الحرب مدة من السنين حتى كسرته[٣] الروم ، ولم يجد / من خلفاء الدولة العباسية ناصراً ولا معيناً ، ولا مؤازرة ، وأسرت الروم إبن عمه أبا فراس بن حمدان[٤] ، فارس الحرب الصنديد وناظم الشعر المجيد [مدة من

١٧١ /

(١) جليلة : جلية في ب .

(٢) اشتهر : شهر في ب

(٣) كسرته : كثرته في ب

(٤) أبو فراس بن سعيد بن حمدان اشترك في غزوات سيف الدولة ، ووقع في أسر الروم وظل=

السنين ؛][1] وكان أبو فراس شيعياً محباً لآل النبي محمد (ﷺ) من فاطمة الزهراء ، وأمير المؤمنين علي ، وهو منشىء القصيدة التي أولها :

الـدين مخـترم والحـق مهتضـم وفي آل رسـول الله مقتسم

ومنها :

لا يطغـين بنـي العبـاس ملكهم بنـو علي مواليهـم وإن رغموا

وهي قصيدة معروفة مشهورة،وله في الأسر قصائد معروفة تشهد له بالبلاغة على أحسن الصناعة والصياغة ، فيها الجزالة ، ولو قصدنا أن نصف الأشعار لأتينا منها بالغريب القريب ، والبديع العجيب ، مما يرق ويروق ، ويهلو ويفوت ، ولكنا إلى ذلك ما قصدنا وله ما أردنا،وإنما مقصدنا ذكر فضل آل الرسول ، وما خصهم الله به من المقام الخطير ، جرياً على قدر الطاعة ، وإن كان شأوهم ومجدهم وفخرهم ، لا نستطيع أن ندرك وصفه ولحاقه ، وأقام أبو فراس مدة من السنين في الأسر ، ثم فدى نفسه ، وأخرجه الروم بعد أن ناله عظيم من الضر ، فلم تحسن له بعد ذلك / الأيام ، ولم تطل حتى وافاه ريب الحمام ، وقويت الروم على سيف الدولة[2]، وعجزت ملوك بني العباس عن القيام معه،والنصر له ، فجاشت جيوش النصارى عليه ، وانساق منهم الشر إليه ، فلما كان سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة فتحت النصارى حلب[3]، وانهزم سيف الدولة عنها ، وفي سنة أربع

١٧٢ /

= أسيراً حتى افتداه سيف الدولة ويقال انه فدى نفسه ، وله شعر جيد رقيق .

(١) مدة من السنين : سقطت في ب

(٢) استولى سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان على حلب سنة ٣٣٣ هجرية حيث انتزعها من نائب الأخشيد الذي كان يجمع في يده حكم الشام ومصر والذي مد يده في هذه الأثناء إلى حلب ، ثم زحف على حماه فحمص فاستولى عليهما . وبذلك اتسع نطاق ملك بني حمدان وامتد إلى سورية الشمالية والوسطى بالإضافة إلى الجزيرة الفراتية . ابن الأثير جـ ٨ ص ١٣٤ - ١٣٧ .

(٣) يقال بأن غلاماً لسيف الدولة اسمه رشيق النسيمي كان يتولى طرسوس من قبله حيث اتفق مع الروم على تسليمهم حلب ، فزحف على حلب ونازلها وكان سيف الدولة غائباً عنها في ميافارقين وتمكن من دخولها .

وخمسين وثلاثمائة أخذت الروم المصية[1] في النصف من رجب ، وبعدها فتحت طرسوس مما أهاب بالشاعر الأسد بن همام المكحول العرشي لينظم قصيدة يمدح بها كافور الأخشيدي صاحب مصر ، ويستنهضه لنصرة الحصون ، ويصف ما لحقها من الروم ، يقول فيها :

جللٌ فادح وخطب كبير | بلد الشام ضائع والثغور
أيّ صبرٍ على الذي حلّ بالشام | وبالثغر تحتويه الصدور
أيّ مصر لكم إذا ذهب الشام | ولم يبق للشّآم مجير ؟ !
أين أهل التوحيد إنْ عدم العزّ | ولم يبق للجهاد مشير ؟
أين أهل القرآن والعلم بالوحي | فإنّا بنوره نستنير
أين أهل الإيمان يا حجة الله | إلى الشام فالنفير نفير
/ ١٧٣ قد دعاكم إلى الجهاد خفافاً | وثقالاً عليكم مسطور /
أمره فالذي يخالف منكم | ما له بالخلاف إلاّ السعير
فثغور الإسلام من بلد الشام | وما فيه للإمام نكير
والإمام الذي تؤمّله[2] الأمة | في قبضة المجوس أسير

ومنها :

وابن حمدان للثغور فما فيه | لأهل الثغور إلا الغرور
[حلّ عِقدُ الهدى الضلالَ وإنْ لم | يُبرمِ العقدُ ؛ جُلّهُ مبتور][3]
[بمعزٍ وناصرٍ وبسيفٍ | هلك الدين ، واعتلاه الفتور][4]

(١) وكانت وفاة سيف الدولة سنة ٣٥٦ هجرية بالفالج وعسر البول وحمل تابوته إلى ميافارقين ودفن فيها .

(٢) تؤمله : تأمله في ب

(٣) حل عقد الهدى الضلال وإن لم | يبرم العقد ؛ جله مبتور
ورد هذا البيت خطأً في ب .

(٤) بمعز وناصرٍ وبسيفٍ | هلك الدين ، واعتلاه الفتور
سقط الشطر الثاني من البيت في ب .

ثائر بالثغور يسبي الزراري آمنا لا يرومه تحذير

يعني بمعز وناصر ، معز الدولة ، وناصر الدولة ابني بويه ، وسيف الدولة ابن حمدان ، [وقصيدته هذه][1] طويلة ، فلم يوجد عند كافور نهضة ، ولا حياطة للثغور ، وخلفاؤهم العباسيون في أيدي العجم مأسورون ، بين مسمول العينين ، أو مقطوع غضاريف الأذنين ، وحين اشتد على كافور الأمر ، وعظم الضر ، وأشفقوا أن يستولي الروم على مصر ، واصل[2] داعي أمير المؤمنين ع . م الذي بمصر ، وسلم لولي الله في ما يملكه الأمر ، ودخل في عهد الإمام ، وأجرى على أمره ونهيه النظام ، وكتب إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، وطالبه[3] النصر على النصارى ، / واستغاثه أن يستنقذ من المسلمين ١٧٤ / طوائف [لحمايتهم من غشم الكفار النصارى][4] ، فانهض أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م الأساطيل ، وشحنها بالرجال ، والعدة والأموال ، فوافوا النصارى من الروم وهم في جموعهم وعساكرهم ، قد أتوا للزحف[5] على تلك الثغور ، فأوقعوا بهم وبأساطيلهم وقعة لم يكن مثلها في ما سلف من الأيام والدهور[6] ، ومنحهم الله النصر وقوة الدين ، وعز الإسلام ، وافتتحوا قلاعاً كثيرة للروم ، وأخربوا ديارهم ، مستنصرين بنصر الله الحي القيوم ، وأفلت أمير النصارى فصار شارداً ، ومر على وجهه إذ لم يجد من جنود الله ناصراً ، ولا عاضداً ، في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ، وقد ذكر ذلك أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م في جوابه لداعيه بالسند حلم بن شيبان ر.ح ، وقد ورد كتابه يذكر فيه ما هيأه الله له في جزيرة السند من النصر ، وأظهر لأولياء الله هنالك من الأمر ،

---

(١) وقصيدته هذه : وقصيدة في ب

(٢) واصل : وسل في ب

(٣) وطالبه : وطلب في ب

(٤) لحمايتهم من غشم الكفار النصارى : لخوف غشم الكفرين حيارى في ب

(٥) للزحف : حرف في جـ

(٦) والدهور : والنهور في ب

وأنه كسر الأصنام التي كان استأذن الإمام ع . م في كسرها ، وسأل الإمام ع . م عن مسائل فيما يقيم به الدين ، ويقطع[1] ما غيّره داعي السوء السالك سبيل المعتدين ، وسأل / عن أشياء من الفقه ، والحلال ، والحرام ، وعن مسائل في التأويل الذي جعل الله علمه عند أهل الذكر ، من إمام بعد إمام ، فأجابه الإمام ع . م بسجل هو معروف مشهور ، وفي صفحات الكواغد مسطور ، وأول السجل الشريف[2] : بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله ووليه معد أبي تميم الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين إلى حلم بن شيبان ، سلام عليك ، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو ، ونسأله أن يصلي على محمد نبيه ، وعلى آله الطيبين الأخيار ، أما بعد ، فإن كتابنا إليك كتاب من ترادفت نعم الله عليه جل ثناؤه ، فأسنى منها قسمه ، وعظم عنده فضله ، فدأب[3] الشكر عليه ، وترادف[4] لديه عطاؤه ، فواصل الحمد له ، واختصه بلطيف صنعه ، وجميل كفايته ، فيرى من الحول والقوة إليه ، وتكفل بنصره ، فأداخ له ملوك الأرض وجبابرتها[5] ، منتصراً لدينه القيم الذي به أعزه ، وأخذ بحقه من الظالمين[6] الملحدين في آياته ، الصادين عن سبيل هداه ، وتوحده ، بما لم يتوحد به أحدٌ في كل ما يرومه وينتحيه ، ويصرف أسباب همته إليه ، من بلوغ الأمل والتوفيق في العمل ، حتى أنفذ العدو موالياً ، والمخالف موالفاً ، لما بهرهم من دلائل إنجاز / وعد الله لنا ، ولوائح نصره ، وبراهين معجزاته ، ومظهر[7] آياته ، التي وعد العالمين بإظهارها ، فقال جل من قائل : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾[8] وقال : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى

١٧٥ /

١٧٠ /

---

(١) ويقطع : وقطع في ب
(٢) الشريف : المشرف في ب
(٣) فدأب : فاداب في ب
(٤) وترادف : ورادف في جـ
(٥) وجبابرتها : وجبارها في ب
(٦) الظالمين : سقطت في ب
(٧) ومظهر : ومنظر في ب
(٨) سورة : ٢٧/ ٩٣

يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾[1] .

ولم يبق ملك من ملوك المغارب وجبابرتها ، والمشارق ، وإلى أقصى حدود المملكة فيها ، ومن وراء الصحاري والبراري ، من ملوك الحبشة ، إلاّ دان بالطاعة ، وانقاد للمملكة ، وافدين إلى باب أمير المؤمنين ، وباعثين رسلهم بألطاف[2] ، وهدايا ، متوجهين بأنفس ما يجدونه منها ، راغبين في رضانا ، آخذين من الطاعة التي خص الله جل جلاله عباده عليها ، وكان الكفرة الروم على حال من الإنقياد لآداء الجزية ، والوفاء بالعهد ، حتى نالوا بأرض الشام ما نالوه ، مما سماع أقله يفتت أكباد ذوي النهى ، ويمتعض[3] من مثله أولو البصائر ، والحجى ، ويألم به الأقصى والأدنى ، من افتتاح المدن ، وسبي الذراري ، وانتهاك المحارم ، وسفك الدماء ، مما لا دافع يدفعهم ، ولا مانع يمنعهم ، ولا غاضب له إلاّ الله جل ثناؤه ، خائفاً من عقابه ، في تضييع أمة رسوله (ﷺ) فأخفر الكفرة عهدهم ، ونكثوا ايمانهم ، / ونقضوا عقدهم ، وقادهم حينهم للزحف إلى بعض ثغور المملكة ، جزيرة من جزائر البحر ، أهلها محروسون بحراسة الله جل ثناؤه ، وجميل نظرنا لهم ، وقلة غفلتنا عن مثلهم ، وإن كانوا في بعد ونأي ، ورأى [أن يغزوها في البحر][4] فتلقاهم من أقمنا لحراستها ، من الأولياء براً وبحراً ، فأوقعوا بهم وبأساطيلهم ، وقعات كثيرة ، لم يكن في ما سلف من الأزمنة مثلها ، ظللوا بها أحاديث ، ومزقوا كل ممزق ، وأخربوا ديارهم ، وعفوا آثارهم ، وافتتحوا قلاعهم المنيعة[5] من أول الزمان ، وأفلت ذلك المشرك المتغلب المتآمر عليهم ، فظل شارداً مخذولاً ، لا يدري على أي رجل يعتمد ، ولأي وجه يقصد ، قد ألبسه الله الذلة كما نبت العصمة ، وأشعره

/ ١٧٧

(١) سورة : ٤١/ ٥٣

(٢) بألطاف : بلطف في ب

(٣) ويمتعض : ويعوض في ب

(٤) أن يغزوها في البحر : ورأى بحر في ب

(٥) المنيعة : الواعية في ب

الخيفة ، ورداه الندامة ، يصبح خائفاً ، ويمسي نادماً ، وذلك بما قدمت يداه ، وما الله بظلام للعبيد ، وأفاء الله على الأولياء من ذخائر[1] المشركين ، وكراعهم ، وأسلحتهم ، بعد أسر وجوههم ، ما زادهم به قوة وعزاً ، وزاد به المشركين ذلة ، ووهناً ؛ ثم لا يصدق[2] بما نال المشركين من ذريع القتل ، وعظيم الأسر ، إلاً من شاهد ذلك وعاينه ، إذ الصفة تقصر عنه ، والله نحمده كثيراً ، وإياه جل جلاله نشكر ، / وإليه نصرف الرغبة في أن يصل لنا ما منّ به علينا من ذلك ، ببلوغ الأمل في صلاح بلاده ، وهداية[3] عباده ، وأن يصلي على محمد سيد خير رسله ، وخاتم أنبيائه ، وعلى عترته المهديين الأخيار الطيبين . ١٧٨ /

ويقول في هذا السجل الشريف : والذي وصفته[4] مما هيأه الله لكم على من بغى عليكم ، وزحف إليكم ليزعجكم عن مستقركم ، وما دار بينكم وبينهم من القتال المهول ، إلى أن وهبكم الله النصر ، وأمدكم بالمعونة والتأييد ، فقتلتموهم أبرح قتل ، واقتلعتم صنم القوم ، وجعلتم[5] موضعه مسجداً جامعاً ، فيا لها نعمة ما أعظمها ، وفضلاً ما أوضحه ، وأبينه ، وأعظم أجره ، وأبقى فخره ، ملأ قلوبنا فرحاً وسروراً ، ورضى الله ربنا ومولانا ،وخررنا ساجدين لله ، شاكرين حامدين ، وسألنا أن يجزيكم على أمثال ذلك في كل أعدائه ، وأن يقر أعيننا بسلامة جمعكم ، ويذهب غيظ قلوبكم ، ويجمع كلمتكم ، ويثبت قلوبكم ، فلمثل هذه المقامات يجب أن ينصرف فكركم ، وعليها يتواصل نظركم ، حتى يجعل الله لكم في إظهار الملة الحنيفية أجل أثر ، ويكتب لكم فيها السعي المحمود، الموصل إلى نعيم الخلود ، في روح / وريحان، وجنة نعيم . ١٧٩ /

---

(١) ذخائر : مآرب في ب
(٢) لا يصدق : لا يعرف في ب
(٣) وهداية : ودراية في ب
(٤) وصفته : وضعته في جـ
(٥) وجعلتم : ووصلتم في ب

ولقد كنا نحب أن لو لطفت في حمل رأس هذا الصنم ، وفي ما تعمدته من بعد هذا ، ويقدركم الله ع . ج عليه ، فتعمل على حمل رؤوسهم[1] إلينا ، فإن في ذلك فخراً باقياً ، وتحريكاً لإخوانكم المؤمنين من[2] قبلنا ، وزيادة في نشاطهم ، ورغبتهم في الإجتماع معكم للتعاون على إقامة حق الله ، فقد قرب من إنجاز وعد الله لنا ما بعد ، والحمد لله لما[3] هو أهله ، ووليه .

وقال ع . م في ما ختم به السجل المذكور : أنفذنا إليك من أعلامنا المنصورية سبعة أعلام ، تنشرها عند الاحتياج إليها ، فما نشرت على المؤمنين بموقف إلا زادهم الله بها عزاً ، وحباهم بنصره ، ولا على كافر ، ولا مشرك ، إلاّ أذلته بعزها ، وقهرته بقدرة المنعم علينا بما هو أهله ، عرفك الله ومن قبلك بركتها ، وأدى لكم على عدوكم ، وشفى غيظ صدورنا بكم وبإخوانكم ، حتى لا يبقى على الأرض إلاّ من يدين بطاعة الله الأحد ، فيكون الدين لله كما وعد ، إنه لا يخلف الميعاد ، ونحن نخصك[4] ومن قبلك من المؤمنين بالسلام الطيب ، ورحمة الله وبركاته ، وكتب يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقين من شهر رمضان ، سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، وصلوات الله على محمد نبيه ، صفوته من بريته ، وعلى أبرار عترته ، وسلم كثيراً .

/١٨٠ فهذا مما كان / من أخبار السند ، وظهور آيات أمير المؤمنين المعز لدين الله ، وظهور دعوته ، وعز سلطانه ومملكته ، وذلك مصداق لما روي بالإسناد عن الخولي ، عن سلمان ، وحذيفة اليماني ، يرفعونه في الرواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع . م ، ان تمام أمر آل محمد (ﷺ) عند ظهور رايات تخرج من السند .

---

(١) رؤوسهم : رؤسها في ب
(٢) من : و في ب
(٣) لما : كما في ب
(٤) نخصك : نالك في جـ

قال القاضي النعمان بن محمد[1] (رضي) : في ما أتى عنه بعد ذكر هذا الحديث ودعوة ولي الزمان ، قد ظهرت بالسند ، وعز أوليائه ، وغلب داعيه هناك على صاحب مملكة السند فقتله ، وكان على المجوسية ، وقتل رجاله ، وهدم الصنم الذي كانوا يعبدون ، وجعل الهيكل الذي كان فيه مسجداً جامعاً ، وعز سلطانه ، وذلك بحول الله وقوته ، يشهد بإنجاز وعده ، لأوليائه على ما جاء في الخبر من ظهور آيات السند ، إذ قد ظهرت رايات السند في دعوة أولياء الله هناك ، وعز أهلها ، وظهر سلطان أولو[2] الزمان بها .

ذكر أمر مصر ، وخروج القائد جوهر المعزي إليها ، وما هيأ الله لوليه وابن بنيه من فتحها ، والنصر عليها :

كانت مصر قد صار ملكها للأخشيدية والخطبة فيها والدعوة للخلفاء العباسيين ، فلما مات الاخشيد ، وله ولدان / صغيران صار ملك مصر / ١٨١ وأمرها إلى عبده الأستاذ كافور ، وكان خصياً فملك أمرها ، وهو خادم لسيديه أنوجور[3] ، وعلو[4] ، ابني الاخشيد ، وكان الحل والربط والتقديم والتأخير إليه دونهما ، ثم نزل بهما الموت ، وخلص الأمر لكافور[5] ، وعقد له المطيع العباسي على مصر دون الاخشيدية ، فهدى الله كافورا إلى ولاية الأئمة من آل الرسول ، وطاعة أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، فأخذ عليه العهد على يد الداعي لأمير

---

(١) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٣٧٤.
(٢) أولوا : ألوى في ب
(٣) هو أبي القاسم أنوجور (٣٣٤ - ٣٤٩ هـ) .
(٤) هو أبي الحسن علو (٣٤٩ - ٣٥٥ هـ) .
(٥) استبد كافور بكافة الأمور دون ولدي الإخشيد ، واستطاع أن يقضي على الثورات التي قامت في ذلك العهد (٣٣٤ - ٣٥٥ هـ) ، كما انتصر على الحمدانيين في الشام . ولا بد من الإشارة إلى أن الجند في عهد كافور قد انقسموا على أنفسهم إلى فريقين : فريق الإخشيدية ، الذين يناصرون بيت الإخشيد ، وفريق الكافورية ، الذين يتشيعون لكافور ؛ واحتاحت المجاعة مصر ، ودب الفساد فيها ، قبل وفاة كافور في جمادي الأولى ٣٥٧ هـ .

المؤمنين بمصر ، ودخل في الدعوة ، وكاتب أمير المؤمنين المعز لدين ع . م بالطاعة له ، والعمل بأمره ، فأمره أمير المؤمنين ع . م بالإبتداء بالعمارة في قصر القاهرة ، فخرج إلى حيث رسم أمير المؤمنين ع . م فوجد فيه أساس بناء قديم ، فشرع في عمارته[1] وأخذ في البناء ، ثم أتته الوفاة وهو في أول العمارة ، رحمة الله عليه .

وبلغت وفاته أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م فترحم عليه ، وتوسل إلى الله تعالى في المغفرة له ، واجتمعت الإخشيدية ، والكافورية ، وأعوان مصر ، حين وفاة كافور الأستاذ ، فعقدوا الولاية / في مصر وأعمالها لعلي بن أحمد الإخشيد[2] ، وعمره يومئذ إحدى عشر سنة ، على أن يخلف ابن عم أبيه الحسن بن عبد الله بن طغج . وثارت القرامطة بالشام ، واضطرب أمر مصر ، وقبض الحسن ابن عبد الله على الوزير جعفر بن الفضل ، واجتمع الأولياء ، وجماعة من وجوه أهل مصر معهم ، فكتبوا إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م يستدعونه لإنفاذ العساكر إليهم ، ويذكرون له قوة الروم والإفرنج من النصارى والمشركين ، وجماعة القرامطة بالشام ، وضعف أهل الإسلام ، ويستغيثون به ، ويستصرخونه .

١٨٢ /

وكان جوهر القائد قد اعتل علة عظيمة أشرف[3] فيها على الهلاك ، ويئس من برئه ، فقال المعز لدين الله ع . م : لا تغتموا لأجله ، ولا تخشوا عليه ، فإنه سيبرأ من علته ، ويفتح[4] الله مصر على يديه ، فعوفي القائد من علته تلك ، وكان

---

(١) عمارته : عمرت من ب

(٢) إضطربت أحوال مصر بعد وفاة كافور ؛ فلم يكن الخليفة العباسي المطيع (٣٣٤ - ٣٦٣هـ) من القوة بحيث يستطيع أن يولي على مصر من يشاء . لذلك اجتمع رجال البلاط الإخشيدي لاختيار شخص تتفق ميوله مع مشاربهم ، فوقع الإختيار كما يذكر المقريزي ، على أبي الفوارس أحمد بن علي الإخشيد ، ولم يكن قد تجاوز الحادية عشرة من عمره ، وجعل الحسن بن عبيد الله بن طغج ولي عهده وخليفته . خطط المقريزي جـ ٢ ص ٢٧ .

(٣) أشرف : أشفى في ب

(٤) ويفتح : ويستولي في ب

برؤه أول أمارات الفتح ، وبشارات النصر .

وقد ذكر القاضي ابن خلكان في تاريخه قال[1] : كان المعز يقـول لعلي بن القاضي النعمان ، أنـت قاضي مصـر ، فقـال ابن خـلكان ، فـوافـق / بذلك المقدور ، وكان ذلك من المعز استشرافاً للأمر ، ورجاء له ، ولم يعلم ابن خلكان ان ذلك من علم النبوة ، ومما ورث عن أمير المؤمنين علي بن أبـي طالـب ، عن رسول الله ع . م مما نبأه به الروح الأمين عن رب العالمين ، فقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع . م : ما من فئة تهدي مائة وتضل مائة إلاّ وأنا أعرف قائدها وسائقها ؛ وذلك العلم متوارث بين ذريته ، وباق في عترته ، ولن يخلي أرضه ممن يقوم بحجته [2] .

١٨٣ /

وحين وردت وفاة كافور إلى الإمام المعز لدين الله ع . م ، وكتب الأولياء ، ووجوه أهل مصر ، أخذ في تجهيز العساكر وجمعها ، وقدم القائد جوهر عبده على جميعها ، فبرز جوهر بالعساكر إلى رقادة . قال الحسن بن زولاق في سيرة جوهر : فخرج جوهر القائد في أكثر من مائة ألف ، وبين يديه أكثر من ألف ومائتي صندوق من المال في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة . قال : وكان أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م يخرج إلى جوهر في كل يوم / ويخلو به ، وأمره أن يأخذ من فنون الأموال ما يريد زيادة على ما أعطاه[3] .

١٨٤ /

قال صاحب سيرة جوذر مولى الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين : وحـين

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٥٦ .

(٢) يقول المقريزي في خططه جـ ١ ص ٣٧٨ بأن المعز لدين الله قد خاطب زعماء المغـرب فقال : « والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتـح مصر ؛ ولتـدخلن مصر بالأردية من غـير حرب ، وتنزلن في خرابات ابن طولون ، وتبني مدينة تسمى القاهرة ، تقهر الدنيا .

(٣) بدأ الإمام المعز في إعداد حملته منذ ٣٥٦ هـ ، فأقام الطرق وعبدها بين تونس ومصر ، وحفر الآبار ، وأنشأ النزل على طول الطريق . كما أعد الأموال الضخمـة للإنفـاق على حملته ، وأجزل العطايا والمنح للمغاربة ، ولا سيما الكتاميين الذين كونوا العنصر الرئيسي في هذه الحملة . ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ص ٦٢ .

تصرف مولانا المعز ع . م خراج العساكر إلى المشرق ، واحتاج إلى الإنفاق في ذلك ، فاقتضت أمانة الأستاذ جوذر إلى ذكر[1] ما توفر عنده من حسن نظره في شيء باعه من الخزائن ، واستخرج[2] بقايا الأموال (على ما)[3] أضاف إلى ذلك من مال نفسه عملاً وتقرباً ، وكان مبلغ ذلك ماثة ألف دينار (من الذهب)[4] وإثنان وعشرون ألف درهم بعث بذلك إلى مولانا المعز لدين الله ع . م ، فأجابه مولانا ع . م عن جواب كتاب كتبه إليه في شرح ذلك بما هذه نسخته[5] : يا جوذر وقفنا على ما ذكرته ، فاسأل الله أن يهبك من رضاه ، وحنانه ومغفرته ما يستغرق أملك ، وأن يحسن إليك ويحسن عنا جزاءك ،ويكشف ضرك حتى تشاهد معنا حج بيت الله الحرام ظاهراً كما حججته باطناً ، وترى في مخازننا من الأموال الحلال ما يكون لنا الأجر في جمعه عند الله ، وخزي لأعدائنا في الدنيا ، فما يعبد الناس غير الجهاد ، والذي يلزمنا من الإخراج فهو والله شيء لو كان من ماء البحر لكان عجباً ، ولا موفِّر علينا[6] بل / الكل أعوان على التمزيق والإخراج ،وقد ١٨٥ / تدخلنا في ما لا يمكننا التقصير عن بلوغ الغاية فيه ، فاسأل الله أن يتقبل ذلك منا ، ويجعله لوجهه خالصاً وبقاء هذا الذي ذكرته من الأموال عندك مما تقربت به ، قبل الله سعيك وأجزل من رضاه أوفر حظك فاحوط عليه من غيرك فابقه عندك إنشاء الله .

وركب أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م يوماً إلى المعسكر ، وجلس في فازة جوهر ، وجوهر قائم بين يديه ، وقال للمشايخ الذين أخرجهم مع جوهر القائد :

(١) إلى ذكر : سقطت في ب
(٢) واستخرج : خراج في ب
(٣) على ما : مع ما في ب
(٤) من الذهب : سقطت في جـ
(٥) سيرة الأستاذ جوذر ص ٩٣
(٦) علينا : إلينا في ب

والله لو خرج جوهر بسوطه لفتح[1] مصر ؛ ولتدخلن[2] إلى مصر آمنين بالأردية تسلمون على أهل مصر ، ولينزلن جوهر في خرابات ابن طولون ، ويبتني مدينة القاهرة ، تقهر الدنيا[3] . ثم تقدم المعز لدين الله ع . م إلى جوهر بالمسير ، فرفع من غده ، وخرج إليه أمير المؤمنين ع . م إلى رقادة ، ووقف على فرسه ، وقد رفعت فازة جوهر والخيم ، فوقف جوهر بين يديه ، وهو على فرسه مكباً عليه بيساره ، ثم التفت المعز ع . م إلى أولاده ، فقال : ودعوا جوهر . فنزلوا ونزل أهل الدولة لنزولهم[4] فودعوه ، فلما فرغ الوداع / قبل جوهر يد أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، ورجله وحافر دابته ، ثم قال له أمير المؤمنين ع . م : اركب . فركب فرساً ووقف راكباً ، وأمير المؤمنين ع . م يوصيه ويحدثه ، وهو على فرسه [وجوهر راكب طويلاً][5] ثم وقف أمير المؤمنين ع . م وقال له : سِر! فسار جوهر والتفت والمعز لدين الله ع . م قائماً ، ثم أشار ع . م بكمه أن سر ، فحول القائد وجهه يريد العسكر ، ورجع أمير المؤمنين ع . م إلى قصره ، ونزع[6] أمير المؤمنين ع . م الخلعة التي كانت عليه ، وأنفذها إلى جوهر ، إلاّ السراويل ، والخاتم[7] .

١٨٦ /

وكان خروج القائد من أفريقية يوم السبت الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة[8] ، وقال محمد بن هاني الأندلسي يمدح القائد جوهر ، ويذكر توديعه ، وتشييعه ، ويصف الجيش ، من قصيدة طويلة :

---

(١) لفتح : ليفتح في ب
(٢) ولتدخلن : ليدخلن في ب
(٣) الدنيا : سقطت في ب
(٤) لنزولهم : لزوالهم في ب
(٥) وجوهر راكب طويلاً : وركب طويلاً في جـ
(٦) ونزع : لزع في ب
(٧) وتتجلى ضخامة هذه الحملة الفاطمية مما ورد على لسان أحد المصريين ، الذي قال فيها : إنها مثل عرفات كثرة وعدة . المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٧١ .
(٨) قيل بأن مسير جوهو كان في شهر ربيع الثاني من سنة ٣٥٨ هـ .

رأيْتُ بعينــي فوقَ ما كنــتُ أسمعُ وقد راعني يومٌ من الحَشْــدِ[1] أرْوَعُ

غــداة كأنّ الأُفْــقَ سُدّ بمثلِهِ فعادَ غروبُ الشمسِ من حيثُ تطلع

فلــمْ أدرِ إذ سلَّمــتُ كيفَ أُشيِّعُ ولــم أدْرِ إذ شيَّعْــتُ كيفَ أُودِّعُ

وكيف أخوض الجيشَ والجيشُ لُجَّةٌ وإني بمـن قد [قــاد ذا الجيش][2] مـولــع /

/ ١٨٧

وأينَ وما لي بين ذا الجيش[3] مسْلَكٌ ولا لجــوادي في البسيطــة موضع

ألا إنّ هذا حَشْــدُ من لم يذُقْ لَهُ عِـرارَ الـكرى جَفْــنٌ ولا بات يهجَع

فلا عسـكرٌ من قبـلِ عَسـكر جوهرٍ تَخُــبُّ المطــايا فيه عَشْــراً وتوضِع

تسيرُ الجبــالُ الجامــداتُ بَسَيرِهِ وتسجُــدُ من أدْنَــى الحفيفِ وتركَعُ

إذا حَلّ في أرضٍ بناهــا مَدائِناً وإن سار عن أرضٍ ثَوَتْ وهـي بلقع

إلــى أنْ تَبَــدّى سيْفُ دولــةِ هاشمٍ علــى وجهِــهِ نورٌ من الله يلمع[4]

كأنّ ظِلالَ الخافِقــاتِ أمامَهُ غمائِــمُ نَصْــرِ الله لا تَتَقَشع

كأنّ السيوفَ المُصْلَتــاتِ إذا طَمَتْ على البَرِّ بحْرٌ زاخِــرُ المــوج[5] مترع

كأنّ أنــابيبَ الصِّعــادَ أراقِمٌ تَلَمَّــظُ في أنيابِهــا الســمُّ مُنقَع

كأنّ العِتــاقَ الجُــرْدَ مجْوبَــةٌ لَهُ ظِبــاءٌ[6] ثَنَــتْ أجيادَهــا تُتْلع

كأنّ الكُمــاةَ الصِّيدَ لمّــا تغَشْمَرَتْ[7] حــوالَيْهِ أُسْــدُ الفيلِ لا تتكعكعَ[8]

كأنْ حُمَــاةَ الرَّجْــلِ تحــتَ ركابه سيُولُ نَداهُ[9] أقبَلــتْ تتدفع[10]

---

(١) الحشد : الحشر في ديوان ابن هاني الأندلسي منشورات صادر صفحة ١٩٢ .

(٢) قاد ذا الجيش : قاده الدهرَ في الديوان ص ١٩٢

(٣) الجيش : الجمع في الديوان

(٤) يلمع : يَسْطَع في الديوان ص ١٩٣

(٥) الموج : أليم في ب

(٦) ظباء : طبا في ب

(٧) تغشمرت : تغشرمت في ب

(٨) تتكعكع : تتلعلع في ب

(٩) نداه : به وفي ب

(١٠) تتدفع : تشلع في ب

كأن صِعابَ البُختِ إذ ذُلِّلتْ لَهُ … أُسارى ملوكٍ عضَّها القِدُّ ضُرَّع
كأنّ خلاخيلَ المطايا إذا غدتْ … تَجاوَبُ أصْداءُ الفَلا تترجّع
١٨٨ / يُهَيِّجُ[1] وسَواسُ البُرينَ صبابَةً … عليهافتُغْرَى بالحنينِ وتُولَع /
لقد جَلّ مَن يقتادُ الجَيشَ[2] كلَّه … وكلٌّ له من قائمِ السيْفِ أطوَع
تَحُفُّ به القُوّادُ والأمرُ أمرُهُ … ويَقدُمُهُ رأيٌ الخِلافةِ أجمع
ويَسحَبُ أذيالَ الخلافَةِ رادِعاً … به المسكُ من نَشرِ الهُدى يَتَضوّع
له حُلَلُ الإكرامِ خُصٌّ بفضلها … نَسائجَ بالتِّبْرِ المُلَمَّعِ[3] تَلمَع
بُرودُ أميرِ المُؤمِنينَ بُرودُه … كساهُ الرِّضَى منهُنَّ ما ليس يُخلَع
وبين يَدَيْهِ خَيلُه بسُرُوجِهِ … يُقادُ عليهِنَّ النُّضَارُ المُرَصع
وأعْلامُهُ مَنْشُورَةٌ وقِبابُهُ … وحُجّابُهُ تُدْعَى لأمْرٍ فتُسرع
مليكٌ ترى الأملاكَ دونَ بِساطِهِ … وأعناقُهم[4]ميلٌ إلى الأرض خُضَّع
قِياماً على إقدامِهَا قد تَنكبت … صوارمَها كلٌّ يُطيعُ ويَخضَع
تَحِلُّ بيوتُ المالِ حيثُ يَحِلُّهُ … وجَمُّ العطايا والرِّواقُ المُرَفَّع
إذا ماجَ أطنابُ السُّرادقِ بالضُّحَى … وقامَتْ حَواليْه القَنا تتَزعْزَع[5]
وسَلَّ سيوفَ الهندِ حول سريره … ثمانون ألفاً[6] دارِعٌ ومُقنع
رأيتُ منَ الدنيا إليه مَنوطَةً … فَيَمضي بما شاء القضاءُ ويَصْدَع

وقال أيضاً من قصيدة وقد رجع من تشييع العسكر ، وأنشدها بحضرة أمير المؤمنين وهو يصف التخلف عن المسيرة[7] :

---

(١) يهيج : تعج في ب
(٢) الجيش : الخلق في الديوان ص ١٩٤ .
(٣) الملمع : المشهر في ب
(٤) وأعناقهم : وعناقهم في ب
(٥) تتزعزع : سقطت في ب
(٦) ألفاً : سقطت في
(٧) ديوان ابن هاني الأندلسي منشورات صادر ص ٣٠٩ .

١٨٩ / فشيَّعتُ جيشَ النصرِ تشييعَ مُزْمعٍ / ووَدّعْتُـهُ توديعَ(١) غيرِ مُصارم

وقد كدتُ لا ألوي على مَن تركتُهُ ولكنْ عَداني ما ثنى من عَزائمي

ولو أنّني استأثرتُ بالإذنِ وحدَهُ لَسِرْتُ ولم أحْفِلْ بلومةِ لائمُ

طَرِبْتُ إلى يومٍ أُوَفّيهِ حَقّهُ ليعْلَمَ أهلُ الشعرِ كيف مُقاومي

أصَبٌّ إلى مِصْرٍ لِساعَةِ مَشْهَدٍ يَعَضُّ لها عُيّابُها بالأباهم

فإنْ لم أُشاهِدْ يومَها مِلْءَ ناظري أُشاهِدْهُ ملءَ السمْعِ ملء الحيازم

وقد صَوّرَتْ نفسي ليَ الفتحَ صورةً وشامتهُ لي من غيرِ نظرة(٢) شائم

كذاكَ إذا قام الدليلُ لذي النهى على كونِ شيءٍ كانَ ضربةَ لازمِ

على أنّني قَضّيْتُ بعضَ مآربي وأقرَرتُ عيني بالجيوشِ الخَضارم

وآنسْتُ من أنصارِ دولةِ هاشمٍ جَحاجةَ(٣) تَسْعى لدولةِ هاشم

ويَممْتُ (٤) في طُرْق الجهاد سبيلَهم لاصْلى كما يَصْلَونَ لفحَ النسائم

وفارقتُهم لا مُؤثِراً لفراقهم ولا مستخفّاً بالحقوقِ اللوازم

[فلِلّهِ ماضَمّ](٥) السُّرادِقُ والتقَتْ عليه ظِلالُ الخافقاتِ الحوائم

فثَمّ مصابيحُ الظّلام وشيعةُ الـ إمامِ وأُسْدُ المأزِقِ المُتَلاحم

وفي الجيش مَلآنٌ به الجيشُ باسطٌ يَديهِ بقِسطاسٍ من العدل قائم

١٩٠ / مُدبِّرُ حَربٍ لا بخيلٌ بنفسِهِ / عليها ولا مُستأثِرٌ بالغنائِم

ولا صارفٌ راياتِهِ عن مُحارِبٍ ولا مُمْسِكٌ معروفَهُ عن مُسالم

وللصّارخ(٦) الملهوفِ أوّلُ ناصرٍ وللمُتْرَفِ(٧) الجبّارِ أوّلُ قاصم

رِضاكَ ابنَ وحيِ اللهِ عنه فإنّهُ رَعَى أولياءَ اللهِ رعْيَ السوائم

إذا اختلفوا في الأمرِ ألّفَ بينَهم طبيبٌ بأدواءِ النفوسِ السقائم

---

(١) توديع : تودع في ب

(٢) نظرة : ناظر في ب

(٣) جحاجحة : حجاجة في ب

(٤) ويممت : وهممت في ب

(٥) فلله ما ضم : والله ما غنم في ب

(٦) وللصارخ : صارح في ب

(٧) وللمترف : وللرف في جـ

فلا رأيُه في حالـةٍ يَتْبَـعُ الهوَى ... ولا سَمْعُـهُ مُستَـوْقِفٌ للنّمائم
جَزَتْـهُ[1] جَوازي الخيرِ عنهُـمْ فإنّهُ ... سقاهم بشُؤبوبٍ من العلِ[2] ساجم
فقـد سارَ فيهِـمْ سيرةً لم يسِـرْ بها ... مـن النّـاس إلاّ مثـلُ كعـبٍ وحاتم
أفـاءَ عليهـم[3] ضلّ أيامـكَ التي ... زهين[4] بأيّامِ العُلـى والمكارم
ومـا غال جيش الشـرْق قبلك غائلٌ ... ولا سيّمـا بعـدَ العَطـايا الجسائم
وبعدَ صِلاتٍ[5] ما رأى النّـاسُ مثلَها ... ولا حُدِّثـوا[6] في السـالِف المُتقادم
فلا يسألنّـي مَن تخلّفَ عَنهُمُ ... فَيَقْرعَ في آرائِـه سِنٌّ[7] نادم
لَعمْـري همُ أنصـارُ حقٍّ فكلُّهُمْ ... مـن المجْـدِ في بيتٍ رفيعِ الدعائم
لقـد أظهـروا من شكرِ نعمـةِ ربِّهم ... وقائِدهِـم ما لسْـتُ عنـه بنائم
وإنّـي قد حُمِّلْتُ منهـم نَصائحاً ... كرائـمَ تُهْـدي عن نفـوسٍ كرائم
/ ١٩١ إليكَ أميرَ المـؤمنينَ حَمَلْتُها ... ودائعَ كما الأموالِ تحتَ الـخـواتـم /
شَهِـدْتُ بمـا أبْصرتُـه وعِلمْتُهُ ... شهـادَةَ بَرٍّ لا شَهَـادَةَ آثِم
فقُمتُ بهـا عن ألسـنِ القـدم خُطبَةً ... إذا ذُكِرت لم تخْزِهـم في المواسم[8]

وسار جوهر بعساكر أمير المؤمنين وجيوشه حتى انتهى إلى برقة ، فتلقاه عاملها من قبل أمير المؤمنين ، حتى انتهى أفلح الناشب مترجلاً ماشياً ، وكان أمير المؤمنين قد تقدم إليه بذلك .

قال ابن حوقل البغدادي[9] : برقة بالفتح مدينة وسطة بين مصر والقيروان ،

---

(١) جزته : جزيزة في ب
(٢) العدل : الغيث في ب
(٣) أفاء عليهم : أفاعيلهم في ب
(٤) زهين : رهبن في جـ
(٥) صلات : صلوات في ب
(٦) حدثوا : سمعوا في ب
(٧) سِنٌّ : من في ب
(٨) ديوان إبن هاني الأندلسي من منشورات صادر ص ٣١٢ .
(٩) المسالك والممالك جـ ٢ ص ٢٢ .

برية ، بحرية ، جليلة ، ذات مال جم ، وضروب تجارة ، وشرب أهلها من برك يستنقع فيها ماء المطر ، ذات كور عامرة في بقعة فسيحة ، مسيرة يوم في مثلـه ، ويحيط بالبقعة جبل من سائر جهاتها ، وأرضها حمراء التربة ، وثياب أهلها حمراء بها يعرفون بذلك ، وحولها بربر كثيرة ، وكان برقة قد وكان البلاد واستعمل الجهاد لمن خالف أمير المؤمنين من البربر وغيرهم[1] ، ومن يلي مصر من القبائل كبني قرة ، وسواهم من الأعراب ، وفي ذلك يقول محمد بن هانيء من قصيدة يمدح بها[2] .

بكَ دانَ مُلْكُ المشـرقينِ وأهلُهُ ... وأنـابَ بَعـدَ النّـكثِ والخُلعانِ
/١٩٢ إنّـا وَجَدْنـا فتْـحَ مصـرٍ آخِراً[3] ... [لكَ ذكرُهُ][4] في سالِفِ الأزْمـانِ /
فبعزْمـكَ انهـدّتْ قُوَى أركانِها ... وبقُرْبـكَ امتـدّتْ إلـى الإذْعانِ
وَطّـأتَ بالغـارات مَركَبَ عِزِّها[5] ... والجيشَ حتـى ذَلّ للرُّكْبانِ
فإلَيْكَ يُنسَـبُ حيثُ كُنْـتَ وإنّما[6] ... فخـرُ الصُّلـيِّ لقـادِحِ النّيرانِ
عَصَفَتْ على الأعرابِ منكَ زَعازِعٌ[7] ... سَفَـكَتْ دَمَ الأقـرانِ بالأقرانِ
ما قَرّ أعيُنُ آلِ قُرّةَ مُذ سُقُوا ... بـكَ ما سُقُـوهُ منَ الـحميمِ الآني
أخْلـى البُحيرَةَ منهُـمُ والبِيدَ مَا ... خَسفَ الصّـعيدَ بِشـدّةِ الرَّجفانِ
وقُبيلَـةً قَتَلْتَهـا وقَبيلَةً ... أثكَلْتَهـا[8] بالبَـرْكِ في الأعطانِ

---

(١) قيل بأن الإمام المعز لدين الله قد أنفق على إعداد جيوشه التي غزت مصر بقيادة جوهـر الصقلي أربعة وعشرين مليون دينار ، عدا ما حمله ألف جمل من الذهب الذي رصد للإنفاق على هذه الحملة .

(٢) قال هذه القصيدة في مدح أفلح الناشب عامل برقة .

(٣) آخراً : أجراً لك في ب

(٤) لك ذكره : أولها في ب

(٥) عزها : أهلها في ب

(٦) وإنما : فرب في ب

(٧) زعازع : زعابح في ب

(٨) أثكلتها : نكلتها في ب

فشغَلْتَ أهـلَ الخَيمِ[1] عن تطنيبها وأسَمتَهُـم شِرْداً مع الظُّلمانِ
وَسَمَتْ إلـى الواحـاتِ خَيلُكَ ضُمَّراً حتى [انتهـتْ قُدُمـاً إلـى][2] أسْوانِ

ووردت الأخبار إلى مصر بمسير جوهـر في الجيوش المعـزية ، والجنـود ، والعساكر المغربية ، فبهتوا وهلعوا ، واتفـق وجوههـم وأمراءهـم ، جعفـر[3] بن الفضل[4] الوزير ، وكان الحسين بن عبد الله بن طغج قد أطلقـه ، وقلـده أمـر مصر ، وعاد إلى الشام ، فشاور جعفر الجماعة فكلهـم رأى المراسلـة إلى جوهـر بالصلح ، والأمان ، ولم يختلف في ذلك منهم إثنان ، فعندهـا طلبـوا الشريف ١٩٣ / أبـا جعفـر مسلـم بن عبـدالله الحسينـي أن يـكون رسـولهـم إلى القائـد ، ومتوسطاً بينهـم وبينـه في الصلـح ، فأجابهـم إلى ذلك ، وشرط أن يكون معـه الشريف ابراهيم بن أحمـد الحسينـي الـرسي ، وأبـو الـطيب العبـاس بن محمـد العباسي ، والقاضي بمصر أبو الطاهر ، فطلبهم جعفر بن الفضل ، وأمرهم بالمسير إلى جوهر مع الشريف مسلم بن عبد الله الحسيني ، وكتب ابن الفضل الوزير كتاباً إلى جوهر القائد بما يريد ، وكتب كذلك الجماعة .

وسار مسلم في من معه إلى القائد ، يوم الإثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة ، فوصلوا إلى القائد وهو في تروجة[5] فادوا إليه

---

(١) الخيم : الخير في ب
(٢) إنتهت قوماً إلى : أتحت بها على في ب
(٣) جعفر : محضر في ب
(٤) هو جعفر بن الفرات الوزير الذي أعلن أنه لا طاقة له بمقاومة هذه الجيوش الكثيفة ، وأنه يجب أن يسالم الفاطميين . واضطرب أهل الفسطاط قاعدة مصر في ذلك الحين ، وقد حملهم ذلك الإضطراب على الإتفاق مع القائد جوهر ، ولذلك عملوا على اختيار الوزير جعفر بن الفرات وبعض العلويين من ذوي المكانة في مصر ، للتفاوض بشأن الصلح .
(٥) تروجة : قريبة من الإسكندرية ويقال بأن خروج الوفد من الفسطاط كان في ١٨ من رجب سنة ٣٥٨ هـ . وأن القائد جوهر كان على اتصال سري مع إبن الفرات ، وان أعضاء الوفد حين خرجوا من الجيزة ، لم يتأخر عن تشييعهم قائد ولا كاتب ولا عالم ، ولا شاهد ولا تاجر . اتعاظ الحنفا للمقريزي ص ٦٧ .

ما به أرسلوا ، فأجابهم بما طلبوا ، وأسعفهم بجميع ما سألوا ، وكتب لهم كتاباً هذا نصه[1] :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من جوهر القائد عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، لجماعة أهل مصر ، والساكنين بها من غيرها ؛ إنه ورد من سألتموه الترسل إليَّ ، والاجتماع معي ، وهم الشريف أبو جعفر أطال الله بقاه ، وأبو إسماعيل الرسي أيده الله ، وأبو / الطيب الهاشمي أيده الله، والقاضي أعزه الله ، فذكروا عنكم أنكم التمستم كتاباً يشتمل على آمانكم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم ونعمكم وجميع أحوالكم ؛ فعرفتهم ما نفذ به أمر مولانا ع . م ، وحسن نظره لكم فلتحمدوا الله على ما أولاكم ، وتشكروه على ما حباكم ، تدأبوا فيما يلزمكم ، وتسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم ، العائدة بالسعادة المفضية بالسلامة لكم ؛ وهو أنه ع . م لم يكن إخراجه العساكر المنصورة ، والجيوش المظفرة ، إلاَّ لما فيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم ؛ إذ قد تخطفتكم الأيدي ، واستطال عليكم المشرك ، وأطعمته نفسه بالإقتدار على بلادكم في هذه السنة ، والتغلب عليكم ، والإحتواء على نعمكم وأموالكم ، حسب ما فعله في غيركم من أهل بلدان الشرق ؛ وتأكد عزمه واشتد كلبه[2] ، وعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ع . م بإخراج العساكر المنصورة ، وبادر بإنفاذ الجيوش المظفرة ليقاتله دونكم ، ويجاهده عنكم ، وعن كافة المسلمين ببلدان الشرق ، الذين عمهم الخزي ، وغلبتهم الذلة ، واكتنفتهم المصائب ، وتتابعت لديهم الرزايا ، واتصل عندهم الخوف ، وكثرت / استغاثتهم وعظم ضجيجهم ، وعلا صياحهم ، فلم يغثهم إلا من أرمضه أمرهم ، وأمضه حالهم ، وأبكى عينه ما نالهم ، وأسهره ما حل بهم ، وهو مولانا

١٩٤ /

١٩٥ /

---

(١) نشر نص هذا الكتاب أو العهد إلى المصريين في كتاب اتعاظ الحنفا للمقريزي ص (٦٧ - ٧٠) .

(٢) يعني بذلك الدولة البيزنطية . اشتد كلبه : أي اشتد طعمه .

وسيدنا أمير المؤمنين ع . م ، ورجا بفضل الله وإحسانه لديه ، وما عوده وأجراه عليه ، [إستنقاذ من أصبح منهم في ذل مقيم ، وعذاب أليم ؛][1] وأن يؤمن من استولى عليه المهل ، ويفرج روع من لم يزل في خوف ووجل ، وآثر إقامة الحج[2] الذي تعطل ، وأهمل العباد فروضه وحقوقه ، للخوف المستولي عليهم ؛ ولا يؤمنون على أنفسهم ولا على أموالهم ؛ إذ قد أوقع بهم مرة بعد أخرى ، فسفكت دماؤهم ، وابتزت أموالهم ، مع اعتياد ما [جرت به عادته من][3] صلاح الطرقات ، ونفي الفساد عنها ، وقطع عبث العابثين فيها ، ليطرق الناس آمنين ،[4] ويسيروا مطمئنين ، ويتحفوا بالأطعمة والأقوات ، إذ كان قد انتهى إليه ع . م ، إنقطاع طرقاتها ، لخوف مارتها ، إذ لا زاجر للمعتدين ولا دافع للظالمين ؛ ثم تجويد السكّة ، وصرفها إلى العيار[5] الذي عليه السكة الميمونة المنصورية المباركة وقطع الغش منها ، إذ كانت هذه الثلاث خصال ، هي[6] التي

١٩٦ / لا ينبغي لمن / ينظر في أمور المسلمين وإلاّ إصلاحها ، واستفراغ الوسع في ما يلزمه منها ؛ وما أوعز به سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، إلى عبده[7] من بسط العدل ، وإظهار الحق ، وحسم الظلم ، وقطع العدوان ، ونفي الأذى ، ورفع المؤن ، والمساواة في الحق ، وإغاثة المظلوم ، ودفع الظلوم ، وإيثار الحق ، والتقريب والإشفاق ، وجميل النظر ، وكريم الصحبة ، ولطيف العشرة ، وافتقاد الأحوال ، وحياطة أهل البلد في ليلهم ونهارهم وحين تصرفهم في أوان [ابتغاء معاشهم][8] حتى لا تجري أمورهم إلا على ما لم شعثهم ، وأقام أودهم ، وأصلح

---

(١) سقطت الكلمات المحصورة في ب

(٢) الحج : الحق في ب

(٣) جرت به عادته من : ما عاد به في ب

(٤) آمنين : ينبسطوا في ب

(٥) العيار : العيان في ب

(٦) خصال هي : الخصال في ب

(٧) عبده : عبيد في ب

(٨) إبتغاء معاشهم : إبتعاتهم في ب

بالهم ، وجمع قلوبهم ، وألف كلمتهم على طاعة ولي الله ، مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ع . م ، وما أمر به مولانا من إسقاط الرسوم الجائرة التي لا ترضي [صلوات الله عليه][1] بإثباتها عليكم ، وأن أجريكم في المواريث على كتاب الله وسنته نبيه (ﷺ) ، [وأضع ما كان][2] يؤخذ من تركات[3] موتاكم ببيت[4] المال من غير وصية من المتوفى بها ، ولا استحقاق / لمصيرها لبيت المال . وأن أتقدم في رم مساجدكم وتزيينها بالفرش والإيقاد ، وإعطاء مؤذنيها وقومَتها ومن يؤم الناس فيها أرزاقهم ، وأدرها عليهم ، ولا أقطعها عنهم ، ولا أدفعها إلا من بيت المال ، لا بإحالة على من يعطى منهم .

١٩٧ /

وعندما ذكر عبد مولانا أمير المؤمنين ع . م مما ضمنه كتابه هذا ، من ترسل عنكم ، أيدكم الله وصانكم أجمعين ، من طاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ع . م من أنكم ذكرتم وجوهاً التمستم ذكرها في كتاب أمانكم ، وذكرتها اجابة لكم ، وتطميناً لأنفسكم ؛ بل لم يكن لذكرها معنى ، ولا نشرها فائدة ، إذ كان الإسلام سنة واحدة ، وشريعة متبعة ، وهي إقامتكم على مذهبكم ، ومذاهب المسلمين ، وأن تتركوا على ما كنتم عليه من أداء المفروض[5] في العلم ، والإجتماع عليه في مساجدكم وجوامعكم ، وثباتكم[6] على ما كان عليه سلف الأمة ، / من الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين من بعدهم ، وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام لمذاهبهم وفتواهم ؛ وأن يجري فرض الأذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقيام[7] لياليه ، والزكاة والحج والجهاد على ما أمر الله تعالى في كتابه ، وفرضه

١٩٨ /

(١) صلوات الله عليه : سقطت في ب
(٢) وأضع ما كان : واضع ما في ب
(٣) تركات : تركه في ب
(٤) ببيت : لبيت في ب
(٥) المفروض : الفرض في ب
(٦) وثباتكم : وقبائلكم في ب
(٧) وقيام : وفنون في ب

محمد رسول الله (ﷺ) في سنته ؛ وأجرى أهل الذمة على ما كانوا عليه . ولكم عليّ أمان الله التام الدائم ، المتصل الشامل الكامل ، المتجدد المتأكد على مرور الأيام ، وكرور الأعوام ، في أنفسكم وأموالكم ، وأهليكم ونعمكم وضياعكم ورباعكم ، وقليلكم وكثيركم ، وعلى أن لا يعترض عليكم معترض ، ولا يتجنى عليكم متجن ، ولا يتعقب [عليكم معقب :] [1] وعلى أنكم تصانون وتحفظون وتحرسون ويذب عنكم ، ويمنع منكم ؛ فلا يتعرض إلى أذاكم ، ولا [يسارع أهل في الإعتداء] [2] عليكم ، ولا في الإستطالة على قويكم ، فضلاً عن ضعيفكم ؛ وعلى ألا أزال [3] مجتهداً في ما يعمكم صلاحه ، ويشملكم [4] نفعه ، ويتصل بكم خيره ، وتتعرفون بركته ، وتغتبطون منه بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ع . م .
ولكم عليّ الوفاء بما ألزمته نفسي وأعطيتكم إياه ، من عهد الله وغليظ ميثاقه وذمته ، وذمة أنبيائه ورسله ؛ وذمة الأئمة موالينا / آباء مولانا أمير ١٩٩ / المؤمنين ،قدس الله أرواحهم، وذمة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، وذمة عبده ومملوكه ، على أنكم تظهرون طاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ع . م ، وتصرحون بها ، وتعلنون بالإنصراف إليها ؛ وتخرجون إليّ ، وتسلمون عليّ ، وتكونون [5] بين يدي إلى أن أعبر الجسر ، وأنزل في المناخ المبارك ؛ وتحفظون وتحافظون من بعد على الطاعة وتثابرون [6] عليها ، وتسارعون إلى فروضها ، ولا تخذلون ولياً لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين ع . م ، ولا تنصرون له عدواً ، وتقيمون على ما عوهدتم [7] عليه ، وتلزمون ما أمرتم به ، وفقكم الله وأرشدكم أجمعين !
وبخط جوهر كان هذا الأمان في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وصلى الله على

---

(١) عليكم معقب : لديكم معقد في ب
(٢) يسارع أحد في الإعتداء : ولا نساعد أحداً من الإعتداء في ب
(٣) الا أزال : أن لا أزل في ب
(٤) ويشملكم : وتشملكم في جـ
(٥) وتكونون : وكانوا في ب
(٦) وتثابرون : وثابر في ب
(٧) عوهدتم : عاهد في ب

محمد ، وعلى آله الطيبين الأخيار .

وكتب القائد أيضاً بخطه : قال جوهر القائد عبد أمير المؤمنين ع . م وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين ، كتب هذا الأمان على ما نفذ به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين على الوفاء[1] لمن أجاب من أهل البلد وغيرهم ، على ما شرطته ، والحمد لله رب العالمين ، وحسبي الله ، ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد نبيه ، وعلى / آله الطيبين ، وكتب جوهر بخطه بالتاريخ المذكور ، ‎/ ٢٠٠ وكتب الشهود خطوطهم ، وهم : الشريف أبو جعفر مسلم بن عبد الله الحسني ، والشريف أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الحسني الرسي ، وأبو الطيب العباس بن أحمد الهاشمي ، والقاضي أبو طاهر محمد بن أحمد ، وإبنه أبو يعلى محمد بن محمد ، وأبو بكر محمد بن مهلب ، وأبو محمد عمرو بن الحارث المالكي ، وأكرم القائد جوهر نزل الجماعة ، وكانوا في ضيافته ، وكان يتلقى الشريف أبا جعفر إذا جاء إليه ، ويخرج معه إذا انصرف من عنده ، إلى أن يركب[2] .

وكانت الإخشيدية والكافورية ، بعد مسير الرسل إلى القائد جوهر ، قد ندموا على الصلح ، وعزموا على القتال ، وأخذوا في تعبئة العساكر ، وأخرجوا مضاربهم[3]، واتصل بالشريف مسلم والجماعة الذين معه ، وهم عند القائد جوهر ، انتقاض الصلح ، وما عزم عليه أهل مصر من القتال ، وكتموا عن القائد خوفاً من أن يعتقلهم، وبادروا لتوديعه فأجازهم ، وخلع عليهم وحملهم ،

---

(١) الوفاء : الفواد في جـ

(٢) كان الإمام المعز لدين الله قد أنفذ إلى دعاته في مصر أعلاماً وأمرهم أن يوزعوها على من يبايع من الجند ، وأن ينشروها إذا قربت العساكر المعزية ، ولما وصلت الجيوش إلى الإسكندرية فعلوا ذلك . المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٦٦.

(٣) يستدل من الوقائع التاريخية أن الذين امتنعوا عن طاعة كل ما جاء في عهد جوهر والذين ناوأوا الحكم الفاطمي لم يكونوا من المصريين الذي حنقوا على الكافورية والإخشيدية ، وأفتوا بقتالهم وقتلهم . المقريزي اتعاظ الحنفا ص ٧١.

وأعطى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم ، وبلغ القائد جوهر بعد إنصرافهم انتقاض الصلح ، فسار فلحق الجماعة بحلة فحص ، فقال / لهم القائد : ٢٠١ /
بلغني أن القوم قد رجعوا عن ما سألوكم ، فردوا على خطي ، فرفقوا به ، وداروه ، وقالوا : إذاً سيظفرك الله وينصرك : فقال للقاضي أبي طاهر[1] : ما تقول يا قاضي في هذه المسألة ؟ فقال : ما هي ؟ فقال له القائد : ما تقول في من أراد العبور إلى مدينة مصر ويجعلها طريقاً لجهاد المشركين فمنعوه ؟ أيجوز له أن يقاتلهم ؟ فقال القاضي : نعم ! فقال القائد : هات خطك ، وضحك . فقال القاضي : إذاً يكفيك الله أمرهم ، وكانوا قد خافوه ، فودعهم وانصرفوا عنه آمنين ؛ ووصل الشريف أبو جعفر ومن معه إلى مصر لسبع خلون من شعبان من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فركب الناس إليه ، وركب إليه أبو الفضل الوزير جعفر بن الفضل ، واجتمعت عنده الإخشيدية والكافورية وغيرهم ، فقرأ عليهم السجل الذي كتبه القائد ، وأوصل إلى كل واحد جواب كتابه بما أراد من الأمان والإقطاع ، والولاية ، وأوصل إلى أبي الفضل الوزير كتابه بألطف كتاب يخاطب به الوزراء .

ولما قرأ عليهم الشريف السجلات امتنعوا من الصلح[2]، وقال بحرين : ما بيننا وبينه إلاّ هذا السيف ، وتكاثرت الإخشيدية / والكافورية فقرأ عليهم ٢٠٢ /
السجل الذي كتبه القائد ، ودخل أتباعهم ، وضاقت الدار بهم ، وتحاوروا ملياً ؛ ثم قالوا : إنا لا نقاتل إلاّ بالأمير ، فأمروا نحرير شويزان عليهم ، وهو الأصغر ، ونحرير الأكبر ممن يسلم بالإمارة عليه ، واستخانوا أبا الفضل الوزير فخرج عنهم ، وخرج عنهم الشريف مسلم . ثم ان الشريف مسلم رد خط جوهر

---

(١) القاضي أبو طاهر هو قاضي مصر السني .

(٢) وقال أحد قواد الجند مخاطباً الشريف أحد أعضاء وفد مصر : ولو جاءنا جدك بهذا ضربنا وجهه بالسيف . . وعاب ابن الفرات على المتنفضين سلوكهم ، لأنهم هم الذين طلبوا ذلك من الوفد الذي ندبوه لمفاوضة جوهر ، وأنهم بعملهم هذا قد خرجوا على أمر طلبوه بأنفسهم . المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٧٢ .

على ما شرط عليه، وأخذ القوم في تعبئة العساكر، ثم ساروا عسكراً بعد عسكر إلى الجيزة والجزيرة[1]، وتتابعت العساكر بالدروع والجواشن والسلاح. ونزل نحرير بالجزيرة، وحفظوا الجسور، وابتدأ القتال بالجيزة في اليوم الحادي عشر من شهر شعبان، وأسر رجال، وأخذت خيل من عسكر القائد جوهر، ولما ضبطوا الجسر مضى القائد إلى منية الصادين[2]، فلما خفت الإخشيدية والكافورية إلى المخاضة يوم الأحد، وتركوا بالجيزة مفلح الوهباني، وكانوا في قوة من العدد والعدة، وكان سيرهم إلى المخاضة يوم الأحد النصف من شهر شعبان / فحصلوا بمنية شلقان، ٢٠٣ / فلما رآهم القائد جوهر، قال لأبي الفضل جعفر بن فلاح: يا جعفر لهذا اليوم أرادك أمير المؤمنين المعز لدين الله، فعبر جعفر بن فلاح، وهو في موكب، ومعه الرجال خوضاً حتى خرجوا إليهم، ووقع بينهم القتال، وتلاقي الرجال، وتفانى الأبطال، فقتل خلق من الإخشيدية وأتباعه، وانهزمت الجماعة في الليل، ودخلوا إلى مصر، إلى دورهم، فأخذوا ما قدروا عليه، ونهب[3] نحرير شويزان المؤمن عليهم من حضرة داره، وما فيها، ثم سار غداة الإثنين سادس عشر من شعبان فاراً إلى الشام.

وأما نحرير المسمى الكبير فإنه قتل بتلك الوقعة في المخاضة[4]، وأصبح الناس على خوف شديد، وخرجت حرم الإخشيدية والكافورية من دورها حافية ماشية، وجاء أبو محمد الدودياري عامل الخراج، وأبو محمد الفرغاني، وسائر الناس فزعين جزعين، يهرعون إلى الشريف مسلم الحسيني، فأنسهم، وقال: إنا قد لقينا هذا الرجل، يعني جوهر / القائد، وإنا قد وثقنا بعقله[5] ٢٠٤ / وحلمه، فسألوه أن يكتب إلى القائد في إعادة الأمان كما طلبوا، فكتب إليه

(١) الجزيرة : يعني جزيرة الروضة .

(٢) منية الصادين : يقصد بها منية شلقان شمالي الجيزة .

(٣) ونهب : وأنهب في ب

(٤) المخاضة : الخاضة في ب

(٥) بعقله : بعلائقه في ب

الشريف مسلم يهنيه بالفتح ، ويسأله إعادة الأمان ، كما طلبوه ، ثم سألوه أن يزيد كتاباً غير ذلك ففعل ، وأرسل به رسولاً آخر على نجيب ، وجلس الناس عند الشريف ينتظرون الجواب ، ثم جاءت جماعة من أهل مصر ، وكانوا خرجوا إلى القائد جوهر فأمرهم بأمان الناس ، وأرسل معهم رجلاً من عيون رجاله[1] ، ومعه بند أبيض مكتوب عليه اسم أمير المؤمنين المعز لدين الله ، ع . م وبين يديه الأجراس يؤمنون الناس ، ويمنعون من النهب ، فلم ينهب ، ولم يغصب على أحد شيئاً ، وهدأ الناس ، وفتحوا دورهم ، وحوانيتهم ؛ وقامت الأسواق كأنها لم تكن فتنة ؛ ولما كان آخر النهار ورد الجواب من القائد جوهر المعزي إلى الشريف مسلم مع رسوله ، فقرأه مسلم لنفسه ، ثم جهر بقراءته على الناس ، وهو ما هذا نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم »

/ ٢٠٥ وصل كتاب الشريف الجليل ، أطال الله بقاءه ، / وأدام عزه وتأييده وتمكينه ، يهني[2] بما هيأه الله من الفتح المبارك ، وهو أيده الله المهنأ بما هنأ ، لأنها دولته ، ودولة أهله ، وهو المخصوص بذلك ، وأما ما سأل من إعادة الأمان الأول . فقد أعدت إليه ما طلب ، وجعلت إليه عن مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ع . م أن يؤمن الناس بما شاء وكيف [رأى وكيف أحب ، ويزيد على ما كتبته كيف شاء . فهو أماني وعن إذني وإذن مولانا وسيدنا أمير المؤمنين][3] . وقد كتبت إلى الوزير بالإحتياط على دور الهاربين إلى أن يدخلوا في الطاعة ، في ما دخلت فيه الجماعة ، ويعمل الشريف ، أيده الله ، على لقائي في يوم الثلاثاء لسبع عشر تخلو من شعبان ، بجماعة الأشراف ، والعلماء ، وأهل البلدان إن شاء الله[4] .

---

(١) أرسل جوهر مع صاحب الشرطة في الفسطاط رسولاً معه بند عليه اسم المعز لدين الله ، وبين أيديهما الأجراس بأن لا مؤونة ولا كلفة ، وأمن الناس ، وفرقت البنود ، فنشر كل من عنده بند بنده في درب حارته . وبذلك تم استيلاء جوهر على مصر ، دون أية معارضة تذكر . المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٧٢ .

(٢) يهني : سقطت في ب

(٣) سقطت الكلمات المحصورة من ب

(٤) المقريزي : إتعاظ الحنفا ص ٧٢

فلما قرأ الشريف كتاب القائد على الناس ، فرحوا ، واطمأنوا ، وانصرفوا متأهبين[1] للقائه؛ وزال عنهم من الخوف ما عراهم[2] ، وقال رسول الشريف الذي أرسل إلى القائد للشريف : إني وجدت عند القائد رأس نحرير الأكبر ، ومبشر ، وبلال الطبائي ، ويمن الطويل ؛ في طشت فضة ، ورؤوساً كثيرة مطروحة

٢٠٦ / / في ناحية الفازة ، ولم يكن صح للشريف من قتل ومن نجا؛ ثم خرج يوم الثلاثاء السابع عشر خلت من شهر شعبان الشريف مسلم الحسني ، وأبو الفضل جعفر بن الفضل الوزير ، وجماعة أهل مصر إلى الجيزة ، فلما اجتمعوا مع القائد جوهر نادى مناديه ينزل الناس كلهم إلاّ الشريف والوزير ، فنزل الناس كلهم ، وسلموا على القائد واحداً واحداً ، وأبو جعفر أحمد بن نصر يعرفه بالناس ، ومسلم الحسني عن يمينه ، وأبو الفضل الوزير عن يساره ، وهم على دوابهم ، حتى سلموا عن آخرهم .

ودخل القائد جوهر المعزي مدينة مصر يوم الثلاثاء لسبع عشر ليلة خلت من شهر شعبان سنة ثماني وخمسين وثلاثمائة[3] وابتدأ الناس في الدخول منذ زوال الشمس ، فعبروا الجسور بالدروع والجواشن ، ودخلت القباب والمحامل والرايات ، ودخل وجوه العسكر بالأردية يسلمون على الناس كما وعدهم أمير

٢٠٧ / المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، يوم وداعهم ، ودخل بين يدي القائد / جوهر ألف ومايتا صندوق من المال ، ثم دخل القائد جوهر بعد صلاة العصر ، وبنوده بين يديه ، وطبوله ، وعليه قميص ديباج مثقل ، وشق المدينة ، ونزل في مناخة موضع القاهرة ؛ ثم اختط موضع قصر القاهرة المعزية ، وأخذ في بناء سورها وتحصينها ، وأقام العسكر يدخل سبعة أيام من أول يوم الثلاثاء إلى آخر يوم

---

(١) متأهبين : موهوبين في ب

(٢) ما عراهم : عريهم في ب

(٣) عبر جوهر الجسر المقام على النيل بين الجيزة والفسطاط، في يوم ١٧ من شعبان سنة ٣٥٨ هـ ، وعسكر بجنوده شمالي مدينة القطائع التي أسسها أحمد بن طولون (٢٥٤ - ٢٧٠ هـ) ووضع أساس مدينة القاهرة إثر وصوله .

الإثنين . وكان فتحاً عظيماً أتاحه الله لوليه المعز لدينه ، وقضى سبحانه ببسط يده وتمكينه ، وجعله على جزائر الأرض كما جعل يوسف بن يعقوب عليها ، والله يمكن لمن يشاء[1] من أوليائه في الأرض ، ويزويها عن من يشاء منهم إختياراً ، والحمد لله على ما أولى وعافى ، وابتلى ، وله في الآخرة والأولى ، وهو الفاعل لما يشاء .

وأزال القائد جوهر أمر بني العباس عن مصر وأعمالها ، من المنابر ، والسكة ، والبنود ، والرسوم ، بعد أن أقام أمرهم فيها مائتي سنة ، وخمسة وعشرين سنة ، وثمانية أشهر ؛ لأن صالحاً بن علي بن عبد الله / بن العباس دخل إلى مصر للنصف من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائة ، وكان قتل مروان ابن محمد الأموي آخر ملوك بني أمية ببوصير لسبع بقين من ذي الحجة من تلك السنة ، ولم يزل في مصر أمر بني العباس حتى قطعه جوهر القائد ، وأزال لبس السواد في الخطبة ، وتلك سنة بني العباس[2] . ‏/ ٢٠٨

ولما كان من غد يوم دخول القائد جوهر وصل علي بن الوليد قاضي عسكره ، ومعه الشرطة ، وبين أيديهم أحمال الأموال على البغال فطافوا بها ، والمنادي ينادي

---

(١) كان لهذا النصر رنة فرح بالغ في بلاد المغرب ، وقد أخذ الفرح من نفس المعز كل مأخذ ، لأنه أصبح خليفة على جميع شمال افريقية ، وعلى بعض جزائر البحر الأبيض المتوسط .

(٢) كانت سياسة جوهر الصقلي مع المصريين ، تدل على شيء كثير من المهارة ، فقد سار في حكم هذه البلاد في حذر وتؤدة ، ولم يشأ أن يواجه المصريين بالإنتقال الفجائي من المذاهب السنية إلى المذهب الإسماعيلي ، فأمر بإبطال الخطبة للخليفة العباسي من مصر ، وأقامها للخليفة المعز لدين الله ، في أرجاء البلاد كافة ، وضرب السكة باسمه ، بدلاً من اسم الخليفة العباسي ، فكتب على أحد وجهيها : باسم مولانا المعز ، دعا الإمام معد بتوحيد الإله الصمد ، وفي السطر الثاني المعز لدين الله أمير المؤمنين : وفي السطر الثالث : باسم الله ، ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، كما كتب على الوجه الآخر : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، علي خير الوصيين ، وزير خير المرسلين . المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٧٦.

من أراد الصدقة فليأتِ ، ففرقوا تلك الأموال في الصدقات ، وأقر القائد جوهر الوزير أبا الفضل جعفر بن الفضل على وزارته ، وكان يركب إلى القائد جوهر في كل يوم إلى مناخه ، وفي يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان سنة ثماني وخمسين ركب جعفراً بن الفضل بمعية القائد جوهر إلى المسجد الجامع العتيق لصلاة الجمعة ، وقام الخطيب على المنبر ، / وعليه ثياب بيض ،فخطب ودعا لأمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م، فقال في الخطبة الثانية : ٢٠٩ /

اللهم صل على عبدك ووليك ، ثمرة النبوة ، وسليل العترة الهادية المهدية ، عبد الله الإمام معد أبي تميم ، المعز لدين الله أمير المؤمنين ، كما صليت على آبائه الطاهرين ، وأسلافه المنتجبين ، الأئمة الراشدين . اللهم ارفع درجته ، وأعلِ كلمته ، واوضح حجته ، واجمع الأمة على طاعته ، والقلوب على موالاته ، واجعل الرشاد في موافقته ، وورثه مشارق الأرض ومغاربها ، وأحمده مبادىء الأمور وعواقبها ، فإنك تقول وقولك الحق : ﴿ لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثُها عبادِيَ الصالحون ﴾[1] . فقد امتعض لدينك ، ولما انتُهِك من حرمتك ، ودَرَس من الجهاد في سبيلك ، وانقطع عن الحج إلى بيتك وزيارة قبر نبيك ، (ﷺ) فأعدّ للجهاد عدته ، وأخذ لكل خطب أهبته ، فسير الجيوش لنصرتك ، وانفق الأموال في طاعتك ، وبذل[2] المجهود في رضاك ؛ فارتدع الجاهل ، وقصر المتطاول وظهر الحق وزهق الباطل . فانصر اللهم جيوشه التي سيرها ، وسراياه التي ندبها لقتال المشركين ، وجهاد الملحدين ، والذب عن المسلمين ، وعمارة / الثغور والحرم ، وإزالة الظلم ، والبهم ؛ وبسط العدل في ٢١٠ /

---

(١) سورة : ٢١/١٠٥ .

(٢) وأمر القائد جوهر بإبطال السواد شعار العباسيين ، الذي اتخذه الأمراء وكبار الموظفين في عصر الإخشيديين ، وأمر الخطباء بارتداء الملابس البيض ، شعار الفاطميين ، وأعد المصريين لقبول عقائد الفاطميين . ولذلك نهى الناس عن التكبير بعد صلاة الجمعة ، وكان من العادات المألوفة عند السنيين، وأقال، رئيس ديوان المظالم ،ونظر فيها بنفسه ، وأصدر أحكامه على وفق عقائد المذهب الإسماعيلي مذهب الفاطميين.

الأمم . اللهم اجعل راياته عالية مشهورة ، وعساكره مؤيدة منصورة ، واصلح البلاد[1] به وعلى يديه ، واجعل لنا منك واقية عليه ، إنك لفعال لما تريد[2] .

وأمر القائد بنقش سكة الدينار المعزية ، وكان في الوجه الواحد لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، علي خير الوصيين ، وزيد خير المرسلين ، وفي الوجه الآخر دعا الإمام معد لتوحيد الإله الصمد المعز لدين الله أمير المؤمنين ، ضرب هذا الدينار سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة .

وأمر القائد جوهر بالنظر في الخراج ، وجلس بنفسه للمظالم يوم السبت ، وكان يحضر مجلسه أبو الفضل جعفر بن الفضل الوزير ، والقاضي أبو الطاهر محمد بن أحمد ، وجماعة الشهود ، والفقهاء ، وأقر جوهر[3] القاضي أبا طاهر على ما كان عليه من القضاء ، وجعل مع كل مصري من الشهود مغربياً ، وبادر القائد جوهر حين استولى على مصر بالكتابة إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م يبشره بالفتح ، وأنفذ / إليه الرؤوس ، وكتب جعفر بن فلاح ، إلى أمير المؤمنين ع . م كتاباً يبشره أيضاً بالفتح ، فوصل كتاب جعفر بن فلاح قبل كتاب القائد جوهر ، فسر أمير المؤمنين ع . م ، وقال للرسول : إكتمه . ثم وافى كتاب القائد جوهر ، وانتشر الخبر ، وجلس أمير المؤمنين ع . م مجلساً عاماً بالمنصورية ، فهنأه الناس ، وأنشد الشعراء بين يديه ، ففي ذلك يقول محمد بن هاني الشاعر الأندلسي[4] : / ٢١١

تقول بني العبّاس هل فُتحتْ مِصرُ   فقُل لبَني العَباسِ قد قُضِي الأمْرُ

---

(١) البلاد : سقطت في ب

(٢) ألقى هذه الخطبة في التاسع عشر من شعبان سنة ٣٥٨ هـ ، هبة الله بن أحمد خليفة إمام الجامع العتيق .

(٣) وأصبح المسجد المكان الذي تذاع فيه الأخبار الهامة التي تتعلق بمصلحة العامة . وغدا القضاة يتخذون من المساجد أماكن يقضون فيها بين المتخاصمين ، واتخذ الفاطميون المساجد مراكز لنشر شعائر مذهبهم .

(٤) ديوان ابن هاني الأندلسي منشورات صادر ص ١٣١ .

قد جاوَزَ الاسكندريّةَ جوهَرٌ   تُطالعُه البُشرَى ويقدمُهُ النَّصْرُ
وقد أوفَدَت مصْرُ إليه وفُودَهَا   وزِيدَ إلى المعقود من جِسرها جسر
فما جاء هذا اليومُ إلاَ وقد غدتْ   وأيديكُمُ منها ومِنْ غَيرِها صفر
فلا تكثُروا ذكر الزمان الذي خلا   فذلك عصْرُ قد تَقَضّ وذا عَصر
أفي الجيش كنتمْ تمتَرونَ رُويدكمْ   فهذا القنا العرّاصُ والجحفلُ المَجر
وقد أشرَفَتْ خيلُ الإِله طوالِعاً   على الدين والدنيا كما طَلَعَ الفجر
وذا ابنُ الله يطلُبُ وِتْرَهُ   وكانَ حَرًّ أن لا يضيعَ(١) له وِتر
ذَرُوا الوِرْدَ في ماء الفُرات لخيلِهِ   فلا الضَّحلُ منه تمنعون ولا الغَمر
٢١٢ / أفي الشمس شكٌ أنها الشمسُ بعدما   تجلَّتْ عياناً ليس من دونها سِتر /
وما هي إلاّ آيةٌ بعْد آية   ونُذْرٌ لكم إن يغنيكمُ النُّذر
فكونوا حصيداً خامدين [أو ارعَوُوا](٢)   إلى مَلِكٍ في كفّه الموتُ والنشر
أطيعوا إماماً للأئمّةِ فاضِلاً   كما كانتِ الأعمالُ يَفضُلُها البِرُّ
رِدُوا ساقياً لا تَنزِفونَ حياضَهُ   جَموعاً كما لا تَنزِفُ الأبحُرَ(٣) الذَّرُّ
فإن تتبعوه فهو مولاكمُ الّذي   له برسولِ الله دونكمُ الفخر
وإلاّ فبُعْداً للبُعيدِ فبينَهُ(٤)   وبينكُمُ ما لا يُقرِّبُهُ الدّهر
أفي ابنِ أبي السِّبْطَينِ أم في طليقكم   تنزَّلَتِ الآياتُ والسُّوَرُ الغُرُّ؟
فقد دالتِ الدنيا لآل محمّدٍ   وقد جرَّرتْ أذيالَها الدولةُ البِكر
ورَدَّ حقوقَ الطالبيّينَ مَن زكَتْ   صنائعُهُ في آلهِ وزكا(٥) الذُّخر(٦)
مُعِزُّ الهُدَى والدين والرحِمِ التي   به اتَّصَلَتْ أسبابُها ولهُ الشُّكر

---

(١) يضيع : يضاع في ب
(٢) أو ارعووا : وارعو في ب
(٣) الأبحر : الأنحر في ب
(٤) فبينه : فنيته في ب
(٥) وزكا : وزار في ب
(٦) الذخر : الذكر في ب

[مَن انتاشَهُم][١] في كلِّ شرقٍ ومَغـرِبٍ ... فبُـدِّلَ أمْنـاً ذلك الخـوْفُ والذُّعْرُ

فكُلٌّ إمَـامِيٍّ يجـيءُ كأنّمَا ... على يدِهِ الشِّعْرَى وفـي وجهـه البدر

فَبَشِّـرْ به البيتَ المحـرَّمَ عاجلاً ... إذا أوجفَ التطـوافُ بالنـاس والنَّفر

وهـا فكأنْ قد زارَهُ وتَجانَفَتْ ... به عن قصور المُلك [طَيْبَةُ والسِّرُّ][٢]

٢١٣ / هل البيتُ بيتُ الله [إلاّ حريمُهُ] ... وهل لغريبِ الدارعن أهـلـه صَبـر ؟ /

منازِلُـهُ الأولـى اللَّواتـي يُشقْنَهُ[٣] ... فليس له عنهُـنَّ معْـدِى ولا قصرْ

وحيثُ[٤] تلَقّى جدُّهُ[٥] القدسَ وانتحَتْ ... لـه كلمـاتُ اللـهِ والسـرُّ والجهرُ

فإن يَتَمَـنَّ البيتُ تلك فقـد دَنَتْ ... مواقيتُها والعُسْـر من بعـدِهِ اليُسر

وإن حَنَّ من شوْقٍ إليكَ فإنّهُ ... ليَوجَـدُ من رَيّـاكَ في جوِّهِ نَشْر

ألسـتَ ابـنَ بانيهِ فلـو جئتَـهُ انجلَتْ ... غواشيه وابيضَّـتْ [مناسـكُه الغُبْر][٦]

حبيتَ إلـى بطحـاءِ مكّةَ موسِمٌ ... تحُيي مَعَـدّاً فيه مكّةُ والحِجْر

هنـاك تُضـيءُ الأرضُ نوراً وتلتقي ... دُنُـوّاً فلا يَستبعِـدِ[٧] السَّفَـرَ السَّفَر

وتـدري فُروضَ الحـجِّ من نافِلاتِهِ[٨] ... ويمتـازُ عنـدَ الأمَّـةِ الخَيرُ والشرُّ

شهِدتُ لقـد أعـززتَ ذا الـدينَ عزّةً ... خَشيتُ لهـا أن يَستبِـدَّ به الكِبْر

فامضَيتَ عَزمـاً ليسَ يَعصيك بعدَه ... مـن النـاس إلاّ جاهـلٌ بك مغترٌّ

أُهنّيكَ بالفتْـحِ الـذي أنـا ناظِرٌ ... إليه بعَين ليسَ يُغمِضُهـا الكفر

رضينالـكُمْ يا أهـلَ مِصـرٍ بدولةٍ[٩] ... [أطاعَ لناً في ظلِّهـا الأمْـنُ والوَفْر][١٠]

---

(١) من انتاشهم : منها نتاشهم في ب

(٢) طيبة والسر : صبيه الشزر في ب

(٣) يشقنه : يشقينه في ب

(٤) وحيث : وحيزه في ب

(٥) جده : جدته في ب

(٦) مناسكه الغبر : منازله الغر في ب

(٧) يستبعد : يستعبد في ب

(٨) نافلاته : ناولاته في ب

(٩) بدولة : بعد له

(١٠) أطاع لنا في ظلها الأمن والوفر : دليلاً على العدل الذي عنه بعز في ب

فذاك بيانٌ واضـحٌ عن خليفةٍ   كثير سواهُ عنـد معروفـه نَزْر

لكُمْ أُسْوةٌ فينـا قديمـاً فلـم يكنْ   بأحوالنـا عنـكم خَفـاءٌ ولا سَتر

214 / وهـل نحـنُ إلاّ مَعشرٌ من عُفاتِهِ   لنا الصافناتُ الجُردُ والعسكر[1] الدثْر/

فيا مالِـكاً[2] هُديُ الملائِـك هُديُهُ   ولـكنّ نَجْـرَ الأنبياء له نَجر

ويا رازقـاً من كفـهِ نَشَـأ الحَيَا   وإلاّ فمِـنْ أسرارِهـا نَبـعَ[3] البحر

ألا إنّمـا الأيامُ أيامُـكَ التي   لك الشَّطرُ من نعمائها ولنـا الشَّطر[4]

لك المجدُ منها يا لك الخيرُ والعُلى   وتبقـى[5] لنـا منهـا الحَلوبـةُ والدَّرُّ

لقـد جُدْتَ حتـى ليس للمـالِ طالِبٌ   وأعـطيْتَ[6] حتـى ما لمُنْفِسَـةٍ[7] قَدْر

وَدِدتُ لجيلٍ قد تقَـدَّمَ[8] عصرُهم   لوِ استأخروا في حَلبة العُمـرِ أو كرُّوا

ولـو شَهِـدوا الأيامَ والعيشُ بعدهم   حدائـقُ والآمـالُ مونِقَـةٌ خُضْرُ

وقال علي بن عبدالله التونسي يخاطب أمير المؤمنين عليه السلام، ويذكر القائد جوهراً من قصيدة :

وإنِ اعتلـى حسـنُ الثّنـاءِ بجوهرٍ   فلقـدْ كرمتـم قايداً ومَقُودا

بدرٌ يسير بأنجـمٍ وغضنفرٌ   يجتـزُّ من أجـمِ الرمّـاحِ أسودا

صان الخلافـة باذلاً من دونها   رأياً علـى جلّ الخطـوب سديدا

ومكائـداً جاشـت أمـامَ جيوشه   فتـركن ركن عداتـه مهدودا

---

(1) والعسكر : والشكر في ب
(2) مالكاً : ملكاً في ب
(3) نبع : يتبع في ب
(4) الشطر : الفطر في ب
(5) وتبقى : سقطت في جـ
(6) وأعطيت : وأنفقت في ب
(7) لمنفسة : لنفسه في ب
(8) تقدم : تقضت في جـ

فإذا مضى الخطيُّ في آثارها | لم يلق إلا مشرعاً مورودا
وإذا الأئمة عدّدتْ أسيافها | لم يلق إلاّ الأوَّلَ المعدودا
/ ٢١٥ وإذا كريم الطبع قَرَّبَهُ مِنَ النّا | ئين كان المستعابُ[1] بعيداً /
ذو النيّة الخلصاء يصفو مذهباً | ويطيب أعراقا ويكرم عودا
والله قدّم وعده لوليّه | فتنجزوا بعداكم الموعودا
والخيل حافية إذا لم تنتعل | في وسط مرتكم النجيع حديدا[2]

وقال عبد الله بن الحسن الجعفري السمرقندي ، من قصيدة طويلة يمدح فيها :

ألاَ فليقرّ الله عين الهدى فكم | جلبت بها من نعمة لشكورها
لئن[3] خبرّت عن أرض مصرٍ فإنّها | إلى الأرض تومي سهلها ووعورها
فبورك للإسلام في نيل ثأره | وهُنّيت الدّنيا بعدل أميرها
فشدّت عرى الإسلام بعد انفصامها | وردّت عواري الملك من مستعيرها
وقام بحق الله في الخلق قائم | أنار سبيل الحق بعد دثورها
ولما فشا طغيان مصر وأكثرت | نوادبها من ويلها وثبورها
فجاء منيما قدحها غير فائز | ومرت عليها بارحات طيورها
وقابلت النعمى بكفر فأصبحت | وقد [زادت البؤس][4] بأكناف دورها
غداة أبستْ الإنفاقَ عصابة | أصاخت إلى ضِلّيلها وغرورها
رأت أنَّ قطعَ الجسرِ وصْلُ حياتها | فقصَّرَ ذاك الرأيُ باقي قصيرها
وصادمها من جوهرٍ صلدُ صخرةٍ | ففضَّ من الأعداء صلدَ صخورها
/ ٢١٦ وأجرى بحارَ الجيش فوق بحارها | ونابت له آراؤه[5] عن جسورها /

(١) المستعاب : المعاب في ب
(٢) حديدا : جيدا في ب
(٣) لئن: لان في ب
(٤) زادت البؤس : زارت البوس في ب
(٥) آراؤه : آراءوه في ب.

ومـا شعـروا إلاّ بـه وسْـطَ دارهـم — فـأكرِمْ بهـا من روضـةٍ وغديرِها
ففرّقَهُـمْ أيدي [سبأٍ كأنهّم][1] — حصيدٌ رمتـه جذوةٌ بسعيرها
كأنّ رقـاب القـوم والهـام وسطهـا — حروفٌ بدت للشّكل بين سطورهـا.!
فقـل لبنـي العبـاس شيمـوا سيوفكم — فَقِدْمـاً عصيتـم ربّـكم بصدورها
وليتـم أمـورَ النّـاس شرَّ ولايةٍ — فبدّلتُـم معروفَهـا بنكيرِها
فإنْ قلتـمُ إنّـا[2] قَتَلْنَـا أميّةً — بتبـديل غاويـهـا وكفـر كفورها
فإنّـا وجدنـاكم تسيرون بعدها — بأقْبَـحَ من منهاجهـا ومسيرهـا
سفكتـم دماً قلتـم طلبنـا بثأره — وهـلْ يدرك الأوتـارَ كفٌّ وتورها
دمٌ من كرامٍ لا تطـلُّ دماؤها — ولا تَعْـدُلُ الـدُّنيا [بـوال صغيرها][3]
ولا بدّ أن تسقـوا بكأس سقيتم — بهـا من يدي مجتثّهـا ومبيرهـا
ألا سلّمـوا تلك العـواري فإنـها — وإنْ رَغِمَـتْ آنافُـكُمْ لمغيرهـا

ولما كان آخر يوم من شهر شعبان من سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة ركب القاضي أبو طاهر لطلب الهلال على ما جرت به عاداتهم فلم يره ، وأصبح القائد جوهر أول يوم من شهر رمضان صائماً ، وجماعة أهل عسكره على عادته ، ثم ركب القاضي لرؤية الهـلال / لشـوال فلـم يـره ، وكان ركوبـه في جمـع عظيم على عادته وأصبح القائد جوهر مفطراً ، فأقام صلاة العيد في عسكره ، وخطب علي بن الوليد الاشبيلي قاضي عسكر جوهر ، فصلى في خطبته بعد حمد الله تعالى ، والصلاة على النبي (ﷺ) ، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وعلى فاطمة والحسن والحسين والأئمة ، ولعن ظالمهم ، وخاذلهم ، ودعا لأمير المؤمنين المعز لدين الله ، وذكر جوهر فقرظه ، وأصبح أهل مصر إلى المصلى الذين يصلون فيه صلاة العيد فصلوا لأنفسهم ، وصلى بهم رجل هاشمي يعرف بابن زبرج ، وخطب ، وكان

٢١٧ /

(١) سبأ كأنهم : سباق فكانهم في ب
(٢) إنّا : ان في ب
(٣) بوال صغيرها : بول لصغيرها في ب

معهم في الصلاة القاضي أبو طاهر ، وخلق كثير ، فأنكر جوهر على القاضي ذلك ، فاعتذر إليه فقبل عذره ، وأمسك عن القول . واستأمن نحرير شويران الذي كان أمير بمصر ، فأمنه القائد ؛ وفي يوم الجمعة لثمان ليال خلون من ذي القعدة الحرام ، أمر القائد بالزيادة في الخطبة : اللهم صل على محمد المصطفى ، وعلى علي المرتضى ، وعلى فاطمة الزهراء البتول ، / وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول ، الذين أذهب الله عنهم الرحس وطهرهم تطهيراً . اللهم صل على الأئمة الطاهرين ، آباء مولانا أمير المؤمنين ع . م[1] .

٢١٨ /

وعيَّد القائد جوهر عيد النحر ، وأقيمت الخطبة باسم أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، والصلاة عليه وعلى آبائه وآله ، ونحر القائد ، وفرق الضحايا على سائر الناس ، وأطعم الناس في مضربه ، وأكل معهم ، ومدحته الشعراء ، وأجزل لهم العطاء . وتكاملت الأخشيدية والكافورية المستأمنة بمصر فصاروا أربعة عشر رئيساً ومعهم من العسكر خمسة آلاف .

ورووا عن مسلم بن عبد الله الحسيني أنه ما سمع بمستأمنة قط في العدة مثلهم ، ولكن صمهم التحمس والخذلان ، فما أخذوا الأمر ، وهو مقبل . ثم عادوا له بعد أن أدبر عنهم ، وذلك أنه بلغ القائد جوهر عنهم كلام ساءه منهم ، ثم توفي ولد لجعفر بن فلاح فحضر القائد جوهر الجنازة ، وحضر معه أكثر

---

(١) ففي شهر ذي القعدة من سنة ٣٥٨ هـ ، زاد جوهر في الخطبة هذه العبارة ، التي تدل على رغبة الفاطميين في جذب رعاياهم إلى أهل البيت : اللهم صل على محمد المصطفى ، وعلى علي المرتضى ، وعلى فاطمة البتول ، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول ، الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً . اللهم صل على الأئمة الراشدين ، آباء أمير المؤمنين ، الهادين المهديين . المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٧٧ . كما أمر جوهر في جمادى الأولى من سنة ٣٥٩ هـ بأن يزاد في الأذان بجامع عمر وعبارة « حي على خير العمل » . كما أمر بقراءة البسملة قبل الفاتحة في الصلاة ، بصوت مرتفع ؛ كما أمر في رمضان من سنة ٣٥٩ هـ بنقش جدران الجامع العتيق وسواريه باللون الأخضر . ويذكر التاريخ أن الخطبة للفاطميين بدأت في جامع عمرو ، ثم تلتها في المساجد الأخرى ، وإن الأذان بدأ في جامع ابن طولون ثم في مساجد العسكر والفسطاط .

الناس ، وحضرت الإخشيدية والكافورية ، وانصرفوا عن الجنازة مع القائد جوهر ، فقال لهم القائد : قد جاء كتاب مولانا ومولاكم بما يسركم فسيروا [لتنظروا إليه][1] وتقفوا عليه ، فساروا معه فاعتقلهم في ساعة واحدة ، وهم : نحرير / ٢١٩ سويران ، وفتك الخادم الأسود ، ودوني الصقلبي ، وحل الأخشيدي ، ولؤلؤ الطويل ، وأبو منحل ، ومفلح الوهياني ، ومبلغ التركي ، وفرج التحكمي ، وغيرهم ؛ وكان ذلك لخمس بقين من ذي الحجة آخر سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة ، فأقاموا عند القائد معتقلين ستة أشهر في مضربه حتى سيرهم[2] إلى أمير المؤمنين ع . م كما سنذكره[3] ، وكان القائد يرسل إليهم في كل غداة بالطعام ، ومع الظهر ، وبالعشاء ؛ ويدخل إليهم في كل ليلة ، ويتحدث معهم ، ويعدهم عن أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م بكل جميل .

/ ٢١٩

ووردت هدية من أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م إلى القائد جوهر[4] سنة تسع وخمسين وثلاثمائة لإثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر المحرم وهي خمسة وستون بغلاً تحمل مالاً وسبعون حماراً بأحمال مخزومة ، وفي شهر صفر من هذه السنة ، وافى عسكر من المغرب إلى القائد جوهر ، ومعهم خيل من أنعام أمير المؤمنين لعبده القائد جوهر ، ووافى أيضاً بعد ذلك عسكر من المغرب ومعهم أموال محمولة على الجمال .

---

(١) لتنظروا : لنظر في ب

(٢) سيرهم : مسيرهم في ب

(٣) سنذكره : ذكره في ب

(٤) ومما يدل على مظاهر الثروة في عهد المعز ، تلك الإغاثة العاجلة التي قدمها إلى الديار المصرية وقت محنتها . فقد أرسل إليها ـ وهو في المغرب ـ الحبوب والأموال الكثيرة ، حتى استامت الأمور بها وإن ما كان ينفقه المعز على حملاته الكثيرة ، ليدلنا على مدى ثراء الفاطميين في عهده . فقد استطاع بفضل أمواله الكثيرة أن يوجه الحرب عدة جهات ، فأصبحت جيوشه تغزو جميع بلاد المغرب وتصل إلى المحيط الأطلسي ، وتتابع الضربات للأمويين في عقر دارهم ، وتقف بالمرصاد للبيزنطيين ، وتهدد الروم في إقريطش . وليس أدل على ذلك ، من تلك الهدايا الفخمة التي كان يرسلها للقائد جوهر وهو في القاهرة . المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٧٩ .

/ ٢٢٠ وأنفذ القائد جوهر جعفراً بن فلاح / إلى الشام في عسكر عظيم ، وعدة قوية ، وذلك في شهر صفر من سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وقد غلبت القرامطة على الشام ، واستولوا على الرملة ، وقد انضاف إليهم الحسن بن عبيد الله ابن طغج ابن عم الاخشيد[١] .

وفي يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الأول من هذه السنة صلى جوهر القائد صلاة الجمعة في جامع أحمد بن طولون في عسكر كثير ، وخطب عبد السميع ابن عمر ، وذكر أهل بيت رسول الله ، وذكر فضائلهم ، ومدح جوهراً ، ودعا له ، وجهر في القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم ، وقد أمر جوهر بالجهر بها والإعلان بها ، ما يجهر به من الصلاة ، وقرأ الخطيب سورة الجمعة ، وسورة المنافقين في صلاة الجمعة ، وأذن المؤذنون في جامع ابن طولون بحي على خير العمل ؛ وأمر جوهر[٢] بالنداء به في جميع الأمصار والبلدان وجهر محمد بن الحسن بن حنيف ببسم الله الرحمن الرحيم في الجامع العتيق على كره ومضض ، وكان مالكياً ولما مدح عبد السميع القائد جوهراً في خطبته ودعا له ، لامه جوهر على ذلك ، وقال : ما
/ ٢٢١ هذا رسم موالينا وأمر القائد / جوهر في المواريث[٣] بالرد على ذوي الأرحام ، وأن لا يرث مع البنت أخ ، ولا أخت ، ولا عم ، ولا إبن أخ ، ولا إبن عم ، ولا يرث مع الولد كان ذكراً أم أنثى إلاّ الزوج ، والزوجة ، والأبوان ،

---

(١) في الواقع كما يستدل من المصادر التاريخية كانت الغاية الأساسية من إرسال الحملة إلى الشام وعلى رأسها جعفر بن فلاح ، الذي قضى على مقاومة جند الإخشيدية والكافورية ، في دفاعهم عن الفسطاط في شهر شعبان سنة ٣٥٨ هـ . تهدف إلى تنفيذ الخطة القاصية بتأمين حدود مصر من ناحية الشمال ، والوصول إلى بغداد نفسها ، حاضرة الدولة العباسية .

(٢) لم يستطع جوهر الصقلي أن ينشر من جامع ابن طولون ما كان ينشره من جامع عمرو ، إلا بعد مدة طويلة لا تقل عن ثمانية أشهر . ففي يوم الجمعة الثامن عشر من شهر ربيع الثاني سنة ٣٥٩ هـ أدخل شيئاً غير قليل من خصائص الدعوة الإسماعيلية ، وقد نفذ برنامج الفاطميين ، عبد السميع الذي أسندت إليه رياسة الخطباء بمصر .

(٣) وأدخل جوهر نظاماً جديداً لتنظيم التركات ، وأنشأ ديواناً أطلق عليه (ديوان المواريث) ، كان من أهم مصادر ثروة الدولة ، المقريزي : خطط جـ ٢ ص ٢٨٧ .

والجدة ، ولا يرث مع الأم إلاَّ من يرث مع الأب والولد ؛ فعمل ذلك بمصر وأعمالها ، وذلك مذهب أهل البيت ع . م والحجج فيه طويلة كثيرة ؛ وقد أتى القاضي النعمان بن محمد (رضي) في ذلك بما هو شفاء للصدور ، وجلاء للقلوب ، وليست الحجة إلاَّ على من أنصف ، وأقر بالحق حيث وجد ، واعترف ؛ لا على من جاحد ، وكابر ، وعاند[1] .

وافى جعفر بن فلاح القرامطة ، والحسن بن عبد الله بن طغج بالرملة ، وقد تعبوا ، وأعدوا ، واستعدوا ؛ فوقع بينهم قتال شديد كانت الدائرة فيها على القرامطة ، والحسن بن عبد الله ، ومن والاهم ؛ فولوا منهزمين وأمكن الله منهم ، فقتل منهم خلق عظيم ، وأسر أبو عزوان القرمطي ، والحسن بن عبد الله طغج جميعاً؛ واستولى جعفر بن فلاح على الرملة ، ورد بذلك الخبر إلى القائد جوهر ، في شهر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة فسره ذلك [2] ووصلت الأسارى إلى القائد جوهر في شهر / ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة فسره / ٢٢٢ ذلك ، ووصلت الأساري إلى القائد جوهر لسبع خلون من جمادي الأولى ، والقرمطي اللعين أبو عزوان ، والحسن بن عبيد الله بن طغج في قبة مكشوفة ، ومعهما جماعة من الأسرى ، فوقفوا عند منية الإصبغ ، نحو من خمس ساعات ، واجتمع الناس للنظر إليهم ، وجعلوا يسبونهم ؛ ثم أنزلوا إلى مضرب القائد جوهر ، وأدخلوا إلى المعتقلين أصحاب نحرير شويزان[3].

---

(١) وكان بعض قضاة الفاطميين يورثون أبناء العبد الرقيق دون سيده ، ويقبلون شهادته على غيره ، وشهادة العبيد بعضهم على بعض ،على حين رأى بعض آخر من القضاة وعلى رأسهم النعمان ، عدم توريث الأرقاء عملاً بقول الرسول : « العبد وما ملكت يداه لسيده » .

(٢) أعد الإخشيديون في بلاد الشام عدتهم لملاقاة جعفر بن فلاح ، فخرج الحسن بن عبيد الله ابن طغج صاحب الشام من مدينة دمشق ، وقصد مدينة الرملة ، وترك القائد شمول الإخشيدي نائباً له على دمشق .

(٣) حارب جعفر بن فلاح الإخشيديين في ثلاث معارك كتب له النصر فيها جميعاً ، وقد دارت المعركة الأولى في مدينة الرملة ، في شهر دي القعدة من سنة ٣٥٨ هـ ؛ وكان الحسن الإخشيدي على رأس جيوش المقاومة. ثم وقع الحسن أسيراً وبعث به إلى الفسطاط حيث=

وفي دخول القائد جوهر إلى مصر ، وما كان من أمر جعفر بن فلاح بالشام ، يقول مقداد بن الحسن الكتامي :

ونحن جلبنا الخيل شعثاً ضوامرا ... من الغرب تجتاز المفاوز أشهرا
عليها الكتاميين من الأحمير ... ومن لف لف الجيش من البربرا
نهز الرماح السمر ما كان أذبلا ... طويلاً ومربوع الأنابيب جحدرا
إذا ما نزلنا منزلا حشد الدجى ... إلينا نجوم الليل فيه فعسكرا
كتائب لا نالوا لبني حفيظة ... لها وعليا والمعز وجوهرا
ثمانون الفا يلبسون إلى الوغى ... ملابس حزم خلعة وسورا
/ ٢٢٣ يحفون طوع الأمر أروع يعتلي ... إلى النصر ميمون النقيبة أزهرا /
تلاد الملوك الصيد من آل هاشم ... صغيرا ومولاها كبيراً مؤسرا
تلبب للحرب المغيرة وارتدى ... إلى الحرب بردي نثره ونازرا
أخو العزم ما استقبل النجح موردا ... عليه ولا أستانف النجح مصدرا
إذ زينة الحرب رد بعاعه ... عليها وألقى هضبة وتوعرا
تورع أن يدعوه في خلواتها ... بنو دينه إلا الحكيم المدبرا
نقت قبله الأملاك كل غنيمة ... خلت وانتقوه الجوهر المتخيرا
إذا اعتكر الخطب انتفى في سواده ... عقيقة رأى كالشهاب فنورا
سما وحشى ما بين مصر وبرقة ... رعالا وأسادا ضراغم مصرا
كما اعتصم الطود المعظم ليلة ... تؤم إلى الجند الذي قد تمصرا
فما برحوا فيها حصيدا فإنهم ... هم جلبوها كره الوجه مطبرا

= سيق إلى المغرب ، وظل بها حتى مات في خلافة العزيز سنة ٣٧١ هـ . وفتحت طبرية التي كان يليها القائد « فاتك » غلام ملهم منذ عهد كافور الإخشيدي . ولم يقاوم أهل طبرية جيوش الفاطميين مقاومة تذكر . وبعد قتال شديد تمكن جعفر بن فلاح من احتلال دمشق وأقام الخطبة للخليفة المعز لدين الله ، في دمشق أول جمعة من شهر المحرم سنة ٣٥٩ هـ ، وحذف اسم الخليفة العباسي المطيع (٣٣٤ ـ ٣٦٣ هـ) ، فكان هذا إيذانا بزوال نفوذ العباسيين من هذه البلاد .

وهم تركوا أن يأخذوا الأمر مقبلا فنكب عنهم أزور الجبت مدبرا
فما ابتكروا إلا نعاما شردا إلى الشام أوهاما بمصر مكسرا
ولما نفى عنها القذى وأدلها من الجدب فاستهدى لها العيش أخضرا
رمى كل ثغر من فظاها بصخرة وسوم تسويما إلى الشام جعفرا
/٢٢٤ فسل اي رأس من كتامة جحدر تدحرج من في الشام هاما مطيراً /
أقام بمصر فأمن الضرب في الطلا فناجزها بين الفرات ودمرا
فلا تكذبن لست الغداة بواجد بأنصر من قومي رجالا واصبرا

وأنفذ القائد جوهر بهدية إلى أمير المؤمنين ع . م لسبع عشر مضت من جماد الأولى ، وخرج الناس للنظر إليها ، وفيها [تسع وتسعون بختية و][1] إحدى وعشرون قبة ، [عليها الديباج المنسوج بالذهب ، ولها مناطق من ذهب مكللة بالجوهر][2] . ومنها خمسة مذهبة ، وواحدة مرصعة بالجوهر ، القبة ، وجهاز الناقة الذي عليها ، والباقي ديباج ، وديبقي ؛ وخمسون فرساً مسرجة ملجمة ، وخمسون ناقة مزينة ، ونيف وخمسون جملاً ، وعلى النوق والجمال أحمال مخزومة ، وأقفاص مشدودة ، وطرائف وطيور[3] ؛ وسار جعفر بن جوهر مع تلك الهدية إلى المنصورية ، وسير أبوه معه الحسن بن عبد الله بن طغج ، ونحرير ، وسائر الأسرى من الإخشيدية ، والكافورية ، فلما خرجوا من البحر ، وانتهوا إلى البر

(١) تسع وتسعون بختية و : سقطت في ب
(٢) سقطت الكلمات المحصورة من ب
(٣) وأرسل القائد جوهر هدية أخرى بعد أن وصل إلى مصر في سنة ٣٦٢ هـ . وقد اشتملت هذه الهدية على أشياء كثيرة ، منها : مائة وخمسون فرساً مسرجة ملجمة ، منها مذهب ومنها مرصع ومنها معنبر ، وإحدى وثلاثون قبة على نوق بخاتي بالديباج ، والفرس ، منها تسعة بديباج مثقل ، وتسع نوق مزينة بمثقل . وثلاثة وثلاثون بغلاً ، منها سبعة مسرجة ملجمة . ومائة وثلاثون بغلاً للنقل ، وتسعون نجيباً ، وأربعة صناديق مشبكة يرى ما فيها ، وفيها أواني الذهب والفضة ، ومائة سيف محلى بالذهب والفضة ، ودرجان من فضة مخرقة فيها جوهر ، وشاشية مرصعة في غلاف ، وتسعمائة ما بين سفط وتخت ، فيها سائر ما أعد له من ذخائر مصر . المقريزي : خطط جـ ١ ص ٣٨٥ .

حلت عنهم القيود ، وأركبوا الخيول والمحامل ؛ فحين انتهوا إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، برهم وأكرمهم ، وأعطاهم بالقيروان ما يحملهم ، وأسكنهم دوراً بالقيروان حسنة ، وأباح لهم فرشاً ، وزينة .

/ ٢٢٥ وفي شهر رجب / من سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، أخرج جوهر القائد مائة ألف وخمسين ألف درهم ، وأمر بتفريقها على الضعفاء والمساكين ، وقال : هذه صدقة من مولانا أمير المؤمنين من عين ماله[1] . وثار زبير الأخشيدي في شهر شعبان من هذه السنة بناحية من نواحي مصر ، وحشد [وكبس القرماء فأخذ واليها][2] من قبل جوهر ، ودعا[3] للمطيع العباسي ، وكتب اسمه على بنوده ؛ فأرسل له القائد جوهر الشريف أبا القسم يحيي الحسيني ونهاه وعوذه ، فلم يقبل ؛ وأبى إلاّ تمادياً وإصراراً على الفساد ، والبغي ، والعناد ، والغي ؛ وكان مع زبير الشريف أبي القسم العلوي الأفطسي ، فأنفذ القائد بالعساكر براً وبحراً ؛ وكان زبير قد كبس صهرجت وانتهبها ، فأمر القائد جوهر بنهب دوره بمصر ، وقبض على صهره علي بن نصر السراج ، وأخذ منه له ودائعاً ، وشفع به مسلم بن عبد الله الحسيني فأطلقه القائد إكراماً له ؛ ثم إن زبيراً عاد وانتهب ضياعاً من أسفل الأرض ، وواقعته عساكر القائد جوهر بصهرجت فانهزم ، وتبعته[4] العساكر ، وقتلوا كثيراً من أتباعه ، ومضى على وجهه إلى تينس ، وركب البحر

/ ٢٢٦ المالح يريد الشام ، ومنها[5] إلى بلد الروم . / وأخذ الزبير بنوداً فأدخلت إلى مدينة مصر منكسة ، وأنفذ القائد جوهر أسطولاً بالرجال والسلاح في طلب زبير ، وكان قد أخذ من دمياط جماعة من المغاربة ليقتلهم فمنعه[6] منهم أهل دمياط

(١) اشتهر المعز لدين الله بالجود ، فكان يعمل على إسعاد شعبه ، وينفق على إصلاح أحوالهم كثيراً من أمواله .

(٢) وكبس القرماء فأخذ واليها : كبس القرداء وسلم إليها في ب

(٣) ودعا : سقطت في ب

(٤) وتبعته : وتتابعه في ب

(٥) ومنها : ثم في ب

(٦) فمنعه : فتمنع في ب

وحاربوه ، فتوجه في البحر يريد الحمام ، فأخذ في الحمام هو وجماعة من أتباعه ، وغلمانه ، وقيدوا ؛ وورد الخبر إلى القائد بذلك فولى جوهر القائد أعمال زبير رجلاً يسمى ابراهيم بن أحمد .

ولما كان في ابتداء شهر رمضان ترك الناس رؤية الهلال إذ لم يتبين لهم ، فصاموا بصوم القائد جوهر ، وأفطروا بفطره ، بعد أن حضر دعاة أمير المؤمنين الذين بمصر ، وأحضروا القضاة والفقهاء ، وناظروهم ، وتلوا عليهم قول الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِن أَيَّامٍ أُخَرَ[1] ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ[2] ﴾ . وقامت الحجة عليهم ان وفي العدة هي في ثلاثين يوماً ، وأقروا بذلك[3] ، وعيد القائد جوهر عيد الفطر ، وخطب الخطباء بذكر الأئمة من / آل محمد ، / ٢٢٧ وإشهار فضلهم ، وانصرف الناس مع القائد جوهر إلى قصر القاهرة المعزية المعمور فيها ، فأكلوا معه ، وأجاز الناس ، وأحسن إليهم ، وفي أربع عشرة خلت من شهر شوال وافى زبيراً أسير مع الموكلين به ، واجتمع الناس لإشهاره والنظر إليه ، وهو على جمل ومعه جماعة من أتباعه ، وأحضر إلى مقام القائد وعنده القاضي أبو طاهر والوزير أبو الفضل فقال القائد لزبير أي شيء حملك على الخلاف على أمير

---

(١) سورة : ٢/ ١٨٥

(٢) سورة : ٢/ ١٨٥

(٣) إن صيام شهر رمضان عند السنيين ينتهي بمجرد ظهور القمر ، سواء أكان شهر شعبان تسعة وعشرين يوماً أم ثلاثين ، وذلك عملاً بقوله (ﷺ) : « صوموا لرؤيته (هلال رمضان) وأفطروا لرؤيته (هلال شوّال) ؛ فإن غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً». ولكن جوهراً الصقلي لم يرتض السير وفق هذه الطريقة التي لا تتفق مع أصول المذهب الشيعي . ففي سنة ٣٥٨ هـ أبطل الصوم بعد اليوم التاسع والعشرين من رمضان ، وصلى العيد قبل رؤية الهلال . فاعترض أهل الفسطاط على ما فعل ، وصاموا اليوم الثلاثين حسب أصول المذهب السني ، ثم جعلوا العيد بعد ذلك اليوم ، أي بعد رؤية الهلال . الكندي ص ٥٨٤ . المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٧٦ .

المؤمنين قال هذا عمل هذا وأشار إلى غلام يدعى نجيب فقال نجيب لا والله مالي في هذا شيء فأمر بهم القائد جوهر إلى الإعتقال فما زالوا فيه إلى سنة ستين في شهر ربيع الآخر وهلك زبير وفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة افتتح جعفر بن فلاح مدينة دمشق بعد أن قاتل قتالاً شديداً حتى غلب المتغلبين وهزمهم فولوا منهزمين ومدبرين وانصرفوا في الأرض تائهين وهرب القرامطة ومنهم من ركب البحر إلى الروم وأقام جعفر بن فلاح الخطبة باسم أمير المؤمنين / المعز لدين الله ع . م في دمشق وأعمالها وأمر بالنداء في آذان بحي على خير العمل ووردت الأخبار بذلك إلى القائد جوهر في ذي الحجة آخر شهور سنة تسع وخمسين وثلاثمائة . قال ابن حوقل البغدادي : دمشق أجل مدينة بالشام في أرض وسطة بين جبال تحدق بها ومياه كثيرة وأشجار متصلة وزروع ممتدة تعرف بالغوطة عرضها مرحلة في طول مرحلتين نزهة فرجة ومخرج مائها من نبعة تعرف بالفيجة أول خروجه ذراع في ذراع ثم يجري في شعب يتفجر عيون وأنهار جارية في عامة دورها وسككها وحماماتها وليس في الإسلام مثل جامعها حسناً وبناءً ورخاماً وذهباً بوجه من الوجوه هذا قول إبن حوقل .

٢٢٨ /

وأخرج جعفر بن فلاح تازرف في عدد وعدة فبلغ إلى حمص وافتتحها ، ودان الناس فيها لأمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، ودخل تازرق سلمية فأتاه أهلها بخط الإمام المهدي بالله ع . م برفع الخراج عنهم متى ملكت بلادهم ، فكتب تازرف إلى جعفر بن فلاح فكتب إليه جعفر أرفع / الخراج عنهم ، ولا يلزموا به ، ففعل [وكتب لهم ورق][1] على ما خطه المهدي بالله ع . م لهم .

٢٢٩ /

وفي ذي الحجة من هذه السنة وافى عشرون جملاً موفرة من متاع وكسوة ومال ، للمحرومين من أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، إلى القائد جوهر ، وكتب جعفر بن فلاح إلى جوهر القائد يستأذنه في تسيير عساكر للغزو إلى إنطاكية ، وهي في أيدي النصارى من الروم ، فأذن له القائد بذلك ، فندب عبد الله بن عبيد

(١) وكتب لهم ورق : ثار ورق لهم في ب

الله الحسيني أخ[1] مسلم ، وأنفذ معه غلامه فتحاً ، وأعطاهم مالاً كثيراً ، وسير معهم من دمشق عساكر عظيمة ، فساروا في نحو من عشرين ألفاً ، وطوقوا[2] إنطاكية ، وحاصروا من فيها ، وضيقوا عليهم الحصار[3] ، حتى أشرفوا على فتحها ؛ ثم جاءت عساكر الروم بما لا قبل لهم بها فخافوا على من معهم من جيوش المسلمين ، فانصرفوا إلى دمشق ،وكثرت مؤونة جعفر بن فلاح وانبسطت عطاياه وصلاته إلى مصر ، وإلى المغرب ؛ وعظم سلطانه ، وخافته الروم ، وخافه صاحب بغداد ، ودانت البلاد لأمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م، وخطب له / ٢٣٠ / بالحرمين[4] ، وفي السند ؛ مع انتشار ملكه في جميع الغرب إلى أقصى نواحيه ، وفي مصر ، والشام ؛ ودعاته في جميع الجزائر ظاهرين ومستترين ، ودان الناس [بمعرفته وصلته][5] ، ووضح للخلق عظيم محله .

وأراد أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م أن يقيم حجة من أولاده ، يستودعه أمر الدنيا والدين ، ويجعله ولي عهد المسلمين ؛ وكان ولده الإمام العزيز بالله لم يبلغ[6] أشده ، ليفوض إليه عهده ، كون ولده الإمام العزيز بالله نزار بن معد ع . م كان في حال الطفولية ، فأقام ولده الأمير عبد الله بن المعز لدين الله واستودعه الأمر ، حتى بلغ ولده نزار العزيز بالله أشده ، ففوض إليه عهده ؛ وكان الأمير عبدالله بن المعز لدين الله ذا فضل عظيم ، ومقام كريم ، إلاّ أن

---

(١) أخ : أخا في ب

(٢) وطوقوا : وتولوا في ب

(٣) الحصار : سقطت في ب

(٤) ولما دخل جوهر مصر في سنة ٣٥٨ هـ ، استطاع بعض الحسنين أن يستولي على مكة المكرمة ، وخطب للمعز لدين الله ، وأرسل إلى جوهر يبشره بهذا الفتح . فأرسل هذا بدوره إلى المعز في بلاد المغرب . المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٦٦ . والواقع أن إقامة الخطبة للمعز في بلاد الحجاز كانت نوعاً من أنواع الصراع الذي قام بين العباسيين والفاطميين لزعامة العالم الإسلامي .

(٥) بمعرفته وصلته : بعرفه وصلة في ب

(٦): قد بلغ : سقطت في ب

الإمامة لم تكن فيه ، بل صارت بعد المعز لدين الله إلى إبنه نزار العزيز بالله ع . م[1] .

قال منصور الكاتب الجوذري في ما ذكر من تشريف الأئمة صلوات الله عليهم لعبدهم جوذر ، الذي كان على أيديهم خلاصه وعتقه ، وإخلاصه وسبقه[2] ؛ قد تقدم ذكرنا ما كان من القائم بأمر الله ع . م / وتشريفه ٢٣١ / للأستاذ بإفراده واختصاصه ، بأخذ العهد عليه للمنصور بالله ، بأن أخذ عليه للأمير عبدالله مفرداً بالمهدية في السفرة التي حمل المال فيها ، فكتم الأستاذ ذلك عنه سبعة أشهر حسب ما أمر به ؛ ثم إن مولانا[3] ع . م أخذ بعد سبعة أشهر ، على غيره مثل محمد بن علي ، ومحمد بن حسن ، وعسلوج بن عسكر ، وغيرهم ، واستكتمهم في ذلك .

وكان الأستاذ إذا تقرر عنده علم ولي العهد ، لم يلتفت بعد الإمام ع . م إلاّ إليه ، حتى انه كان يقول في كثير من الأوقات من حيث يسمعه[4] الإمام في عصره : إنما هو الله [عز وجل][5] ومولانا المفترق الطاعة بعد الله عز وجل ، ومن أشار إليه من ولده ، وجعله ولي عهده ، والباقي كلهم لهم المودة في القربى لا غيرها[6] .

فلما خرج مولانا ع . م إلى المهدية لشد ما بالخزائن من الأمتعة ثم رجع إلى

---

(١) من مرتكزات العقائد الإسماعيلية الأساسية أن على الإمام أن ينص على صاحب الأمر من بعده من ولده ، لأن النص ركن من أركان الإمامة ، ولا بد للإمام من إقامة حجة لنفسه ، يستودعه سر الإمامة الذي حمله على عاتقه ؛ وهذا ما يؤكده القائم بأمر الله حين قال لجوذر : لا يحل للحجة بعد الإمام أن يدفن الإمام حتى يقيم حجة لنفسه ، ولم يحل لي ذلك حتى أقيم حجتي وقد ارتضيتك لهذه الأمانة دون جميع الخلق .

(٢) سيرة جوذر صفحة ١٣٩ .

(٣) سيرة جوذر صفحة ١٣٩ .

(٤) يسمعه : يستمع في ب

(٥) عز وجل : سقطت في

(٦) لا غيرها : غيرنا في ب

دار ملكه ، واحتاج الأستاذ أن يتحرك من المهدية أمر مولانا إخوته وأولاده بالخروج للقائه[١] وجميع رجال الدولة ، ولم يحدّ[٢] مولانا للأستاذ كيف يسلم على الأمراء أولاده ، ولا من يقدم منهم ولا من يؤخر ،وكان مولانا مشغول / الضمير ٢٣٢ /
في[٣] كيف يكون سلامه عليهم ، وكانت أعين العوام ذلك الوقت تنظر إلى ولد مولانا ع . م الأكبر وهو تميم ، فلما قرب منهم الأستاذ عمل في نفسه على[٤] إقامة الحق وإفراد من خصه الله به ، فقصد الأمير نزار[٥] وسلم عليه [فقبل الأرض بين يديه ثم قبل ركابه . وكان من حق الأمير عليه ما][٦] كاد أن يسقطه عن سرجه من التواضع ، ثم ركب الأستاذ ولم يلتفت إلى غيره ، ولا سلم على أحد سواه ، فوقعت في قلوب أولئك خجلة ، ونظر الناس من هذا إلى أمر عظيم ، فمنهم من يصوب رأيه فيما فعله ومنهم من يخطئه ، فلما اتصل بمولانا فعله ، وما كان منه [من ذلك سره][٧] سروراً عظيماً وقال : لم يزل جوذر موفقاً مذ كان .

ثم لما وصلوا وانصرف الأستاذ بعد السلام على مولانا ع . م ، ولم يخاطبه على ذلك اشتد ذلك على أهل القصر من الحرم وأومأوا[٨] إلى جوذر بلوائم عظيمة [تنبو بها جدوده][٩] . ولما وقف الأستاذ على ذلك من فعلهم أدركته نفسه إذ لم يخاطبه مولانا على ذلك بشيء ، فكتب رقعة إلى مولانا يصف ما كان وأنه قصد بذلك إفراد صاحب الحق دون غيره إذ لا يسعه في دينه غير ما فعله ويصف [ما

(١) للقائه : القائد في ب
(٢) يحدّ : يجد في جـ
(٣) في : سقطت في جـ
(٤) على : من في ب
(٥) نزار : عبد الله في ب
(٦) فقبل الأرض بين يديه ثم قبل ركابه . وكان من حق الأمير عليه ما : سقطت في ب و جـ وأخذناها من سيرة جوذر ص ١٤٠ .
(٧) من ذلك سره : سره ذلك في ب
(٨) وأومأوا : وأوفوا في ب
(٩) تنبو بها جدوده : يشوبها جده في ب

/ ٢٣٣ حل][1] عليه من أهل القصر وغيرهم من أصحاب الآراء/الفاسدة، فلما وقف أمير المؤمنين على رقعته صرف إليه الجواب، وهو:

يا جوذر! سلمك الله، والله ما محلك عندنا إلا المحل الذي أحللت نفسك لاتباعك رضى مواليك ولأنك لم تخلط بهم غيرهم، وبذلك أسعدك الله في دنياك وأخراك، وقد كان لك من تقبيل أيديهم كفاية عن تقبيل الأرض، فما نميزك علم الله منهم إلا بما يخص الله به من اختصه منهم. وقد أجبت[2] من ذكرت عليه[3] واعتذرت أنا عنك بأنك قد سلمت على الجميع أولاً بما ذكرت من تقبيلك[4] الأرض، وقد وفقك الله فما تبالي من ساءه أو سره. أتم الله عليك النعم، ووهب لك السلامة والعافية إن شاء الله تعالى.

ثم أن أمير المؤمنين المعز لدين الله ع.م نوه باسم إبنه عبدالله بن المعز ورفع قدره، وأعلى ذكره، وجعله صاحب حضرته، والقيِّم بأمور دعوته، والسائس لجميع أهل مملكته؛ وقد كان المعز لدين الله ع.م نوى الهجرة إلى الديار المصرية، ووافق ذلك خلاف[5] مخرمة بن محمد بن خزر في جهات البربر، وجبل أوراس، واستمال / ٢٣٤ رعاع الناس، وبغى في أطراف المملكة، وثار الذعار، وأهل الفساد، والمريدون للبغي في البلاد، وأراد أن يحيي ما مات بموت الدجال مخلد؛ فأراد المعز لدين الله أن يقطع[6] من الفساد دائره، ويتبع بأوله آخره ويدير[7] على الذين بغوا في الأرض سوء الدائرة؛ سيما مع ما أزمع عليه من الهجرة، لئلا يعم ذلك المغرب، ويختل أمر المملكة، ويضطرب.

---

(١) ما حل: ما حصل في ب

(٢) أجبت: حسبت في ب

(٣) عليه: عليك في ب

(٤) تقبيلك: تقبل في جـ

(٥) خلاف: طواف في ب

(٦) يقطع: يطوع في ب

(٧) ويدير: ودار في ب

فخرج أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م بنفسه ، ومعه إبنه عبدالله بن المعز في عساكر عظيمة ، وجنود كثيفة ، وعدة قوية ، لطلب الثائر [المعروف بأبي][1] خزر وصلاح أمر المغرب ، وكان خروجه ع . م لسبع بقين من شهر شوال في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة . قال محمود الكاتب الجوذري[2] : ولما اعتزم مولانا ع . م على الخروج في طلب الثائر أبي[3] خزر أمر الأستاذ جوذر بالخروج إلى المهدية لإحكام ما بالخزائن التي بها ، وشد الأمتعة إلى المشرق ، وخاض الناس وأكثروا من القول ، بأن الأستاذ هو المستخلف على أفريقية ، وكتب إلى مولانا [صلوات الله عليه][4] يعرف ما اتصل به من ذلك ، ويرغب / إليه في أن لا يفارقه ، إذ السعادة مقرونة بنظره إلى وجه أمير المؤمنين ، فوقع إليه على ظهرها : ٢٣٥ /

يا جوذر ، وقفنا على رقعتك هذه ، وهذا شيء يقوله الجهال من الناس ، ومن لا يعلم ما نحن فيه ، ولا والله ما هذا رأينا فيك لوجوه ، أولها : أنا نحب أن لا ندخر عنك نعم الله عندنا ، وأن تكون مشاهدها . والثانية : أنك لست ممن نستثقله[5] فنحب الراحة منه . والثالثة : كبر سنك في طاعة الله تعالى وطاعتنا . والرابعة : أنك[6] لا تجد من يصفو لك على ما تريد من فساد[7] أطماع الناس وطباعهم الآن ، فأنت لا تجد معيناً[8] ولا عضداً ، ولا من يقوم بين يديك فضلاً عن غير ذلك فلا تحدث نفسك بما يضعف قواك ، فوالله ما تركناك ههنا إلا شفقة عليك

---

(١) المعروف بأبي : ابن في ب

(٢) سيرة جوذر ص ١٠٩

(٣) أبي : إبن في ب

(٤) صلوات الله عليه : سقطت في ب

(٥) نستثقله : نشغله في ب

(٦) أنك : سقطت في ب

(٧) من فساد : لفسد في ب

(٨) معيناً : مغيباً في ب

ورحمة لك ، ونحن نعلم أن لو كنت غائباً عنا لمثل[1] هذه الغاية[2] [من الأحياء][3] إلى اليوم، فطب نفساً، فلن[4] تزايلنا حتى تقضي حجك وتزور قبر جدنا محمد (ﷺ) بفضل الله علينا وعليك ، فوحقه ما أملنا فيك في سرنا إلاَّ كالذي ذكرناه فيك، وأزيد من الخير والجميل، ونحن نتوخى لأهل هذا الزمان من نرجوه لهم ويصلحوه / له إلى أن يبلغنا الله المراد ، ويرينا الله[5] وجه الصواب، وليتنا نجد فيمن نتركه ههنا مثل نيتك وحدبك على دولتنا، والله يخير[6] لنا ويختار بحوله وقوته إن شاء الله. / ٢٣٦

ولما أن خرج مولانا صلوات الله عليه في سفره إلى بسكرة ، وتوجه الأستاذ إلى المهدية ، اجتاز أمير المؤمنين بعين تعرف بعين كسرى فوقف عليها ، وذكر الأستاذ وقال ع . م:

ذكر الله جوذراً بخير، فإنه كان يسره الوقوف على هذا الماء ، والشراب منه ، هلموا جراراً خضراً ، فأتي بها ، وملئت بين يديه وختمت، وأنفذها، وكتب معها رقعته إلى محمد الكاتب نسختها[7]: يا محمد! إبعث إلى جوذر سلمه الله تعالى بتوقيعنا هذا تعرفه أنا ذكرناه بعين كسرى، ذكره الله بالرحمة والعافية، وأنا أمرنا أن[8] يملأ له بين أيدينا من رأس العين حملين ماء وأنفذناهما إليه ، وبعثنا إليه أيضاً بخمسة دنانير من السكة المباركة المضروبة بمصر على اسمنا بفضل الله وعظيم امتنانه ليراها ويتبرك بها ، وأرجو أن يمد الله في عمره حتى يحج معنا ونعطيه مما يضرب / لنا ببغداد ، وقد أكمل الله لنا الآمال ، وعرفه ما نحن عليه من السلامة / ٢٣٧

---

(١) لمثل : إلى في ب
(٢) الغاية · الساعة في ب
(٣) من الأحياء : حياً في ب
(٤) فلن : ولا في جـ
(٥) الله : سقطت في جـ
(٦) يخير : نحير في ب
(٧) سيرة جوذر ص ١١١
(٨) أن: في ب

وتتابع النعم ، وما معنا من الجموع التي يستعملها الله فيما[1] يرضيه على إرغام[2] أعدائنا حيثما[3] كانوا فليطب نفساً ، فما قبلنا إلا كل خير سيره الله به ، والحمد لله كثيراً كما هو أهله .

ثم سار أمير المؤمنين ع . م من فوره ذلك بعساكره تلك حتى استأصل المفسدين ، وقطع أنجاز الملحدين ، وأمكنه الله من الفاسق مخرمة بن محمد بن خزر فقتله في وقعة عظم بأسها ، واشتد مراسها ، وقتل معه من أتباعه خلق عظيم فخمدت الفتنة ، وقرت وهابت الأعداء ، وقرت واطمأنت القلوب ، واستقرت ؛ ورجع الإمام إلى المنصورية موفقاً منصوراً مؤيداً محبوراً ، وطيف بالرؤوس في جميع البلدان ، وانفذ منها ع . م. إلى مصر ، ليرغم أولي الشنان ، ويطمئن قلوب أهل الإيمان .

قال الحسن بن ابراهيم بن زولاق[4]: وفي شعبان من سنة ستين وثلاثمائة وردت رسل أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م. برأس مخرمة بن خزر ومعه ثلاثة / ٢٣٨ / آلاف رأس من أصحابه ، وطيف بهم في مدينة مصر والقاهرة ، ومعهم شيخ على نجيب يتكلم عليه ، وعليهم ، ويسبهم . وفي الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان قرىء على منبر الجامع العتيق كتاب المعز لدين الله إلى القائد جوهر بخبر مخرمة بن خزر وأصحابه ، وفي الكتاب الوصية بأهل مصر. وقال محمد بن هاني الأندلسي يمدح أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، ويصف الوقعة ، ويذكر

---

(١)) فيما : سقطت في ب

(٢) إرغام : رغم في ب

(٣) حيثما : إنما في ب

(٤) تاريخ ابن زولاق المتوفى سنة ٣٨٧هـ المسمى «فضائل مصر وأخبارها وخواصها » ، أتى فيه مؤلفه على تاريخ مصر منذ عصورها الأولى. وابن زولاق حجة لا يستهان بها في تاريخ الصدر الأول من أيام الفاطميين. أولاً لأنه كان مصري الجنس ومن أهلها وثانياً لأن شهرته قد ذاعت لسعة اطلاعه في مادة التاريخ .وقد ألف ابن زولاق سلسلة من الكتب الأصلية عن تاريخ مصر.

الأمير عبدالله بن المعز فيها[1] :

كَدأبِـكَ ابـنَ نَبـيِّ اللـهِ لم يَزَل ... قتلُ الملـوكِ ونقلُ المُلكِ والدُّوَلِ

أينَ الفِـرَارُ لِباغٍ أنـتَ مُدركُه ... لأمَّـةٍ مِلءُ كَفّيْهـا منَ الهَبَل

هَيهـاتَ يُضْحـي منيعٌ منـك مُمتنِعاً ... ولـو تَسَنَّـمَ رَوقَ الأعصَـم الـوَعِل

ولـو غدا بخُلـوبِ[2] اللّيثِ مُدَّرعاً ... أو باتَ بينَ نيوبِ الحيّة العُصُلِ[3]

أمّـا العَـدُوُّ فـلا تَحْفَـلْ بمَهلِكِهِ ... فإنّمـا هو كالمحصُـورِ[4] في الطِّوَل

وأيُّ مُستَـكبِـرٍ يَعْيا[5] عليْكَ إذا ... قُدتَ الصّعـاب فلا تسـألْ عن الذُّلُل

خافـوكَ حتـى تفـادَوْا من جَوانِحِهم ... فمـا يُناجُونَهـا من كثـرَةِ الوَهَل

ما يَستقِـرُّ لهُـمْ رأسٌ علـى جَسَدٍ ... كأنّ أجسامهـم يَلعَبـنَ[6] بالقُلَل

/ ٢٣٩ هذا المُعِـزُّ وسيْفُ اللـهِ في يَدِهِ ... فهل لأعْدائِـهِ باللـهِ مـن قِبَل /

وهـذِهِ خيلُـهُ غُرّاً مُسَوَّمَةً ... يخرُجـن من هبَـواتِ النقـع كالشُّغَل

إذا سَطـا بادرَت هامٌ مصارعَها ... كأنّمـا تتلقّـى الأرضَ للقُبَل

ارْدَتْ سُيوفُـك جِيلاً من فَراعِنَةٍ ... لـم يَفتـأوا لقـديمِ الدّهْـرِ كالجَبَل

هُمُ[7] استبدوا بأسلابِ الليوث[8] وهُم ... جَـزّوا نواصـيَ أهْـلِ الخَيم والحُلَل

من عهد طالوتَ أو من قتل اضطرمت ... تَغْلـي مَراجلُهـمْ غيظاً علـى المِلَل

لقد قصَمـتَ من ابـنِ الخَـزْرِ طاغيةً ... صَعْبَ المقـادةِ أبّـاءً علـى الجَدَل[9]

إذ لا يزالُ مُطاعـاً في عَشيرتِهِ ... تُلقَـى إليه أُمـورُ الـزَّيْغِ والنِّحَل

---

(١) ديوان ابن هاني الأندلسي منشورات صادر ص (٢٧٥) .

(٢) بخلوب : بجنوب في ب

(٣) العصل : العطل ففي ب

(٤) كالمحصور : كالمخصوص في ب

(٥) يعيا : يعلو في ب

(٦) يلعبن : يلقين في ب

(٧) هم : وفي ب

(٨) الليوث : الملك في ب

(٩) ديوان ابن هاني الأندلسي ص ٢٧٦

يكادُ يَعصـي مَقـاديرَ السّمـاءِ إذا ... رَمَـى بعينيه بين الخيل والإبل

حَسَمْـتَ منـه قَديمَ الـداءِ[1] مُتَّصِلاً ... بالجـاهِلِيّةِ لاوٍ [بالعِـدَى هَزِل][2]

[من جاحدي الدين والحق المنير ومن][3] ... عـادي الأئِمَّـةِ والكُفّـار بالرُّسُل

ومِـن جَبابـرَةِ الـدّنْيا الـذينَ خَلَوْا ... وأنْـزَلَ اللهُ فيهـم وَحْيَهُ فتُلي

قد قَرّ كُرسـيُّ عَدنـانٍ ومنبرُها ... بفاتِحِ المُـدْن قَسـراً مؤمـن السبُل

مَن لا يرى العَـزْمَ عَزمـاً يُستقـاد له ... إذا جِبـالُ شَرَورَى منـه لم تزَل

مَن صَغَّـرَ المَشـرِقَينَ الأعـظمين إلى ... مَـن فيهمـا من مَليكِ الأمـر أو بطلِ

٢٤٠ / وطبَّـقَ الأرضَ من مِصـرٍ إلـى حلَبٍ ... خيلاً ورَجْلاً ولفَّ السهْـلَ بـالجبـل /

وأُوردتْ خيْلُـه ماءَ الفُـراتِ فما ... صَدَرْن حتى وصلن الصـلّ بالنَهل

فقـد تَوَطّـدَ أمـرُ المُلْك فيهِ وقدْ ... نَدَبْـتْ نَدْبـاً إليه غيرَ مُتّكِل

لمّـا شَدَدْتَ بعبـدِ اللهِ عُروَتَهُ ... أعزَزتَ[4] منه مصونَ العِرض[5] لم يزلِ

عَرَفـتَ في كلِّ صُنـع الله عارفَةً ... فمـا تَهُـمُّ بفعـلٍ غيرِ مُنفعِل

ولاختيارِكَ فضْـلُ الوَحـي إنّـك لا ... تأتـي المَآتـي إلاّ من عَلٍ[6] فَعَل

مُستَهـدِياً بدَليلِ[7] اللهِ تَتبعُهُ ... وقادحـاً لزِنـادِ الحِكمَـةِ الأوَل

وإنّ مُلْـكاً أقـرَّ اللهُ قُبّتَهُ[8] ... بابـنِ الإمـامِ لَمُلْكٌ غيرُ منتقِل

لو نازَعَ النَّجْـمَ ما أعياه مَنزِلُهُ ... أو نازَلَ القَـدَرَ المقـدورَ لم يُهَل

قد فِئْـتَ من بَرَكاتِ الأبطحـي إلى ... مـا يفـيءُ إليه الظِّـلُّ[9] في الأُصُل

---

(١) الداء : الرأي في ب

(٢) بالعدى هزل : بالورى هدل في ب

(٣) من جاحدي الدين والحق المنير ومن : من جحد الرسل والحق المبين ومن في ب

(٤) أعززت : أذلت في ب

(٥) العرض : الأمر في ب

(٦) عل : على في ب

(٧) بدليل : دليل في ب

(٨) قبته : فتنته في ب

(٩) الظل : سقطت في جـ

تَوالَـتِ البـاقياتُ الصَّالحـاتُ لَهُ	تَوالــيَ الـدِّيمِ[1] الوكّافـةِ الهَطِلِ
أَلَيسَ أَوّلَ ما ساس الأمــور أتَتْ	[عَفواًبما][2]كان لم يَحسَبْولَمَ يَخَلِ
فالفتـح[3] من أوَّل النعمى[4] به ولَهُ	عَواقـبٌ في بَنــي مَروانَ عن عَجَلِ
بريحِــهِ أرْدَتِ الهيجـا بنــي خَزَرٍ	وباسمهِ استظهَرتْفي الغزو والقفَلِ[5]
فإن تكِلْــهُ[6] إلــى ماضــي عزائِمِهِ	[تكِلْـهُ منهـا إلـى الخـطيةِ الذبلِ][7]
٢٤ / الآن لَذَّتْ لنــا مِصــرٌ وساكِنُها	[وللسَّوابِـحِ والمَهْــرِيَّةِ الذُّمُلِ] [8]
مَا مكثُنــا معشــرَ العــافين إنّ لَنا	في البَينِ شغلاً عن اللـذّاتِ والغَزَلِ
فليتَنَــا قد أرحنــاهَم وأنفُسِنَا	أوِ[9] استراحَــتْ مطايانــا من العُقُلِ
ليَعْقِــدِ التــاجَ هذا اليومُ مفتخراً	إن كان تُوِّجَ يومٌ سائـرُ المَثَلِ
الا تَخِــرُّ لهُ الأيّامُ ساجِدَةً	إذْ نالَ مكرُمَةً أعيَتْ فلــم تُنَلِ
تكنّفتّهُ[10] المساعـي وهـو يَرفُـلُ في	وَشْيِ الرّبيعِ وَوَشْي المجد في حُلَلِ
فيه الربيعـان من فصـل الـربيع ومن	وقائع النصر تشفي [من جوى][11] الغلل

وســار الــقرمطي أبو طـاهـر الحسن بن أحمد الأغمشي[12] إلى

(١) الديم : الديمة في ب
(٢) عفواً بما : عقوبها في ب
(٣) فالفتح : ذا الفتح في ب
(٤) النعمى : النعمة في جـ
(٥) والقفل : والثقل في ب
(٦) فإن تكله : فإن تكلمه في ب
(٧)) تكله منها إلى الخطية الذبل : تكلثه منها الخطية الذلل في ب
(٨)) وللسوابح والمهرية الذمل : وللسوابق والمهرين الذلل في ب
(٩) أو : إذا في ب
(١٠) تكتنفه : تكشفه في ب
(١١) من جوى: وجو ذي في ب
(١٢) وهو المعروف بالحسن الأعصم الذي تزعم القرامطة بعد وفاة أبيه أحمد بن أبي سعيد سنة ٣٥٩ هـ. ويلقب بأبي علي الحسن بن أحمد الأعصم ،وقيل الأغنم ،فطالت مدة زعامته من =

الشام[1] في جيوش عظيمة من العرب والعجم ، ومنه أتباعه القرامطة ، وهذا اللعين الأغشم هو من قوم سليمان بن الحسين الذي دخل مكة ، في سنة سبعة عشر وثلاثمائة ، وخطب له فيها ، ووثب إلى الحجر الأسود فضربه بعمود من حديد حتى ثلمه ، وقال : إنك حجر لا تضر ولا تنفع . كفراً وعناداً وبغياً في الأرض وفساداً ، فتوجه اللعين أبو طاهر إلى دمشق وفيها جعفر بن فلاح ، فخرج إليهم جعفر بن فلاح ، وكان عليلاً مجاهداً محتسباً نفسه في الله ، يرجو الظفر ، أو الشهادة ، وقد صار أهل الشام عليه / مع القرامطة ، فقتل في تلك الحرب جعفر بن فلاح شهيداً ، رحمة الله عليه ، ودخلت القرامطة دمشق فغلبوا عليها ، وحازوها. ٢٤٢ /

وبلغ قتل جعفر إلى القائد جوهر في ذي القعدة من سنة ستين وثلاثمائة ، وكان قتله لثلاث بقين من شوال[2] وسار القرامطة إلى الرملة وفيها سعادة بن حيان عاملاً للقائد جوهر فحازوا الرملة ، وانحاز عنهم سعادة إلى موضع يسمى نايا فتحصن فيه ، وساروا إليه فحاربوه ، وخاطبوه من وراء الحصن أن يسلم إليهم الموضع ويخرج إليهم ، وبذل الأمان له ، فقال لهم سعادة بن حيان : إنما أنا عبد مأمور . فلما أعياهم أمره توجهوا إلى مصر بعساكر جمة قد اجتمعت لهم من الشام

= سنة ٣٥٩ هـ . إلى سنة ٣٦٧هـ ، وكثرت وقائعه ، ونفى جمعاً كبيراً من ولد أبي طاهر. ويقال ، اجتمع منهم بجزيرة أوال نحو من ثلاثمائة.

(١) استعان الأعصم في سنة ٣٦٠ هـ بالخليفة العباسي المطيع ، واستمد منه ومن البويهيين المال والرجال ، ووعدهم باسترداد بلاد الشام ومصر من الفاطميين ، على أن يحل القرامطة محل الفاطميين في حكم هذه البلاد .

(٢) يقول النويري في نهاية الأرب جـ ٢٣ ورقة ج : فسار الحسن بن أحمد إلى الكوفة ، وراسل بختيار الديلمي ، أحد ملوك الدولة البويهية ، في طلب السلاح والمساعدة . فأنفذ بختيار إليه خزائن سلاح من بغداد ، وكتب له على أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان بأربعمائة ألف درهم ، فرحل الحسن من الكوفة ، حتى أتى الرحبة . وعليها أبو تغلب بن حمدان ، فحمل إليه المال المسبب له به عليه ، وحمل إليه العلوفة . وأرسل إليه يقول : هذا شيء كنت أردت أن أسير أنا فيه بنفسي وأنت تقوم مقامي فيه وأنا مقيم في هذا الموضع إلى أن يرد إليّ خبرك ، فإن احتجت إلى مسيري سرت إليك . أما مسرح الحرب التي دارت بين الأعصم وجعفر بن فلاح فقد كان على « الدكة » الواقعة على نهر يزيد ، على مقربة من دمشق .

وما والاها من القرامطة، والأغشام الذين لا يعرفون فضل الإسلام، ولا يميزون بين الحلال والحرام، وانتهى أمرهم إلى جوهر القائد، فحفر حول القاهرة خندقاً وبنى القائد جوهر القنطرة على الخليج المعروف بخليج أمير المؤمنين، وفرق السلاح على الرجال من المغاربة والمصريين، وركب القائد يوم النحر من سنة ستين

/ ٢٤٣ / وثلاثمائة في جيوش عظيمة[1] وصلى صلاة العيد وعاد إلى قصره، ونحر وفرق الضحايا، ووهب للناس، وأحسن إليهم، وفي آخر ذي الحجة من هذه السنة كبست القرامطة الفرما[2] وقاطعوا أهلها على مال، وأخذوا عاملها عبد العزيز بن يوسف؛ وفي شهر المحرم أول سنة إحدى وستين وثلاثمائة أنفذ القائد من عنده مراكب فيها الميرة لسعادة بن حيان، وهو بيافا[3]، وأقبلت عساكر القرامطة في شهر صفر من هذه السنة سنة إحدى وستين حتى بلغت عين شمس، واستعد القائد جوهر لقتالهم لعشر بقين من صفر، وأغلق أبواب القاهرة، وضبط الداخلين؛ ثم أسرع القائد جوهر لحرب القرامطة، وأخرج مضاربه[4] وخرج معه الشريف مسلم الحسني، وسائر الأشراف العلويين، وخرجت الرعية لمعاضدة القائد جوهر، وجاءت القرامطة يوم الجمعة مستهل ربيع الأول فزحف القائد جوهر

/ ٢٤٤ / لقتالهم، واشتد القتال ولم يتخلف عن القائد جوهر أحد / من وجوه المصريين، وذوي بأسهم، وبرز المغاربة إلى القرامطة، وعظم القتل، فقتل جبل من الفريقين، وعادوا إلى القتال يوم السبت، وأمسى الناس متكافين وباتوا على

---

(١) عظيمة : عظم في ب

(٢) الفرما : الفرماء في ب

(٣) ترك الحسن الأعصم قائدة أبا المنجا وحليفه ظالماً من موهوب العقيلي على حصار يافا، وقد تحمل جند الفاطميين فيها شيئاً غير قليل من المصاعب والأهوال. المقريزي: اتعاظ الحنفا ص ١٣٢ .

(٤) هاجم الحسن الأعصم مصر من الناحية الشرقية، واستولى على الفرما، مفتاح الديار المصرية، ثم هاجم القلزم واستولى عليها، وأسر عاملها الإخشيدي عبد العزيز بن يوسف. ثم أخذ يتقدم في البلاد المصرية، حتى وصل أمام القاهرة. وكان وصوله إلى عين شمس في شهر المحرم من سنة ٣٦١ هـ .

المصاف، وما زالوا في القتال[1]. ثم أصبح الناس غداة يوم الأربعاء فوقع بينهم قتال شديد واشتد البأس وصبر الناس، وانهزم الأغشم اللعين، ورجع مدبراً إلى الشام، وانتصرت عليه عساكر الإمام، وأعز الله الإسلام، وعاد جوهر ظافراً منصوراً مؤيداً محبوراً، وجاءته الأخبار من الصعيد، أن عبد العزيز بن أهيج، قد نافق ودعا إلى إمامة بني العباس، وكتب إسم المطيع على بنوده، فأنفذ إليه القائد جوهر أربعين مركباً بالرجال والسلاح، وجعل عليها[2] رجلاً من وجوه من معه يسمى بشارة؛ وأنفذ في البر تازرف لقتال إبن أهيج أيضاً في عساكر عظيمة، فاستولوا على الصعيد؛ وفر ابن أهيج إلى بغداد متخفياً، وترك جميع ما حازت يده، فغنم وجيء إلى جوهر القائد به، وبرؤوس كثيرة من أصحاب ابن أهيج، فطيف به في أعمال مصر؛ ثم أخرج / القائد جوهر إبن أخيه إبراهيم ومعه أبو محمد في عساكر عظيمة، وعدد وعدة إلى الشام لحرب القرامطة[3]. ٢٤٥ /

تحرك أمير المؤمنين المعز لدين الله سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وعقبه الأكرمين للهجرة إلى مصر :

وكان خروجه من المنصورية يوم الإثنين لثمان بقين من شهر شعبان من سنة إحدى وستين وثلاثمائة، بعد أن جمع من الأموال ما لم يسمع بملك جمع مثلها، ورحلها صحبته، وسار في هيبة عظيمة، وعدة وجنود جمة، وجيوش مستعدة، وقد أمر بالدنانير من الذهب فسكت بسبائك، وطبع اسمه عليها، وجعل حمل كل جمل سبيكتين، واستعمل على المهدية، والمنصورية، والقيروان، ومدن

(١) وكانت الحرب سجالاً بين الفريقين، منذ أواخر صفر إلى أن حلت الهزيمة بالقرامطة في شهر ربيع الأول من نفس السنة. المقريزي : خطط جـ ٢ ص ١٣٨.

(٢) انظر النويري : نهاية الأرب جـ ٢٣ ص ٤٢ .

(٣) بعد الهزيمة التي حلت بالأعصم، أرسلت الجيوش المغربية لمطاردته في الشام، فلحقوا به في أذرعات. ولم ير الأعصم ورجاله بدأ من العودة إلى بلادهم في البحرين، تاركين بلاد الشام لبعض أمراء القرامطة، وعلى رأسهم أبو المنجا القرمطي. وكان جيش الفاطميين الذين عهد إليه بمطاردة الحسن الأعصم، بقيادة أبي محمود بن جعفر بن فلاح؛ وقد استعان بقبائل طيء على تنفيذ خططه في بلاد الشام والقضاء على الأعصم. وبظالم بن موهوب العقيلي، الذي فترت العلاقة بينه وبين الأعصم فقلده ولاية دمشق.

أفريقية ، وما يضاف إليها من المغرب ، أبا الفتوح بُلُكِّين[1] بن زيري بن مناد الصنهاجي ، (بُلُكِّين يعني يوسف)[2]، لكن قد شهر اسمه بُلُكِّين ، وقد ذكرنا لأبيه زيري بن مناد مع الإمام المنصور بالله ع.م من الجهاد أيام مخلد بن كيداد، وأوصى
٢٤٦ / أمير المؤمنين المعز لدين الله ع.م. / يوسف بن زيري عامله على المغرب وبلاد أفريقية، بما أراد وجعل جميع الولاة في المغرب[3] من تحت يده، وألزمهم جميعاً طاعته، وكان من خلصاء أوليائه وصفوة أهل ولائه.

وهاجر مع المعز لدين الله ع.م من أولاد المهدي بالله ع.م أبو علي أحمد ، وأبو طالب موسى ، وابنا عبد الله المهدي بالله ،وأربع نسوة من بنات الإمام المهدي بالله، وكانت وفاتهم[4] جميعاً في مصر ، ومن أولاد الإمام القائم بأمر الله ع.م جعفر ، وعبد الجبار ، إبنا محمد القائم بأمر الله ع.م ، وأربع نسوة من بنات القائم بأمر الله ، وكانت وفاتهم جميعاً بمصر، وأخوة المعز لدين الله ع.م، حيدرة، وهاشم، ابنا اسماعيل المنصور بالله ، وخمس[5] أخوات لهم؛ وبمصر كانت وفاتهم جميعاً. ومن أولاد أمير المؤمنين المعز لدين الله ع.م عبدالله رضي الله عنه،وتميم الشاعر، والإمام نزار العزيز بالله ، وعقيل، أبناء الإمام معد المعز لدين الله ، وهاجر معه كثير من
٢٤٧ / أمرائه ، ودعاته ، وأعيان / دولته وكان في الهجرة معه القاضي النعمان بن محمد (رضي) وجميع أولاده؛ واستخلف بأمر المعز لدين الله ع.م في أعمال أفريقية ، والمهدية ، وجميع المغرب القاضي أحمد بن القسم بن أبي المنهال رحمة الله عليه ، وكان القضاة في جميع المغرب[6] من تحت يد القاضي أحمد بن القسم ، وهاجر جوذر الأستاذ مع المعز لدين الله ، وجاءته الوفاة بمدينة برقة على ما نذكره.

قال منصور الجوذري[7]: فلما اعتزم مولانا على الحركة إلى المشرق جرت بين

---

(١) بلكين : بالكين في ب
(٢) بلكين يعني يوسف : بكلين يسمى يوسف في ب
(٣) المغرب : الغروب في ب
(٤) وفاتهم : وماتهم في ب
(٥) خمس : سقطت في ب
(٦) المغرب : الغروب في ب
(٧) سيرة جوذر ص ١٤٢ .

الأستاذ جوذر وبين الأمير عبد الله قدس الله روحه مكاتبات ومراسلات كان يؤثر فيها حقه كفعل آبائه الطاهرين . [وكان أول كتاب][1] كتب إليه الأستاذ بكتاب يذكر فيه رسمه من البغال التي كان يحمل عليها أثقاله في الأسفار مع مولانا ع.م . فصرف إليه الجواب بدعاء[2] وهو :

سلمك الله وأتم نعمته عليك ، وزاد في امتنانه عندك ، وبلغك من رضاه ورضى وليه مولانا وسيدنا أملك ، وأملنا لك عنده وفضله ورزقك الحج معه ٢٤٨ / / إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر جدنا محمد إنه كريم منان عظيم الفضل والإحسان .أما بعد فإنه انتهى إلينا كتابك بعد [تطلع وشوق][3] شديدين ـ يعلم الله ـ منا إليك . ووقفنا منه على ما حمدنا الله ع.ج وشكرناه على امتنانه علينا بسلامتك وصحة بدنك وسألناه ضارعين إليه راغبين في الزيادة[4] لك من فضله وإحسانه . وقد عرضنا كتابك على مولانا ع.ج فلما وقف عليه وقع إليك بخط يده المباركة الكريمة بأسفله بما أنت تقف عليه وقد أنفذناه إليك . وحسبنا الله ونعم الوكيل . وفي أسفل الكتاب توقيع من أمير المؤمنين ع.م هذه نسخته : يا جوذر أسلمك الله ، أقرأنا عبدالله سلمه الله ـ كتابك وسؤالك إياه التذكرة في أمر البغال التي تقدم لك الرسم بأخذها من الإصطبل وتخوفت أن لا يكون لكثرة إشغالنا وما بنا من الحاجة إليها [ننساك ونسلمك][5] فلا أوقف الله إليك يوماً ما نسلمك فيه إلى نفسك في أحوال دينك ، ودنياك . فوالله ، لو لم يكن إلاَّ ما نؤثرك به[6] على أنفسنا ٢٤٩ / لفعلنا ذلك ولم نتأخر عنه . فطب نفساً / بما خولك الله ووهبك من رضانا ـ أدامه الله لك . وخرج مولانا ع.م متوجهاً إلى المشرق فأطلق له البغال

(١) وكان أول كتاب : فكان كتاب في ب
(٢) بدعاء : سقطت في ب
(٣) تطلع وشوق : بعد تشوق في ب
(٤) الزيادة : الذوادة في ب
(٥) ننساك ونسلمك : سقطت في جـ
(٦) به : سقطت في ب

التي للأحمال وبغال العمارايات أيضاً منها واحدة كان يركبها هو بنفسه آثره [صلى الله عليه][1] بها ، وفعل فيه وفي أصحابه من الجميل وسعة العطايا ما لا يوصف .

قال[2] : ولما وصل الأستاذ إلى موضع يعرف بأجدابية وقد حكمت العلة عليه فقال : لقد اشتقت إلى النظر إلى وجه مولانا ، وأراني ضعيفاً[3] ولا أقدر أثبت على قدمي لترهل عرض لي [فيهما ، فكيف الحيلة عندك في ذلك ؟][4] فسألته التقدم قبله والإجتماع بالأمير عبد الله ولي عهد المسلمين في ذلك ، فأذن لي ، ومضيت واجتمعت به ـ عليه السلام ـ ووصفت له حاله ، وعظيم شوقه إلى مولانا . فعرف مولانا . ورجع إليّ بالجواب . وقال لي : يأمرك مولانا أن تقدم به إلى هذا الموضع ، وأشار إلى القبة[5] التي كان يتغذى فيها بالمفازة المباركة ثم قال : وقف به وهو في العمارية ، لا تنزله منها .

/ ٢٥٠ وحذرني من إنزاله ، وخوفني عقوبة مولانا في ذلك . فرجعت إلى / الأستاذ وعرفته بما كان ، ففرح بذلك وقويت نفسه . ثم وصلت به إلى الموضع الذي رسم له . فلما حل به قال : إنزلني فاعتذرت إليه أن الموضع الذي يريده ذو غلق وسبيلنا أن نقف في العمارية حتى يفتح الموضع . فقبل ذلك مني . ووقفت في العمارية على بغلة وهو جالس فيها . فما شعرنا بشيء حتى خرج مولانا المعز لدين الله أمير المؤمنين ع.م ، وعليه عمامته وهو منتعل ، فأدخل نفسه في جوف العمارية ، وضمه إلى نفسه ضم الأخ للأخ والصديق للصديق . فنظر إلى الأستاذ عند ذلك نظر من أنكر عليّ تركه في العمارية . فقال ع.م : لا سبيل عليه ، فبأمرنا عمل . ثم أقبل الإمام ع.م على الأستاذ وسأله عن حاله ، وقال له : لا تضعف نفسك ، فإن الله يمد في عمرك وينسى[6] أجلك حتى تشاهد معنا فضل الله الذي

---

(١) وصلى الله عليه : سقطت في ب

(٢) سيرة جوذر ص ١٤٣

(٣) ضعيفاً : سقطت في ب

(٤) فيهما ، فكيف الحيلة عندك في ذلك: سقطت في جـ

(٥) القبة : الحقبة في جـ

(٦) وينسى : ينسيء في ب

خولناه من ديار الظالمين . فقال الأستاذ يا : مولاي ، والله ، ما لعبدك حال يستوجب بها ما فعلته فيه ، لأني عبد صقلبي أعجمي لا خصلة لي أمتن[1] بها إلاّ أني عبدكم المستضيء / بنور هدايتكم . فقال له : لا تفعل يا جوذر ، إن الله قد فرض طاعتنا فجعلها رهبة ورغبة . فأنت ممن أطاع الله فينا رغبة لا رهبة . ونسيت كل إنسان وتمتعه في داره من الصقالبة الذين كانوا معك في اعصار مواليك الأئمة الطاهرين ورضاك أنت بكونك في ذلك البيت الذي يقرب من الخلاء بقصر[2] مولاك القائم بأمر الله ع.م ، لم تختر ما اختاره غيرك من نعم الدنيا ، لكن أراد الله لك السعادة أولاً وآخراً.

٢٥١ /

ثم نظر إلى محمد بن عثمان الكاتب ، وكان واقفاً[3] معنا ، وأشار بقود الدابة والإنصراف تخفيفاً[4] عن مولانا، مما كلف نفسه الكريمة من الوقوف على قدميه ، فرآه مولانا، وقال : قف يا محمد ، ودِّعه فإن في نظره إلينا راحة قلبه ؛ ثم قبل الأستاذ الأرض وقبلنا ، وانصرفنا . فمن ذلك اليوم ما رأى مولانا ع.م . وكأنها كانت وقفة الوداع .

ثم لما صرنا بالموضع الذي يعرف بمثلية[5] بالقرب من برقة زاد به الضعف وصعوبة الأمر من / العلة . ومع ذلك فكان ذهنه صحيحاً ، لم يتغير عليه من عقله شيء، دعاني فقال لي: نحن ندخل برقة، وهو موضع[6] كبير، وبه بعض أهل المشرق ، سيما وصول ابن نصير إلى مولانا في ما يقال ، واسمنا من الدولة الطاهرة كبير بإعزاز مولانا لنا ، والواجب أن نحمل[7] عسكرنا بالعدة

٢٥٢ /

---

(١) أمتن : أمت في ب

(٢) بقصر : تبصر في ب

(٣) واقفاً : سقطت في ب

(٤) سيرة جوذر ص ١٤٤ .

(٥) بمثلية : بملثية في ب

(٦) موضع : محلة في ب

(٧) نحمل : يحمل في ب

والسلاح الشاك والزي الحسن حتى يكون دخولنا تاماً بهياً[1] . فاكتب إلى الأمير عبد الله وعرفه ذلك ، واسأله سؤال مولانا بإنفاذ شيء من السلاح والعـدة زيادة على الذي عندنا، وتعرفه أني أحب الوصول إلى القصر المبارك بهذا الزي، لكنـي لا استطيع النزول على قدميَّ ، ويصعب عليّ الأمر في ما كان من فعل مولانا باجدابية[2]. وأخشى أني [متى وصلت يقول من يحسدنا على فضل مولانا عليه السلام أني][3] إنما تعرضت بوصولي هذا ما كان من فعله ، ونحو هذا [القول من الكلام][4] وختم الكتاب وأنفذناه مع نجاب كان معنا فعاد الجواب من الأمير عبد الله يقول :

سلمك الله ، وأتم نعمته عليك، وتابع آلاءه لديك، ومنع فقدك، وقضى لك بالحج إلى بيته الحرام مع مولانا ، إنتهى إلينا / كتابك ، سلمك الله ، ووقفنا على جميعه من بعد أن وقف عليه مولانا ، وقبلنا له الأرض . عنك ، وهو يرد عليك [أفضل سلام][5] الله وأطيبه . وأمر لا زال أمره عالياً معظماً مكرماً ، بالكتاب إليك بتعريفك نفسك سلمك الله ، أن أمره نفذ[6] إلى نصر الخازن ببعثة الجمال وصدراً كثيراً من السلاح [لا حد له][7] وهو يصل إليك إن شاء الله . فاعمل ، قال لك ، على الوصول فيه ، ويكون إلى الحضرة المباركة ، أي يوم يتهيأ لك وأردت الوصول فيه ، ويكون وصولك إلى باب القصر المبارك في عماريتك على رسم [ما فعلته في أجدابية][8] بأحسن زي وأهيأه ، ولا تأخذ على نفسك في هذا الباب في أمر العمارية شيئاً ، فليس فيه شيء تأخذه ولا يؤخذ عليك كما قلت ،

٢٥٣ /

(١) بهياً : باهياً في ب
(٢) باجدابية : بأحد به في ب
(٣) متى وصلت يقول من يحسدنا على فضل مولانا عليه السلام أني : سقطت في ب
(٤) القول من الكلام : سقطت في ب
(٥) أفضل سلام : من سلاح في ب
(٦) نفذ : سقطت في ب
(٧) لا حد له : ما حد له في ب
(٨) ما فعلته في أجدابية : ما فعلت بأحدابية في ب

فخروجك قال لنا في أجدابية ليس أنت كلفتناه[1] فتأخذ [فيه على نفسك أمراً ،][2] ولا يؤخذ عليك ، بل نحن فعلناه من ذات أنفسنا رغبة في افتقادك ومشافهة[3] حالك ، وهب الله لك أتم العافية وأكمل الصحة والسلامة /بفضله. ٢٥٤ /
فاعمل على ما حدوناه لك . قال : وأبشر بما رزقك الله من رضاه عنك ، برضى وليه الذي لم يجد هذا أحد غيرك في العصر الذي أنت فيه ، ومحقوق أنت بذلك فاحمد الله واشكره تستوجب المزيد من جزيل عطائه ، وعظيم فضله وامتنانه . والله أسأل حراسة نعمه عندك وتتابعها لديك ومرادفة آلائه عليك بأجمل سلامة نرجوها لك وأفضل صحة نؤملها ، بمنه وفضله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكان هذا التوقيع آخر توقيع وصل إليه من الإمام وولي عهده عليهما السلام ، ووصل نصير إليه بالعدة إلى الموضع المذكور ، وفرق السلاح على الرجال ، وزاد به أمر الضعف والعلة ولم يقدر أن يوصل به إلى القصر ، فدخل مدينة برقة إلى الدار التي أخليت له فنزل بها ، ومضيت إلى مولانا فعرفته بوصوله . فقال : كيف حاله[4]. قلت : يا أمير المؤمنين هو ضعيف جداً ، ومع هذا فهو يشتهي الموت حتى كأنه يعاين الموضع الذي يسير إليه فاشتاق نحوه . فقال ع.م : إلى موضعه في رحمة الله / وقرب مواليه ، ثم التفت إلى من كان واقفاً بين يديه ، وكان الأمير عبد الله من الوقوف ، وإسحاق[5] بن موسى وغيره من السودان الخدم . وكان ذلك بعد الفراغ من المائدة ، وقال في ما قال : هذا جوذر المسكين ، والله إنا لنحصي[6] ما وصل منه إلى آبائنا الطاهرين من قبل وإلينا من بعدهم تقرباً وعملاً لوجه الله فيكون ذلك فوق المائة ألف دينار بلا إقطاع ولا ضياع كثيرة . ٢٥٥ /

---

(١) كلفتناه : ككفتاه في ب
(٢) فيه على نفسك أمراً : عليك نفسك في ب
(٣) ومشافهة : ومشاهدة في ب
(٤) حاله : الحال في ب
(٥) واسحاق : وسحق في جـ
(٦) لنحصي : حصاه في ب

قال : ثم دفع إليَّ تفاحات كانت بين يديه ، وقال لي : أوصلها إليه ، وقل له : هذه وصلت إلينا من مصر وأرجو الله أن يحييك ويصح بدنك حتى تشاهدها معنا . فقبلت الأرض وانصرفت وبلغت الحكاية التي كانت منه . فقبل الأستاذ الأرض وحمد الله وأكثر من شكره ، ثم أخذ معي في الحديث فما زال على ذلك وهو في صحة عقله إلى آخر الليل ، فحاله[1] على أمره . ثم أصبح به الأمر وهو لما به من النزع[2]، ثم قضى عند الظهر ، وحمل في الليل من مدينة برقة إلى القصر الذي كان به مولانا بموضع يعرف / بمياسر[3]. وأمر ع . م بغسله ، وحضر لذلك القاضي النعمان بن محمد ومحمد بن عثمان الكاتب وأنا ، وصلى عليه أمير المؤمنين بالغدو ، ودفن[4] بالموضع في[5] مسجد بهذا القصر المذكور . وسار أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م حتى دخل الإسكندرية لست بقين من شعبان من سنة اثنين وستين وثلاثمائة .

٢٥٦ /

قال القاضي ابن خلكان في تاريخه[6] : وركب المعز في الإسكندرية ، ودخل الحمام ؛ وقدم عليه بها قاضي مصر وهو أبو طاهر محمد بن أحمد وأعيان أهل البلاد ، وسلموا عليه ، وجلس لهم عند المنارة ؛ قال : وخاطبهم بخطاب طويل يخبرهم فيه أنه لم يرد[7] دخول مصر لزيادة في ملكه ، [ولا لزيادة ماله][8] ، وإنما أراد إقامة الحق ، والحج ، والجهاد ، وأن يختم عمره بالأعمال الصالحة ، ويعمل بما أمر به جده ، ووعظهم وأطال حتى أبكى الحاضرين ، وخلع على القاضي وبعض الجماعة وحملهم ، وودعوه وانصرفوا . ثم رحل عنها آخر شعبان ونزل يوم

---

(١) فحاله : حال في ب
(٢) النزع : النزاع في جـ
(٣) بمياسر : بمياشي في ب
(٤) ودفن : سقطت في جـ
(٥) في : عند في ب
(٦) وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٥٢
(٧) يرد : يزر في جـ
(٨) ولا لزيادة ماله : ولا المال في ب

٢٥٧ / السبت ثاني شهر رمضان على مينا ساحل مصر بالجيزة ، واجتمع به / الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات المذكور أولاً ، وأقام المعز لدين الله هناك ثلاثة أيام ، وأخذ العسكر في المسير بأثقالهم إلى ساحل مصر ، ولما كان يوم الثلاثاء لخمس مضت من شهر رمضان من السنة المذكورة عبر المعز ع.م النيل .

قال حيدرة بن محمد بن ابراهيم صاحب السيرة الكتامية الحميرية : ولما دخل الإمام المعز لدين الله وسار من الجيزة إلى مصر على الجسر فلم يمش معه أحد راكباً غير القاضي النعمان ، وعسلوج بن الحسن ، من وراء ظهره ، وسائر الناس ماشين بين يديه ؛ وقال إبن خلكان[1] : ودخل المعز القاهرة ، ولم يدخل مصر ، وكانت قد زينت له ، وظنوا بأنه يدخلها ، وأهل القاهرة لم يستعدوا للقائه لأنهم بنوا الأمر على دخوله مصر ، ولما دخل القاهرة ودخل القصر ، وكلما دخل مجلساً منه خر ساجداً ، ثم صلى فيه ركعتين وانصرف الناس عنه ، فاستقر أمير المؤمنين ع . م في

٢٥٨ / قصره بالقاهرة المعزية يوم الثلاثاء لخمس / مضت من شهر رمضان ، سنة اثنين وستين وثلاثمائة . قال إبن خلكان[2] : وهو الذي تنسب إليه القاهرة المعزية لأنه الذي بناها القائد جوهر له يوم الجمعة لثلاث عشرة بقين من المحرم سنة ستين وثلاثمائة .

وفي ما ذكره أبو بكر جمهور بن علي بن جمهوي الهمداني[3] قال ابن حوقل البغدادي :[4] القاهرة استحدثها جوهر الكاتب لأمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، وقد ضمت من المحال والأسواق والحمامات والدور الحسان ، والقصور المشيدة على اقتصارها ما لا تكون في غيرها ، وبها ديوان مصر ، وجامع حسن ،

(١) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٣٥
(٢) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٣٤
(٣) الهمداني : المهمداني في ب
(٤) المسالك والممالك جـ ٢ ص ٢٢

وبها من الرجال والفرسان والخيل ، ما يعجز عنه كثير من البلدان[1] .

وقد قال إبن خلكان[2] : إن الشريف إبن طباطبا لقي المعز لدين الله وقال له : النسب يا مولانا فوعده إلى يوم اجتمع فيه الناس . قال إبن خلكان : فاخترط السيف ، وقال : هذا نسبي ، وبذل الدنانير ، وقال : هذا حسبي . فقالوا : سمعنا ، وأطعنا . ونقول : إن هذا من القول الفاسد ، والكلام الغث البارد ، وأنى يكون ذلك ونسبه معروف مشهور من شجرة / النبوة ، ودوحة الوصاية ، وفرع الإمامة ، وإنما ذلك للعناد والشقاق ، إذ لم يجدوا فيهم مطعناً ، ولا مغنماً فجاؤوا بهذه الأقوال ، ومخرقوا هذه المخرقة التي لا يتفق على ذوي العقول ، ولا يقبلها إلاّ كل جهول ، وكيف والشريف الرضي على جلالته عندهم ، يخاطب بني العباس ويقول[3] :

٢٥٩ /

ما مُقامي على الهوانِ وعندي مِقْولٌ صارِمٌ وأنفٌ حميٌّ
أحمل الضيم في بلاد الأعادي وبمصرَ الخليفةُ العلوي

---

(١) ويعز و المقريزي سبب بناء القاهرة بهذه السرعة وإحاطتها بسور ضخم ، إلى خوف الفاطميين من هجوم القرامطة ، مع أن الإصطدام الفعلي الذي قام بين الفاطميين وبين القرامطة لم يبدأ إلا بعد أن احتل جعفر بن فلاح بلاد الشام في سنة ٣٥٩ هـ . وبالفعل اتخذ جوهر من مدينة القاهرة حاضرة لولايته ، ومعقلاً يصد عنه خطر المهاجمين ، ومركزاً لنشر العقائد الإسماعيلية . المقريزي : خطط جـ ١ ص ٣٦١ .

(٢) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٦٠٩ يقول إبن خلكان : لما وصل الخليفة إلى مصر ، اجتمع به بعض الأشراف وسأله أحدهم ، وهو إبن طباطبا : إلى من ينتسب مولانا ؟ فأجابه المعز بأنه سيعقد مجتمعاً يضم كافة الأشراف ويسرد عليهم نسبه . حتى إذا ما انعقد المجلس في القصر ، سل المعز سيفه إلى النصف وقال : هذا نسبي ، ثم غمرهم بالذهب الكثير وقال : وهذا حسبي . والدليل على بطلان هذه الرواية أن المعز لما وصل إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ كان إبن طباطبا قد مات سنة ٣٤٨ هـ أي قبل أربع عشرة سنة على ما ذكره إبن خلكان في الوفيات جـ ١ ص ٣٢٦ .

(٣) نقلنا هذه الأبيات من ديوان الشريف الرضي لورودها في أصل ب وجـ مفككة عامرة بالأخطاء . ديوان الشريف الرضي ص ٩٧٢ . إبن الأثير جـ ٨ ص ٨ و ٩ . المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١٦ .

مــن أبــوه أبــي ومــولاه مــولا ي إذا صـامنـي البعيد القَصي
لفٌ عرقـي بعرقـه سيد النا س جميعـاً محمـدٌ وعـلـيٌ

وذلك إكرام الأئمة ع . م للحسينيين والحسنيين حتى ارتفع شأنهم ، وعظم عند العباسيين مكانهم ، بعد أن كانوا في الدولـة الأمـوية والعبـاسية يقتلـون ، ويطردون ، ويحبسون ، وبأنواع القتل والعذاب يتوعدون ، فأنقذوا بعد ظهور المهدي بالله ع . م من الذلة ، ورفعوا حيث كانوا حتى صاروا في الناس كالنجوم والأهلة ، ومن أراد أن يعرف نسب الأئمة وفضلهم ، وفرعهم الشريف وأصلهم ، فليقرأ كتاب المصابيح في الإمامة للداعي حميد الدين[1] فإن فيه شفاء للصدور ، / ٢٦٠ / وجـلاء القـلوب ، والحجـة الواضحـة التي لا يـدفعها إلاً من دفـع الحـق بعد بيانه ، وأنكر ضياء الشمس عند عيانه ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويصدوا عن سبيله رعاع الأمة من أشكالهم ، وأشباههم ، والله تعالى قد وعد بتمام النور ، وقال سبحانه في كريم كتابه : ﴿ فإنَّها لاَ تَعْمَى الأَبصَارُ وَلَـكِن تَعْمـى القُلُوبُ التَّي في الصُّدُورِ﴾[2] نسأل الله العصمة ، وأن يثبتنا على ولاية الأئمة الذين أتم الله بهم الدين ، وأكمل النعمة .

وصار أمير المؤمنين المعز لدين الله في دار ملكه[3] وقـرار عزه في القاهـرة المعزية ، فسكنها ، واستوطنها ، وجعلها له داراً ، وتبوأها قراراً ، وأمور المملكة موطدة ، وأسبابها مؤكدة ، والإسلام خافقة بنوده ، قائمة دعاته ، والإيمان ثابت

---

(١) كتاب المصابيح في إثبات الإمامة للداعي الكرماني يتكون من مقالتين وأربعة عشر مصباحاً يشتمل جميعها على مائة وخمسة براهين . المقالة الأولى في إثبات المقدمات وهي سبعة مصابيح . المقالة الثانية في إثبات الإمامة ووجوبها وهي سبعة مصابيح . حقق هذا الكتاب وقدم له الدكتور مصطفى غالب ونشر في بيروت عام ١٩٦٩ .

(٢) سورة : ٢٢/ ٤٦

(٣) وأصبحت مصر منذ ذلك الحين دار خلافة ، بعد أن كانت إمارة ، تابعة للخلفاء الفاطميين ببلاد المغرب ، وغـدت القاهـرة ، بدل المنصـورية ، مركز الدولـة الفـاطمية الشاسعـة الأرجاء . وقد نجح الفاطميون في تأسيس سلطانهم في القاهـرة التي اتخذوهـا حاضرة لإمبراطوريتهم ؛ فغدت المركز الذي انتشرت منه شعائر المذهب الفاطمي .

عموده ، طاهرة مراسمه ، وله ع . م ملك مصر ، والشام ، والحرمين ، وإقامة الخطبة في جميع ما يضاف إلى هذه من الكور والأمصار ، وتحت راياته الحج إلى بيت الله الحرام ، للوافدين من الأقطار ، وله ملك أفريقية ، والمغرب ، / ٢٦١ وطرابلس ، وسجلماسة ، وبرقة ، وصقلية ؛ وقد ظهرت دعوته وانتشرت دعاته في الجزيرتين السندية والهندية ؛ ولم تكن دعوته معدومة في جميع الأقاليم منها ظاهرة ومنها في السر والتقية ، وترك القاضي أبا طاهر محمد بن أحمد بن عبدالله على القضاء[1] بمصر على ما أبقاه عليه القائد جوهر ، وهو يرجع في جميع أحكامه إلى القاضي النعمان بن محمد ، ويعرض عليه قضاياه ، وينفذها على ما ينظر فيه ويراه .

وأقام عبد الله بن ثوبان ينظر بين المغاربة في القضايا والأحكام[2] ، ويوردها عن أمر القاضي النعمان بن محمد في الإتساق ، والإنتظام ؛ فلما توفي القاضي عبد الله بن ثوبان رحمة الله عليه صرف القضاء بعده إلى القاضي الأجل علي بن النعمان[3] ، فجرت الأمور على أحسن العوائد ، وانتشرت بيمن معز دين الله في الدين ، والدنيا الفوائد؛ قال الحسن بن جعفر الأنصاري رحمه الله في تاريخه[4] : وكان إبن الأندلسي محمد بن الخير قبل / ٢٦٢ خروج المعز إلى مصر قد خالف في سنة ستين ، وهرب في أربعة آلاف غلام أكثرهم يركب الخيل من المسيلة إلى فاس ،

---

(١) وكان قاضي القضاة في مصر وقت الفتح الفاطمي سنة ٣٥٨ هـ أبو الطاهر . وقد تولى هذا المنصب منذ شهر ربيع الأول سنة ٣٤٨ هـ فأقره جوهر الصقلي في منصبه لغرض سياسي فحسب ، وعمل في الوقت نفسه على الحد من نفوذه . الكندي : كتاب القضاة ص ٥٨٤ . وألزم القاضي أن يصدر أحكامه طبقاً لأصول المذهب الشيعي الذي ساد البلاد في ذلك الوقت ، كما اشترك معه في منصبه قاضيان من المغاربة .

(٢) أبا سعيد عبد الله بن أبي ثوبان ، الذي صحب المعز إلى مصر ، تقلد في شوال سنة ٣٦٢ النظر في المظالم الخاصة بالمغاربة ، ثم آل إليه النظر في قضايا المصريين أنفسهم ، وعرف باسم قاضي مصر والإسكندرية . الكندي : كتاب القضاة ص ٣٨٧ .

(٣) بدأ حياته في القضاء ، منذ سنة ٣٦٣ . إبن ميسر ص ٤٤ .

(٤) في تاريخه : من أقواله في ب

وبلاد زناتة ، وركب البحر إلى الأندلس ؛ فكتب المعز لدين الله إلى زيري بن مناد الحميري ، وكان يجاور ولايته أن يطلبه حيث يعلم مستقره ؛ فسار زيري خلفه إلى بلد زناتة على نحو شهرين من عملها ، وتردى زيري عن فرسه فقتل ، رحمته ورضوانه عليه ، وطائفة ممن معه ، والمعز لدين الله يومئذ بالمنصورية ، ولما صار ع . م إلى مصر كتب المعز لدين الله ع . م من مصر إلى إبنه يوسف بن زيري بعد أن ولاه مملكته بالغرب أن أطلب ثأرك من زناتة ، وأجتهد أن تلقاه يوم كذا وكذا ، وكان محمد بن الخير لما قتل زيري ظن أن ليس في ولده مثله ، فجمع زناتة ، وسبقه يوسف بن زيري في سبعة آلاف فارس ، وأربعين ألف راجل ، وصبحه يوسف ، وكانت امرأة محمد بن الخير حسنة الصورة ، فلبست ثيابها ، وتطيبت ، وأخذت خيلها ، ووقفت في نحو ألف امرأة من حواريها ، وبنات عمها ، ونساء زناتة ، وجعلت تحرض بعلها ؛ وفعل من معها / من النساء في تحريض قومهن فعلها ، وقصد محمد بن الخير البنود وقتل من تحتها ، وكان عامل المعز ع . م يوسف بن زيري قد كمن[1] له فخرج يوسف في كمينه ، فهزم أصحاب ابن الخير ، فحين رأى الهزيمة في أصحابه جعل سيفه في حلقه ، فإذا به صريعاً ؛ وقال : بيدي لا بيدك يا يوسف . فقيل ان يوسف بن زيري أدركه وبه رمق ، فقال له : أنا يوسف ، وأخذ سلبه ، وسيفه ، وكان السيف عظيماً .

٢٦٣ /

وأصبح يوسف فجمع رؤساء زناتة فأدارهم على السيف ، وبسط على رؤوسهم بساطاً ، وجلس عليه ومن معه ، وأكل خبزاً ، وقال : ما فعل أحد كذلك . فطيف برأس محمد بن الخير ورؤوس زناتة في الأعمال ، وبعث يوسف بها إلى القاهرة ، فطيف بتلك الرؤوس في أعمال مصر ونواحيها . ثم انها قويت أمر أيدي القرامطة في الشام وجاء اللعين أبو طاهر الحسن بن أحمد بن بهرام المكنى بالأغشم القرمطي وقد أجابه كثير من العرب والعجم من الساعين في فساد شريعة / محمد (ﷺ) وهو يطوي البلاد طياً ، ويأتي من المنكرات شيئاً فرياً ،

٢٦٤ /

---

(١) كمن : أمن في ب

حتى دنا من القاهرة المعزية ، ووصل إلى مسيول الطواحين[1] في جماد الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة[2] فخرج أمير المؤمنين المعز لدين الله ، ومعه ولده الأمير عبد الله ، وجميع أنصاره وجنوده من المغرب وأهل مصر في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، فجرت بينه وبين القرمطي اللعين وقائع كثيرة ، وحروب عظيمة مشهورة ، وكان ولي عهد المسلمين عبد الله بن المعز في بعض تلك الحروب يقاتلهم[3] ، عن أمر الله ، فهزم القرامطة وقطع عسكره منهم ألف فارس فقتلوا ، وأسر منهم ألف إنسان ، ووصل الأمير بهم مخيم أبيه ع . م ، وولى القرمطي منهم منهزماً ، وأنزل الله على وليه المعز لدينه نصره من السماء ؛ وكانت هزيمته في شعبان من سنة ثلاث وستين[4] .

وقد أتى عن القاضي النعمان بن محمد (رضي) في كتاب مؤازرة[5] التأويل ، حيث قال : ومنها ما رأى المعز لدين الله قال : رأيت في ما يرى النائم / ليلة الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة كأني جالس على مكان من الأرض عال أشرف على قتال يكون أمامي ، وأنظر إلى حملاته

٢٦٥ /

---

(١) مسيول الطواحين : نهر الطواحين بالقرب من الرملة .

(٢) ظهر القرامطة للمرة الثانية في عين شمس في شهر ربيع الثاني سنة ٣٦٣ هـ ، ثم اجتمعوا أمام الخندق الذي حفره جوهر الصقلي وحاولوا اجتيازه . على أن الخليفة المعز استطاع أن يستميل الطائيين ، وكانوا من أشد جند الأعصم بأساً ، فأرسل إليهم مائة ألف دينار . فلما استعرت الحرب بين الفريقين ، خرج الطائيون ، وتشتتت قوة الحسن . إبن حماد : ملوك بني عبيد وسيرتهم ص ٤٦ .

(٣) يقاتلهم : لقتالهم في ب

(٤) عمل الإمام المعز على جذب العرب الذين كانوا مع القرامطة وعلى رأسهم حسان بن الجراح الطائي ، الذي وعد بالتظاهر بالهزيمة أمام جند المعز ، وقد تفانى حسان بالوفاء بوعده وتقهقر أمام جيوش المغاربة ، الذين خرجوا من القاهرة ، وعلى رأسهم الأمير عبد الله بن المعز ، وانقضوا على الأعصم ، وأحاطوا به من كل جانب ، وأرغموه على التقهقر . وأسر الفاطميون من القرامطة أكثر من ألف وخمسمائة . وعاملوهم معاملة المرتدين عن دينهم . النويري : نهاية الأرب جـ ٢٣ ص ٩٦ .

(٥) مؤازرة : وزارة في ب

ورداته ، وبين يدي سيوف أصحاب رسول الله ، إذ بجماعة من النـاس تفـوق الناس مناظرهم حسناً ، وكمالاً وزينة[1] وبهاءً ، فسلمـوا عليَّ وجلسـوا حولي ، وجلس أحسنهم منظراً ، وأفضلهم حظوة ورأياً ؛ وأنا لا أعـرف في الوقـت إلاّ الإمام المنصور بالله ع . م ، فإنه يتبسم إليَّ ويشير كالمنبه على حال القوم ، وأقرب من كان عن يميني رجل ربع[2] أسمر ، فقال : ما بال هذه السيوف بين يديك ؟ فقلت : هذه سيوف أصحاب رسول الله (ﷺ) أخرجتها وجمعتها أضرب بها وجوه الكفرة أُخر ، كما ضرب بها بين يدي رسول الله (ﷺ) أولاً ؛ ثم قام ، فقلت : من أنت ؟ فقال : أنا جدك علي بن أبي طالب ! فقلت : مولاي ! فقال المنصور ع . م : مولاك ، ومولاي ! ثم قلت : هذه الصيحة التي قال الله : ﴿ إن كَانَتْ ٢٦٦ / إلاَّ صَيْحَـةً وَاحِـدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِـدُونَ﴾[3] قال : هـو كـذلك . قلت : فيوم كاليوم الذي نودي فيه من أعنان السماء : لا سيف إلاّ ذي الفقار ، ولا فتـى إلا علي؛ فتبسم ع . م، ثم مد يده إلى السيف ذي الفقار القديم ، حينئذ قلت: قد زالت الشبهة في السيف، فتناوله، وتقدم فضرب رأس اللعين الأغشم؛ فحمدت الله وشكرته بما هو أهله ، ثم قام من الجماعة رجل تام، فقلت: من أنت؟ فقال:[4] أنا عمك حمزة! فقلت: سيدي أسد الله، وأسد رسوله! فتبسم ، ثم مد يده وفيها سيفه فهممت أخذه ، فقلت: يا عم أهذا سيفك الذي لا يضرب به إلاّ أنت؟ قال

(١) وزينة : وزيره في ب
(٢) ربع : ربيع في ب
(٣) سورة : ٣٦/ ٢٩
(٤) فقال : سقطت في ب
(٥) يستدل من النصوص التاريخية بأن الإمام المعز لدين الله كان عالماً متشرعاً من متشرعي المذهب الإسماعيلي ومؤلفيهم ، ضرب في كل علم بسهم وافر . ولا غرو فقد كان متوفراً على البحث والإطلاع ، لا يجد اللهو إلى نفسه سبيلاً ، وكان ، كعامة الإسماعيلية ، يعتقد أنه منبع العلم والعرفان ، وأن التعليم من الأئمة هو التعليم الحق . ساهم مساهمة فعالة في حركة التأليف والتثقيف ونشر الدعوة ، وشجع العلماء والمؤلفين . ويمكننا أن نقول : إن المعز لدين الله كان أكبر شخصية في العالم الإسلامي في عصره ؛ ولم يستطع أحد من أمراء عصره أن يصل إلى ما وصل إليه من قوة ونفوذ .

نعم. وتقدم فقطع بضربة واحدة ثلاثة رؤوس،وأخذ الثلاثة إخوان الأغشم، ثم قام منهم جعفر الطيار، وتقدم وبعد وضرب فقتل كثيراً. ثم لم يزل يقوم واحد بعد واحد ويتسمى ويتقدم إلى أن قام آخرهم رجل، فقلت له: من تكون؟ قال: أنا أبو موسى الأشعري. قلت: ما لك في السيوف بسيف، ولا أريد أن أدخلك في شيء من هذا الأمر، قال ولِمَ؟ فتبسم / القوم، وضحك رجل كان ورائي جالساً فالتفت أنظر إليه وقلت: من أنت يا مولاي؟ فقال: أنا جدك رسول الله (ﷺ)، فالتفت لأقبل الأرض بين يديه، فرفع وجهي على جحره فعانقني؛ فقلت: يا رسول الله الحمد لله الذي جعل لي حظاً في نصرتك! فقال (ﷺ): نعم. الحمدلله رب العالمين، الحمد لله رب العالمين، الحمدلله رب العالمين ثلاثاً، فانتبهت بعد أن أتى على قتل الفسقة أجمعين[1]، وأنا معانق رسول الله (ﷺ).

/ ٢٦٧

ثم كان الأمر كما رأى المعز لدين الله ع . م، فلم تزل جنود الله تتبع الفاسقين الطاغين حتى أجلوهم عن الشام، وأخرجوهم من أعماله بعد أن قتلوا منهم ما لا يحصيه إلاَّ الله ع.ج،وقتل الأغشم اللعين بعد أن كاتبه أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م، واحتج عليه، وأراه آيات جل وعلا، فأبى إلاَّ عتواً في الأرض، واستكباراً وبغياً على عباد الله، وإصراراً ؛فأراح الله منه العالمين، ونصر أمير المؤمنين، وعاد / أمير المؤمنين إلى دار عزه، وقرار ملكه، وقد تمهدت له البلاد، ودان له العباد، وأصلح الله به الفساد، فشمل عدله، وعم فضله،

/ ٢٦٨

(١) يعتقد الناس بأن الأئمة الإسماعيلية كانوا يشجعون على علم النجوم لما له من أثر في توجيه سياسة الدولة، لذلك اعتمدوا على التنجيم في تنفيذ سياستهم. ويقال بأن الأئمة اختاروا ابن حوشب لرياسة دعوتهم في بلاد اليمن، لأنهم عرفوا عن طريق النجوم أنه سيكون له شأن في نشر هذه الدعوة في تلك البلاد. وذكر إبن دقماق في كتابه الإنتصار لواسطة الأمصار ج ٦ ص ٣٥، أن مدينة القاهرة التي بناها جوهر الصقلي سميت بهذا الإسم لأن أساسها شق على طلوع كوكب المريخ الذي يسمى «القاهر». وليست منامات الأئمة وأحلامهم إلاَّ جزء من هذه العلوم الماورائية الحقانية، والله أعلم.

وأظهر الله على يديه برهان الحق الذي هو أهله[1] .

وفاة القاضي النعمان بن محمد بن حيون التميمي

وكانت وفاة القاضي النعمان بن محمد بن حيون التميمي رضوان الله عليه ورحمته ، وبركاته عليه ؛ بمصر سلخ جماد الأخرى في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، والحمد لله ذي الطول والإنعام ، القائل كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام ؛ وقد ذكرنا من فضائل القاضي النعمان وتأليفاته وذكر مصنفاته ، ما يشهد بفضله ، وعلو مقامه ، عند أولياء الله ، وسني محله .

وفاة الأمير عبد الله بن المعز لدين الله

وتوفي الأمير عبدالله بن المعز لدين الله رضوان الله عليه وقدس الله روحه في أيام أبيه أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م وكان ذلك في إقبال عيد . ففي ذلك يقول أمير المؤمنين المعز ع . م : نحن بنو المصطفى ذوو محن[2] أولنا مبتلى وآخرنا ، عجيبة في الأنام ، محنتنا ، صادقنا نالها وباقرنا ، ويفرح هذا الورى بعيدهم ٢٦٩ / / ونحن أعيادنا ما قمنا . وقال أخوه الأمير تميم بن المعز لدين الله نضر الله وجهه :

كلٌّ حيّ إلى الفناء يصيرُ	والليالي تَعِلَّةٌ وغُرورٌ
وإلى الله يرجع المَلْكُ والمُلْـ	ك ، ويُفضي الأمير والمأمور

(١) أنظر رسالة الإمام المعز لدين الله إلى حسن الأعصم في كتاب تاريخ الدعوة الإسماعيلية لمصطفى غالب صفحة (٢١٦ إلى ٢٢٨) منشورات دار الأندلس بيروت .

(٢) هذه الكلمات المبعثرة ، التي نسبها المؤلف إلى الإمام المعز هي أبيات من قصيدة قالها الإمام نزار بن المعز في رثاء ولده :

نحن بنو المصطفى ذوو محن	يجرعها في الحياة كاظمنا
عجيبة في الأنام محنتنا	أوّلنا مبتلىً وآخرنا
يفرح هذا الورى بعيدهم	طراً ، وأفراحنا مآتمنا

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فطويل الحياة نَزْرٌ يسير[1]
أيَّ خَطْبٍ جرى[2] وأيُّ مصاب[3] دهم الناس صَرفُها المحذورُ
كيف لا تأثير المصائب في النفس على من هو الخطير[4] الأثيرُ[5]
[وكذا الرزْءُ][6] بالعظيم عظيم وكذا الرزء بالحقير حقير
كيف لم تسقط السماء على الأرض ولم تهوِ شمسُها والبدور
يوم مات الأمير بل يوم مات الصبر فيه بل يوم مات السرور
يوم بُلَّ[7] الثرى عليه من الدمع وقُدِّت على القلوب الصدور
يوم حُطَّت عمائم وأذاعت سِرَّها[8] فيه أنْؤرُ وخُدورُ
يوم أبكى العيون حتى بكاهُ الأسَدُ الوَرْد والغزالُ الغَرِير[9]
وسمعتُ الزفير وهو صُراخ ورأيت الدموع وهي بحور
وفي أوان هو [الشتاء فأمسى][10] بلهيب الأنفاس وهْو هجير
شيَّعت نفسه ملائكة الله وروَّته رحمة وطهور
بمقام غابت وجوهُ التعزِّي عنه والحزن والأنام حضور
/ 270 قَبروا شخصه وواروْا سناه / وتولَّوا والفائز[11] المقبور
كم نصيرٍ له هناك ولكن ليس من سَوْرة الحِمام نصير[12]

---

(1) يسير : حفير في ب
(2) جرى : أرى في جـ
(3) مصاب : ليالٍ في ب
(4) الخطير : النفيس في ب
(5) ديوان الأمير تميم ص ١٤٨ منشورات دار الكتب المصرية .
(6) وكذا الرزء : وكذا الرؤيا في ب
(7) بُلَّ : فل في ب
(8) سرها : شرها في ب
(9) الغرير : الغزير في ب
(10) الشتاء فأمسى : الشيء واسع في حـ
(11) والفائز : الثائر في ب
(12) ديوان الأمير تميم ص ١٤٨ منشورات دار الكتب المصرية .

لـو تُركنـا ألْـي الفـداء فَـداهُ ... مـن يـد المـوت عالَمـون كثيرُ
وسيـوفُ ومثـلُهـنّ عـبيـد ... ورمـاحٌ ومثـلهـنّ عَثِيـر
قدَّس اللهُ روحـه وضـريحـاً ... حـلَّـه ذلـك السّـنَـا[1] والنـور

ولاية العهد

وكان الإمام نزار بن معد العزيز بالله بن المعز لدين الله ع . م قد استكمل جلال الفضل والكمال ، وارتقى إلى أعلى الدرجات ، حائزاً من المناقب جميع الخلال ، فنصبه أبوه المعز لدين الله إماماً بعده ، وولاه أمره وعهده ، وفوض إليه حله وعقده ، ونص عليه في محضر[2] من كبراء دعاته ، وأهل دعوته ، وعيون أمرائه ، وأهل مملكته ، وكتب بذلك إلى دعاته في جميع الأقطار ، وأعلن بالتوفيق على علو مقامه والإشهار .

وكان مقام المعز لدين الله ع . م في القاهرة المعزية حتى أحكم عقد الخلافة ، وأطردت[3] أمور الدعوة ، وثبتت قواعد المملكة في الشرق والغرب ، وقضى الله على كل معاند بالظفر والغلب؛ ثم لحق صلوات الله عليه بآبائه الطاهرين ، ووافاه كما وافاهم ريب المنون ، / كما قال الله تعالى في كتابه الكريم المكنون لرسوله محمد الطاهر الميمون : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ ﴾[4] . وكانت وفاته ع . م ورضوانه ، ورحمته وبركاته ، يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ربيع الأخر ، وقيل الثالث عشر منه سنة خمس وستين وثلاثمائة[5] .

٢٧١ /

---

(١) السنا : البهي في ب
(٢) محضر : حضر في ب
(٣) وأطردت : وطارت في ب
(٤) سورة : ٣٩/ ٣٠
(٥) كانت ولادة المعز لدين الله معد في ١١ رمضان سنة ٣١٩ هـ ، وبويع بولاية العهد في حياة أبيه في ٧ ذي الحجة ٣٤١ هجرية ، ولما قام بعد وفاة أبيه سنة ٣٤٢ هـ جددت له البيعة ، وفي الحادي عشر من ربيع الأول سنة ٣٦٥ هجرية في يوم الجمعة انتقل إلى جوار ربه بعد أن =

وكانت إقامته في الخلافة منذ توفي المنصور بالله ع . م ، وصارت الإمامة إليه ثلاث وعشرين عاماً ، وخمسة أشهر ، وعشرة أيام ؛ منها مقامه بمصر سنتان ، وسبعة أشهر ، وأربعة أيام . وكان مقام جوهر في مصر إلى أن وصل ع . م أربع سنين ، وتسعة عشر يوماً .

ومما قيل في مراثيه ع . م قول الأمير تميم بن المعز[1] :

كيف لا تَعْدَمُ الجُسومُ القلوبَا ... وتَرى نَضْرةُ الوجوه شُحُوبَا
مَن يُعَزِّي الجيادَ أم من يُسَلِّي ... مجلسَ الملك والسَّريرَ الكئيبا
فقدوا بعدَكَ القلوبَ اللّواتي ... شَقُّها واجبٌ فَشَقُّوا[2] الجيوبا
وامُعِزَّاه وامُعِزَّاه حتى ... يغتدي الدمعُ بالدماء خضيبا !
فليَذُقْ غيريَ الحياةَ فإنّي ... لا أرى للحياة بعدَكَ طيبا

وقيل ان وفاة المعز لدين الله ع . م كانت بهيتس[3] . قال إبن ماكولا :

٢٧٢ / بهيتس قرية من قرى مصر ، وكان معه ولي عهده والخليفة من بعده العزيز / بالله ع . م ، فأخبر العزيز بالله أنه يموت في ليلته[4] تلك ، وأوصاه بما أوصاه ، ودخل إلى محراب المسجد بهيتس فقضى نحبه بعد أن قضى صلاة المغرب ، وكان في ما أوصى ولده الخليفة من بعده أن يحمله إلى القاهرة المعزية ، وأن يدفنه بها ؛ فكتم العزيز بالله ع . م ، وفاته وحمله معه إلى القاهرة فدفنه بها ، وقد قيل انه حمل تابوت

= نص على إمامة ولده العزيز ودفن في القاهرة . المقريزي : خطط جـ ٢ ص ٢٧٩ . ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٣٤ .

(١) ديوان الأمير تميم من منشورات دار الكتب المصرية ص ٥٧ .

(٢) فشقوا : شق في ب

(٣) وكان الإمام المعز عاقلاً ، حازماً ، سرياً ، أديباً ، حسن النظر في النجابة . فقد عاش للوحدة العربية الإسلامية ، ومات هو يسبح بحمدها ويكبر بفضلها . كيف لا وقد وحّد جميع شمالي أفريقية الغربية : وهو طرابلس وليبيا وتونس والجزائر ومراكش ، كما وحد مصر وسورية وبلاد الحجاز واليمن . إبن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٥٣ .

(٤) ليلته : ليلة في ب

المهدي بالله ع . م ، والقائم بأمر الله ، والمنصور بالله إلى القاهرة ، وفيها أجسادهم الشريفة قد دفنت هنالك[1] ، وكذلك قيل ان توابيت الثلاثة الأئمة المستورين حملت إلى هناك ودفنت .

وقد أوردنا ما ذكره الواقدي[2] من أن أئمة الظهور عليهم السلام ، حملوا تابوت رأس الإمام الحسين بن علي إلى القاهرة ، وواروه بها ؛ إذ قال في خصائص الأئمة : ان خلفاء مصر نقلوه من باب الفراديس إلى عسقلان ، ثم نقلوه إلى القاهرة ، وله مشهد عظيم يزار ، فصلوات الله عليهم ، وبركاته ، ورضوانه ، وتحياته ؛ والحمد لله على ما أولانا من / ولايتهم ، وعرفنا من فريضة طاعتهم ، ونسأل الله أن يجعلنا ممن دخل سفينتهم فنجا من طوفان الضلالة ، وصلى الله على محمد رسوله الذي اختاره الله وآله وسلم ، عليهم أجمعين؛ وحسبنا الله ونعم الوكيل .

/ ٢٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ، الحمد لله معز دينه بأوليائه ، وجاعلهم خلفائه في الأرض بعد أنبيائه ، وصلى الله على محمد رسوله المصطفى صفوة أوليائه ، وعلى وصيه علي بن أبي طالب والأئمة الطاهرين من أبنائه الذين فرض الله لكل واحد منهم في عصره أكيد ولائه .

---

(١) يستدل من أقوال المؤرخين الذين أرخوا للخلافة الفاطمية في المغرب ومصر أن المعز لدين الله عندما قدم إلى مصر نقل أجساد الأئمة في توابيت تم صنعها لهذه الغاية ودفنت تلك التوابيت في القاهرة في مكان أعد ليكون مقبرة للأئمة في قصر الخلافة . ولما استولى صلاح الدين الأيوبي على مصر ، وسقطت الدولة الفاطمية بموت العاضد بعد أن حكمت مصر عصراً طويلاً كان عصر يسر ورخاء ، وتسامح ديني وثقافة ، لم تتمتع به مصر من قبل ، هدم المقبرة وبعثر العظام في الخلاء .

(٢) محمد بن سعد كاتب الواقدي : كتاب تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات .

ذكر جمل وأخبار مما كان في أيام الإمام العزيز بالله نزار أمير المؤمنين

ذكر ما كان في أيام الإمام العزيز بالله نزار أمير المؤمنين بن المعز لدين الله معد ابن إسماعيل ع . م، وعلى آبائهما وأبنائهما الطاهرين الأكرمين ، ولما أفضت الإمامة والخلافة إلى أمير المؤمنين الإمام نزار أبي منصور العزيز بالله بن معد المعز لدين الله قام بأعبائها ، ونهض بإقامة شريعة جده محمد (ﷺ) وإعلائها ، وحفظ نواحي المملكة وإبانة معالمها ، / ونشر الدعوة وإحياء مراسمها محتذياً لفعل الماضين من آبائه ، واضعاً لكل جبار عن نخوته وإبائه ، وكتم[1] وفاة والده الإمام المعز لدين الله ع . م ، وكان يكتب إسمه ، ويتكن بولي عهد المسلمين ، وإبن أمير المؤمنين حتى كتب إلى القوم بأمره وأمر أبيه في نواحي مملكته ، والقائمين بخدمته في إعلان دعوته ، وكتب إلى بلكين بن زيري عامل أبيه في نواحي أفريقية ، وجميع الجهات المغربية يعلمه بقيامه في مقام آبائه ، ويأمره بحفظ ما لديه من النواحي والأقطار ، والتحفظ من أعدائه ، وكناه بسيف العزيز بالله ، وكنى إبنه المنصور بن بلكين عدة العزيز بالله ، وإبنه باديس بن بلكين نصير الدولة ، فقام بلكين بطاعته واستماع كلمته ، وحفظ ما ناطه إليه ولي الله من أمور مملكته[2] . وكان مولد العزيز بالله بالمهدية يوم الخميس الرابع عشر من المحرم أول سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ونشأ على مكارم الأخلاق والطهارة الشاهدة له بطيب الأعراق ، وكان مقبلاً على العمل الصالح ، مجداً في / ذلك ، لا يلتفت إلى شيء من أمور المملكة ، وما ينضاف إليها من الأمور[3] الدنياوية أيام حياة والده ، ووقت أخيه

٢٧٤ / ، ٢٧٥ /

---

(١) ولد العزيز سنة ٣٤٤ هـ بمدينة المهدية ، وقدم إلى القاهرة مع أبيه المعز سنة ٣٦٢ هجرية وعهد إليه أبوه بالخلافة ، فخلفه في شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هـ ، وهو في الثانية والعشرين من عمره . يتيمة الدهر للثعالبي جـ ١ ص ٢٥٤ .

(٢) يعتبر عهد الإمام العزيز بالله عهد يسر ورخاء وتسامح ديني وثقافة . وهو مشهور في تاريخ مصر الإسلامية ، لأنه أول من حول الجامع الأزهر إلى جامعة بمعناها المعروف الآن ، بعد أن كان معهداً خاصاً بدراسة الفقه الشيعي وإقامة الصلاة .

(٣) أجمع المؤرخون الذين عاصروا العزيز بالله على أن عهده كان من أعظم العهود التي مرت=

عبد الله ، والإمـام المعـز ع . م يشـير إليه بالخلافـة ، ويعـرف خواص أوليائـه وأصفيائه ما له من الفضل على بني أبيه كافة ، فلما تناهت من المعز لدين الله مدته ، وآنت عن الدنيا نقلته ، شهر لأمير المؤمنين العزيز بالله أمره ، وأعلى ذكره ، وأسنى قدره ، وناط إليه أمور مملكته ، وصرف نحوه جميع أمر دعاته ، ودعوته ؛ وأعلن أنه الخليفة بعده ، وولاه أمره وعهده ، وجعل إليه حل الأمر وعقده ، فكتم أمر أبيه حين وفاته ، وأخفاه كما ذكرنا إلاً عن خواصه ودعاته ، فلما كان يوم النحـر من السنة التي توفي فيها[1] أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، من سنة خمس وستين برز أمير المؤمنين العزيز بالله بحاشيته[2] وكتائبه إلى المصلى ، وخطب[3] الناس بعد أن صلى ، فذكر بعـد أن بدأ بتكبـير الله ، وتهليلــه وحمــده ، وصلى على آبائــه الطاهرين ، عقب الصلاة وعلى محمد رسول الله جده ، ووعظ الناس ، وذكرهـم بتقوى الله ؛ أمرهـم ما خص الله به وليه المعز / لدين الله ع . م من النقلة ، وأعلن بما أحل الله له من شرف الإمامة والخلافة لديه ، وعزى نفسه[4] عن وفاة أبيه ، وذكر أسوته بمن مضوا[5] من آبائه الأطهار الكرام ، وما أعد الله لهم من الكرامة في دار المقام ، وسلم عليه بأمـرة المؤمنـين ، وبـويع بيعـة العامـة في محضر أهـل المصلّى أجمعين ؛ وكان قد بويع له بيعة الخاصة أوان وفاة أبيه ، وعرف ذلك كل من كان من خواصه وأقربه .

٢٧٦ /

وقال الأمير تميم في ذلك العيد يذكر خطبة الإمام من قصيدة [6].

= فيها الخلافة الفاطمية ، كونه كان ذكياً ، أديباً ، شاعراً عالماً متنـيراً ، وقائـداً شجاعـاً ، وحاكماً مدبراً ، وخليفة عادلاً كريماً حسن الخلق قريباً من الناس . يجيد عدة لغات . أمه أم ولد واسمها در زاره . النجوم الزاهرة ٤/ ١١٣ .

(١) نقش على خاتمه : بنصر العزيز الجبار ، ينتصر الإمام نزار .

(٢) بحاشيته : مقابنه في ب

(٣) وخطب : طلب في ب

(٤) وعزى : سقطت في ب

(٥) مضوا : مضام في جـ

(٦) مطلع القصيدة كما وردت في الديوان ص ٤٠٨ ما يلي :

نحــن مِن إلعِيـدِ إذ سلِمــتَ لنا ومنــك في تهنئـات[1] عيدين
برزتَ كالشــمس يومَ أسعدَهَا بــل زدت نوراً علــى المنيرَين
كأنَّ في الســرْج منـك منتصبا بـدرَ سماءٍ وليـثَ شيلَيـن
في جَحْفـلٍ جَرَّ مِن فوارِسه كتائبـاً تمــلأ الفضاءين
فمـن مشيرٍ براحــة صُرفتْ إليـك أو نـاظرٍ بلحظين
تأمَّلـوا مِن نبيِّهــم خُلُقـا فيك[2] وخَلْقـا محمَّـديَّين
حتـى إذا ما علوتَ منبَرهم وقمـتَ للحمد في اللَّواءين
خوّفـت بالله من [جئـت به][3] [مبَشِّـراً مُسْـهَـبَ][5] الطـريقـين
تضـم[4] تحميـدةً إلـى عِظةٍ لهــمْ ووعـدا إلــى وعيـدَين
أنـت الإمـام[6] المبينُ وحكمته[7] والعـالـمُ الفـرد ذو اللِّسـانين
/ ٢٧٧ صلَّى عليك الإلــه من مَلِكٍ [عَدَّ يديه][8] النَّـدى يمينَـين |

وقال فيه أيضا من قصيدة يمدحه فيها ، وذكر فضله ، وما هيأ الله له من مقام الخلافة[9] :

ففرَّغــتُ نفسـي من الغانيات وصيَّرتُ[10] في المجـد أعمالهـا

= الآن قَدَّ الفـؤاد يِصفَـين فيه وأجـرَى الدّمـوع نوعَين
ديوان الأمير تميم منشورات دار الكتب المصرية ص ٤١١ .

(١) تهنئات : تنيهان في ب
(٢) فيك : منك في ب
(٣) جئت به : جنت به في جـ
(٤) مبشراً مسهب : مبيناً أوضح في ب
(٥) تضم : تخطم في جـ
(٦) الإمام : سقطت في ب
(٧) وحكمته : وحمكه في ب
(٨) عدَّ يديه : عديده في ب
(٩) ومطلع هذه القصيدة كما وردت في الـديوان ص ٣١٥ ما يلي :
وخمـرٍ ترشّفـتُ سَلسالهـا وأجـريـتُ في الشّرب جِريالها
(١٠)وصيرت : فصرت في ب

بأبيضَ كالبدرِ طَلْقِ اليَدَيْنِ   تُسابِقُ جَدْواه سُؤّالَها

هو البحرُ تُغْرِق أمواجُه   بِحارَ النَّوالِ ونُوّالَها

هو الليثُ تُنْسيك أهوالُه   زئيرُ الليوثِ وأهوالَها

إمام إذا طاوَلَتْهُ الملوك   إلى فضلِ مَنْقَبةٍ طالها

وإن[1] نال في اليوم أكرومةً   تناول في الغدِ أمثالَها

رأيت الإمامَ نِزَارا به   تُتِمّ الخلافةُ أحوالها

إمام إذا أمر الحادثا   تِ أرسل حالينِ أرسالها

فيحيي الوليَّ ويُرْدِي العدوّ   بِكفٍّ تُفَرِّق أموالَها

من النفر الغُرِّ ممّن تَرَوْن   خيارَ البرايا وأبدالها

وممن يكونُ[2] غِياثَ البلاد   فيبدل بالروضِ إمحالها

وممن تراهم غداة الهياج   مَغاويرَ[3] حرب وأزوالَها

رَقى بالنبيِّ وآلِ النبيِّ   هِضابَ المعالي وأجبالها[4]

سما[5] بالوصِيِّ إلى حالةٍ   لوِ[6] النجمُ يَجْهَدُ[7] ما نالها

تراه الملوك بعينِ الجلال   فقد صَغَّرَتْ حالُه حالَها

هو الحيّة الصِّلّ من سُمِّها   تُميت وتَقتل أصلالها

هو المسك من [نِسبة غضّة][8]   إذا أصبح الناس صلصالها

له شجراتُ عُلاً لم تكن   تَرَى نَبْعَ [نجدٍ ولا][9] ضالها

---

(١) وإن : وا في ب

(٢) يكون : يكونا في ب

(٣) مغاوير : مغاور في ب

(٤) وأجبالها : وأجيالها في ب

(٥) سما : تسمى في جـ

(٦) لوِ : أو في ب

(٧) يجهد : تجهد في ب

(٨) نسبة غضة : نبة فضة في ب

(٩) نجد ولا : يجد ولا في ب

٢٧٨ / ولو واجَه الشمس (١) وجهٌ له / لأبْدَتْ له الشَّمسُ إجلالها
[إذا أشكلت] مظلماتُ الأمو رِ أوضح بالرُّشْدِ إشكالها
يفوق البِحارَ ندى كفِّه وصوبَ الغمامِ وتَهْمالها
نهوضا بأعباءِ حملِ العهود ركُوبَ العظائِم حَمَّالهَا (٢)
بِرأيٍ هو الدهر في قدرِه يحطّ مِن الهَضْبِ أو عالها
تزلزلتِ الأرضُ شوقاً إليه فسكّن ذو العرشِ زلْزالها
وطوقه الله تدْبيرَها ومذ (٣) كان المسمَّى لها
ليَهنِ الإمامةَ ما نِلته (٤) فقد تَمّم اللهُ آمالَها
لكانت تراسِلُه قبلَ ذا يقيناً ليحمل أحمالها
وأوحت إليه بأمرِ الإله قُبَيْل الفطام وأوحى لها
فجاءته عن عجلٍ وادِعاً تُسابِق في [الغيب إعجالها] (٥)
وزُفّت إليه بأمرِ الإله فألبسه اللهُ سِربالَها
وتَوَّجَه الله تِيجانَها (٦) وأطلع في وجهه خالها
وألبِس أثوابَ إعزازها لِيسحب (٧) في العِزّ أذيالها
تَصدَّتَ لأصيد يَرْعَى السوا مَ مِنها ويحفظ أهمالها
ولو ساسها أحدٌ غَيْرُه لأخرجتِ الأرض أثقالها
فعاش العزيزُ لها سالما يَشُدُّ عُراها وأقفالها
يُعِزّ على الدهرِ أنصارَها ويضرِب بالسيف خُذّالَها
ترى نِعما مثمراتِ الغصون إذا قَوْلَةٌ في النَّدَى قالها

---

(١) إذا أشكلت : تشكلت في جـ
(٢) ديوان الأمير تميم منشورات دار الكتب المصرية ص ٣١٩
(٣) ومذ : ومنه في ب
(٤) نلته : املته في ب
(٥) الغيب إعجالها : العين أعمالها في ب
(٦) تيجانها : سبحانه في ب
(٧) ليسحب : لتسحب في العز في ب

وتـرجُف[1] منـه قلـوبُ العِدَا[2] إذا صولـة فيهـمُ صـالَها

/ ٢٧٩ يُغـذّي [3] الأنـامَ / بـمعروفهِ كـمـا غذّتِ الأُسـدُ أشبالَها

يفـوق الشـمـوس وإشـراقها ويعلـو البـدورَ وإكمـالَها

ترى البـدرَ والبحـرَ في سرجِه وليـثَ الحـروبِ ورِئبالَهـا

به يَقْبَـلُ الله فَرْضَ الصّيام وحَـجّ الحجيـج وإهـلالهـا

أبـوكَ الـمعـزُّ هَدَىَ نورُه لـدى حَيْرَةِ النّاسِ ضُلاّلَها

وبَـصَّرَهُـمْ بعـدَ طولِ العَمَى وقَـوَّمَ بـالعَـدْل مُنْهـالَها[4]

له آيةٌ في العـلا[5] لم يكن عـدوٌ ليدرِك [6] إبطـالها

وأنتم شمـوسٌ إذا ما بدت كَفَتْنـا النجـوم وأفْـالها

وكم نِعـم ناعمـاتِ الغصون[7] لبسـنـا بِيَلْك أظـلالها

تفاءلـتِ النفسُ نَيْلَ العلا[8] فَصَدَّقْـتَ بالفِعـل لي فالَها

فَمُلِّيـتَ عُمْرَك ما تابعـتْ لنـا بُكَرُ الـدَّهـرِ آصالَهـا[9]

وصفات الإمام العزيز بالله ع.م ، أسمر طويل ، أشهب الشعر ، عريض المنكبين ، حليم وقور ، كثير العفو لا يؤثر سفك الدماء ، وكان نقش خاتمه بنصر العزيز الجبار ينتصر الإمام نزار ، وكانت أيام أمير المؤمنين العزيز بالله ع.م[10] أيام

---

(١) وترجف : وترنجف في ب

(٢) العدا : القرا في جـ

(٣) يغذي : يغدوا في ب

(٤) منهالها : ميالها في ب

(٥) العلا : سقطت في جـ

(٦) ليدرك : ليقدر في ب

(٧) الغصون : الضعون في ب

(٨) نيل العلا : بنيال المعالي في ب

(٩) ديوان الأمير تميم منشورات دار الكتب المصرية ص ٣٢١ .

(١٠) وكان العزيز يميل إلى الأبهة ، كما كان خبيراً بالجواهر : ابتدع نوعاً جديداً من العمائم محلاة بخيوط الذهب ، وسروجاً معطرة بالعنبر ، واقتنى كثيراً من الطرف يزين بها موائـده . =

دعة ، ونعمة ؛ وقد جلى أبوه الإمام المعز لدين الله ع.م كل غمة ، وكشف كل ظلمة ، ودانت له كل مناصب، وذل كل معاند وناصب ، وأطراف الملك محمية ،

٢٨٠ / والنواحي البعيدة بتوجيه العساكر العزيزية / مرمية ؛ فكلما رام باغ أن يثور أخفت رأسه ، واذل شمايسه ، وانقطعت من الجبن والذعر أنفاسه ، وانهار ولم يقم من بنائه أساسه ؛ وجف قبل أن يبسق غراسه ، مثل ما كان من أبي تَغْلِبِ بن حَمْدان[1] . فإنه تطاول للخلاف ، وجمع إليه الزعار من الأعراب الأجلاف ، واستولى على مدينة حلب ، وأغار على الأطراف ؛ فأخرج الإمام ع.م إليه الجيوش ، وعبأ له الكتائب ، وبذل في أخذه أو قتله الرغائب ، ففر قبل أن تصل الجيوش إليه ، وجاءت برأسه إلى أمير الجيش ، وجعلت ذلك قربة لها ، ووسيلة إلى العفو عما أجرمته في اتباعها له ، وسهل الله من أمره ببركة وليه ما كان عسيراً ، وأخفت الله ناره ، فصارت برداً قبل كونها سعيراً ؛ ورد الله سبحانه عليهم كيدهم ، وأوهن قوتهم وأيديهم ؛ وفي ذلك يقول الأمير تميم بن المعز من قصيدة في مدح الإمام العزيز بالله ، ويذكر فيها أبا تغلب[2] بن حمدان ، وما صار إليه أوردناها بكمالها ، وتمامها ، لجودة لفظها ، وحسن نظامها ، وهو قوله[3] :

٢٨١ / لومُ لئيم كلّما اشتدّ خابْ / والشّوقُ [يُصْغي لبعض][4] العتاب
مَنْ لام في الحبّ [كئيبَ الحشا][5] فإنما أغراه بالاكتئاب

= وشغف بجوارح الطير الغريبة ، وجلب لذلك الطيور والحيوانات من السودان . وكان مغرماً بالصيد وخاصة صيد السباع . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٥٢ .

(١) وأبو تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة الحسن بن حمدان كان ملك الموصل وديار ربيعة ، فسار إلى الشام وكان عليها داعية العزيز بالله قسام .

(٢) وأبو تغلب هاجم دمشق فمنعه واليها قسام من دحولها فأقام بظاهرها ثم رحل إلى طبرية بعد مناوشات مع قسام ، ثم حاربه دغفل والفضل في الرملة سنة ٣٦٦ هـ فقتل بالمعركة وبعث برأسه إلى الإمام العزيز بمصر .

(٣) ديوان الأمير تميم من منشورات دار الكتب المصرية ص (٥٨).

(٤) يصغي لبعض : لا يمضي إليه في ب .

(٥) كئيب الحشا : كتب الحشى في ب .

واكَبِداً لم يُبْـقِ منهـا الجَوَى[1]   بين ضُلوعـي للجـوى ما يُذَابْ

صبابَـةٌ تقدح في مُهْجَتي   بِلاعـج البَـثّ شجـىً وآلتهابْ

يا مَنْ تَشَفّـى[2] بعذابـي به   إنـي لأستعـذب منـك العَذاب

لا زال سُقْمِـي وعذابي على   سُقْـم المآقـي والثّنـايا العَذاب

لو فتَّشـوا جِسْمِـي ما أبصروا   غير الأسـى يَسْـرَح بين الثّياب

لا خيرَ في الحُـبّ[3] إذ لم يكن   فـي أنْفُس العُشّاق ماضـي الحِراب

في خدّ من يتمنّـى من دمي   رَشْـحٌ وفـي كَفَّيْه منـه خِضاب

كأنمـا الإصبـاحُ من وجهـه   لاح[4] ومـن خَدَّيْه ذاب الشَّراب

فمـا رَمَـى عن قوس أجفانه   قلبـيَ بالألحاظ إلاّ أصـاب

لمـا تَشَـكَّيتُ إليه الهـوى   بألْسُـن الدَّمـع رَثَـى وآستجاب

وزارنـي تحـت رِواق الـدَّجى   واللَّيلُ في صِيـغ جَنـاح الغُرابْ

يَلُـوح[5] في الظلمـاء لألاؤُه[6]   كالبـدر في مِدْرَعـة في سَحاب

مُكْتَتِمـاً[7] يغـرَقُ من ظلمـة   مُسْتَحْسِـراً[8] من قلَـقٍ وآكتِئاب[9]

والبـدرُ في أوّل إقبـاله   كخطّ نُـونٍ مُذهب في كتاب

فبـات يُعْطِينـي من وصلـه   أضعـافَ ما أعطـى من الاجتناب

٢٨٢ / إذا سـقاني / الـرّاح[10] من كفّه   مَـزجْتُها لَثْماً براح الرُّضَاب[11]

---

(١) الجوى · النوى في جـ
(٢) تشفى : تشفع في ب
(٣) الحب : الحبات في ب
(٤) لاح : لوح في ب
(٥) يلوح : لواح في ب
(٦) لألاؤه : لألأن في ب
(٧) مكتتماً : مكتماً في جـ
(٨) مستحسراً : مستحراً في ب
(٩) وآكتئاب : وارتياب في ب
(١٠) الراح : المراح في جـ
(١١) الرضاب : الوضاب في ب

كأنّها[1] في الكأس ما جال في — خدَّيه من رقّة ماء الشباب
حتى تولّى الليلُ في جيشه — وحلّ ضَوءُ الصّبح عَقْدَ النِّقاب[2]
كأنّما الليل بإصباحه — كان عِذاراً حالكاً ثم شابْ
أو كان مثل الجَوْر في لونه — فحلَّه[3] عدلُ نِزارٍ فغاب
قل لأبي المنصور يا خيرَ من — أقام أو حثَّ لمجدٍ[4] ركاب
ويا إماماً قابَلتْ مُلْكَه — لوائحُ[5] الإقبال من كلّ باب
خوَّلك القدرةَ والنّصرَ مَنْ — حَباكَ بالحُكم وفصلِ الخطاب
إنّ ابن حمدان عدا رُشْدَه — ورام أن يظفَر جهلاً فخاب
ظنّ الذي أَخْلَفه[6] ظنّه — فيها[7] وخال الماءَ لَمْعَ السَّراب
فيا أبا [تَغْلِبَ سؤْتَ المُنى][8] — ومتَّ بالتهديد قبل الضِّراب
كيف يُلاقي الاسْدَ منك امرؤ[9] — قد فرّ من أدنى نُباح الكِلاب
حارَبْتَ بالبَغْيْ إمامَ الهدى — ولم تَهَبْ منه عزيزاً يُهاب
وكان قد طاب[10] لكم عفوُه — فعاد مُرًّا منه ما كان طاب
وجَّهَ بالبِيض كتاباً له — إليك مَنْشوراً فكنتَ الجواب
وعجَّلتْ رأسَك سُمْرُ القنا — وخلّفت جسمَك رهنَ التراب
٢٨٣ / كذاك من [خُيِّر عن][11] سعده — مِثْلُك لا يَزداد إلاّ اغتراب /

---

(١) كأنها : كأنما في ب
(٢) ديوان الأمير تميم منشورات دار الكتب المصرية ص (٥٩ ـ ٦٠)
(٣) فحله : فخاف من في ب
(٤) لمجدٍ : لمحمد في ب
(٥) لوائح : لرايح في جـ
(٦) اخلفه : أخلف في ب
(٧) فيها : فيه في ب
(٨) تغلب سؤت المنى : ثعلب سوى أن المنا في ب
(٩) آمرؤ : أمراء في ب
(١٠)طاب : جاب في ب
(١١)حير عن : خيب من في ب

يا ابن معزّ الدّين أبشِر فقد مدّت[1] لك الأملاكُ طوع الرِّقابْ
وآنحلّ عن [مُلْكك عَقْدٌ][2] الأذى قَسْراً وذلّت لك فيه الصِّعاب
لأنّك الغُرّة من هاشم والصفو من ساداتها[3] واللُّباب
وآبن الصَّفا والحِجْر وآبن الهدى وآبن نبيّ الله وآبن الكتاب
كفّاك كفٌّ تَنْهمي بالثّواب عفواً وكفٌّ تنهمي بالعِقاب
كم من يدٍ أوليْتني جمّةٍ أبْتُ[4] بنُعماها لخير المآب
ما زلتَ تُدْنيني وتُعْلي يديّ فعل فِعلَ كريم الأصلِ حرِّ النصاب
فرُحتُ من نُعماك بادِي الغِنى مُتَمِّم[5] الآمال رَحْبَ الجَناب
والله ما في جسدي شعرةٌ إلاّ وشكري لك فيها سِخاب[6]

ونشر العزيز بالله ع.م علمه، وأظهر حكمه، وكان يدخل إلى مجلسه العزيز والذليل، والقوي والضعيف، فهذا يسمع وعظه، ويأخذ من علمه، وهذا يسأل نواله، فيعطى فوق أمله؛ وهذا يشكو من ظلم فيعاقب ظالمه بظلمه.

وأمر بالمجالس فقرئت على المؤمنين، وعملوا الظاهر[7] والباطن من علم الدين، واحتذى حذو أبيه المعز لدين الله جارياً على رسمه، حاكماً كحكمه؛ فانتفى به الجور، وظهر العدل، وتميز أهل العلو / والفضل؛ وأقيمت الحجة، واتضحت المحجة، ووافته دعاته من أطراف الجزائر، وتوارد[8] إلى شريف حضرته فمن وارد وصادر؛ فاجتمع إلى حضرته فيما يقال إثني عشر داعياً من جميع ٢٨٤ /

---

(١) مدت : همدت في ب
(٢) ملكك عقد : فلك عقدك في ب
(٣) ساداتها : صفوتها في ب
(٤) أبت : نبت في ب
(٥) متمم : وتم في جـ
(٦) سخاب : يستجاب في ب
(٧) الظاهر : الظهور في ب
(٨) وتوارد : وتزايد في ب

جزائر الأرض الإثنتي عشرة ، وكان فيهم داع من السند أظهر فضل مولاه ، وبث شكره[1] على ما أولى ؛ وقد شملت دعوته إلى الهند ، والسند ، وانتشرت في الغور منه والنجد ، فكلهم لاحظ الإمام ع . م ، وعاين لألأ أنواره ؛ وأخذوا من علمه ، واغترفوا من تياره ، وعاد كل منهم لنشر الدعوة إلى داره ، بائحاً بإعلان فضل[2] ولي الله وإظهاره ، داعياً إليه في جهره وأسراره ؛ عاملاً بشريعة[3] محمد (ﷺ) أناء ليله ، وأطراف نهاره ، حسب ما أمرهم[4] ولي الله ، ورتب لهم على ما أخذه عن آبائه عن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، عن رسول الله (ﷺ) الذين نصبهم الله باختياره .

وكان القاضي أبو طاهر محمد بن أحمد قائماً بالقضاء في مصر وأعمالها ، أيام المعز لدين الله ع . م ، على ما يرتبه له القاضي النعمان بن محمد ، ويجري أمره به ، حتى توفي القاضي النعمان ، فكان / ذلك إلى القاضي أبي طاهر ، وإلى القاضي علي بن النعمان[5]، إذ كان القاضي علي بن النعمان قد أخذ عن أبيه فيما نقله من الفقه عن الأئمة الأطهار عن رسول الله (ﷺ) وعلى آله النبي المختار ؛ وكان القاضي أبو طاهر يرجع إلى القاضي علي بن النعمان حسب ما كان على عهد أبيه ، وجرياً على شاكلته في ما يحكم به ويقضيه ؛ وكذلك كان أمره بقية أيام المعز لدين الله ع . م ، وجرى على ذلك صدراً من أيام أمير المؤمنين العزيز بالله ع . م ، فحين ثقل القاضي محمد أبو أحمد عن القضاء وضعف جسمه ، وكبر سنه ، ركب إلى أمير المؤمنين العزيز بالله ع . م وسأله إعفاءه عن القضاء ، ورجى أن يكون ما كان إليه

٢٨٥ /

(١) شكره : شراكته في ب

(٢) فضل : فضلاًله في جـ

(٣) بشريعة : شرعة في جـ

(٤) أمرهم : أراهم في ب

(٥) ولما اقتسم القضاء علي بن النعمان وأبو الطاهر كان لكل منهما شهوده الذين يستعين بهم في احكامه . وجلس أولها للحكم في الجامع العتيق ، وثانيهما في الجامع الأزهر ؛ وظلت الحال على ذلك إلى شهر صفر سنة ٣٦٦ هـ ، وفيه اضطلع علي بن النعمان بالقضاء عامة . ابن حجر : رفع الإصر ، دار الكتب المصرية بالقاهرة ، مخطوط ٢٢١٥ ورقة ١٩٤ ب .

إلى بعض أولاده؛ فأعفاه، ولي الله ، ورد أمر القضاء والدعوة ونشر مجالس العلوم والحكمة إلى القاضي علي بن النعمان حسب ما كان الأمر إلى أبيه ، أو أن المعز لدين الله ع.م ، وآبائه ؛ وإلى القاضي علي بن النعمان بعد تمام عمر أبيه وانقضائه ، ٢٨٦ / فجرى على ذلك الأمر ، وانتظم واتسق ، ورسخ سنخ / الأمصار التي استولت عليها الدعوة العزيزية ، وزال الجور والإعتساف بالكلية ، وأرجع الناس عن الرأي[1] والقياس إلى ما ورد في القرآن الكريم ، وبنية العترة النبوية بصحة الأسانيد على أساس ؛ وقوم الناس في الطلاق والصيام على أثبت منهاج ، وأقام الأود في الدين ، وثبت الإعوجاج ، وقويت الدولة العلوية ، وعزت وطربت أعواد المنابر بنشر فضائل الوصي ، والعترة الطاهرة ، واهتزت .

وكانت الأمراء تأتي للحج إلى بيت الله الحرام أيام أمير المؤمنين المعز لدين الله ع.م من قبله، ويأتي لذلك أمراء من قبل بني العباس فتكون الخطبة للمعز لدين الله ع.م ، وأولئك لهم ظهور أمر وعلو ذكر ، فلما كان أوان أمير المؤمنين العزيز بالله ع.م دعوة الإسلام، فلم يكن لأحد غيره علم، ولا كان للأمراء البغداديين في التقدم قدم؛ بل ظهرت الجيوش العزيزية ، وكثرت ، ونفذ بترك الأعلام العباسية ما أمرت؛ ووفد كل حاج من جميع الأقطار إلى البيت الحرام ، ولم يمنع أحد عن ٢٨٧ / حضور مناسك الحج ممن اعتزى / إلى الإسلام ، لا من أهل دولة بني العباس، ولا من سواهم من سائر الناس ، بل منعوا عن تطريز الأعلام بذكرهم ، وأمروا أن يطووها بعد نشرهم، وأن لا يعارضوا أمر الدولة العزيزية بأمرهم ، فجرت على ذلك المراسم ، وقام به الحج أيام المواسم[2].

---

(١) ويقول المقريزي بأن العزيز ركب في صفر سنة ٣٦٦ هـ إلى الموضع المعروف بالجنان في جزيرة الروضة على مقربة من جامع عمرو ، حيث يعقد أبو الطاهر مجلس الحكم . وهناك استقبل أبو الطاهر وشهوده الخليفة العزيز ، وسأله أن يأذن له في استخلاف ولده بسبب ضعفه . ولقد قبلت استقالة القاضي على الفور ، وكأن الخليفة كان ينتظرها بتلهف . أورد ابن زولاق هذه الحقيقة التاريخية ـ الكندي ص ٥٨٧ .

(٢) بدأ الفاطميون منذ عهد المعز لدين الله يهتمون ببسط نفوذهم في بلاد الحجاز، لأنهم كانوا=

وفي ذلك يقول الأمير تميم بن المعز مخاطباً العزيزَ بالله وذاكراً ما انتشر من فضله في البيت والمقام حيث يقول[1] :

دعا باسمك الداعي بمكّةَ معلناً ... فطاب لأهل الموسم الحجُّ والنفْرُ
وحنَّت[2] إليك المَرْوتان وزمزم ... وثوّب تصريحاً بك الركن والحِجْرُ
مسارح آياتِ القُرآن وأَرْبُعٌ ... بها ظهر الإيمان وآندمَغ[3] الكفر
وأرضٌ غدا للوحي بين عِراصها[4] ... مجالٌ[5] وللإسلام في أهلها نصر
وأنت بها يا ابن النبي محمد ... أحَقّ إذا ما بانت الحُجَجُ الزهْر
فحسْبُ العلا والمجد [انك رَبّها][6] ... وأنسك في ظلماء كلِّ دُجىً فجر
وأنك مَنْهَلُ النّدى بيِّن الهدى ... كريم الثناء ما فيك بخل ولا كِبر
وأنك للإسلام حرْز وللهدى ... عمادٌ وللعافين يومَ النّدى بحر
/ ٢٨٨ فداؤك[7] منّي مُقلة أنت نورها ... ونفس بك آستعلت وطاب لها العمر /
وصلّى عليك الله يا خير خلقِهِ ... وأبقاك ما لاح الضحى وهَمَى القطر

وثار أفتكين التركي وكنيته أبو منصور[8] ، وكان متولياً لدمشق من جهة أمير

= يعلمون أن من يسيطر على الحرمين يتمتع بالزعامة الروحية في العالم الإسلامي كله ، ويكسب خلافته قوة أمام العالم الإسلامي من ناحية ، وأمام الشعوب التي يحكمونها من ناحية أخرى . هذا إلى أن في هذا الأمر تقليلاً من شأن الخلافة العباسية ، لأن أمير المؤمنين حقاً هو الذي يستطيع أن يبسط نفوذه على الحرمين في مكة والمدينة . النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ص ١٤ .

(١) ديوان الأمير تميم منشورات دار الكتب المصرية ص ١٦١ .

(٢) وحنت : وخر في ب

(٣) واندمغ : واندفع في ب

(٤) عراصها : عراضها في ب

(٥) مجال : فجال في جـ

(٦) أنك ربها : لك تربها في ب

(٧) فداؤك : فدواك في ب

(٨) كان أفتكين من الأتراك الذين خرجوا على الدولة العباسية ، واستقل بدمشق في الوقت الذي وقعت فيه الرملة في أيدي القرامطة . ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٥ - ١٦ .

المؤمنين العزيز بالله ، فطغى وبغى على مولانا ، وباع آخرته بأولاه ، وخالف في الشام ، وأظهر البغي على الإمام ع.م ، وكتب إلى عضد الدولة بن بويه الديلمي ، وعضد الدولة يومئذ المملك في بغداد من جهات العباسيين ، والخليفة العباسي في ملكه ليس له غير إسم الخلافة ، والملك والمملكة في يد عضد الدولة كافة ؛ وكان مضمون كتاب أفتكين التركي إليه أن الشام قد صفا وصار في يدي ، وزال عنه حكم العزيز بالله ، وأنك إن قويتني بالأموال ، وسيرت إليّ الرجال ، حاربت القوم في مستقرهم ، فأجابه عضد الدولة الديلمي : غرك غرك ، فصار فصار ، ذلك ذلك ، فاخشي فاخشى ، فعلك فعلك ، بهذا تهدى ! وهي كلمات متشابهة في الخط لا تقرب إلاً بالنقط والضبط ، فاستولى افتكين على نواحي الشام ، ونشر الألوية العباسية والأعلام ، وقوي ظلمه واستطال ، وعظم بغيه وما زخرفه /٢٨٩ / من الافك والمحال ، فأخرج إليه أمير المؤمنين ع.م العساكر من الخيل والرجال وأعطاهم على حربه ما ينفقون من الأموال فكان كلما خرج عسكر إلى افتكين آب مغلولاً مهزوماً ، وقتل في الناس قتلاً ذريعاً ، وعظم الخوف ، واضطربت النواحي في البلاد ، وقام لذلك أهل البغي والفساد[1] .

فخرج أمير المؤمنين العزيز بالله بنفسه ، بعد أن جمع عساكره وقواده ، وأعد عدته وأعداده ، مستعداً للقاء أفتكين متوكلاً على الله ، وهو حسب المتوكلين ، وقد أشار عليه قواده وأهل مملكته أن لا يخرج إلى العدو بشريف نفسه ، وأن وقوفه أولى ، وأنه إن خرج فلا يأمنون هزيمة ، وأن كل من انهزم من أهل مملكته وقواد جيوشه فهو لهم ردء وقوة إن أقام بالقاهرة ، ولم يخرج منها للقاء الجموع الباغية

---

(١) يذكر التاريخ بأن العزيز لما ولي الخلافة ، كتب إلى أفتكين يستميله إليه ويعده حسن المكافأة إذ جلا عن دمشق . وقد رد أفتكين على الخليفة العزيز رداً جافاً جاء فيه : «هذا بلد أخذته بالسيف وما أدين فيه لأحد بطاعة ولأقبل منه أمراً» . ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٦ . وقد استاء العزيز من ذلك الكتاب ، وحنق على أفتكين ، فسير إليه القائد جوهراً سنة ٣٦٦ هـ على رأس جيش عظيم لقتال أفتكين والقرامطة . فلما علم القرامطة بذلك ، وكانوا في الرملة ، فروا إلى الأحساء ، فدخلها جوهر واحتلها .

الخاسرة ، فترك قولهم ظهرياً ، ومضى للحرب رأياً سديداً ، وعزماً قوياً ، ولم يلتفت في ذلك إلى اللوم والتفنيد ، ولا يسمع قول قريب ولا بعيد ، فحين انتهى ع.م بجنوده وحشوده إلى الطواحين / ، وظهرت منه العطايا للصادرين والواردين ، وواقعت سوابق جيوشه للمعاندين ، وقعت له الهيبة في قلوب المفسدين ، وامتلأت من الرعب أفئدة المخالفين ، وجاءت إليه طوائف من أتباع أفتكين ، ملقين بأيديهم تائبين؛ وولى بقيتهم عن الشام منهزمين ، ولاحت لوائح النصر والتمكين[1] .

٢٩٠ /

قال الأمير تميم بن المعز وأنشد في الطواحين من ذلك قوله[2] :

إذا حان من شمس النهار غُروبُ	تذكَّرَ مشتاقٌ وحنَّ غَريبُ
ألا أبْلِغا القَصْرَيْن فالمقَسَ أنّني	إليهنَّ مُذْ فارقتُهن كئيب
إلى ساحَتي دَيرِ القُصَيْر إلى الرُّبا	فمِصْرِهما حيث الحياةُ تطيب
منازل لم يُلْبَسْ بها العيشُ شاحباً	ولم تُلْفَ فيهنَّ الخطوبُ تَنوب
هو الوطن النّائي الذي لم تزل لنا	نفوسٌ إليه نُزَّعٌ وقلوب
وإنّي لأهْوى الرِّيحَ من كلّ ما بَدَا	بـرياه من ريح الشَّمال هُبوب
وما بلدٌ[3] الإنسان إلاّ الذي له	به سكَنٌ يَشْتاقه وحبيبُ

(١) خاض القائد جوهر معارك عديدة مع أفتكين والقرامطة واحتل دمشق ثم انسحب منها بعد أن طلب الصلح ورحل عن دمشق في ٣ جمادي الأولى سنة ٣٦٦ هـ وجدّ في المسير لاقتراب القرامطة منها ، ثم ذهب إلى طبرية . ومنها إلى الرملة فتبعه أفتكين والحسن الأعصم بعد أن انضم إليهما أكثر من خمسين ألفاً ، ونزلوا بنهر الطواحين . ثم انتقل جوهر إلى عسقلان فحاصره أفتكين والحسن. ومن ثم تفاوض جوهر مع أفتكين واتفقا على أن يغادر جوهر وجيشه إلى مصر بسلام . ولما وصل جوهر إلى القاهرة ودخل على العزيز بالله ، شرح له حقيقة الحال في بلاد الشام،واستفحال أمر أفتكين ومن معه. فأمر العزيز بإعداد العدة ، وخرج على رأس جيش كبير مزود بالمؤن والذخائر ، وعلى مقدمته جوهر . المقريزي : خطط جـ ٢ ص ٢٨١ .

(٢) ديوان الأمير تميم منشورات دار الكتب المصرية ص ٥٢

(٣) بلد : بله في ب

إلــى الله أشــكو وَشْــكَ بَيْنٍ وفُرقةٍ — لهــا بين أثْنــاء القلــوب[1] نُدُوب

تُرى عندهم علمٌ وإن شطَّت النَّوَى — بـأنَّ لهــم قلبــي علــيّ رَقيبُ

/ ٢٩١ لهــم كَبِـدي دونـي وقلبــي ومُهْجَتي — ونفسي التي ادعو[2] بهـا وأُجـيب[3]/

فآية حُزنــي لوعَــةٌ وصبابة — وعُنــوان شــوقــي زَفْــرةٌ ونحيب

ومــا فارَقــونـا يَرْتَضُـون[4] فِراقَنا — ولـكنْ مُلِمَّــاتُ الــزمـانِ ضُروبُ

لهــم أَنْفُسٌ مرضــى يقطِّعهــا الأسَى — علينــا وأكبــادٌ تكاد تذوب

فللِشَّــوق في الأكبــاد منهــنّ رَنَّةٌ — وللدَّمـع في روض الخُــدود سُكُوب

سَيَشْـفين داءَ البعـد بالقــرب عاجلاً — ويَعْلَمْــنَ أنــا بالنجــاح نثوب[5]

وأنّ ظنــونَ النــاس إفــكٌ وباطِلٌ — وظَــنٌّ أميرِ المــؤمنين مُصيب

تدارك نصـرَ الـدِّين من بعدما وَهَتْ — دَعائِمــهُ فارتــدّ وهـو قشيب

رحيل[6] رأى فيه السعــادة وحْدَه — وأكثَــرَ فيـه طاعــنٌ وكـذُوبُ

فأمْضــاه لَمّــا أن أشــاروا بتركْه — وكــلُّهــمُ ممّــا أتـاه هَيُوب

[يسير به][7] قلبٌ على الخطب قُلَّبٌ — وصـدر بمـا تَعْيَا الصـدورُ رَحيبُ[8]

فخابــوا ومــا إن خيَّب الله ظنَّه — ولله في مـا أنـكروه غُيوب

وحــلَّ ديارَ[9] المــارقين فأصبحوا — وكلُّهــمُ خوفـاً إليـه مُنيب

كأنّهــمُ إذ عاينـوه مُصَمِّماً — هَشيمٌ أطارَتــه صَبــاً[10] وجَنُوبُ

---

(١) القلوب : الفؤاد في ب

(٢) أدعو : دعاني في ب

(٣) وأجيب : جواب في ب

(٤) يرتضون : يرضى في ب

(٥) نثوب : نواب في ب

(٦) رحيل : دخيل في ب

(٧) يسير به : وانى لهم في ب

(٨) رحيب : حبيب في ب

(٩) ديار : بأرض في ب

(١٠) صبا : بها في ب

بدا لهُـم منـه إمـامٌ مُؤَيَّدٌ عـزيزٌ لأشبـاحِ الخطـوب ركُوب

/ ٢٩٢ فلـم يَجِـدوا غير الإنـابـةِ حيلةً ولو قَدَروا ما أذعنوا لِيتَوبـوا /

ومـا كان فيهـا جيشـه غيرُ نفسه وعـزمٌ أكولٌ للخطـوب شَرُوب

يُؤَيِّده رأيٌ يـلـوح نجاحُـه كمـا لاح عضْبُ الشَّفـرَتَيْنِ قَضيب

حَوَيْتَ أبا المنصـور وَحْدَكَ فَضْلها ومـا لامـرىءٍ فيهـا سواك نصيب

كذا فليَقُـمْ بالمجـد من كان قائماً ويَـبن[1] العُـلاَ مَنْ راح وهـو نجيب

نهضتَ بها إذا أعْجـزتْ كلَّ ناهضٍ ومُـزْن رَداهـا يَنْهَمـي ويَصُوب

وقـد ملأت أرضَ الشّـام وقائعاً قبائـلُ مـن مُـرَّاقـهـا وشُعوب

جليدَ [الحشا والقلب حين][2] تمزَّقت مـن الخـوف شُبَّـانٌ هنـاك وشيبُ

عَقَـدتَ بـهـا عِزَّ الخلافـة[3] بعـد ما بـدا[4] في نواحيهـا ضَنًـى وشُحوب

وجَدَّدتَهـا مـن بعـد ما لَعِبـت بها صـروفُ اللَّيالـي والتَـوَيْن خطوب

فيا لَهْفَ نفسِـي إذ نهضـت بثأرها لَـو انَّ مُعِـزَّ الـدِّين منـك قريب

يَراك ويَدْرِي كيف ضَبْطُـك بعده وأنّـك للأمـرِ السَّـقيم طبيبُ

سَحَابُـكَ مُنْهَـلٌ وبأسُـك مُتَّقىً وحِلْمُـك لم تَكْثُـر عليه ذُنوب

وَداعيك مقبـولٌ مُجَـابٌ دُعاؤه وراجيك بالمعـروف ليس يخيب[5]

ومـا حاربَتْـك التُّـرْك إلاَّ وبينها وبين الْهُـدَى والمكْرُمـاتِ حروب

/ ٢٩٣ ومـا جَحـدوا الحقَّ الـذي لك فضلُه ولـكنْ بهم عنه عَمىً وهُـروب /

فإن يُصْبِحـوا تُركاً وزَنْجـاً ودَيْلَماً فأنـت إمـامٌ لـلنبـيِّ نسيب[6]

رعـاك الـذي استرعـاك أمـرَ عِباده فمـا لك في هذا الأنـام ضَريب[7]

(١) ويبن : ويبني في ب
(٢) الحشا والقلب حين : الحشى في لب في ب
(٣) الخلافة : الخليفة في ب
(٤) بدا : ودا في ب
(٥) يخيب : نجيب في ب
(٦) نسيب : يسيب في ب
(٧) ديوان الأمير تميم منشورات دار الكتب المصرية ص ٥٥

وقصد أمير المؤمنين ع . م بجموعه إلى الشام ، وهو في عدة موفورة ، وعساكر كثيرة ، وقد ضم إليه القبائل ، وجمع العساكر والجحافل ، ورايات النصر عليه خافقة ، والقلوب بنصره وتأييده من الله واثقة ، وبرز أفتكين التركي في جموع الشام ، وقد اجتمع له كثير من الطغام ، وقد أعجبته كثرة جنوده ، وما يخفق عليه من ألويته وبنوده ، فالتقى الجمعان ، واجتمع الفئتان ، وتحامل الفرسان ، وتلاقى الشجعان ، وتكافح الأبطال ، واشتد القتال ، وعظم الهياج ، وارتفع العجاج ، فنمر أمير المؤمنين أصحابه ، وهز إلى العدو قرضابه ، وحمل عليهم بذي الفقار ، وحملت العساكر العزيزية ، وتنادت بالشفار ، وكثر القتل في الفجار ، فولوا الأدبار ، وفروا أشر الفرار ، وتفرقوا بدداً ، وساقتهم السيوف إلى موارد الردى ، ومنح الله الجنود العزيزية أكتافهم / يقتلون ، ويأسرون ، وبنصر الله تعالى ، وفضل وليه عليهم ينتصرون ، فأردوا منهم أسنة وسيوفاً ، وجندلوا منهم ألوفاً ، وكانت وقعة سارت بها الركبان ، وامتلأت من ذكرها في الأقطار ، والأمصار ، والبلدان ، وولى أفتكين على وجهه لا يدري أين يذهب ، وأي وجهة يأوي إليها لينجو من العطب ، فقطع عليه الطريق ، وغفل ابن الجراح البدري وأخذه أسيراً ، وجاء به إلى أمر المؤمنين العزيز بالله مقهوراً ، وقد ربط في عنقه حبلاً وجمعت يداه إلى عنقه ، بعد أن غلتا ، وأشار كل من حضر على أمير المؤمنين بقتل أفتكين التركي ،[1] فأبى ذلك ، وقال : إني عاهدت الله ع . ج عند الخروج إليه

/ ٢٩٤

---

(١) ويذكر ابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق ص ١٩ ـ ٢٠ أن أفتكين لما دخل على العزيز في سرادقه ، ترجل عن دابته وقبل الأرض بين يديه ، وحُمل إلى دست قد نصب له ليجلس عليه . فلم يكن من أفتكين إزاء ما لقيه من العزيز ، إلى أن رمى بنفسه إلى الأرض وألقى ما على رأسه ، وبكى بكاء شديداً ، وقال : ما استحققت الإبقاء عليّ ، فضلاً عن العفو الكريم والإحسان الجسيم . وامتنع عن الجلوس في الدست وقعد بين يدي العزيز ، وألبسه جوهر من ملابس العزيز وهدأ روعه ، فجدد الدعاء وتقبيل الأرض وشكر جوهراً على ما أظهره نحوه من كرم ونبل . . . وبالغ العزيز في إكرام أفتكين ، فأسكنه داراً فسيحة ، وأغدق عليه صلاته وعطاياه ، وظل ممتعاً بنعم العزيز حتى مات في سنة ٣٧٢هـ .

إن ظفرت به أن أجعل المن عليه شكراً لله تعالى عند الظفر ، وأن أعفو عنه عفو من قدر ؛ فمن أمير المؤمنين على أفتكين بعفـوه ، ومنتـه ، ووسعـه بفضـل كرمـه ، ورأفته ، وخلط بالخاصة من أهل مملكته ، بعد أن تاب وتنصل إلى مولانا من عظيم خطيئته .

وقد ذكر ذلك ابن خلكان في تاريخه حيث ذكر العزيز بالله فقال: ومما يدل على عفوه وحلمه ، فعله بأفتكين التركي حين ظفر بـه / بالشام؛ وأقـام أفتكين على الإكرام من الإمام يسيراً من الأيام إلى أن مات في سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة لسبع خلون من شهر رجب[1] . / ٢٩٥

ودخل أمير المؤمنين مدينة دمشق ومعه وزيره يعقوب بن يوسف بن كلس ، وكان له في تلك الحروب بالشام حسن الرأي ، والتدبير ، والجهاد الذي حاز به مع أمير المؤمنين الحظ الخطير، بعد أن أعز الله وليه ونصره، وأعطـاء وأظفـره، وأيده بتمكينه وأظهره، وقـد دانـت له البـلاد، وانقطعـت جرثومـة الفسـاد، والتوفيق يرافقه ، والسعد يخدمه ، والنصر والتأييد يصحبـه ، ويقدمـه ، وقـد حفـت به العساكر المنصورة ، والبنود المنشورة ، وجنوده قد ملأت الأقطار ، وصـارت في البراري كأمـواج البحـار ، وكان ذلك في شهـر المحـرم أول سنـة ثمانـي وستـين وثلاثمائة ، وأنشدت الشعراء الإمام ، وممن أنشد أبو حامد أحمد[2] حيث يقول من قصيدة مدح فيها الوزير يعقوب بن يوسف ر.ح ورضوانه عليه وهو إبـن محمـد

---

(١) إبن حلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٥٢ . المقريزي : حطط جـ ٢ ص ٢٨١ .

(٢) كان ابو حامد من أهل أنطاكية بالقرب من حلب ، وكان من مشهوري الشعراء . ذكره الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر جـ ١ ص ٢٣٨ فقال : هو نادرة الزمان وجملة الإحسان . . وهو أحد المداح المجيدين والشعراء المحسنين ، هو بالشام كابن حجاج بالعراق . وذكر ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٨ ـ ٤٩ أنه أقام بمصر زماناً طويلا ، وأن معظم شعره قد نظم في مدح أمرائها ورؤسائها ، فمدح من الخلفـاء الفـاطميين المعز والعـزيز والحاكم ، وشاد بذكر جوهر وابن كلس وغيرهما .

/ ٢٩٦ الأنطاكي المعروف بالرقعمق ، أولها / [1]:

قد سمعنا مقاله واعتذاره ... وأقلنا ذنوبه وعثاره
والمعاني لمن عنيت ولكنْ ... بِكَ عرَّضْتُ فاسمعي يا جاره
من غدا دأبه إلى أبد الدهر ... تراه محلّلاً أزراره
عالم أنّه عذاب من الله ... تعالى لأنفس النظاره[2]
هتكَ الله ستره ، فلكم هتّك ... من ذي تستّرٍ أستاره[3]
سحرتني ألحاظه وكذا كلُّ ... مليح ألحاظه سحّاره
ما على مؤثر التّباعد وإلاَّ ... عراض لو آثر الرّضى والزّياره
وعلى أنني وإن كان قد عذّب ... بالهجر ، مؤثرٌ ، إيثاره
لم أزلْ لا عدمته من حبيبٍ ... أشتهي قربه وآبى نفاره

ومنها في المدح :

لم يدعْ للعزيز في سائر الأر ... ض عَدوًّا إلاّ وأخمد نارهْ
فلهذا اجتباه دون سواه ... واصطفاه لنفسه واختاره
لم تشيّد له الوزارة مجداً ... لا ولا قيل رفّعتْ مِقداره
بل كساها وقد تخرّمها الدهر ... جلالاً وبهجةَ ونضاره
كلَّ يوم له على نُوَب الدهـ ... ـر وكرّ الخطوبِ بالبذل غاره
ذويدٍ شأنُها الفِرار من البخـ ... ـل وفي حومة الندى كرّاره
[هي فلّت][4] عن العزيز عداه ... بالعطايا وكثّرت أنصاره
/ ٢٩٧ هكذا كلُّ فاضل يده تُمـ ... ـسي وتُضْحي نفّاعةً ضرّاره /

---

(١) وقد ذكره المسبحي في كتابه تاريخ مصر فقال إن وفاته كانت سنة ٣٩٩ هـ .

(٢) وورد هذا البيت في شذرات الذهب ـ المجلد ٣ ، على الصورة التالية :

عالم أنّه عذابٌ من الله ... متاحٌ لأعين النظّاره

(٣) ورد هذا البيت في النسخة ب هكذا :

هتك الله ستره فلقد غلكم ... هتك من ذي تستر أسفاره

(٤) هي فلّت : هي أقلت في ب

فاستجره فليس يأمنُ إلاً [من تفيًا ظلاله][1] واستجاره
وإذا ما رأيتَه مطرقاً يُعْـ ـمِلُ في ما يريدُه أفكاره
لم يدعْ بالذكاء والذّهن شيئاً في ضمير الغيوب إلا أثاره
لا ، ولا موضعاً من الأرض إلا كان بالرأي مُدركا أقطاره
دوخ الأرض بالشآم وأذكى لمعاد العزيز حين انتظاره
زاده الله بَسْطة وكفاه خوفه [من زمانه][2] وحذاره

ومن قوله فيه أيضاً :

إنّ ربعاً ألِفْتُهُ مألوفا كان للبيض مربعاً ومصيفا
[غيّرتْ آيداً][3] صروف الليالي وغدا عنه خوفه مصروفا
ما مررنا عليه إلا أقمنا وأطلنا شوقا إليه الوقوفا
ألِفاً للبكاء فيه كأني لم أكن فيه[4] للغواني أليفا
حاسداً للجفون لما أزالت في معانيه دمعها المذروفا

إلى قوله :

إنّ يعقوب قد أقاد وأفنى وأعاد النّدى وأغنى الضعيفا
سلّ سيفاً من البصيرة والرأي فأغناه أن يسلّ السيوفا
باذلاً للعزيز دون حماه مُهجة حرّة ورأياً حصيفا
لم يزل دونه يخوض المنايا ويردّ الردى ويلقى الصفوفا
ناصحاً مشفقاً محباً ودوداً قائماً في رضاه صعباً عسوفا

(١) من تفيا ظلاله : موقفا ظله في ب
(٢) من زمانه : سقطت في ب
(٣) غيرت آيداً : غيرت أيد في ب
(٤) فيه : سقطت في ب

/ ٢٩٨ ليس يخشى فساد / أمر تولاه وأضحى برأيه مكتوفا
ما رأيناه قط إلاّ رأينا خُلقاً طاهراً وفعلاً شريفا
ورأينا قرماً كريماً هماماً منعماً مفضلاً رحيماً رؤوفا
لذّ طعم الوفاء ، فهو إذا جاد وأعطى يرى الكثير طفيفا
خلف من كان فيه شهماً كريما يستلذ النّدى ويقري الضيوفا
ويريش الفقير بالبذل والجود ويعطي ويسعف الملهوفا
فأراني الإله طرق الليالي أبداً عن فنائه مطروفا

وأقام الإمام العزيز بالله مدينة دمشق إلى أن تمهد له الشام ، واعتدل أمره واستقام ، وارتفع عنه[1] الجور والظلم ، وظهر العدل ودان بطاعته الكل ، وامتلأت القلوب من هيبته ، وخافت أغلب الملوك من سطوته ، ثم أقام الولاة ، ونصب القضاة ، والدعاة ، ودعاع . م إلى دار عزه ، وقرار ملكه بالقاهرة ، وقد دوخ المعاندين ، وأذل المفسدين ، وقضى الله له بالنصر والتمكين ، وأعز به الدين ، وقمع المناصبين والمتعدين ، واستقرت له الأمور ، ودان له الجمهور ،

/ ٢٩٩ فقال الأمير تميم يمدحه بعد عودته من الشام / :

أسهم أصاب القلب أم لَحَظُكِ الشزْرُ وسُقمٌ بدا ما بين جفنيكِ أم سِحْرُ
وماذا الذي في صحن خدّكِ لائحٌ أماءُ[2] جَمالٍ جائلٌ[3] فيه أم خمرُ
سَفرتِ فَحوّلتِ الدُّجَى قبل فَجرِه أشمس أضاءت من نِقابك أم بدرُ

---

(١) عندما أحس أفتكين بالمعاملة التي عامله إياها العزيز حيث خلع عليه ووصله بهبات ، وأذن له أن يدخل بلاط الخلافة ضيفا مكرماً ، قال : لقد احتشمت من ركوبي مع الخليفة مولانا العزيز بالله ونظري إليه ، بما غمرني من فضله وإحسانه؛ فلما بلغ العزيز ذلك قال لعمه حيدرة : يا عم ! أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة ، وأرى عليهم الذهب والفضة والجواهر ، ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار ، وأن يكون ذلك كله من عندي . هلال الصابي ،مسكويه جـ٣ ص ٣٨٤ ، ٤٠٣ . إبن القلانسي ص ٢٠ - ٢١ .

(٢) أماء : إنما في ب

(٣) جائل : حائك في ب

لقـد أسـكرتْ عينـاكِ قدَّكِ فانثنى ... كما ينثني بالشـارب الثمل السُّكْرُ
وحَمَّلْتنـي مـا لا أطيقُ مـن الهوى ... كما لم يُطِقْ حَمْلاً لأردافِك الخَصْرُ
أجَوْراً علـى العُشّـاق والعـدلُ ظـاهر ... وظلمـا لهـمْ والحـقُّ أَنْجُمُـه[1] زُهرُ
ألستِ تخـافين العـزيـزَ وقـد بدت ... خلافتُـهُ لـم يبـق ظُلْـمٌ ولا غدر[2]
صِليني لتُشْفيَ غُلَّتي بـك مثلَ مـا ... شفـتْ بأبي المنصور غُلَّتَها مصر
تبـاشـرتِ الـدنيـا بـه وبمُلْكـه ... وردّ علـى الأيَّام بهجتَهـا الدهرُ
هَنَـاكَ قدومٌ حَفَّـه السعـد والعـلا ... ومـدّ عليه عِزّ سلطانِـه[3] النصر[4]
رجعـتَ وقـد قضّيت ما لم يقضِه ... إمـامٌ ومـا لم يحـوِ أمثالَـه عصر
بفتـح بشـرق الأرض والغـرب ذكرهُ ... تَغَنَّـى بـه الـدنيـا ويحـدو به السَّفْر
فإن يك بَدْرَ لم يُقَسْ بشبيهه ... فذى الوقعةُ الكبرى التي شبيهتُها[5] بدر
نصـرت بهـا التـوحيد والحـق نُصْرَةً ... عـزيزيَّةً صَلَّـى لهـا المجـدُ والفخر
300 / وأرهبـتَ أهـلَ الشـامِ حتّى تركتَهُمْ ... وليس لهم سرّ[6] سواك ولا جهـر /
وسُسْتَهُـمُ[7] حَزْمـاً بمـا لم يَسُسْهُمُ ... بمعشـاره يومـا زيادٌ ولا عَمْرُو
فلـو تَسْمَـعُ المـوتـى لناديتُ مُسْمِعا ... يزيدَ: [بخزْيٍ قم][8] فقدأُدرِك[9] الوِتر
نهضـتَ بشـارات الحسين وزيده[10] ... نهوضا به من زَيْنب[11] شُفي الصدر

(1) أنجمه : نجم في ب
(2) غدر : عذر في ب
(3) سلطانه : سلطانك في ب
(4) ديوان الأمير تميم منشورات دار الكتب المصرية ص ٢٠١ - ٢٠٢ .
(5) شبيهتها : شبهها في ب
(6) سر : سرد في ب
(7) وسستهم : وسعتهم في ب
(8) بخزي قم : تخزى قمر في ب
(9) أدرك : نقم في ب
(10) يقصد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي خرج في الكوفة على بني أمية فقتل في أيام هشام بن عبد الملك في سنة ١٢١ .
(11) يعني زينب بنت علي بن أبي طالب التي شهدت مقتل الحسين بكربلاء سنة ٦١ هـ .

ففاطمةُ الزهراءُ تَفْديك بابْنَها — وتسأل أن تَبْقَى ، ويبقَى لك الْعُمْرُ

وإنكَ للسَّيف الذي الله ضاربٌ — به، والهدى المدر وسُمن نوره الذكر[1]

فيا أيها البحرُ الذي موجُه لُهىً — ويا أيّها الغيث الذي ماؤه تبرُ

فَداؤك قوْم طُلْتَهم[2] وعلوتَهُمْ — أبوهُمْ إذا عدّوا أميةُ أو صخر[3]

أراني إذا هذّبتُ فيك قصيدةً — يساعِدني في مدحك النظم والنثر

ويجذبُني قلبي إليك وهِمَّتي — ويعذبُ لي في حوك شكري لك الفكر

وهل أنا إلاَّ ساعةُ أنت يومُها — ويومٌ من الأيام أنت له شهر

وإني لممزوج بحبّك خِلْقةً — كما آمتزجت بالماء في كأسها الخمر

كلانا لأصلٍ واحدٍ ولمَنبِتٍ — تفرّع غُصنانَا وما اختلف النَّجر

فيا من عُلاه لي وإن كنتُ عبدَه — ومن أنا عند الإنتساب له شَطْر

301 / ضميرك يلقاني بخالص ودّه — ووجهُك ما إن ينقضي منه لي بشر

فإن كنتُ في ذكري[4] لفضلك مُسْهِبا — ففضلُك فضلٌ لا يحيط به الذكر /

أُهنّيك لا أعني سواك[5] بأوبة — كأنك عِقْد وهْيَ من تحته نَحْرُ

ولو أنّ أرضاً هزّها الشوقُ أقبلت — إليك آشتياقاً أرضُ مصرك والقَصْرُ[6]

ورفع أمير المؤمنين ع. م يعقوب بن يوسف بن كلس[7] في مقام الوزارة ،

---

(1) الذكر : الكفر في ب

(2) طلتهم : كلهم في ب

(3) ديوان الأمير تميم (٢٠٢ - ٢٠٣) .

(4) ذكري : نشري في ب

(5) سواك : سؤال في ب

(6) القصر : العصر في ب

(7) كان إبن كلس كما يذكر التاريخ يهودياً ولد في بغداد ونشأ بها ، وسافر مع أبيه إلى الشام ، فأنفذه منها إلى مصر سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة للهجرة ، فاتصل ببعض خواص كافور ، فعهد إليه بعمارة داره ، ورأى فيه النجابة والنزاهة ، فعينه في ديوانه الخاص . ولم تزل حظوته تزداد مع كافور حتى أمر أصحاب الدواوين الا يصرف شيئاً من المال إلا=

وأباح في أمر المملكة إيراده وإصداره ، وأضاف إليه أمر الدولة ، وأنفذ في أمرها فعله ، وقوله ؛ وذلك في اليوم الثامن عشر من شهر رمضان المعظم سنة ثمانٍ وستين وثلاثمائة[1] .

وكان هذا الوزير يعقوب في ابتداء أمره على ما ذكره الرواة ، من أهل ملة موسى ودين اليهودية ، وهو من أولاد هرون بن عمران ؛ ثم أسلم أيام كافور الاخشيدي فحسن إسلامه ، وكان ذا فطنة وذكياً، وكان له تفنن في علم التوراة وغيرها من العلوم ، ولما وصل القائد جوهر إلى الديار المصرية تعلق بخدمته ، وارتفع عنده في درجته ، لما رأى فيه من الفطنة وعلو الهمة ، وحسن الأدب ، والنظر في العلم في كل باب ، ثم هاجر إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م إلى أرض المغرب ، ولم يزل يسمو صعداً ، ويزدلف / علواً مع أولياء الله أهل ٣٠٢/ الهدى؛ وعاد مع المعز لدين الله ع . م حين قدومه إلى مصر فارتفع عنده في الفضل والقدر، حتى جعل المعز لدين الله ع . م له النظر في الوزارة مع عسلوج بن الحسن في بقية أيام المعز لدين الله ع . م، بعد وفاة الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن

= بتوقيع إبن كلس سنة ٣٣٦ هـ . وفي شعبان سنة ٣٥٦ هـ أظهر إبن كلس إسلامه وصلى في الجامع ، فزادت حظوته عند كافور . ولما كان الوزير ابن الفرات يحسد إبن كلس ويحقد عليه ، فقد حبسه ثم أطلق سراحه بعد أن بذل الأموال الطائلة ، فتوجه إلى المغرب حيث خدم المعز وعاد معه إلى مصر واكتسب حظوة العزيز وتولى أموره ، تم ولي الوزارة .
ياقوت : إرشاد حـ ٣ ص ٨٤ . إبن حلكان : وفيات الأعيان : جـ ٢ ص ٤٦١ .

(١) ووصف إبن منجب الصيرفي علاقة يعقوب بن كلس بالخليفة العزيز ، وما خلع عليه من الألقاب وما أسبغ عليه من المنح ، كما وصف أثره في العلم والأدب فقال: لقبه بالوزير الأجل، وأمر أن لا يخاطبه أحد ولا يكاتبه إلا به . وخلع عليه ، ورسم له أن يبدأ في مكاتباته باسمه على عنوانات الكتب النافذة منه . واعتقل إبن كلس في القصر فأقام معتقلاً شهوراً ، ثم أطلقه في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، وحمله على الخيل بالسروج واللحم والثقال ، وقرىء له سجل برده إلى ما كان له من تدبير الدولة ، ثم قرىء له سجل يهبه خمسمائة من الناشئية وألف غلام من المغاربة ، لا رحعية فيهم ولا مثنوية ، وإنا ملكناه أعناقهم وحكمناه فيهم. وكان إبن كلس يجلس للمظالم كل يوم بعد صلاة الصبح ، فيدخل عليه الناس بظلاماتهم. كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٢٢ .

الفرات، وجعل المعز لدين الله ع . م أيضاً إلى هذا الوزير يعقوب بن يوسف النظر في الأموال، والإفتقاد لها، والإنتقاد؛ ثم ان أمير المؤمنين العزيز بالله ع . م رفعه وأدناه، واختصه وأسناه، وصرف أمر المملكة إليه، وجعل تدبيرها ينفذ على يديه، ولما كان في عيد الفطر من السنة المذكورة عقب إقامة الوزير يعقوب المذكور، خرج أمير المؤمنين العزيز بالله في جحفل جرار وعساكر تضيق لها الأقطار، وقد شهر الوزير يعقوب بالفضل، وقدمه على أولي العقد في الأمور والحل، فقال الأمير تميم ابن المعز يهني العزيز بالله ع . م بالعيد، ويذكر خروجه لقضاء / الصلاة، ٣٠٣/ وإقامة الخطبة، وما رفعه من قدر وزيره يعقوب بن يوسف وزاده لديه من القربة، في قصيدة أنشدت بين يدي العزيز بالله ع . م يقول فيها: [1]

طوى البينُ عهد الوصل فهو قصيرُ ففاض له دمع وطال زَفِيرُ
هنيئاً لك العيدُ الذي أنت للرضى من الله لمرضيك فيه بشير
برزت كبدر التِمّ تَقْدُم[2] جَحْفَلا تكاد به الأرض الفضاء تمور
فلِلبيض برْقٌ في أعاليه خاطفٌ وللأُسْد رَكْضٌ تحته وزئير[3]
كأن الدُّروع السابغاتِ عليهُمُ لِما ألِفوها سُنْدُسٌ وحرير
وقد منحوك اللّحظ من كل جانبٍ وكلّهُم صافي الضمير شكور
فمِن مُقْلةٍ منهمْ[4] عليك حبيسةٍ ومن إصبع فيهمْ إليك تشير
ولو نطقت أحجار أرضٍ لسلَّمتْ عليك المُصَلَّى أو أتتك تسير
فلَّما بلغت المنبر الطاهر الّذي له بك فضلٌ لا يُنال كبير
تخشعت[5] للرحمن ثم علوتَه خطيباً وكُلُّ اللحظ عنك حسير

(١) ديوان الأمير تميم مشورات دار الكتب المصرية ص ١٤٢ - ١٤٣ .
(٢) تقدم : قوام في ب
(٣) زئير : زبير في ب
(٤) منهم : فيهم في ب
(٥) تخشعت : تواضعت في الديوان .

فأبديت ما أبدى النبيُّ من الهدى	كذا الفَرْعُ للأصل الزكيّ نظير
واسهبت في حمد الإله بخطبة	تَفَجَّرُ منها للصواب بحور
٣٠٤ / وبَشَّرتَ ترغيباً وأنذرت[1] خَشْيَةً	بإيجاز قولٍ ما حواه نَذيرُ /
فدُمْ لأبي المنصور يا مُلْكُ[2] سالماً	فليست عليك الدائرات تدور
لأنك بالمَلك العزيز ممنَّعٌ	وأنّ له يعقوب فيك وزير
أغَرُّ إذا ما قابل الخطبَ رأيُهُ	تيسَّر صَعْبُ الخَطْب وهو عَسير
تطلّبتَ[3] مرضاة الإمام[4] فنِلتَها	وقصَّر عنها طالبون كثير
فأنت له في الحرب سهْم ومُنْصلٌ	وفي السِّلْم لألاءٌ[5] يلوح ونور

وكان يعقوب الوزير عند إمامه مقرباً مكرماً معززاً مقدماً ، وله أخلاق سنية ، وسيرة صالحة ، وأعمال رضية ، وحسن سياسة وعدل ، ومكارم ظاهرة ، وفضل وعلو همة ، مقتفياً في فعله لآثار الأئمة ، متأدباً بآدابهم ، مجهداً نفسه في سلوك منهجهم ، واقتفاء آثارهم ، محباً للعلم ، مؤثراً لأهله ، مقدماً لهم في قوله ، وفعله .

قال علي بن عبد الرحمن بن يونس المصري المنجم مصنف الزيج المشهور الحاكمي[6] : لما كان في أيام أمير المؤمنين العزيز بالله أبي المنصور نزار ع.م وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه المنتجبين ،وأفضت الوزارة إلى الوزير أبي الفرج يعقوب ٣٠٥ / ابن يوسف سيد الوزراء ، ورأس العلماء ، وحكيم / الحكماء ، رغب في

---

(١) وانذرت : سمطت في ب
(٢) يا ملك : يا مك في ب
(٣) تطلبت : تطلب في ب
(٤) الإمام : الإله في ب
(٥) لألاء . لألأك في ب
(٦) كان إبن يونس فوق شهرته في علم النجوم يجيد نظم الشعر، ومن شعره:

أحمل نشر الريح عند هبوبه	رسالة مشتاق لوجه حبيبه
بنفسي من تحيا النفوس بقربه	ومن طابت الدنيا به وبطيبه

تقديم أهل العلم والفضل ، فقربهم منه ، وأدنى محلهم على حسب ما في العلم والعقل ، وأغنى فقيرهم ، ووصل غنيهم ، حتى عم أهل الزمان فضله ، وغمرهم نائله ، ووسعهم حلمه ، وقام لهم تدبيره ، فحدد من العلوم ما دثر ، وأنار منها ما استبهم ، وفتح منها ما انغلق ، وفتق ما ارتتق ، على حين غفلة من أهل الزمان ، وفتور منهم ، وتوان ؛ فكثر الراغب في العلم الطالب له ، فأعلامه منصوبة ، وسبله مسلوكة ، هذا على ما وطد من قواعد الملك ، وأعلى من مناره ، وشرف من بنيانه ، فأمن كل خائف ، واهتدى كل من ضل ، وعاد إلى الحق كل من زل ، فالحمدلله الذي أحيانا في أيامه ، فهي أحسن الأيام ، وأفضل الأعوام ، إذ بها فرغنا لدراسة العلم ، ونظم قلائده ، وتأليف كتبه ، هذا قوله[1] .

وللوزير يعقوب مصنف في الفقه يسمى مصنف الوزير ابتدأ فيه بذكر الطهارة ، ثم الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، وسائر أبواب الفقه ، الواجبات على مذهب الأئمة / من آل رسول الله عليهم أفضل السلام ، وأسنى الصلاة ، اقتفى فيه فعل القاضي النعمان بن محمد أعلى الله قدره ، في ما ألفه وصنفه ، وسلك نهجه ، وجاء فيه ببيانات مسائل من الشرعيات والفقهيات ، فهو يعتمد منه ما وافق كتاب دعائم الإسلام ، الكتاب المعروف الذي صنفه القاضي النعمان ، ويؤخذ بما كان فيه من البينات ، مما لم يذكره القاضي النعمان ، وما كان فيه من شيء يسير يناقض ما أورده القاضي النعمان ، فالرجوع فيه إلى قول القاضي النعمان في كتبه ، ولا سيا كتاب الدعائم ، ومختصر الآثار ، فبذلك بنى الأئمة تابعيهم ، وعلى ذلك المنهج من اتبع آثارهم يقتفيهم[2] .

٣٠٦ /

(١) أبي الحسن علي بن يونس المنجم الحصري المتوفي سنة ٣٩٩ هـ صاحب الزيج الحاكمي ، وهو زيج كبير رآه إبن خلكان في أربعة مجلدات ، بسط القول والعمل فيه ، وما قصر في تحريره . وذكر أن الذي أمره بعمله وابتدأ له العزيز أبو الحاكم صاحب مصر . وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٧٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٧٩ .

(٢) وكان الوزير أبو الفرج في سنة سبعين وثلاثمائة أحضر جماعة من الفقهاء وأهل الفتيا ، =

وقد ذكر إبن خلكان في تاريخه أن الوزير يعقوب بن يوسف عرض مصنفه المذكور على العزيز بالله ، وقال[1] : وهو مما أخذه عنه وعن آبائه ، فذلك مما أنطق[2] الله إبن خلكان به مع تعصبه على الأئمة ، وذلك إقراراً بفضلهم ، وعلو محلهم ، لكون العلم يؤخذ منهم ، ويرجع فيه إليهم ، وعلى ذلك ما ألفه القاضي النعمان بن محمد / وغيره من دعاة الأئمة ، والتابعين لهم فإنهم ينسبون ما /٣٠٧ يوردونه عنهم ، إذ هم ورثة الرسول ، وقرناء الكتاب ، الذي يرجع إليهم ، ويتعلم منهم ؛ وقد قال النبي (ﷺ) : تعلموا من عالم أهل بيتي ، وممن تعلم من عالم أهل بيتي ، تنجوا من النار . وقال الله ع . ج : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الذِّينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[3] وليس ذلك كما أورد إبن خلكان وغيره من المصنفين للكتب ، والموردين للأخبار عن الخلفاء العباسيين والأمويين في ردهم القول إلى من يأتم بهم ؛ كما روي عن هرون الرشيد العباسي في ما أتى عن القاضي إبن يوسف خليفة أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، وذلك قول ابن خلكان : حكى بشر بن الوليد الكندي قال: قال لي القاضي أبو يوسف : بينا أنا البارحة قد أويت إلى فراشي ، فإذا داق يدق الباب دقاً شديداً ، فأخذت إزاري / وخرجت فإذا هرثمة[4] بن أعين ، فسلمت عليه ، قال : أجب أمير /٣٠٨ المؤمنين . فقلت : يا أبا حاتم لي بك حرمة ، وهذا وقت كما ترى ، ولست آمن أن يكون أمير المؤمنين قد دعاني لأمر من الأمور ، فإن أمكنك أن تدفع ذلك إلى غد فلعله أن يحدث له رأي . فقال : ما لي إلى ذلك سبيل . قلت : كيف كان

= وأخرج لهم كتاب فقه عمله ، وقال : هذا عن مولانا العزيز بالله عليه السلام عن آبائه الكرام . وقرأ عليهم رسالته ، وبعض كتاب الطهارة . وهذا الكتاب يعرف بالرسالة الوزيرية . إبن منجب الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٢٢١ .

(١) إبن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٤٤٢ .

(٢) أنطق : انطلق في ب

(٣) سورة : ٤/ ٨٢

(٤) هرثمة : هشمة في ب

السبب ؟ قال : خرج إليَّ مسرور الخادم [وطلب إحضارك ؛ فصحبته حتى دخلنا القصر، فرأينا مسرور الخادم][1] واقفاً . فقال له هرثمة : قد جئت به . فقلت لمسرور : يا أبا هاشم خدمتي ، وحرمتي ، وهذا وقت ضيق صدري ، أتدري لم طلبني أمير المؤمنين ؟ قال : لا أدري . قلت : من عنده ؟ قال : عيسى بن جعفر . قلت : ومن قال ما عندهما ثالث ؟ ثم قال لي : مر ، فإذا صرت في الرواق فهو ذاك جالس ، فحرك رجلك في الأرض ؟ فإنه سيسألك ، فقل : أنا . قال أبو يوسف : فدخلت ، وفعلت ذلك ، فقال لي : من هذا ؟ فقلت : يعقوب ، فقال : إدخل . فدخلت ، فإذا هو جالس ، وعيسى بن جعفر عن يمينه ، فسلمت فرد السلام عليّ . وقال : أظننا روعناك ؟ فقلت : أي والله ، وكذلك من خلفي ، فقال : إجلس . فجلست حتى سكن روعي ، ثم التفت إليّ وقال : يا يعقوب ! أتدري لَماَ دعوتك ؟ / قلت : لا . قال : دعوتك لأشهدك على هذا ، ان /٣٠٩ عنده جارية سألته أن يهبها لي ، فامتنع ، وسألته أن يبيعها مني فأبى ، والله ، لئن لم يفعل لأقتلنه . قال أبو يوسف: فالتفت إلى عيسى ، وقلت له: ما بلغ الله بجارية تمنعها أمير المؤمنين ، وتنزل نفسك هذه المنزلة؟ فقال لي: عجلت عليّ في القول قبل أن تعرف ما عندي. قلت: وما في هذا من الجواب؟ قال: عليّ يميناً بالطلاق، والعتاق، وصدقة ما أملك أن لا أبيع هذه الجارية، ولا أهبها. فالتفت إليَّ الرشيد ، وقال : هل له في ذلك من مخرج ؟ قلت : نعم ، قال : وما هو ؟ قلت : يهب لك نصفها ، ويبيعك نصفها ، فيكون لم يبع ، ولم يهب . قال عيسى : أيجوز ذلك ؟ قلت : نعم . قال: فأشهدك[2] أني قد وهبت نصفها ، وبعته النصف الآخر بمائة ألف دينار. ثم قال: الجارية؟ فأتي بها ، وأخذ المال، فقال: خذها يا أمير المؤمنين بارك الله فيها. فقال الرشيد: يا يعقوب! بقيت واحدة، قلت: وما هي؟ قال: هي مملوكة، ولا بد أن تستبرأ، ووالله، لئن لم

---

(١) سقطت الكلمات المحصورة من ب.

(٢) فأشهدك : فشهرك في ب

/٣١٠ أبت معها / ليلتي هذه إني لأظـن[١] بـأن نفسي ستخـرج[٢] . فقلت : يا أمير المؤمنين ! تعتقها وتتزوجها ، فإن الحرة لا تستبرأ . قال : فإني قد أعتقتها ، فمن يزوجنيها؟ قلت: أنا. فدعا بمسرور، وحسين، فخطبت، وحمدت الله تعالى وزوجته إياها على عشرين ألف دينار . ثم ذكر أموالاً جليلة صارت إلى أبي يوسف من الرشيد ، وعيسى بن جعفر ، والجارية ، اختصرنا ذكرها ، إن لم يكن قصدنا إيراد ذكر[٣] ذلك ، وإنما ذكرنا ما ذكرناه[٤] ليتبين فضل أولياء الله ، ورثـة رسوله (ﷺ) ، أنهم علماء يعلمون وفقهاء يؤدبون ، يؤخذ العلم عنهم ، ولا يأخذونه ممن هو دونهم ، فهذه مسألة قريبة ، ما استغنى مدعي الخلافة عن سؤال القاضي فيها ، والرجوع إليه فيما أشكل منها ، وكيف يقعد مقعد رسول الله ، ويدعي خلافته ؟ من يحتاج[٥] إلى غيره في أقل مسألة من الحلال والحرام ، والقضايا ؟ وكيف أراد هذا الجبار أن يقتل رجلاً مسلماً هو ابن عمه ، ويقطع رحمه ، إن لم يبع ما ملكت يمينه /٣١١ أو يهبها / له ، اتباعاً للهوى ، وميلاً إلى شهوات[٦] النفس الآمرة بالسوء لمن ضل وغوى؟ وكيف يؤمن على أموال أهل الإسلام، ودمائهم ، وحرائرهم ، وإمائهم؟ وهذه الحجة الواضحة على أن مستحق الإمامة هو المعصوم في قوله وعمله ، إلا من إتباعه من خطئه وزلله ؛ إذ ليس من عدل الله ، وحكمته ، وفضله[٧] ورحمته ، أن

---

(١) لأظن : ظن في ب

(٢) ستخرج : خرجت في جـ

(٣) ذكر : سقطت في ب

(٤) تسلم الخلافة أبي جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي سنة سبعين ومائة ، وذلك ليل الجمعة لأربع عشرة حلت من ربيع الأول ، وفي هذه الليلة ولد المأمون . وتوفي موسى الهادي ، ومات سنة ثلاث وتسعين ومائة ليلة السبت لثلاث حلون من جمادي الآخرة . وكانت خلافته بعد أخيه ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً وثمانية أيام . بلغ عمره أربعاً وأربعين سنة وخمسة أشهر.

(٥) يحتاج : محتاج في ب

(٦) شهوات : شوان في ب

(٧) فضله : فضائله في ب

يولي عباده من لا يؤمن أن يضل ، فيضل كثيراً من العباد، ويزل فيزلون معه عن منهج الهداية والرشاد ؛ نعوذ بالله من اتباع المضلين ، والميل عن ذات اليمين.

وأما قول أبي يوسف فيما أفتى به أنه يبيع نصف الجارية ويهب نصفها فيكون[1] لا وهب ولا باع ، فهذا خلاف العيان ، وقول كالهذيان ، إذ قد وهب وباع ؛ بل القول في ذلك إن كان أقسم بالله فعليه الكفارة إن خالف ما به أقسم، لقول رسول الله (ﷺ) : من حلف[2] على يمين فرأى خيراً منها فليكفر عن يمينه ، ثم يفعل الذي هو خير ، وإن كان حلف بغير الله فلا شيء عليه مما ذكر . إذ لا يمين بغير الله / من طلاق أو عتاق أو غير ذلك، وهذا وجه بيّن المسالك[3]؛ وأما قوله إن أعتقها فلا يستر بها . فهذا قول خطأه بيّن ،والجهل فيه متعين ، فماذا يقال إن حملت بولد ويكون الآخر في ولده ؟ هل ينسب إلى الأول والآخر؟ ولا ينكر قولنا إلاً جاحد مكابر ، وإنما جعل الله الاستبراء كل أمة ، والعدة للحرة ، لأن يتبين حمل المرأة إن حملت ، ولا يكون الآخر في ولده ، ذا لشك، وبذلك عرفت الأنساب وما جهلت ، وإنما أراد أبو يوسف قبض[4] الدنانير ، وهو فيما أفتى به عن خبير .

٣١٢

وأيضاً فحكى ابن خلكان في تاريخه أن القاضي أبا محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن سلاس بن شمال بن منغايا الليثي ، وأصله من البربر من قبيلة يقال لها مضمودة[5]، مولى بني ليث ، وانتسب إليهم ، أفتى عبد الرحمن بن الحكم الأموي المدعي الإمامة بالأندلس الملقب بالمرتضى ، قال : وذلك أنه كتب إلى الفقهاء يستدعيهم إليه ، فأتوه إلى القصر ، وكان عبد الرحمن المذكور[6] قد نظر في شهر

---

(١) فيكون : كان في جـ
(٢) حلف : حالف في ب
(٣) المسالك : المالك في ب
(٤) قبض : قرض في ب
(٥) مضمودة : منضورة في ب
(٦) المذكور : المرفوع في ب

٣١٣/ / رمضان إلى جارية له يحبها حباً شديداً فعبث بها ، ولم يملك نفسه أن وقع[1] عليها نهاراً ، ثم ندم ندماً شديداً ، فسأل الفقهاء عن ذلك ؟ فقال يحيى بن يحيى الليثي : يكفر ذلك أن تصوم شهرين متتابعين ، فلما بدر يحيى إلى هذه الفتيا أسكتوا بقية الفقهاء ، حتى خرجوا[2] من عنده ، فقالوا ليحيى : كيف أوجبت الصوم ، ولم تفته بمذهب مالك فعنده أنه يخيره بين العتق والصوم والإطعام ؟ فقال يحيى : لو فتحنا عليه هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق[3] رقبة ، لكن حملته على أصعب الأمور عليه لئلا يعود .

ونقول : وبالله ، وبالإسلام والمسلمين ، كيف يكون من يدعي أنه أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ، من زل هذه الزلة ، وفعل[4] هذه الفعلة ؟ وإن هذا المنكر العظيم الذي ليتشفع ويتبع إن فعله أحد من غوغاء الناس ، فكيف من يدعي الخلافة والإمامة وهو من هذا الجهل وبسوء الفعل بهذه المزية ، والجهالة الكلية؟ وقولهم في مذهب / مالك إنه مخير بين العتق والصيام والإطعام ، ٣١٤/ قول مخالف لما في مذهب الأئمة ع.م . فقد روى القاضي النعمان بن محمد عن أهل البيت سلام الله عليهم أنهم قالوا[5]: جاء عن رسول الله (ﷺ) أنه أوجب الكفارة على من أفطر في نهار شهر رمضان متعمداً ، أو كفارة من أفطر أو جامع في نهار شهر رمضان متعمداً عتق رقبة ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ؛ فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ، ويقضي اليوم الذي أفطره . فهذا الحق المبين ، والقول الثابت[6] عن النبي الأمين ، خير الأنبياء وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين ؛ وأن الأمة لما قدمت الجهلاء ورضيت بما أخذت من متاع الدنيا ، وقعت في الضلال

(١) وقع : رفع في ب
(٢) حرجوا : خارج في ب
(٣) ويعتق : وينعق في ب
(٤) وفعل : سقطت في جـ
(٥) دعائم الإسلام للقاضي النعمان جـ ١ ص ٣١٢ .
(٦) الثابت الثواب في ب

والتضليل ، واستدلت[1] على معالم الشريعة بغير دليل ، ولو قصدنا إلى إيراد مصائب أئمتهم ، وخلفائهم ؛ والإقتداء بمن ترأس عليهم ، من ضلالهم ؛ لاحتجنا إلى إفراد كتاب ، واتسع القول في ذلك والخطاب ، أفليس منهم القائل :

/٣١٥ تلاعب بالبرية هاشمي / ؟ ومنهم القائل : اتوعدنا ابن كبشة سيجيء . وكيف حياة أشداد ، وهام هو منهم القائل ، الذي رمى المصحف حتى خرقه ، وقال[2] :

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا لقيت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

وقد كان بنو العباس على ذلك الحال ، وفي هذا الضلال ، وليس منهم من يذكر إلاَّ بإحضار مغنية تجيد الغناء ، وبشرب مسكراً ، ولهو قد جعله له ديدناً ، أو مثل ذلك مما رواه الذاكرون لفضائلهم ، الناشرون لمحامدهم ، أوليس قاضيهم يحيى بن أكثم الذي قال له المأمون بن هرون : يا يحيى من الذي يقول : متى تصلح الدنيا ، ويصلح أهلها ، إذا كان قاضي المسلمين يلوط ؟ قال يا أمير المؤمنين هو الذي يقول[3] :

أميرنا يرتشي وحاكمنا يلوط والرأس شر من راس
لا أحب الجور ينقضي وعلى الأمة وال من عباس

فقال المأمون ينفى إلى السند ، وأنه لم يوصف أحد من الخلفاء العباسيين والأمويين بمثل ما وصف به عمر بن عبد العزيز الأموي . وهذا المسعودي قد روى

---

(١) واستدلت : ودلت في ب

(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان . وأمه ميسور بنت نجيد بن أفو ، من بني حباب بويع يوم مات أبوه معاوية . مات بذات الجنب بحوران ، وحمل إلى دمشق ، وصلى عليه أخوه خالد ، ودفن في مقبرة باب الصغير ، وقد بلغ سبعاً وثلاثين سنة . وكانت خلافته ثلاث سنين واثني عشر يوماً ، فولي سنة ستين ، ومات سنة أربع وستين ، وصلى عليه ابنه معاوية .

(٣) يقول : سقطت في ب

/٣١٦ في بعض ما أورده ، قال المسعودي[1] : كان رجل من أهل العراق / أتى المدينة في وصف جارية قد وصفت له قارئة قوالة ، فسأل عنها فوجدها عند قاضي المدينة ، فأتاه وسلم له أن يعرضها عليه ، فقال : يا عبد الله لقد أبعدت الشقة في طلب هذه الجارية ، فما رغبتك فيها، لما رأى من شدة إعجابه بها ؟ قال : إنها تغني فتجيد[2]. قال القاضي : ما علمت بهذا . فألح عليه في عرضها ، فأحضرها مولاها القاضي ، فقال لها الفتى هاتي ، فغنت إلى خالد حتى أناخت بخالد ، فنعم الفتى يرجى ونعم[3] المؤمل . قال : ففرح القاضي بجاريته ، وسر بغنائها ، وغشيه من الطرب أمر عظيم حتى أقعدها على فخذه ، وقال : هاتي ، بأبي أنت وأمي ، بيتاً نفقت أرواح إلى القصاص كل عشية أرجى ثواب الله في عدد الخطى ، فأخذ نعليه[4] فعلقها في أذنيه ، وجثا على ركبتيه ، وجعل يأخذ بطرف أذنه ، والنعل معلقة فيها ، وهو يقول : إهدوني فإني بدنت حتى أدمى أذنيه . فلما أمسكت . أقبل على الفتى ، ففال : يا حبيبي انصرف فقد كنا فيها راغبين قبل أن نعلم انها تقول ، فنحن الآن فيها أرغب ؛ فانصرف الفتى ، وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ، فقال : / قاتله الله لقد استفزه[5] الطرب وأمر بصرفه عن /٣١٧ عمله ، فلما صرف قال : نساؤه طوالق لو سمعها عمر ، لقال : اركبوني فإني مطية . فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ، فأشخصه ، وأشخص الجارية ، فلما دخلا على عمر ، قال له : أعد ما قلت ! فأعاد ما قال. فقال للجارية : قولي ؛ فغنت :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا مقام ولم يسمر بمكة سامر

---

(١) مروج الذهب للمسعودي

(٢) فتجيد : تجود في ب

(٣) ونعم : ونود في ب

(٤) نعليه : بعليه في ب

(٥) استفزه : استفره في ب

بل كنـا نحـن كنـا أهلهـا فأبادنا صروف الليالي والجـدود العـواثر

قال: فما فرغت من الشعر حتى اضطرب عمر اضطراباً بيناً، وأقبل يستعيدها ثلاثاً. ثم أقبل على القاضي: قاربت في بيتك إرجع إلى عملك راشداً.

فهذا هو عمر بن عبد العزيز المشهور عندهم، بالورع، والزهد، والفضل، يقر على نفسه أنه كاد[1] أن يقول إركبوني فإني مطية، وقارب ذلك لغناء جارية سمعه، ولم يكن ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراماً ﴾[2] بل أصغى بإذنه، وكاد اضطرابه وطربه أن يخرج عن ذهنه، وهو ينسبه إلى غيره منهم؛ كافور بين / حميان، ولا يختلف في فضله على الخلفاء ‎/ ٣١٨ العباسيين والأمويين إثنان، فكيف بمن[3] يوصف بما يوصف به في حال، ولا يخطر ذكره بخير على بال؟ وهؤلاء عندهم أمراء المؤمنين، وخلفاء رسول رب العالمين، فلا ينكرون[4] منهم هذه المنكرات، ولا يبالون بما يسمعونه من ارتكاب الفاحشات، مع جهلهم[5] الذي في أوديته يتخبطون، وفي القول بما لا يعلمون يخلطون، فأين هم عمن روي عن القاضي النعمان من[6] الفضائل والمعجزات، وأتت عن غيره في ذلك الروايات عن المهدي بالله، والقائم بأمر الله، الأئمة من ذريتها، صلوات الله عليهم؛ فهل شنع عليهم بشيء من هذه الشناعة، ونسب إليهم من هؤلاء فيه من المجانة والخلافة؟ وإنما يستند إليهم[7] دعاتهم في نطق بعلم وحكمة، أوتذكر بالآخرة وموعظة، أو علم لا يرجعون[8] فيه إلى غير آبائهم الطاهرين، الذي رووه عن محمد خير المرسلين، مما يطول شرحه، ويزكو

---

(١) كاد: كان في ب
(٢) سورة: ٢٥/ ٧٢.
(٣) بمن: بمنان في ب
(٤) ينكرون: يذكرون في ب
(٥) جهلهم: سقطت في جـ
(٦) من: ولن في ب
(٧) إليهم: فيهم في ب
(٨) لا يرجعون سقطت في ب

قدحه، ويتضح للناظرين صبحه؛ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع، أو من لا

/٣١٩ يهـدي إلاّ أن يهـدي، فما لـكم كيـف تحـكمـون؟ وليس هذا قصدنـا / فنتقصاه، ونسهب القول فيه، وإنما عن ذكره، والحديث ذو شجون فأثبتنا منه ما يستدل به ليعتبره المعتبرون، ونرجع إلى ما كنا فيه.

قال ابن خلكان[١]: وكان الوزير يعقوب بن يوسف عند العزيز بالله ع.م جليل المنزلة، وذكر له فضائل جمة؛ ثم أتى بغير ذلك ونقضه، ممـن يحسـده، ويحب الشناعة على متبعي الأئمة ع.م، والـوزير قد وضـح[٢] فضلـه، وصـح إيمانه، وعلو درجته عند الأئمة، وتأليفه في الفقه المأخوذ عن الأئمـة ممـا يشهـد بفضله، وعلو محله؛ ويدحض الأقاويل المزخرفات، وينفي الأحاديث المحرفات في عيبه، وثلبه، وقد شرف[٣] الله بالاسلام من دخل فيه من الأنام، ورفع الله به من دان به من الأمم، واتصل به من العرب والعجم؛ وقد كان سلمان الفارسي حين أسلم أقرب إلى النبي (ﷺ) وعلى آله، وأفضل من أكثر أصحابه، وجعله من أهل بيته، وذلك لإخفائه على من أنصف وعرف الحق وبه اعترف، وعمـل

/٣٢٠ الـوزير يعقـوب بن يوسف على شراء العبيد / الأتـراك، والسودان، وأسكنهـم خلف دار الـوزارة، ويسمـى به الموضـع الـذي أسكنهـم فيه حافـة الوزارة، وأضاف إليهم كثيراً من العسكرية، وقال: إن تغيرت الكتامية فمن ذا الذي يكسر شوكتهم، ويغل حدهم؛ وأقام الوزير[٤] يعقوب إلى ذي الحجة آخر شهور سنة ثمانين وثلاثمائة، ثم توفي. وكان أمير المؤمنين العزيز بالله ع.م، قد ركب إليه في علته لزيارته[٥]؛ قال ابن خلكان[٦]: وقال له العزيز بالله ع.م: لو

(١) واتخذ ابن كلس في قصره عدة دواوين، جعل إلى بعضها النظر في شؤون الجيش والمالية والسجلات وما يتعلق بجباية الخراج، وعين لكل ديوان ما يحتاج إليه من الموظفين. النظم الإسلامية ص ١٧٢. وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٢ ص ٤٤١.

(٢) وضح: اتضح في ب

(٣) شرف: أشرف في ب

(٤) الوزير: سقطت في جـ

(٥) لزيارته: للزيارة له في ب

(٦) المقريزي خطط جـ ٣ ص ٩. ويذكر ابن خلكان أن يعقوب بن كلس كان يجمع عنده=

كان حي يفتدى بشيء لفديتك بأكثر ملكي ، أو كانت الحياة تشترى اشتريتها لك بما في يدي، فرحمة الله على التابعين لأئمة الهدى، الملتزمين من طاعتهم بالعروة الوثقى، الذين أتاهم وهم على الطاعة حمامهم ،وقضت عليهم وهم فيها أيامهم، نسأل الله تعالى أن يميتنا على الثبات، ولا يقطع بنا عن الثلاث الطاعات، التي أبانها الله تعالى في محكم الذكر، بقوله تعالى: ﴿يا أَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوْا أَطِيعُوْا اللهَ وأَطِيعُوْا ٱلرَّسُولَ وَأُوْلي ٱلأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1].

وكان القاضي علي بن النعمان بن محمد قد توفي رحمة الله عليه ورضوانه في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، وحمل / نعشه إلى العزيز بالله ع.م فصلى عليه ، وأمر بدفنه ، وأقام مقامه أخاه القاضي محمد بن النعمان (رضي). /٣٢١

قال الشريف مصنف كنز الأخبار في السير والأخبار : وتحركت الإفرنج من المشركين إلى الشام، وبلاد الإسلام في قوة عظيمة وعدة؛ فخرج العزيز بالله ع.م بنفسه عامداً للقائهم وجهادهم ، وخطب الناس وحضهم على الجهاد؛ ثم رجعت الإفرنج فرجع من طريقه إلى دار ملكه بالقاهرة . هذا قول الشريف ، وكان رجوع المشركين إلى بلادهم فارين حين علموا نهوض أمير المؤمنين العزيز بالله ع.م إليهم بنفسه ، ونفوذه لجهادهم بجميع جيوشه .

وأخرج أمير المؤمنين جيوشاً كثيرة من رجاله في عدد وعدة ، وقوة وشدة ، وحملهم في أساطيل إلى بلاد المشركين من الإفرنج فغزوهم ، وقتلوا منهم طوائف ، وسلبوا وغنموا غنائم جليلة ، وأموال جزيلة ؛ وقدموا على الإمام العزيز بالله ع.م ، ومعهم الغنائم والسبايا ، ووافق بعد وصولهم عيد الفطر ، وخرج أمير المؤمنين / فصلى العيد ، وأقام الخطبة في جيوش تملأ الفضاء والآفاق ، قد /٣٢٢

= العلماء ، وكان في داره قوم يكتبون القرآن ، وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقه والأدب والطب ، ويعارضون ، ويشكلون المصاحف وينقطونها ، وكان ينصب كل يوم خوانا لخاصته من أهل العلم والكتاب وخواص أنباء . وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣٣٤ .

(١) سورة : ٥٨/٤

امتلأت من شعاع البيض ، وهي كالأصنام قال الأمير تميم من قصيدة في الإمام العزيز بالله ع.م :

[زنْت الخلافة مذ أُلْبِستَ خِلْعَتَها][1] وزدت دولتهـا عِزّاً علـى الدُّوَلِ

لولاكَ كانـتْ بِـلا جيد ولا[2] جَيَدٍ ولا جفـونٍ ولا كُحْـلٍ ولا كَحَلِ

نَظَمتَ بالعـدلِ تيجـانَ البهـاءِ[3] لها وبالسماحةِ وَشْيَ الْحَلْـي[4] والحُلَلِ

فالـدينُ غيرُ مَهِيض إذ نهضـتَ به وفَيْلَقُ الجودِ مَنصـورٌ علـى البَخَلِ[5]

والكفـرُ في شَظَف والـدينُ في شَرَف والجـود في سَرَفٍ والناس في جَذلِ

[وافـت إليك جنـود الله قد ملئت أكفهـا من سبـايا الكفـر والنقل][6]

فانْعَـمْ بعيدٍ تركتَ المسـلمينَ به سَلْماً وغادرتَ أهـل الكفـر في جَذَلِ

نصـرتَ مِلّـةَ جَدَّيك اللذي سلَفا حتى غدتْ بك تَسْتَعْلي علـى المِلل

لئـن أتـى العـيدَ مِن لُقْياكَ في فَـرحٍ

لقـد مَضَـى الصـومُ مِن مَنـآك[7] في ثكل[8]

برزتَ فيه بروزَ الشـمسِ طالعة وقد [أعاد الضُّحاءَ النَّقْعُ][9] كالطَّفَل

والبيضُ تَزْهَـرُ[10] والأعـلامُ خافقةٌ والأرضُ في رَهَج والجوُّ في وَجَلٍ[11]

فليس يَصْـرِفُ لحظَ العينِ مُرْسِلُه إلاَّ إلـى سابحٍ في الأرضِ أو بطلِ

---

(١) زنت الخلافة مذ ألبست خلعتها: رتبت الخلافة بيد البست خلعتها في ب .

(٢) جيد : جد في ب

(٣) البهاء : العلا في ب

(٤) الحلي : الحل في ب

(٥) البخل: النحل في ب

(٦) سقط هذا البيت من ديوان الأمير تميم ص ٣٤١ .

(٧) منآك : منالك في ب

(٨) ثكل : ظل في ب

(٩) أعاد الضحاء النقع : أعيد الضحى للنقع في ب

(١٠) تزهر : تزهو في ب

(١١)وجل : زجل في ب

٣٢٣ / والشـمسُ فوقَ مدار الجيش قد حُجِبتْ / في جَوِّهـا بمُتـون البيض والأسَلِ

حتى بلغتَ المُصَلَّى خاشعاً نَسِكاً خشـوعَ جَدِّك في أزمانِـهِ[١] الأُوَلِ

فقمـتَ فيهـم خطيباً مِصْقعـاً لَسِناً بـكلِّ مُنْفَصِلٍ نَثْـراً[٢] ومُتَّصِلِ

فأيُّ قلـبٍ جليدٍ لَم يرقَّ لهمْ وأيُّ موعِظةٍ غرَّاءَ لَم تُقَلِ

بلاغـةٌ [نبـويُّ النَّظـم][٣] مُحْكَمُها وخُطْبَةٌ لم يَنَلْها مُهْمَـلُ الخَطَـلِ

أبنـتَ الحـقَّ ما قد كان مُشْتَبِهاً مـن الهُدَى فَتَجلَّـى كُلُّ مُشْتَكِلِ

برهـانُ صِدّقٍ شَفَيتَ الأولياءَ بهِ وسُقْتَـه بين رَيْثِ القَـول والعَجَلِ

نالـوا بمـا سمِعـوا الزُّلفَـى فما افْتَرَقـوا إلاّ وهُـمْ من رضـا الرّحمـانِ في جُمَلِ

ومحص الله ما كانـوا قد اقْترفوا حتـى تَبـروا من الآثـام والزَلَلِ[٤]

ونص أمير المؤمنين العزيز بالله ع.م على ولده أبي علي المنصور ، وكناه الحاكم بأمر الله صلوات الله وسلامه عليهما[٥] وعلى آبائهما الأكرمين ، وأبنائهما الطاهرين ، وفوض إليه عهده ، وجعله الخليفة من بعده ، وكان ذلك في شهر شعبان من سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ، وأشهر[ذلك في][٦] جميع أوليائه الملتزمين بدعوته ، وكانت القواد والأمراء من أهل مملكته ، وكتب إلى دعاته في الجزائر

---

(١) أزمانه : لزمانه في ب

(٢) نثرا : تترى في جـ

(٣) نبوي النظم : بنوي نظم في ب

(٤) ديوان الأمير تميم منشورات دار الكتب المصرية ص ٣٤٢.

(٥) يروي المسبحي في كتابه تاريخ مصر أن الحاكم قال له : استدعاني والدي قبل موته ، وهو عاري الجسد ، وعليه الخرق والصماد وقبلني وصمني إليه وقال: واغمى عليك يا حبيب قلبي ! ودمعت عيناه ثم قال: امض يا سيدي فالعب فأنا في عافية. واشتد المرض بالإمام العزيز وهو في بلدة بلبيس فاستدعى الدعاة والرؤساء ، ومنهم القاضي محمد بن النعمان وأبا محمد الحسن بن عمار الكتامي وأمين الدولة ، ونص أمامهم على إمامة ابنه الحاكم من بعده .

(٦) ذلك في : سقطت في ب

/٣٢٤ / يعرفهم أنه القائم بخلافته ، والأمر والنهي في دولته ، وأقام أمير المؤمنين العزيز بالله ع.م ، وأيامه في إقبال ، وملكه في عز لا ينال ، وقد دان له كل معاند ، واستقام كل جائر معاند ، وأهل دعوته يدخلون إليه ، ويستمعون من علوم صلوات الله عليه ، وعدله ظاهر ، وملكه قاهر ، وسعده زاهر ، والخير إليه من الله متواتر ، كما مدحه الإسكندر (رح) بعد أن ذكر أهل البيت صلوات الله عليهم ، فقال[1] :

سئمت من البين الذي ليس يصدق ... فلست بغير الحق والصدق أنطق
أأمدح رهطاً غير رهط محمد ... وفي الجيد عهد للإمام موثق
ولا فضل لي في ذا بل الفضل فضل من ... بهم يحرم الله الأنام ويرزق
أئمة دين الله من قام دينه ... وأنوار هذا الخلق من قبل يخلق
محبتهم فرض على الناس واجب ... وعصيانهم كفر إلى النار موبق
هم العروة الوثقى هم منهج الهدى ... هم الغاية القصوى التي ليس تلحق
ولولاهم لم يخلق الله خلقه ... ولم يكن في الدنيا ضياء ورونق
هم دوحة الدين التي تثمر الهدى ... وباليمن والتقوى تظل وتسبق
تجير من الأثام من يستظلها ... وتحمي من الموت الجهول وتطلق
/٣٢٥ / بهم قامت الدنيا قديماً وحادثاً ... وفيهم كتاب الله بالوحي ينطق
سقاها غمام الوحي علماً فأينعت ... بمكنون علم الله فالدين مونق
جرت في تخوم المكرمات عروقها ... وفوق الثريا فرعها متعلق
هم الأصل منها والأئمة فرعها ... ففي كل عصر نورها يتألق
إلى أن تسامت بالعزيز ولم تكن ... بغير أبي المنصور أولى وأليق
فباهت على الأيام أيامه التي ... تكاد لها صم الجنادل تورق
سحائب جود لا يغيب غمامها ... وبحر سماح بالندى يتدفق

(١) تعرف هذه القصيدة بذات الدوحة .

لئـن فقـد النـاس المعـز لدينه لقـد قام بالـدين العـزيز الموفق
تجـددت الـدنيا علينـا بيمنه فـلا العيش مذمـوم ولا الدهـر أخرق
ولا الجـود ممنـوع ولا المجـد خامل ولا العـرف مقطـوع ولا النكر مطلق
تضـوع نشر العـدل في كل بلدة ونشر الثنـاء الـطيب للـطيب يعبق
ملئـت قلـوب العارفـين محبة فـكل على مقـداره يتشوق
فلا صامـت إلا بحبـك مضمر ولا ناطـق إلا بشـكرك ينطق
فضائـل مولانـا العـزيز جليلة إذا عد فضل فهـو بالفضـل يسبق
ولما رأيت الشعـر قد قل أهله وأعجـز أبيضـاً من به يتخلق

٣٢٦/ غرسـت على بيت من الشعـر دوحـة / لهـا أغصـن في وزنـه حـين تنسق

فألفـت من بيت بيوتـاً كثيرة ولكنهـا مع ذاك لا تتفرق
فتسـع وتسـع عن يمين ويسرة على كـل حرف منـه بيت مغلق
بمـدح أمير المؤمـنين لأنـها لعمـري بـه مـن سائـر النـاس أخلق
عليـه صلاة الله مـا لاح كـوكـب ومـا ناح في الأيك الحمـام المطوق
كسـا الـدين والـدنيا العـزيز جلابياً مـن اليمـن والإيمـان لا تتمزق
كساعـد لـه الأيام نوراً وبهجة منهـا ألسـن الأيام بالشـكر تنطق
كسـا الـدين بالمعـروف والجـو دجنة تحصنـه ممـن يحيد ويمرق
كسـا الـدين والـدنيا حدائـق نعمـة فـروض ثرى الإيمـان بالزهـر مونق
كسـا الـدين والـدنيا نزار سلامة تـزيد على طول الزمـان وتسبق
كسـا الـدين والـدنيا نزار جلابياً مجـددة فـي نعمـه ليسـت تخـلق
كسـا الـدين والـدنيا نزار جلابياً مـن اليمـن والإقبـال فالدهـر مطرق
كسـا الـدين والـدنيا نزار جلابياً من اليمـن والايمان فالشـك مغلق
كسـا الشرق والغـرب الإمـام غرائباً مـن الجـود والإقبـال فالدهـر مشرق
كسـا الـدين من لا دين الا بحبه علـواً فسيف الحـق بالحـق مطلق
كسـا الـدين والـدنيا العـزيز جلابياً بأيامـه اللاتي بهـا العـز يورق

كسا الدين والدنيا نزار هداية   يبيت بها قلب المعاني يخفق
كسا الدين والدنيا نزار جلابياً   ترى النور في أغصانها يتألق
كسا الدين والدنيا نزار جلابياً   من اليمن تردي للطغاة وتوثق
٣٢٧/ كسا الدين والدنيا نزار جلابياً   من اليمن والإيمان فالأمر موثق /

ثم ان أمير المؤمنين ع . م نزار برز ببلبيس في سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وأمر بجمع عساكره ، من النواحي والأقطار ، والجزائر والأقاليم ، وجد عزمه ع . م على المسير إلى العراق ، وقصد بغداد يريد إحياء دين الإسلام حين انتقصت سرائره ، وطغت في الخلق جبابره ، وتغلب العجم على العرب ، وبلغت منها المراد والأرب ، وكثرت الذنوب ، والآثام ؛ وأقبل الناس على الحرام ، حمية منه على دين جده النبي محمد (ﷺ) حين درست من الدين معالمه ،وكثر جاهله ، وقل عالمه ، فوافاه ببلبيس ما وافى الأنبياء والخلفاء الفاضلين، من نزول أمر الله المقدر، وحكمه الواقع بكل بشر، وكانت وفاته بعد خروجه من الحمام بعد أن قضى صلاة الظهر يوم الثلاثاء الثاني عشر[1] من شهر رمضان المعظم في سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وله من العمر إثنان وأربعون عاماً وأربعة أشهر ، وأربعة عشر يوماً ؛ وكتم موته ، وحمله عبده قائد عسكره برجوان حتى أدخله القاهرة ، فدفن في القصر هناك ٣٢٨/ / صلوات الله عليه وبركاته ، ورضوانه ورحمته ، وعلى آبائه الطاهرين، وأبنائه الأخيار المنتجبين ، والحمد لله وسبحان الذي قضى بنزول الحمام على جميع الأنام ، وقال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجلالِ وَالإِكرامِ ﴾[2] وعلى محمد رسوله أفضل الصلاة ، وأسنى السلام ، حسبي الله ،

(١) مات الإمام العزيز ببلبيس ، وكان قد خرج بجيوشه إلى الشام، في الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٣٨٦هـ ، وهو في الرابعة والأربعين من عمره ، وقد عزا ابن خلكان وفاته إلى مرضه من حصاة في المثانة وقولنج ، وقال إن طبيبه أخطأ في وصف الدواء الذي شربه وهو في الحمام ، فمات من ساعته ، ولما اشتدت على العزيز وطأة المرض، استدعى إليه القاضي محمد بن النعمان المغربي، وأبا محمد الحسن بن عمار زعيم كتامة، واستشارهما في تولية ابنه المنصور أبي علي. وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٥٣ . وهناك رواية أخرى هي أن العزيز توفي بالقاهرة قبل خروجه إلى الشام. النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٢١ .

(٢) سورة : ٥٥/ ٢٦ ـ ٢٧ .

ونعم الوكيل، بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، الحمدالله الذي أسبغ نعمه ظاهرة وباطنة، وجعل آيات دينه بارزة كامنة، وصلى الله على خير رسول اصطفاه وجعل الأمم لدينه دائنة، محمد المصطفى الذي جعل الله له فضائل الوحي ومحاسنه، وعلى وصيه الذي شيعته الخالصة من عذاب الجحيم آمنة، والفرق الناكثة الخاسرة هي التي لاقته بالمحاربة والمباينة، وعلى الأئمة من ذريتهما الذين جعلهم الله منابت الفضل ومعادنه، وجعل رحمته على عباده بإمام منهم بعد إمام، هامية هاتنة.

ذكر لمع من أخبار ما كان في أوان الإمام الحسن أبو علي المنصور الحاكم بأمر الله بن أمير المؤمنين الإمام نزار العزيز بالله، صلوات الله عليهما، وعلى آبائهما، والخلاصة من / أبنائهما، وسلم. ٣٢٩/

كان مولد الإمام الحسين يوم الخميس الثالث وقيل الرابع من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين[1] وثلاثمائة، ونشأ على الفضل، والطهارة، والنبالة؛ وأتاه الله الحكم صبياً، وبلغ في صباه مكاناً علياً، وارتقى إلى ذروة الفضائل، وغاية الشرف الكامل، فنصبه أبوه الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين في ولاية العهد، كما ذكرنا في شهر شعبان من سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة. ولما أن نقل الله الإمام العزيز بالله ع. م إليه، واختاره لديه، بويع الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين بعد أن أفضيت الخلافة إليه، سلخ شهر رمضان من سنة ست وثمانين، وهو يومئذ لإحدى عشر عاماً، وكان إماماً عظيماً، جواداً كريماً، مخوفاً مهيباً، دانياً من الناس، قريباً يسمع الشكايا، وينصف في القضايا، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يغضي عن الذنوب والجرائم، ولا يؤخر إنصاف المظلوم من الظالم.

---

(١) ولد الحاكم بأمر الله بالقصر الفاطمي بالقاهرة المعزية في الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة ٣٧٥هـ. وأمه أم ولد، وقد كانت حسبما تقول الرواية الكنسية المعاصرة، جارية رومية نصرانية من طائفة الملكية، وكان لها أيام العزيز نفوذ عظيم في الدولة. كان عمره بالضبط إحدى عشر عاماً وخمسة أشهر وستة أيام. المقريزي: خطط جـ ٤ ص ٦٨. إبن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٥٣.

وكان قاهر السلطـان ، ظاهـر البرهـان ، ينبـىء بالكائنات قبـل كونهـا ، قـد أطلعه الله مـن علم آبائه على الأنباء وباطن مكنونهـا . قال الداعـي حميد / ٣٣٠ / الدين حجة العراقين أحمد بن عبدالله الكرماني : في ما أشارت به الأولون ، وبشرت به من ظهور الحاكم بأمر الله وعظيم فضله ، وعدله ، وأول ما ينطق بصحة ذلك ، وأن المبشر به المنصوص عليه بالعلامة قول إيشاعيا النبي في التوراة مخاطباً للدعاة بالرمـز بشـارة لهـم ، حيث يقـول[1] : [كلّي ما وديت صبـوت هو ربعـي بث بروشديم][2] أفرح وأشكر رعاة بناه هبـوت[3] مليكخ بوربولـوح[4] صديق بيت المقدس ، فإن ملكك [ويسوع عوني] هيني[7] وروخيت على حمور قد جاءك صادق مطهر من الأدناس [وعلى عابر بن آثرِ تون زاهد][6] على حمار الوحش ، والأتن . قال الداعي مفسراً: فهل الرعاة إلا الدعاة؟ وهـل النبـات إلا المؤمنـون؟ وهـل بيت المقدس إلا الإمام؟ وهـل ما قالـه من العلامـة إلاّ بشـارة للدعـاة؟ بقولـه : فإن (ملكك)[8] قد جاءك صادقاً مطهراً من الأدناس زاهداً ، راكباً على الحمار وعلى العير والأتن ، إلاً مـا عليه حال الإمام ع . م؟ فأي دلالة أصدق / وأوقع للحـس مـن / ٣٣١ قيام ما قاله فيه ، من ركوب الحمار وزهده؟ إلى قوله : ثم نقول: قد يقع الظن بأن الذي قاله إيشاعياً (ع) من هذه البشارة التي ذكرناها هو بشارة بعيسى ع . م بكونه راكباً على حمار، زاهداً من دون غيره ، والذي يبين أن [الإشارة][9] يقول ذلك في هذا الموضع هي بالإمام ع . م. من دون عيسى ع . م، ويؤيد الحكم ويقطعه ، قول

---

(١) رسالة مباسم البشارات لحجة العراقين أحمد حميد الدين الكرماني ورقة : ١٣ .

(٢) سقطت الكلمات المحصورة من ب

(٣) هبوت : صيون في ب

(٤) بوربولوح: يونولوح في ب

(٥) ويسوع عوني : ،ويوشع عو في ب

(٦) وعلى عابر بن آثرِ تون زاهد : راكب على حمار في ب

(٧) هيني: ني هي في ب

(٨) ملكك: ملك في ب

(٩) الإشارة : البشارة في ب

إيشاعيا ثانياً أنه يهلك المفسدين ويغنيهم بريح شفتيه، حيث يقول مخبراً عن أفعال الزاهد الراكب الحمار الذي بشر به: وشوفاط بصدق [ولم وهو جيح بميسور لمعوي][1] ويقضي بالصدق، والعدل للضعفاء والفقراء، ويريح الخواص المتواضعين، أو رص وهكتوا[2] أبرص [سبط سود بردج شفوتو الأرض][3] ويضرب الأرض بعض فمه وبريح شفتيه يوميت روسوع[4] يميت المفسدين، ثم كون عيسى ع. م من هذه الأفعال خالياً من الشهادة العظمى بأن البشارة ليست به، إذ لم يبق في قومه فيقال انه يحكم بالصدق، والعدل، ولم يقتل أحداً، ولا أمات مفسداً، ٣٣٢ / / ولا أمر بذلك فيقال انه قتل، وأمات، وإذا كان ذلك كذلك؛ وخلا عيسى ع. م من أحكام هذه [الأفعال][5] خلصت هذه [القضايا][6] التي [هي حكم][7] إيشاعياً بها للحاكم ع. م، بقيام إمارتها فيه، إذ هو الزاهد الراكب الحمار الذي قد أفنى المفسدين ويفنيهم، أبداً بحركة شفتيه، بقوله: خذوا رأس فلان، أو اقتلوه بعصيانهم، وإفسادهم، [ولم تصحّ إلاّ فيه، إنّ ذلك لشيء عُجاب][8]. قال: وتأملنا بحثاً عن الوقت والمدة في ذلك ليكون ما يقوم من الشهادة بذلك مؤكداً، لما سبق من الشهادات والبشارات به، فوجدنا ما يحقق ما قلنا قول ذي ينال في [النبي «ﷺ» في][9] المدة التي أومى إليها من أيامه التي هي تاريخ الإسكندر بشارة حيث يقول: أسرى هام حكى و[ويكيح ليفي ميم أبلد وشلوشماوب][10] طوبى لأولئك[11]

(١) ولم وهو بميسور لمعوي : وهو صيح بسور لغوي في ب
(٢) وهتكوا: هنكوا في ب
(٣) سبط سود بردج شفوتو الأرض : سبسط سو وروح الأرص في ب
(٤) روسوع : روسوم في ب
(٥) الأفعال : الأحكام فعالى في ب
(٦) القضايا : الأحكام في ب
(٧) هي حكم : قضى بها في ب
(٨) ولم تصح إلا فيه، إن ذلك لشيء عجاب: ولم يصح هذا الشيء عجيب في ب
(٩) النبي (ﷺ) في : سقطت في ب
(١٠) ويكيح ليفي ميم أبلد وشلوشماوب : يكيع ليوميم ألف وسلوس في ب
(١١) لأولئك : لإمام في ب

الموحدين لأيام ألف وثلاثمائة وشلوشيم[1] وأخمشوا؛ أي طوبى للموحدين في زمن ألف وثلاثمائة وخمسة وثلاثين سنة من زماني، وذلك يصدق ما ذكرناه من جهة كوننا من هذا التاريخ في ألف وثلاثمائة [وسبع][2] وعشرين سنة التي بقي إلى الوقت

٣٣٣ / / المبشر به تسع سنين فهذا القول مما اورده حميد الدين نضر الله وجهه، وأتى بغيره من الشواهد والدلائل، على الحاكم بأمر الله ع . م، من الفضائل، وكان اعتياده ع . م على التقشف، والتزهد، مع ما أتاه الله من ملك، عظيم، وعز ونعيم، حتى انه ركب يوما وخلفه ألف ألف عنان، على ما أتت به الروايات، وأسنده الثقات؛ فلم يمنعه ذلك عن التنكر، ولبس الصوف، والتردد من مسجد إلى مسجد، ليلاً ونهاراً، ومن منارة إلى منارة، وفرق الأموال، وهانت عنده، فكان يعطيها الفقراء والمساكين، وينعم على كل من طلبه، ولم يرد سائلاً سأله، ولا يخيب أملاً أمله[3].

ولقد روي أنه خرج وفي كمه شيء من المال منه نقد وغيره، وكانت عادته كل يوم يخرج فيه، فلما كان في يوم وهو داخل إلى باب قصره، وقد كثر الطلاب عليه في أمور الدنيا وحطامها، فرمى بما كان في كمه، وقال: ألا يسأل سائل عن آية من

---

(١) وشلوشيم : وثلوثيم في ب

(٢) وسبع : وستة في ب

(٣) عرف الحاكم بأمر الله بالسخاء والبذل، وكان يسرف في العطاء إلى حدود تهدد مالية الخزينة وتثير اعتراض الوزراء ورجال الدولة ومما يؤثر في ذلك أن أمين الأمناء الحسين بن طاهر الوران اعترض ذات مرة على إسراف الحاكم في الصلات والعطايا، وبلغ الحاكم اعتراضه وتوقفه في تنفيذ الأوامر، فبعث إليه بخطه في التامن والعشرين من رمضان سنة ٤٠٣ بهذه الرقعة المؤثرة: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله كما هو أهله ومستحقه:

أصبحت لا أرجو ولا أتقي إلا إلهي وله الفضل
جدي نبي، وإمامي أبي وديني الإخلاص والعدل

ما عندكم ينفد، وما عند الله باق، والمال مال الله عز وجل، والخلق عيال الله، ونحن أمناؤه في الأرض، أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام. الاشارة إلى من نال الوزارة ص ٢٩ .

كتاب الله، أو عن خبر عن رسول الله (ﷺ) . وكان يكثر التفرد بنفسه، والخروج

/ ٣٣٤ إلى الفيافي / والقفار، فيقيم بها اليوم واليومين، وأكثر من ذلك؛ ويكمن له الأعداء مراراً في الطرقات، فإذا أشرف عليهم تحيروا في أمره، وأسقط ما في أيديهم، حتى انه ليأمر بعضهم بقتل بعضٍ. ومعجزاته، وفضائله، قد ذكرها أهل السير، وعرفها الخاص، والعام.

ولقد أتى في الروايات عن بعض الثقات أن رجلاً من أهل الولاية والإيمان أجنهُ الليل، وهو في سفر فعرج إلى قرية من ديار مصر، فدخل مسجداً من مساجدها، فلما حانت صلاة المغرب اجتمع إلى المسجد من يصلي فيه من جيرانه، فحين فرغوا من الصلاة أقبل بعضهم على بعض، وهم يسبون أهل الدعوة أعظم السب، ويثلبونهم أقبح الثلب؛ وكان أكثر سبهم يتوجه إلى الحاكم بأمر الله ع . م، وهم من الناصبة المعاندين لأهل البيت ع . م، وذلك الرجل المؤمن يسمع قولهم، وهو كأنه يتقلى على الجمر، ولا يستطيع[1] شيئاً أكثر من الدعاء إلى الله ع . ج، والإستغاثة به، وبوليه أمير المؤمنين، وما زالوا كذلك حتى صلوا العشاء الأخرى؛

/ ٣٣٥ ثم عادوا لما كانوا فيه إلى أن مضى هوي من الليل، ثم راحوا / إلى بيوتهم؛ وبات الرجل في المسجد، فلما كان وقت الفجر توضوا ودخلوا فصلوا، وعادوا لما كانوا فيه من السب، والرجل[2] المؤمن لا يفتر عن الدعاء عليهم، وتوجيه اللعن إليهم، ويتأسف على عدم النصير. وخلو المكان من المعين له والظهير، فهو كذلك إذ بأمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع . م قد أقبل وحده حتى دخل، وكان السابون له إثني عشر رجلاً فقام كل واحد منهم إلى سكينه، وأقبل بعضهم يطعن[3] بعضاً، والإمام قائم بينهم، وهم يظنون أنه يطعنهم ويطعنونه، حتى قتل بعضهم بعضاً، وصاروا في المسجد لقاء .

(١) ولا يستطيع : سقطت في ب
(٢) والرجل : وجال في ب
(٣) يطعن : طعن في ب

وخرج أمير المؤمنين ع . م فركب وسار ، ووليه بين يديه . وكثير من ذلك قد وصف عنه صلوات الله عليه ، وكان صلى الله عليه ربما يمر في الأسواق وحده ، يقيم الحدود ، ويزيل المظالم ، ويرغم الظالم ؛ وحرم الخمر وشدد في تحريمها ، فلم ينته أكثر الناس عنها ، وأكثروا شربها في الستر والخلوات ، حتى حرم العنب على من يعرف أنه يحيله خمراً . ثم أباح الكرم ، وأدام التشديد على تحريم الخمر ، وكان من أتى منكراً قد يخلو بنفسه / ويفعل ما بدا له من أمره ، فلا يعلم إلاَّ والإمام قائم على رأسه ، فيقيم الحد أو الأدب عليه بقدر ما احتقب من الذنب ، واقترف ، وأكسب ، وظهر منه من المعجزات والآيات ما ظهر وأشهر وبهر ، فغالى فيه كثير من الناس ، وادعوا له الإلهية كفعل الذين غلوا في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع . م والصلاة ، فعظم ذلك عليه ، وعاقبهم بأنواع العقوبات ، وقتل منهم خلقاً عظيماً ؛ نعوذ بالله من الغلو في أئمة الحق ، والتقصير المؤديات إلى عذاب السعير.

/ ٣٣٦

وكان برجوان هو والوزير بن عمار[1] قد تغلبا على المملكة ، وأساءا التدبير ، وأفسدا الكتاميين والعسكرية ، وبسطا أيديهما في الرعية بالجور ، والظلم ، والعدوان ، والإثم ؛ وكان أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع . م ينهاهما عن ذلك ويعظهما ، فلا يزيدهما قوله إلا طغياناً ، وبغيا ، وعدواناً ؛ وهو ع . م يمهلهما ، ويردد الحجة عليهما ، والموعظة فلم ينتهيا عن بغيهما ، ولا يرتدعا عن غيهما ،

(١) وأوصى العزيز قبل موته بولده ثلاثة من أكابر رجال الدولة : هم : برجوان الصقلبي خادمه وكبير خزائنه ، والحسن بن عمار الكتامي زعيم كتامة ، أقوى القبائل المغربية ، وعماد الدولة الفاطمية منذ نشأتها ، ومحمد بن النعمان قاضي القضاة . وسرعان ما نشب الخلاف بين برجوان وابن عمار واشتدت المنافسة بينهما ؛ وظهر ابن عمار بمظهر الطاغية المطلق ، وأغلق بابه إلا على الخاصة والأكابر من كتامة ، وقطع معظم الرسوم والأرزاق ؛ ولما أدرك برجوان خطر ازدياد نفوذ إبن عمار وتآمره على الخليفة ، كاتب بنجوتكين واستدعاه بقواته من الشام ، فاستعد ابن عمار وأذاع أن بنجوتكين ينوي الخروج والثورة ، وزحف بقواته للقائه ، فالتقى الفريقان في عسقلان ، وانهزم بنجوتكين ومزقت قواه ، ولكن إبن عمار عفا عنه جمادي الأولى سنة ٣٨٧ هـ . المقريزي : خطط جـ ٣ ص ٥٧ ، ٥٨ .

فأخربا المملكة ، وأفسدا أهل الدولة ، واستخفا بقول الإمام ع . م وأطغاهما ،
/ ٣٣٧ أنـاته عنهما ، / وحـلمه عـن تعجيل الإنتقـام منهما . قال زيدان أحـد المتوالين للإمام الساعين في خدمته : كنت ذات يوم قد دخلت فيمن دخل على الإمام الحاكم بأمـر الله فأومـى إليَّ أن لا أبـرح . قال : فوقفـت ناحية . فلما انفض المجلس إستدعاني ، فحين قربت منه ، قال : يا زيدان[1] ! قلت لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : أفيك خير ؟ قلت : الخير منك يا أمير المؤمنين ، ولأمرك أتبع ، وأنا لا أعلم مراده . فقال : إني قد عزمت على قتل هذا العبد السـوء برجـوان[2] ، لأنـه قد استصغرني واستصبأني، فأريد أن تتولى قتله . قال زيدان : فأوجسـت الأرض ساخت بي ، وخفت أن يكون قد أغضبه في أمر من الأمور فأفشى إلى غـيري ما أفشاه إليَّ ، وأن يكون أحد قد سمع الأمر فينقل ذلك إلى العبد برجوان ، فيقطعني إرباً ، ويقتل كل صقلبي في-الدولة ، لما كان له من التغلب ، والبسطة ، ونفـاذ الأمر ؛ ولـم يكن إلاَّ أن قلت لمولانا ع . م : سمعاً وطاعـة لأمـرك ، وأنـا أريد
/ ٣٣٨ الخـلاص ، والإنفلات من يده . فقـال لي : إمـضِ / إلى الوقـت الـذي أمرك به . قال : فخرجت ، وأنا أتلفت خوفاً أن يبلـغ الأمـر برجـوان ، ومـررت إلى موضعي ، فأقمت ليلتي ويومي خائفاً مترقباً لا التذ نوما ، ولا أذوق طعاماً وشراباً ، ولـم أحضر إلى الإمام كالعادة ثاني ذلك اليوم ، ولا ثالثه . ثم ظننت أن ذلك شيئاً خطر في قلب أمير المؤمنين لأمر أغضبه، وأنه قد زال من قلبه وسكت ؛ ومضت الأيام

---

(١) زيدان الصقلبي كان يحمل المظلة الخاصة بالخليفة ، وهو من رجال البلاط المقربين ، ومن أكبر خصوم برجوان .

(٢) تشير المصادر التاريخية الى أن الحاكم استدعى الحسين بن جوهر قائد القواد وعهد إليه بمهمة التخلص من برجوان ، وفي ذات مساء طلب الحاكم من برجوان الركوب معه ، وانتظره في بستان قصر اللؤلؤة ومعه زيدان حامل المظلة ، فوافاه برجوان هنالك ، وبعد أن سلم سار الحاكم حتى خرج من باب البستان ، فوثب زيدان عندئذٍ على برجـوان فطعنـه في عنقـه بسكين ، وانقضَّت عليه جماعة كانت قد أعدت للفتك به ، فأثخنوه طعناً بالخناجر واحتزوا رأسه ، ودفنوه حيث قتل في ربيع الثاني سنة ٣٩٠ هـ . المقريزي : خطط جـ ٣ ص ٥ . نهاية الأرب جـ ٢٦ ص ٥٢ وفيه أن مقتل برجوان كان سنة ٣٨٩ هـ .

والشهور ، ونسيت الحال حتى كان مثل ذلك اليوم بعد انقضاء عام ، ودخلت في جملة المسلمين ، فأوحى إليَّ ع . م بالوقوف ، وأنا لا أعلم مراده ؛ فلما انصرف أهل المجلس ، قال : يا زيدان ! قلت : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : إني قد أزمعت على ما كنت منذ عام ذكرته لك ، وكنت قد أنسيت الحال ، فقلت : وما هو يا مولانا ؟ قال : ما كنت قلته لك من قتل برجوان ، إنه قد مان وخان . فقلت : نعم يا مولانا ! بانبساط ونشاط غير الأول ، لأن الحديث انكتم ، فلم يطلع عليه أحد . فقال ع . م : قد أردت ذلك . فقلت : سمعاً وطاعةً يا أمير المؤمنين ، وقد علمت أنه أمر قد كتمه عن / العالم سنة . فقلت : يا أمير المؤمنين ! تأمرني بأمرك أمتثله . فقال لي : وكيف تقدر أن تفعله ؟ وكان ع . م يواصل الركوب إلى القصور ، فقلت : يا مولانا أتقدم إلى عبيدك أصحابي إذا صار بالطريق يرمونه بالرماح فيقتلونه . فقال ع . م : ما هذا من الرأي فإنه يقوم عند ذلك أصحابه وأتباعه عليك ، وعلى أصحابك ، ولا آمن ما يجري في العسكر . فقلت : يا أمير المؤمنين ! فكيف يكون الأمر ؟ فقال : ع . م : أنا أظهر عمارة البستان الكافورية ، المعروف باللؤلؤة ، وأتقدم إليك بعمارته ، وأتيك في كل يوم وهو معي ، إلى أن أمرك به[1] . فقلت : السمع والطاعة . فلما كان الغد ركب ع . م إلى اللؤلؤة ، وأظهر عمارة البستان ، وقال: أريد أن تتخيروا لي من يصلح لعمارته ، فأشار كل بمن يراه . فقال ع . م : من يصلح أنا أعرف من يقوم لذلك ، ويصلح له ؛ ثم قال : آتوني بزيدان [2] . قال : فأحضرت إليه ، وتقدم إليَّ بعمارته ، وإنشاء أبنيته في الحال ، فامتثلت أمره ، وتقدمت في الوقت الحي بخط البناء ، وزرع رياحين وفواكه ، / وواصلت عمارته ، وأمير المؤمنين ع . م

٣٣٩ /

٣٤٠ /

---

(١) ولما عاد الحاكم إلى القصر كان خبر مقتل برجوان قد ذاع على لسان خادمه عقيق ، فاضطربت البطانة ، وأشرف الحاكم عليهم ليرى الخبر ، وصاح فيهم زيدان: من كان في الطاعة فلينصرف إلى منزله ويبكر إلى القصر المعمور . فانصرف الناس ، وفي نفس المساء اتخذ الحاكم عدته لتوطيد الأمور ، واستدعى الرئيس فهدأ من روعه، وأقره في منصبه ، وصودرت أموال برجوان وكانت عظيمة طائلة ، واختفى أصدقاؤه من الميدان .

(٢) بزيدان : سقطت في ب

يطل إلى ذلك الموضع ، وينقد[١] عملي كل يوم ، وبرجوان معه ، وسائر الأستاذين ، والقواد ؛ وانقطع عن الركوب إلى خارج القصر إلا في الأحيان .

ولما كان في اليوم الذي أراد فيه قتل برجوان وصل إليَّ وحده ، فقال لي : يكون قتله في غد ، فانظر من تثق به ، وتختاره لذلك . فقلت : أخي جعفر ، وعددت جماعة . فقال : متى[٢] يكون دخولهم ؟ قلت : بأمر مولانا . فقال : أما تستدعيهم فرادى ، أو تقدم إلى كل واحد منهم في أن يكون دخولهم في الليل ، وتقدم إلى البواب أن يكتمهم في بيت يقرب الموضع الذي آمرك بقتله فيه ، ففعلت ذلك . فلما أن كان من الغد جاءني بسحر ع . م ، ومعه برجوان وحدهما ، وطاف في البستان حتى أتى العمارة التي قتل فيها برجوان ، وقد وافقني فيها على الفور ، فاجتاز وتشاغلت عنه ، واستدعاني فأتيت عجلاً وأظهرت اني كنت مشغولاً فلم أعلم به ، وقبلت الأرض ، وجعلت أعتذر ؛ ثم التفت فأمرني سراً [وأشار إليَّ][٣] فتركته ع . م وعدت إلى خلفه ، إلى برجوان ، فقبلت رجله وركبته ، وجعلت أعتذر إليه / إنني اشتغلت بمولانا عن خدمته ، وقضاء /٣٤١ حقه ؛ ثم جسست ثيابه خوفاً من أن يكون عليه شيء من الحديد ، وقلت : إياك ، وقضيت القماري أن يصيب ثيابك ، وأمررت يدي على جسده . ثم أدخلت يدي في خفي ، وأخرجت حديدة معي ، ثم انكببت عليه فطرحته عن يميني وضربته على فؤاده ضربة عظيمة ، فصاح : قتلت يا مولانا ! بزعقة عظيمة[٤] . فبادر حفدته وخدامه ، والمصروف أمرهم إليه ، وضربه الإمام برمحه ، ونزعه عنه ، ورجع إلى الخدم الذين بين يديه وهم يصيحون ؛ غدراً يا مولانا !

---

(١) وينقد : وينتقد في ب

(٢) متى : كيف في ب

(٣) وأشار إليَّ : إلى قال في ب

(٤) وعلى هذه الصورة استطاع الخليفة الحاكم رغم حداثة سنه أن يتخلص من برجوان وغيره من الطغاة الذين استغلوا الظروف وحاولوا السيطرة على الحكم ، بعد أربعة أعوام من ولايته ، فطوى بذلك مرحلة الحداثة ، واستخلص السلطة لنفسه ، وبدأ حكمه الحقيقي . وكان الحاكم يومئذٍ في نحو الخامسة عشرة من عمره .

غدراً. فصاح عليهم وزجرهم ، وحمل عليهم برمحه ، ففروا أجمعين طالبين القصر ، وقد سقط برجوان[1] عن بغلته ، وعلاه الصقالبة من عبيد الإمام ع . م الذين كانوا معي بالسيوف، ووقعت الصيحة ، حتى خرجت والدة الإمام وأخته ؛ للخوف على الإمام لما يتوقع عند برجوان أو غيره ، فأمرهم الإمام بالرجوع ، ودخل القصر ، وأنا ممسك بركابه ، أنا والذي معي . ثم ركب بعد / ذلك الوزير أبو محمد الحسن بن عمار فلما وصل إلى الإصطبل لقيه هنالك الأتراك فقتلوه. ثم قتل بعده ابن الحسن بن عسلوج في الحجرة التي كان يسكنها الوزير يعقوب بن يوسف ، ثم قتل الذين كانوا يوالون برجوان ، والحسن بن عمار ، ومن عاقدهما على النفاق ، ووضع السيف في الغلاة ، وأهل الأعمال السيئات حتى أتى الكتاميون إلى باب أمير المؤمنين ع . م كاشفين رؤوسهم ، بباب الفتوح ، مستغيثين بأمير المؤمنين ، طالبين منه العفو والأمان ، فأمنهم ، وكتب لهم سجلاً بما التمسوه ، وقرىء في القصر ، وفي جوامع القاهرة . وهذا نصه[2] :

/ ٣٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله ووليه : أبي علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ابن الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين، إلى كافة الكتاميين.

سلام عليكم : فإن أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو ، ويسأله أن يصلي على جده محمد نبيه ورسوله ، وعلى أخيه ووصيه ، وعلى الأئمة الطاهرين من نسله ، صلوات الله عليهم أجمعين وسلامه .

---

(١) تذكر المصادر التاريخية أن برجوان استغل منصبه في جمع المال لنفسه ؛ بحيث قدرت ثروته بأكثر من مائتي مليون دينار ذهب ، وخمسين اردباً من الدراهم الفضة ، واثني عشر صندوقاً من الجواهر ؛ هذا عدا الأملاك والضياع والخدم والبقر والأنعام والجاموس ، واسطبلات الخيل ، وأهراء الغلال ، وغير ذلك الثياب ، التي كانت تعد قطعها بالآلاف من المناديل والقمصان والسراويل ، والتكات ، وآلاف قطع القماش من كل صنف . إبن أياس جـ ١ ص ٥١ ـ ٥٢ . صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٧٨ ـ ٤٧٩ .

(٢) نشر هذا الكتاب الدكتور ماجد في كتابه الحاكم بأمر الله ص (٣٦ ـ ٣٧) .

أما بعد : فإن أمير المؤمنين لما جبله الله عليه ، وفطره من الرأفة والرحمة بأولياء
٣٤٣/ دينه[1] / ودولته ومن تحويه مملكته ، بالإحسان إلى محسنهم ، والتجاوز عن مسيئهم ، لما رأى من جماعتكم مستسلمين ومتنصلين مما سلف ، وراغبة سائلة للعفو عنكم ، وترك مؤاخذتكم بما كان منكم ، والإستئناف بكم ما استأنفه آباؤه الأئمة المهديون [صلوات الله عليهم ،][2] من أوّليكم من آبائكم وأجدادكم ، وجرت به رسومكم في النفقة عليكم ، وهبة مسيئكم لمحسنكم ، ومفسدكم لمصلحكم ، عطفته عليكم عواطف رحمة خالقه لكم بعفوه[3] عن جماعتكم ؛ فأجاب سؤالكم في إزالة ما استشعرتموه وحذرتموه ، وخفتم أن يكون أمير المؤمنين يواخذكم به ، وعفا[4] الله ذو المغفرة ، عفواً لا تثريب بعده[5] عليكّم ، [كما قال الله وهو أصدق القائلين ، حكاية عن يوسف عليه السلام] ﴿ اليَوْمَ يَغْفُرُ الله لَكُم ، وَهُوَ أرْحَمُ الراحِمينَ ﴾[6] . ووسمكم من الرضا : بجديد الإختصاص لكم ، بإعادتكم إلى رسومكم ، والتكرمة بما أزال به ميسم السخط عنكم ، وأمنكم على أنفسكم بأمان الله ع . ج ، وأمان رسول الله ، وأمان أمير المؤمنين ؛
٣٤٤/ فثقوا بذلك واسكنوا إليه ، ولتنشرح صدوركم وتطمئن قلوبكم ، / وتراقبوا الله في خلواتكم ، واخلصوا نياتكم ، وليأخذ شيوخكم على شبانكم بكف الاذية ، ولزوم الطريقة المرضية ، واعلموا أن ذلك لكم ما أخلصتم وحسنت طاعتكم ، وليسمع الشاهد الغائب ، إن شاء الله تعالى . وكتب في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة .

قال الحسن بن جعفر الأنصاري (رح) في تاريخه : وأول من خالف على الإمام الحاكم بأمر الله ع . م ، أنخوتكين التركي فسير إليه سليمان بن جعفر بن

---

(١) دينه : سقطت في ب
(٢) صلوات الله عليهم : سقطت في ب
(٣) بعفوه : سقطت في ب
(٤) وعفا : عفوه في ب
(٥) بعده : سقطت في ب
(٦) كما قال الله وهو أصدق القائلين ، حكاية عن يوسف السلام : سقطت في ب

فلاح في عسكر عرمرم ، فأخذه سليمان بن جعفر أسيراً ، بعد أن هزم جيوشه ، وقتلهم ، ووصل به في الأسر إلى [الحضرة الإمامية][1] . ثم خالف أبو علاقة بصور فأظفره الله به[2] . وثار في أيام الحاكم بأمر الله ع . م رجل يكنى أبا ركوة واسمه الوليد بن هشام وانتسب إلى بني أمية ، من بني مروان[3] ، وكان في ابتداء أمره يعلم الصبيان في أعمال برقة ، ويطوف فيها ، ويستغوي الجهال ، ويقودهم إلى الضلال ، ويتزيا بزي الزهاد ، وهي ممن يسعى في الأرض بالفساد ، ويدعوهم في السر إلى الخلاف ، والمسارعة إلى الإجتماع على طاعته ، والإئتلاف، وهو / يأتي القرى والصحاري ، ويطوف في العمران والبراري ، فاجتمع إليه طوائف كثيرة من البربر ، وأرسل الأعراب والأنباط ؛ وأسرعوا إلى إجابته ، واجتمعوا على طاعته ، وصار في جيوش كثيرة ، فدعاهم إلى نفسه فأجابوه ؛ فبايعوه ، وعلى أمره تابعوه ، وتسمى بأمير المؤمنين ، وتسمى بالإمام الناصر للدين ، فاجتمعت إليه القبائل والعشائر ، وصار في جيش عظيم وافر ، وكان يطوف الأحياء مشتملاً على إظهاره ، وعليه مزور ، فحين عظم أمره ، واستفحل واجتمع له من الجموع ما حاول . أعلن أمره في جمادي الأخرى من سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، فجرد سيف بغيه ، وأخاف كل من اعتزى إلى الإمام الحاكم

/٣٤٥

---

(١) الحضرة الإمامية : الحضرة المارائية في ب

(٢) في سنة ٣٨٨ اشتعلت الثورة في صور بزعامة بحار مغامر يدعي العلاقة فقبض على زمام الحكم فيها وضرب السكة باسمه ونقش عليها هذه العبارة : عزاً بعد فاقة للأمير علاقة ؛ واستنجد علاقة بالأمبراطور باسيل الثاني ووعده بتسليم صور ، فبعث إليه المدد في البحر؛ فسارت إلى مياه صور وحدة من الأسطول الفاطمي بقيادة الحسن بن ناصر الحمداني وفايق الخادم؛ وحاصرت صور ونشبت معارك ضارية انهزم بعدها الروم وحلفاؤهم الخوارج ، وسقطت صور في أيدي القوات الفاطمية ، وأسر علاقة ، وأرسل إلى القاهرة فأعدم وصلب سنة ٣٨٨ هـ . ابن خلدون : جـ ٤ ص ٥٧ . إبن الأثير جـ ٩ ص ٤١ . تاريخ الإنطاكي جـ ١ ص ١٨٢ .

(٣) هو الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الداخل عرف بأبي ركوة لأنه كان يحمل ركوة دائماً معه .

بأمر الله ع . م ، وسار بجنوده نحو مقة من أعمال برقة ، فقتل من فيها ؛ ثم حث السير إلى قرنة ، وكانت مدينة تسكنها ملوسة ، ذات عمران وأنهار ، فحاول أهلها دفاعه عنها ، ومانعوه يومين متوال فيها القتال ؛ وصبروا لكثرة جيوشه صبر الأبطال ، فاجتمع عليهم أهل القرى التي في ناحيتهم والأعراب ، وتولوا قتالهم

/٣٤٦ مع جنود الوليد الأموي فكثروهم ، وأشعلوا بالنيران مدينتهم ، / وصبروا صبر الأبطال حتى استشهد أكثرهم ، وافترق باقيهم في الشعاب ، وهدم أبا ركوة قرية ، وأحلها للخوف بعد الأمنة ، واستولوا على ما كان فيها ، وهتكوا حريمها ؛ ثم صار في الحصون والقصور التي تليها يخرب بنيانها ، ويقتل سكانها ، حتى انتهى إلى عيون النظر ، فصلى الجمعة بها ، وخطب لنفسه فيها ، وحض من معه على الجهاد بزعمه ، وأباح لهم الدماء والأموال ، والفروج المحرمة بحكمه ؛ وزحف إلى برقة في جموع جمة العدد وكثرة من الجيوش والجنود فانتهى إليها ، في أول يوم من شهر رجب ، وضرب أخبيته في ملسله[1] وزحف من ساعته في جموعه وجيوشه حتى صار إلى مصلى برقة مقابلاً لأبواب برقة القبلية ، فوقع القتال بينه وبين من في برقة ، وقد ذمر أصحابه وشجعهم ، ومناهم ، ووعدهم أنه ذلك اليوم سيستولي على برقة ، ويخطب فيها ؛ فقاتلوا أشد القتال ، وتلقاهم من فيها من الرجال ، والتقى الأبطال بالأبطال ، وكلت أصحاب الوليد أبي ركوة ، وكان يوماً شديداً حلبه عظيماً نسبه ، وما زال القتال من ضحوة إلى الظهر ، ثم حتى انقضى

/٣٤٧ وقت العصر ، فصبر أهل برقة ؛ ودفعوا / أصحاب أبي ركوة ، ولم يبلغ قصده ، ولا أصدق الله وعده ، فعاد إلى مناخه فبات فيه ؛ ثم أدلج قبل أن يتبين الصبح ، فركب في عسكره ، وزحف إلى برقة فكان بينهم قتال شديد ، وضرب

---

(١) استطاع أبو ركوة أن يجمع عناصر حاقدة على الفاطميين بين البربر السنيين القاطنين بها؛ وبين قبائل عربية كانت ببرقة . يضاف إلى ذلك أن قبائل زناتة من البتر ، عدوة الفاطميين وأنصار الأمويين في الأندلس ، كانت قد تسربت إلى طرابلس أثناء النزاع بين يانس وباديس . وساعد على ذلك أن أبا ركوة قد عمل معلماً لأولادهم ، فأخذ يحرضهم على الحاكم ، وأظهر أن غرضه ليس إلا نصرة الإسلام ، والثأر لأصحاب الشريعة ، فانضم إليه أهالي برقة في حرب عسكر والي الحاكم ، وذلك في جمادي الآخرة سنة ٣٩٥ هـ .

يشيب بهوله الوليد ، فصبر أهل برقة ومن معهم من عبيد 'الإمام الحاكم بأمر الله ، وجنوده ؛ ولم يمهلهم الأموي ، وما أظهر من عنوده ، فقاتلهم أبو ركوة حتى مل الفريقان ، وقتل كثير من الرجال والفرسان ؛ ثم رجع الأموي إلى أخبيته ، وأبكر في اليوم الثالث للقتال[1] والحرب ، والنهب ، واشتد العراك والضرب ، والتقى الفرسان ، وصبر الفريقان ، ودارت فيهم رحى الضرب والطعان ؛ فكان فيهم يوم كثر فيه القتلى من الفريقين ، وعاين كل منهما طوالع الحين ، فحين رأى الأموي صبر أهل برقة رجع إلى مناخه ، وأمسك عن القتال ، وكانت خيله تغير إلى الأطراف ، وتقتل وتنهب في من سلك الطرقات ؛ ثم أتاه الخبر أن لواته قد أجمعوا أن يصلوا بالمادة إلى أهل برقة ، ويشفون بقتال الأموي ما عندهم من الغيظ والحرقة، وأهل برقة منحصرون ، وبذلك لا يشعرون / ؛ فحين صح ٣٤٨/ عند الأموي أمر أهل لواته ، رأى أن يعاجلهم قبل أن يجتمعوا مع أهل برقة ، فوقع أخبيته ، وسار بجميع جنوده حتى وافى لواته بأرض أسقفه يوم الجمعة للنصف من شهر رجب فلما عاينهم وعاينوه ، حمل عليهم بكثرة من معه ، وحملوا على جنوده يرجون بالشهادة الزلفة ؛ فجردوا السيوف ، وأشرعوا الأسنة ، وأرخوا للجياد المسومات الأعنة ، ودارت من الحرب الرحى ، وسالت على الأرض الدماء ، وانتشرت كتائب الأموي ، وكثرت عساكره ، وكثر القتل في لواته ؛ فرجعوا منهزمين ، وتبعتهم خيل الأموي وعساكره يقتلونهم في الصحاري والتلال ، ويكرون عليهم في حومة القتال ؛ حتى حال بينهم الظلام ، وتفرقت لواته في الشعاب والآكام ، ثم رجع الأموي إلى برقة لمحاصرتها ، بعد أن استراح من لواته ، وفرج بمن أصابه منهم ، وندم على من فر منهم، وفاته.

---

(١) تشير المصادر التاريخية إلى أن أبا ركوة بدأ حركته في برقة ، بالإستيلاء على عدة بلاد فيها مثل مقة ، وقرنة ، وتوجه نحو برقة فقاتل أهلها قتالاً شديداً . وفي أثناء ذلك ، جاء عسكر من البربر اللدانيين، فأسرع أبو ركوة بمقابلتهم ، ووقع قتال شديد بينهما ، واضطرها إلى التفرق في الشعاب . ثم عاد لحصار برقة بشدة ، وكان أهلها قد بنوا السور وحفروا الخندق ، ونصب على السور المنجنيقات والعرادات لذلك السور. ورغم شدة الحصار فقد بقيت برقة صامدة عدة شهور.

وكان أهل برقة أيام غفلته في مسيره إلى لواته قد فقدوا درب مدينتهم ،

/٣٤٩ فسدوا منه ما انفرج ، واجتهدوا في الحفر والتوسع في ما حولها من / الخندق ، وما زال أبو ركوة يكرر القتال عليهم بكرة وعشيا فلم يبلغ مراماً في قتالهم ، ولم يضع شيئاً ، وكثر الجروح ، والقتل في جنوده ؛ وملوا القتال حين رأوا صبر من في برقة من عسكر الإمام ع.م ، وعبيده ؛ فعاد أبو ركوة للعرادات والمنجنيقات ، وجعل يرمي برقة بالصخور حتى أثر ذلك بالدرب والسور ، فزاد ذلك من برقة قوة ، وجلدا ؛ ولم يكلوا صبراً كل ما ازداد الأموي علوا وتمردا ، وقد انقطعت منهم الأخبار لشدة الإنحصار ، واقتصروا في مدينتهم عن الدخول والخروج خوفاً من جموع أبي ركوة الأشرار ، وهم ينادون باسم الإمام الحاكم بأمر الله ع.م الشعار ، ويبدون من ولايته وطاعته ما يجبون في الاضمار ، خلا طائفة من أهل برقة ، قد أسروا النفاق والعدوان ، وكانوا يكاتبون الوليد أبا ركوة ويراسلونه كل أوان ، فطال أمر الحرب والحصار ، وغلت في برقة الأسعار ، وقل القمح والشعير، وضاقت عليهم الأمور ، وماتت الخيل من الهزال ، وذبحوا ما لديهم من

/٣٥٠ البقر ، والغنم ، والجمال ؛ وعظم / عليهم الأمر ، واشتد بهم الضر، حتى مضى شهر رمضان وشهر شوال ، وكان أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع.م قد أخرج عسكراً مع عبده ينال لجهاد الأموي ، والقتال ؛ وكان للأموي في كل جهة عيون تأتيه بالأخبار ، فوافاه الخبر في العشر الأواخر من ذي القعدة ، وهو مجد في قتال أهل برقة ، باذل جهده ؛ فحين وافاه الرسول في الليل يخبره بقرب ينال[2] ومن معه . بساعته أمر[3] أن يحطوا الغازات ، ونادى في عساكره بالرحيل ، وسار بهم

---

(١) ولما اشتد الحصار على برقة جهز الحاكم بأمر الله جيشاً من المشارقة والمغاربة بقيادة ينال أحد قواد الأتراك . فلما سمع أبو ركوة بأخبار وصول ينال ومن معه ، أضرم النيران في المنجنيقات والعرادات، ونادى بالرحيل رافعاً الحصار عن برقة ، قاصداً ينال . ولم يكن ينال على معرفة بطبيعة الأرض التي يحارب عليها ، فضلله أتباع أبي ركوة ، وساروا به بين التلال العالية ؛ حيث هاجمه أبو ركوة في موضع يعرف بعيون النظر ، بإلقاء الصخور من على التلال .

(٢) ينال : نيال في ب

(٣) أمر : سقطت في جـ

قبل الصباح يقود رعيلاً بعد رعيل ؛ فأصبحت الغازات قد نقلت ، والعساكر قد أرسلت ، وأهل برقة بأمره لا يشعرون ، وهم من فوق سور المدينة ينظرون ، وقد تركت عساكر الأموي المواشي[1] والبقر راتعة في مراعيها ، سائمة في مراتعها ، فخاف أهل برقة أن يكون قد ترك كميناً حتى إذا[2] خرجوا إليها [أوقع بهم][3] فارتقبوا حتى علا النهار ، وأيقنوا أن عسكر الأموي قد سرى ، فافترقوا خلف تلك النعم وانتهبوها ، ودخلوا جوف مدينتهم وأدخلوها ؛ وقد خفيت عليهم من أبي ركوة الأخبار ، فلا / يعلمون حيث قصد ولا أين سار ؛ وهو قد سار بجيوشه يقصد ينال[4] ومن أتى معه من الديار المصرية ، وأعمل الحيلة بالبذل لأهل البلد ليغدروا بينال ومن معه من الجنود الحاكمية ، فطاوعه أهل تلك النواحي ، وساعدوه على أن يغدروا بينال ويكايدوه [فتوجهوا إلى ينال][5] وهو يظنهم ناصحين ، وهم للغدر به مضمرون ، فمالوا به عن السهل إلى الوعور ، وأجازوه بين التلال العالية ، والصخور ؛ وجاؤوا بالأموي ومن معه من الشعاب ، وينال[6] ومن معه على غير استعداد لهم ، ولا معرفة بخبرهم ، فما شعروا إلاً وهم يردون عليهم ، ويقصدون من الشعاب والتلال إليهم ، فحين عاينهم ينال[7] أعياه الأمر ، ولم يجد حيلة غير الثبات[8] .

/ ٣٥١

وكان مشهوراً بالشجاعة والإقدام ، ثابت العزيمة إذا تزلزلت الأقدام ، فثبت بثبات من رجى الشهادة ، وظن نفسه عليها ليبلغ من ثواب الله مراده ، وفر عنه جيوشه وجنوده ، وولى جمعه وعديده ؛ فكر على المارقين كر الرئبال ، ولم يهله

---

(١) المواشي : الشياء في ب
(٢) إذا : متى في ب
(٣) أوقع بهم : سقطت في ب
(٤) ينال : نيال في ب
(٥) فتوجهوا إلى ينال : فجاء إلى نيال الأدرك في ب
(٦) ينال : نيال في ب
(٧) ينال : نيال في ب
(٨) الثبات : سقطت في جـ

٣٥٢ / تهويلهم عند / القتال ، وعطف بعضهم على بعض ، وصرع منهم جماعة ، فخروا مجندلين على وجه الأرض ، وكان كلما أتته كتيبة كر عليها كالأسد الرئبال ، وكاعت عنه حماتها والأبطال ، حتى كثر العدو من كل ناحية ، وألقوا عليه الصخور من التلال العالية ، فأردوا جواده ، واختار الله تعالى له الشهادة ، فمات شهيداً على طاعة إمامه ، وأتاه على الإخلاص والإيمان ما قدر له من حمامه ، وكر أصحاب الأموي في عسكره يتبعونهم في تلك الأوعار بالقتل ، ويجتزون رؤوسهم في الوعر والسهل، وغابت الأخبار عن أهل برقة ، إلى اليوم الثالث من ذي الحجة ، وجاءهم الخبر بما كان من قتل ينال ، وهزيمة من معه وأن الأموي قد زاد طغيانه ، وكثر من العساكر ما جمعه ، وأقبل الناس إليه خوفاً من سطوته ، وجاءوا إليه وجلين من عتوه وقوته ؛ فعند ذلك خرج الأولياء والعبيد عن برقة ، وكل من يتوالى الإمام الحاكم بأمر الله ع . م إلى البراري ، والصحاري؛ ولم يبق في برقة غير

٣٥٣ / الضعفاء الذين لا يجدون حيلة ، ولا يقدرون سبيلا ، / مستعدين ليلاقوا من المارقين بلاء وبيلا ؛ ورجع الأموي بجنوده إلى برقة بعد أن أرسل إليه أهلها يخبرونه بخروج أصحاب الإمام وعبيده عنها ، وإجلائهم عنها ؛ فترك أثقاله ، وجاء برقة مبادراً ، ودخل قصر الأمارة ببرقة على غفلة ، فأقبل إليه أهل برقة مهنئين له بالأمارة ، وطلبوا منه الأمان ، فسلط البغاة بها على من بقي من أهل الإيمان من أتباع الإمام الحاكم بأمر الله ع.م ، فتتبعوهم بالقتل ؛ ثم أضرموا النيران وأحرقوهم بها عتواً على الله ، واستكباراً وتمادياً في البغي وإصراراً . وجاءت عساكره من بعده، فعاثوا في مدينة برقة وأفسدوا، واجتمعوا لأخذ أموال الناس واحتشدوا ، وأخذوا الأموال والنساء ، وملأوا قلب كل مسلم من الأسى ، واصطفى

---

(١) يذكر التاريخ بأن ينال وقع أسيراً في يد أبي ركوة ، الذي أمره بلعن الحاكم ، فبصق في وجه أبي ركوة ولعنه ، فأمر به أبو ركوة فقطع إرباً إرباً . وقد ترتب على هزيمة ينال واستشهاده أن فتحوا أبواب مدينتهم إلى أبي ركوة في ذي الحجة من سنة ٣٩٥ هـ . بعد أن خرج منها رجال الحاكم وواليه صندل عن طريق البحر ؛ فتوجه بعضهم إلى مصر ، وبعضهم إلى المغرب .

الأموي اللعين لنفسه من الأموال والنساء ، وصار بعد فقره ذا مال وحواري وكساء ؛ وعظم في برقة وما حولها الظلم ، وكثر فيها الفساد والإثم ، وأظهروا السفاح والفجور ، وأتوا بالأمر النكير ، وحازوا ما للناس / من الأموال ، ‎/٣٥٤‏ وتغيرت بهم هنالك الأحوال ، فركبوا الخيل السوابق ، ولبسوا الديباج ، وفرشوا النمارق ؛ ثم شن الغارات إلى أوجلة وما حولها من النواحي فأوسعوا قتلاً ونهباً ، فالرجال تقتل ، والأموال تغنم ، والنساء تسبى ؛ ثم زاد بالأموي عظيم طغيانه ، وحاول أن ينهض إلى مصر بجميع أعوانه ، مغتراً عامداً له من مدة الإمهال ، راجياً ما لم يؤته الله من الآمال ؛ فخرج الأموي أبو ركوة الوليد بن هشام من برقة في أول شهر رمضان[1] من سنة ست وتسعين وثلاثمائة وقد اجتمعت إليه العساكر، وأتاه كل فاسق وذاعر ، ممن طغتهم أنفسهم في انتهاب أموال المسلمين ، وسولته لهم في الإستيلاء على ما حوته أيديهم ، وجاءت إليه البربر ، وبنو قرة ، وغيرهم بجموع كثيرة ، وأظهروا العدد والعدة ؛ واستخلف على برقة رجلاً يدعى إبن ماواس ، فبسط يده بالظلم في الناس ، وسامهم سوم الخسف ، ووقع في برقة القحط[2] حتى أكل الناس بعضهم بعضاً ؛ وأقام الوليد بن هشام / الأموي ‎/٣٥٥‏ الشماس ينتظر قدوم العساكر وحشدهم من الأطراف ، فأقبلوا إليه يتسار بون ، ومن كل جهة يتواردون ، وجاءته عيونه[3] فأخبرته أن جهة الحمام فيها فاتك بن الأرب القائد في قلة من الرجال ، وكان مقيماً في الحمام من قبل الإمام الحاكم بأمر الله فأنهض الأموي جيوشاً كثيرة إلى الحمام مع رجل قدمه عليهم يسمى الجردب ، فوافت فاتك القائد ، وهو في غرة من أمره ، وافتراق من عسكره ، فحين دنوا منه ،

(١) وقد أعلن أبو ركوة في برقة مذهب السنة ، وتسمى بأمير المؤمنين الناصر للدين ، ونقش ذلك على سكته ، كذلك استخلف على برقة رجلاً بربرياً اسمه ابن ماواس ، الذي أساء الحكم ، بحيث أكل الناس بعضهم بعضاً فيها ، واضطر معظم أهلها إلى الخروج منها بنسائهم وأولادهم إلى الإسكندرية . فأرسل الحاكم إلى أبي ركوة جيشاً معظمه من المشارقة بقيادة فاتك ؛ فلما سمع به أبو ركوة أرسل إليه جيشاً قاتله وهزمه في جهة اسمها الحمام .

(٢) القحط : الحط في ب

(٣) عيونه : عيانه في ب

وعلم أمرهم ، ثار فيمن معه إلى الركوب ، ولاقوا[1] جنود الأموي على كثرتهم ، وكانت بينهم وقعة تصادم فيها الفرسان ، وتلاقى فيها الأبطال للطعان ، وصبر فاتك وأصابه صبر الأحرار ، وقاتلوا قتال من لا يركن[2] إلى الفرار ؛ فكثرهم جنود الأموي ، وكبا بفاتك[3] جواده ، بعد أن أبلى وقتل كثيراً من الأعداء ، وقدر الله له الشهادة ، فقتل (رح) ؛ وجاء الأموي وكان قد سار خلف الجردب في جيوشه فوافته[4] الأخبار ، وهو في الطريق بقتل فاتك ، فوصل إلى الحمام ، واستولى على جهاته ، وكثرت معه العساكر ، و / اجتمعت إليه القبائل ، ٣٥٦ / والعشائر ؛ ووافاه أهل ريف مصر مسارعين إليه ملقين بأيديهم نحوه ولديه ، وسار من الحمام[5] إلى بروج فحكم في أهله السيف ، وانتهب ما كان لهم من الأموال ، وأخرب الديار ، وعاث في البلاد أتباعه الأشرار ، وجعلوا المسلمين دار حرب كالكفار ، يقتلون الرجال ، وينتهبون الأموال ، ويسبون النساء والأطفال ، وزاد به طغيانه وأثره ، وعدوانه ومنكره ، فأقبل يقطع من اجتمع إليه من الأعراب والبربر ، ما كان في مصر من الرباع ، وما يسقي النيل من الضياع ، ويكتب لهم بذلك السجلات ، ويضع لهم على الكتب العلامات ، وتوجه به طمعه وبغيه إلى محاصرة الإسكندرية ، فخرج إليه من فيها من عساكر أمير المؤمنين ع.م ، فهزموا عسكره ، وأثخنوهم أسراً وقتلاً ، وعاد بعد أن أخذته العزة بالإثم قد ملىء رعباً ،

---

(١) ولاقوا : لقى في جـ

(٢) لا يركن : لا يركب في ب

(٣) بفاتك : سقطت في ب

(٤) فوافته : موافقته في ب

(٥) نهض أبو ركوة إلى مصر في رمضان ٣٩٦ هـ ومعه عساكر كثيرة من كل البقاع ، وقبائل جائعة يجتذبها وفرة خيرات مصر ، التي اعتبرها أبو ركوة دار حزب للكفار ، وأباح لجنده حق النهب واستباحة الحرمات. فحاصر الإسكندرية ، ولكن عسكر الحاكم فيها هزموه ، فانتشر جنده في القرى المصرية ينهبونها ويهتكون حريمها . واستفحل أمر أبي ركوة ، بعد أن انضمت إليه قبائل من العرب عديدة من ريف مصر ، فكتب لهم السجلات ومنحهم الأراضي والعقارات ، كما اتفق معهم على اقتسام المملكة الفاطمية ، على أن يأخذ أبو ركوة والمغاربة مصر ، والعرب يأخذون الشام .

وذلاً ؛ ثم انه اجتمع إليه لفيف من العساكر، وكثر له الجمع الوافر ، وقد عاث

/٣٥٧ أصحابه وأتباعه في القرى حول مصر ينهبونها ، ويقتلون من فيها ، / ويهتكون حريمها ، ويخربون نواحيها؛ ثم انه زحف في جيوشه إلى الفيوم، وكانت جماعة من أهل مصر ممن يكرهون الدعوة العلوية ، ويتعصبون على الذرية الفاطمية ، قد كاتبوه وراسلوه في القدوم عليهم ، والورود بجموعه إليهم؛ ووعدوه المعونة والنصر ، وأن يبذلوا معه جهدهم ليملكوه الأمر ؛ فحين دنت جيوشه من مصر ، ورأى أهل مصر ما هم عليه من الفجور ، وبسط الأيدي في المسلمين بالنهب ، والسبي ، والقتل ؛ وأنهم لا يرقبون في أحد أمناً ولاذمة ، ندموا على مكاتبته ومراسلته ، وقالوا : نحن في خفض من العيش ، ودعة ، وأمان في أيام الحاكم بأمر الله وآبائه ع.م ، وحريمنا في ستر وصيانة ، وقد دعونا هذا للقدوم ، وهو على ما نرى من استباحة الفروج ، والأموال ، وسفك الدماء ، لقد تعجلنا البلاء ، وجلبنا على أنفسنا الداهية الدهياء ؛ فاجتمعت منهم جماعات ، ووصلوا إلى باب أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ، متنصلين من ذنوبهم ، فخرج إليهم القائد الحسين بن جوهر، وسألهم عن حوائجهم ، فذكروا له أنهم كانوا سبب

/٣٥٨ / مجيء هذا الخارجي ، وأظهروا التوبة مما فعلوه ، والإنابة مما تجرأوا عليه وأملوه ، وقالوا : هذه أموالنا مبسوطة ، فليأخذ منها أمير المؤمنين[1] ما أراد ، ويبذلها في الجهاد ، لدفع هؤلاء الساعين في الأرض بالفساد؛ فأعلم الحسين بن جوهر الإمام الحاكم بأمر الله ع . م بقولهم ، فقال له : قل لهم لا حاجة لأمير المؤمنين بأموالكم ، وأن الله ينصره ويؤيده ، وبمعونته يمده .

---

(١) جهز الإمام الحاكم من جديد جيشاً كبيراً من عرب الشام أعداء البربر ، وفيه كثير من الترك والديلم والسودان ، بقيادة الفضل بن الحسن بن صالح ، فهزم أبا ركوة في الفيوم ، فانسحب إلى الجيزة ، فحاربه عامل الجيزة ، وأجبره على العودة إلى الصعيد ، حيث انضم إليه العديد من عرب الصعيد ، فحدثت بينه وبين القائد الفضل بن الحسن موقعة فاصلة في مكان يعرف برأس البركة ، فانهزم أبو ركوة ومن معه من العرب ، وقتل أكثر البربر ، وتفرقت الجموع التي انضمت إليه ، وجاءت إلى الحاكم تائبة ، ولم يفلت إلا نفر قليل من النساء والصبيان حملوا أسرى إلى القاهرة ، وأطلق سبيلهم . المقريزي :خطط ٤ ص ٧٠ .

وكان أمير المؤمنين ع .م . قد أنفق انفاقا عظيماً ، وأنفذ خزائن كثيرة في حرب الأموي ؛ ثم ان أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع .م ، أخرج فضل بن الحسن ابن صالح في جيوش عظيمة ، وأموال جليلة ، وكان خروج فضل بن الحسن بن صالح من القاهرة المعزية غرة شهر شوال ، بعد أن قضى أمير المؤمنين صلاة العيد ، وخطب محض الناس على الجهاد ، ووعدهم أجر الصابرين ، وأن الله تعالى ممكن في الأرض لأوليائه الطاهرين ، وجازت العساكر بين يديه من الأتراك ، والديلم ، والعبيد ، وكتامة ، وسائر الجنود ؛ وفتح الخزائن فأخرج الأموال ، وكثيراً من العدة ، والسلاح للقتال ؛ فلما دنا فضل بن صالح بعساكره / ٣٥٩ / من الأموي ، وهو في الفيوم ، وصله الخبر ، ولم يبق بينهم غير مرحلتين فامتلأ بالخوف قلبه ، وعظم رعبه ، وخاب ظنه ، وبعد عنه أمنه . ثم انه عاد إلى حمية الجاهلية ، وأمل أن تعود الفتنة الأموية ، وقال لعساكره : إن معاوية بن أبي سفيان قد غلب على الأمر على علي بن أبي طالب مع ما كان له من الإقدام والشجاعة التي قد علمها الخاص والعام ، وأن الخلافة الأموية قد رجعت كما كانت ، ودنت قوتها ، وحانت ، يشجع بذلك أصحابه ، ويريهم قلة الإكتراث لما نابه[1] .

واختار سرية من شجعانه ، وأبطاله ، وفرسانه ، وأمرهم أن يشنوا في عسكر فضل بن صالح الغارة ، وأن يأتوه هو ومن معه على غرة ، فوافت عساكر الأموي وسراياه عساكر فضل بن صالح ليلا ، ورجوا غفلتهم ، فألفوهم حازمين ،

---

(١) وهرب أبا ركوة إلى النوبة ، وكان ملكها قد توفي ، فسلمه ابنه واسمه روفائيل إلى الفضل ، وذلك بناء على هدنة البقط التي كانت قد عقدت منذ أيام عمرو بن العاص ، ونصت على تسليم الهاربين ، ولما وصل الفضل إلى القاهرة ومعه أبو ركوة أسيراً احتفل الحاكم بهذا النصر المشهود من مكان مرتفع : فشهر بأبي ركوة على جمل ، وقد ألبس طرطوراً طويلاً ، وخلفه قرد وبيده درة . ولما مر الموكب بمنظرة الذهب حيث كان الحاكم يرقبه ، استغاث أبو ركوة بالحاكم فلم يصغ إلى تضرعه ؛ ولم يصل إلى ظاهر القاهرة حيث تقرر إعدامه حتى كان جثة هامدة ، فقطع رأسه ، وصلب جسده في الميدان الكبير . نهاية الأرب جـ٢٦ .

والحرس على أطرافهم قائمين ، فوقعت الصيحة ، وابتدر الناس إلى السلاح ، وركبوا الخيل مستعدين للكفاح ، وجالت الخيل بفرسانها ، وفرغت أبطالها إلى

/٣٦٠ ضرابها وطعانها ، وجالت العساكر الحاكمية ، / والجنود الفاطمية ، على العصابة الأموية ، فأوردتهم الردى ، وقتلوا منهم ما لا يحصى عدداً، وأتوا إلى أبي ركوة منهزمين ، ولما نالهم من القتل والغل مغمومين ؛ فضاقت به الأرض برحبها ، ولم يدر أين المفر لجيوشه ، وجنود الله في طلبها ، وزالت عن الناس الأوهام الفاسدة ، والأرجاف ؛ وأسكت أهل الشقاق ، والخلاف ؛ وسار الوليد الأموي إلى الصعيد فحين جاز الأهرام عاودته فاسدات الأوهام ، وواعدته نفسه أن يطرق الجيزة ، ورجا أن يقتل أهلها ، فجعل إليها قصده وسيره ، ورام أن تكون من العساكر خالية ، وأن تعود له إن غلب عليها الكرة الثانية ؛ فجاءت عساكره قبل الصباح منتشرين في سلبها ، يقتلون من وجدوه من أهلها ، وغير أهلها ؛ فخرج عاملها علي بن فلاح في من كان معه من الروابط فيها ، فوقع بينهم القتال ، واشتدت مقارعة الأبطال ، وصبر علي بن فلاح صبر المحامين عن الدين ، ودحر من

/٣٦١ معه لقتال المفسدين ، فولت جيوش الأموي على الأدبار، ولم يركن / إلاّ إلى الفرار ، وقد قتل خلق من الفريقين ، ودارت بالسيوف والرماح بينهم دوائر الحين ، وعاد الأموي بجيوشه إلى الصعيد ، فأقام بها حتى اجتمعت له الجيوش ، وجاءته من الأقطار ، وقد بث رسله إلى من يرجو نصرته من جميع النواحي والأمصار ، فجاءه من يبغي في الأرض الفساد ، ويروم أن يستولي على أموال العباد ، فاجتمع له سبعون ألفا بين فارس وراجل ، ووافت إليه من المعاندين لأهل البيت العشائر والقبائل؛ فازداد به طغيانه وعناده، وأعجبته جموعه وجنوده، فسار بهم في شهر ذي الحجة الحرام قاصداً للفضل بن الحسن بن صالح إلى مستقره بالجيوش، وكان الفضل في بركة الأحبوش[1]. فبرز إليه الفضل بن الحسن في

---

(١) عندما قبض على أبي ركوة أبدى جزعاً كبيراً والتمس الصفح من الحاكم ، وبعث إليه برقعة فيها هذه الأبيات :

فررت فلم يغن الفرار ومن يكن ... مع الله لم يعجزه في الأرض هارب =

كتائب جمة ، وعساكر لا تنبو عن مهلة ، ولا تفرق لملة ، قد اجتمعوا من جنود الإسلام والإيمان ، وانفوا لما شاع من الأقوال الغوية ، وما استحله من الحرام ناصرين للدين ، مجتمعين على جماعات المسلمين ، فجالت الخيول في الميدان ، وتدانت الفرسان / إلى الفرسان ، والتهبت نيران الحرب واضطرمت ، واشتدت الوقعة وعظمت ، وقد فغرت المنية فاها ، وأدارت على الأبطال رحاها ، فنشرت الأعلام الحاكمية بالنصر ، وتوصى حاملوها بالصبر ، وامتلأت الأرض من القتلى ، وخاضت الخيل في الدماء ، وداست الأشلاء ، وفلت السيوف من الضراب ، ودارت الحتوف[1] بالسلب للنفوس والإغتصاب ؛ فلم يكن لجند الأموي صبر حين كثر فيهم القتل ، وانقلبوا على الأعقاب ، وفروا مفترقين في البراري والشعاب ، يقتلون في كل مكان ، ولا يلجأون الى عصمة ولا أمان ، ينخطفون حيث يمروا وذهبوا ، ويقتلون جزاء بما احتقبوا ، وغنمت أموالهم ، وساءت أحوالهم ، وصاروا بين قتيل تأخذه السيوف حيث يفر ويجيء ، وغريق[3] واقع في البحر اللجي ، وآخر يقتله الجوع والظمأ ، ويبتغي لو يجد نفقا في الأرض أو سلما في السماء ؛ يفرون فلا يغنيهم الفرار ، ولا يأوون من الأرض إلى قرار ، وانصرف الوليد الأموي ممعنا في الهرب ، مع بعض من كان معه من العرب ، / راجعاً سوء[4] المرجع والمنقلب؛ وأسلم أصحابه وما حوت يده وسار، وقد أسلم ما جمعه وحشده ، فقصد أرض النوبة يريد أن يجد النصرة من المشركين ، ويكون له منهم المانع والمعين ، حتى انتهى إلى صاحب الجيل ، وقد أسلم ما كان له

٣٦٢ /

٣٦٣ /

= ووالله ما كان الفرار لحاجة — سوى فزع الموت الذي أنا شارب
وقد قادني جرمي اليك برمتي — كما هز ميت في رحى الموت سارب
وأجمع كل الناس أنك قاتلي — فيا رب ظن ربه فيك كاذب
وما هو إلا الانتقام وينتهي — وأخذك منه واجب لك واجب

(١) الحتوف : حتاف في ب .
(٢) مفترقين : مفارقين في ب .
(٣) وغريق : رقيق في جـ .
(٤) سوء : سواء في ب .

من كثير وقليل ؛ وجنود أمير المؤمنين المنصورة ممعنة في طلبه ، متجسسة لأخباره ، وأين قصد في مذهبه ؛ فحين بلغ فضل بن الحسن بن صالح مصير الأموي في الجيل ؛ فتابع الرسل إلى ملكهم في طلبه ، وخوفه جنود الله أن تأتيه رعيلاً بعد رعيل ، وطلب أن يسلم الأموي اليه ، ووعده أن يفيض إنعام ولي الله عليه ، فارسل به صاحب الجيل مع رسل[1] القائد فضل بن الحسن بن صالح ، وقد غلل بالحديد ، وأمسكت رجلاه بالقيود ، وجاء مع الرسل إلى الفضل مجيء الذليل ، ففك القائد من أغلاله ، وأمر أن يرفه في طعامه وأحواله .

ورجع القائد فضل بن الحسن بن صالح إلى باب أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع.م. بالقاهرة ، وفي يده الوليد بن هشام الأموي / قد باء بالصفقة[2] ٣٦٤ / الخاسرة ، وخسر الدنيا والآخرة ، وكان وصول الجيوش إلى الحضرة الشريفة النبوية مكلوة بالنصر ، ومعها أبو ركوة في ضيق[3] الأسر ، لسبع عشر من شهر جمادي الآخر سنة سبع وتسعين وثلاثمائة . فأركب أبو ركوة على جمل ، وقد جعل على رأسه طرطورا كثير الطول ، وهو أمام العساكر المنصورة[4] الحاكمية ، والكتائب الإمامية الفاطمية ، وقد اكتنفه طوائف كثيرة من أهل مصر ، فطيف به في مصر ، ثم أتى به إلى القاهرة السعيدة المعزية ، والحضرة الشريفة الحاكمية ، وقد ألبسه الله لباس الصغار[5] ، وأذله بعدما كان في العتو والإستكبار ؛ فأمر به الإمام ع .م ، فضرب عنقه ، ثم رفع الأعواد وصلب ، وأشعل الجذع[6] الذي صلب عليه بالنار ، وصار إلى عذاب الله قد باء باللعنة والخسار ؛ وكانت وقعة عساكر أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع .م ، مع أبي ركوة الخارجي وأسره وقتله ، سنة سبع

---

(١) رسل : رسول في ب .
(٢) بالصفقة : بالصفة في ب .
(٣) ضيق : ضوق في جـ
(٤) المنصورة : سقطت في ب .
(٥) الصغار : الصغر في ب .
(٦) الجذع : الرفع في ب .

وتسعين وثلاثمائة من الهجرة الطاهرة ، على صاحبها وآله أفضل السلام والتحية .

/ ٣٦٥ وجاءت بعد ذلك الطوائف التي كانت / اتبعت الأموي على بغيه ، ومساعدته في غلبه ، تائبة إلى باب الإمامة من جرمها ، متنصلة من بغيها ، وإثمها ؛ فأسبل أمير المؤمنين ع .م . عليهم ثوب عدله ، وعفا عنهم بمنه وفضله ، وجاءته الوفود من الأمصار ، مهنئة بما أناله الله سبحانه وقضى لدولته من الاقتدار ، فأوسع جميع من أتاه إحسانا وفضلا ، وأعطاهم عطاء جزلا ، وآب كل إلى جهته ، وقد ملأ من فضل الإمام يديه ، وهو يكثر شكره ، ويثني عليه[1] .

وقد ذكر حيدرة بن محمد بن إبراهيم حسب السيرة الحميرية الكتامية[2] : ان باديس بن بلكين عامل الإمام الحاكم بأمر الله ع .م بعد أبيه على أفريقية والمهدية ، ونواحي الغرب الذي لقبه العزيز بالله نصير الدولة ، وصل القاهرة بمصر إلى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع . م في سنة ست وتسعين وثلاثمائة ، وأبو ركوة في قوته ، فنال باديس من أمير المؤمنين الحياء والعطاء ، وأعانه على حجة ، ثم قال له : كيف حال هذا الخارجي ببرقة ؟ يعني أبا ركوة . فعظم حاله،وفتحه وذكر قوته، وكثرت

/ ٣٦٦ جموعه ، وأمير المؤمنين صامت ، / فلما حج باديس وعاد من مكة إلى الحضرة ، واستأذن أمير المؤمنين في المسير ، أخره حتى رأى صنع الله في أبي ركوة ، وأن الله قد أوهن منه القوة ، وأصاره في يد الإمام الحاكم بأمر الله ذليلا ، بعد استطالته حقيرا ، بعد جموعه وكثرته ، وحيدا بعد عدده وعدته ، وأطفأ الله تلك

---

(١) وهكذا تخلص الإمام الحاكم بأمر الله من خطر أبي ركوة ، الذي هدد الخلافة بكاملها بالدمار والخراب ، وكان ذلك بفضل شجاعة وثبات الحاكم ، ومقدرته الفائقة على القيادة ، والصبر عند الشدائد ، ولا غرو فقد كان لمساعدة المصريين أكبر عون في هذه الحرب المدمرة .

(٢) ينقل المؤرخون أن باديس وصل إلى القاهرة في طريقه للحج أثناء ثورة أبي ركوة في ٣٩٦هـ ؛ كأنه أراد أن يتخلص من الموقف الحرج . فسأل الحاكم باديس عن أبي ركوة ؛ فعظم باديس حاله ، وذكر قوته وكثرة جموعه ، والحاكم صامت . فلما رجع باديس الى مصر ، واستأذن الحاكم في المسير ، أخره الحاكم الذي كان قد انتصر على أبي ركوة ، ليشهده احتفالات النصر ، وربما قصد بتأخير باديس إرهابه ، أو على الأقل عتابه .

الثائرة بعد علو دخانها وخفتها بعد اشتعال نيرانها ، وملك الإمام الحاكم بأمر الله ع .م الموصل ، وسقايا ، والأنبار ، وأقام الخطبة فيهن سنة إحدى وأربعمائة للهجرة الطاهرة[1] .

قال ابن حوقل البغدادي[2] : الموصل مدينة على غربي دجلة ، صحيحة التربة ، والهواء ، ذات نهر يقطعها في وسطها ، وبينه وبين حافة الأرض نحو ستين ذراعاً ؛ وهي فرضته لأهل اذربيجان ، وأرمينية ؛ ذات كروم وفواكه ، ونخيل ، وعمل واسع ، يزيد على عمل نصيبين ، وفيه الفنادق والحمامات ، والعمارة الحسنة . والأنبار مدينة بناها أبو العباس السفاح على شرقي الفرات كثيرة النخيل ، والزروع ، والثمار الحسنة .

/٣٦٧ ولم يبق للدولة الشريفة / معارض ، ولا عارضها في الأقطار عارض ، حتى كان ما كان من الوزير علي بن الحسين المغربي[3] ، وكان من وزراء الامام الحاكم بأمر الله ع .م ، فأساء في الرعية السيرة ، ولم يراقب الله في الجهر والسريرة ، وبدت منه أفعال مخالفة لأفعال تابعي الأئمة ، وداخله النفاق المبعد له من الرحمة ؛ فحين كثرت ذنوبه ، وظهرت عيوبه ، خاف من الإمام أن يجازيه بأفعاله ، وأن يلحقه من الباغين بأشباهه ، وأمثاله ، وأن يعاجله بعقوبته ونكاله ، فهرب من الحضرة النبوية إلى مكة، واجتمع بأبي الفتوح بن جعفر الحسني صاحب مكة ، فحمله على الخلاف ، وأطمعه بملك مصر ، وأن يكون له فيه الأمر . فادعى

---

(١) أعلن صاحب الموصل ، ابن المقلد العقيلي الملقب بمعتمد الدولة طاعة الحاكم ودعا له في الخطبة في جميع أعماله من الموصل إلى الكوفة .

(٢) ابن حوقل : المسالك والممالك جـ٢ ص ٥٧ .

(٣) هرب الوزير علي بن الحسين المغربي الذي غضب عليه الحاكم لسوء تصرفه ؛ إلى مكة واجتمع بأبي الفتوح ، فحمله على الخلاف ، فأعلن الخطبة لنفسه ، وتلقب بأمير المؤمنين الراشد لدين الله ، ونزع ما كان بالكعبة من ذهب وفضة وضرب نقوداً باسمه ؛ كما استولى على المدينة من الحسينيين . وكان ذلك حوالى سنة ٤٠٠هـ . المقريزي : خطط جـ٣ ص٢٥٥ ـ ٢٥٦ ؛ جـ٤ ص٧٢ .

أبو الفتوح الإمامة ، وأمرة المؤمنين ؛ وكان أبو الفتوح قد جمع أموالاً جمةً وأكثرها مما ناله من إنعام الأئمة ، فهي التي زادت في طغيانه ، وحملته على بغيه وعدوانه ، فكاتب أبو الفتوح حسان بن الفرج بن عقل الطائي ، واجتمع به ، فضمن له أن يقوم / بنصرته ، ويجمع عرب الشام على طاعته ، فعند ذلك نهض أبو الفتوح إلى الرملة من أعمال الشام ، واستدعى العرب لحرب أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع .م ، فأجابه إلى ذلك خلق عظيم ، وخطبوا له ، وأنفق عليهم ما جمع من الأموال شيئاً بعد شيء حتى أتى على جميعها ؛ ولم يبق له شيء منها ، فحين صفرت[1] راحتاه من المال تفرق[2] عنه العرب ، ورفضه الرجال ؛ فلما رأى ذلك حسان بن المفرج عزم على القبض على أبي الفتوح ويصل به إلى حضرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع .م ، ويجعل ذلك كفارة[3] لخطيئته ، ومفتاحا لباب قبول توبته ، فلما علم بذلك والد حسان المفرج بن دغفل ، وصل إلى أبي الفتوح فبين له حقيقة[4] الأمر ، وأوصاه بالحزم من ابنه حسان في السر والجهر ، فتعلق به أبو الفتوح وسأله أن يخلصه ويرسل من يسير من حماة العرب معه ، حتى يوصله الى مكة المشرفة ، ففعل له ذلك المفرج[5] بن دغفل ، وأرسل معه من أوصله إلى مكة ، كما سأل ؛ فحين وصل أبو الفتوح إلى مكة جمع الناس ، وخلع / نفسه ، وتبرأ مما ادعاه لنفسه من أمر الإمامة وأقر بها[6] للإمام الحاكم بأمر الله ع .م ، عند الخاصة والعامة ؛ ثم وفد ذلك إلى حضرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله متنصلاً[7] مما اقترف ، طالبا للعفو عن ما قدم وأسلف ، فصفح[8] الإمام عن إثمه ، وعفا عنه بفضله

/٣٦٨

/٣٦٩

---

(١) صفرت : صفر في ب .

(٢) تفرق : تعرف في ب .

(٣) كفارة : كرامة في ب .

(٤) حقيقة : سقطت في ب .

(٥) المفرج : الفرج في ب .

(٦) وأقر بها : وقال لها في ب

(٧) متنصلاً : منفصلاً في ب .

(٨) فصفح : سقطت في جـ .

وحلمه ، وأمر له بالكساء والحملان ، ووصله بما أوفر له الظهر من الإنعام والإحسان؛ وأرجعه إلى مكة ، وأقره على ما كان عليه ، وأسدى المعروف اليه ، فانصرف مثنيا بلسان الشكر ، معترفا بما أولاه الإمام ع . م من الإنعام والبر . وأما علي بن الحسين المغربي فإنه على ما قدم ، وكتب إلى أمير المؤمنين ع . م ، يتنصل من الذنوب الموبقات ، وكتب هذه الأبيات :

[سلامٌ ملء أسماع النّديّ[1] يفيضُ حياً عليه من الحييّ
ويعبق فيه ريّا الشوق حتى أبلَّ[2] جفونَ سامعه بريٍّ
تجوز به ملائكة كرام على قصر الامام أبي عليّ]
تحية نازح يزداد شوقاً لدى خطرات ذي البين الوصيّ[3]
وما يعتدّ من ذنب ولكنْ تهيّب سطوة الليث الجريّ
/٣٧٠ وخاف بأن يلمَّ به عقابٌ على حقٍّ من الملك الأبيّ /
فشعشع ورده ماءً روّياً[4] فلم ير ماء دجلة بالرويّ
يُوكِّلُ بالمغارب لحظَ عينٍ تفيض إذا رأتْ أصل العشيِّ
وترفع كشحة الزّفراتُ حتّى تكادُ تُقِدُّ سرْدَ السّابريِّ
كأنْ لم أمشِ في الإيوان زَهْواً مكين الخطْوِ مأمولَ النّجيِّ
وألثم تربه فيما تولّى هناك لفيصل الخطب الجلي
أيا ملكاً يشحُّ البحر خوفاً لساكبِ فضله العذب الْهَنيِّ
مُوالاةٌ على الأيّامِ كانت لكم تدعى لآل المغربي
فهل بعد التفرق من زمان يضم قوادم الشمل القصيّ

فجاد عليه أمير المؤمنين بالعفو والصفح ، وأمره أن يسرع الوصول إلى حضرته لبلوغ النجح ، فعاجله واردات الحدثان ، ومات في أمد عند صاحب

---

(١) سلام ملء أسماع الندي : سلام ملأ سماع الندى في ب

(٢) أبل : ابتل في ب .

(٣) الوصي : الوحي في ب .

(٤) ماء روياً : مرحا فيهم في ب .

ميافارقين عبد العزيز بن مروان .

وكان أيضاً من القائد الحسين بن جوهر ، والقاضي محمد بن عبد العزيز بن النعمان ، ذنب خافا أن يعاجلا بتبعته ، وأن يحل بهما الإمام الحاكم بأمر الله مخوف سطوته ، لما علماه من كونه ماضي العزائم ، لا تأخذه في الله لومة لائم ؛ ففرا إلى بني فروة ، ومعهما من الأموال ما أوقرا به كثيراً من الابل والبغال ، وأودعا بمصر مائتين / ألوف ، وكل ذلك مما نالاه وآباؤهما من يد الأئمة المألوف ، فأضجر ٣٧١ / الإمام ع .م ما نابهما من الطيش والعجل ، وسمع ع .م وقد ركب ، وهو يتمثل[1] :

ألفْتُ السّرى حتى كأنَّ نهارنا هو الليل والليل النهار لمن يسري

كذا الأسد لا تهدي وتحت ضلوعها ضغائن حتى تشتفي من ذوي الوتر

وكتب كتابا بيده العالية إلى قائد القواد الحسين بن جوهر ، وأرسل به رجلاً من فرسان كتامة ، بالورع والدين يشتهر ؛ فلما وصل إلى الحسين بن جوهر ، وناوله الكتاب ، قام من ساعته فقرأه هو والقاضي محمد بن عبد العزيز بن النعمان ؛ وقال له : ما ترى أن يكون الجواب ؟ فقال القاضي : ما لهذا الكتاب جواب ، إلا أن نصل إلى باب أمير المؤمنين ، ونلقي أنفسنا في يده ، ونتنصل مما

(١) اشترك حسين بن جوهر مع فهد في النظر في أمور الدولة ولقبه بقائد القواد في جمادي الأولى ٣٩٠هـ . ثم ولاه الوساطة وحده بعد قتل ابن العداس . ولكن الحاكم صرف ابن جوهر عن النظر في الأمور في شعبان ٣٩٨هـ . وأمره بلزوم داره ، فأحس الحسين بالخوف ، فهرب بأولاده وصهره إلى جبل المقطّم ، وبقي ثلاثة أيام ، ثم هرب إلى نواحي الإسكندرية عند قبائل بني قرة ، التي كانت أيدت أبا ركوة . وبعد أن شمله عفو الحاكم ودخل القاهرة بموكب مهيب وأعيدت إليه مكانته وأمواله ، لم يفلت من القتل في جمادي الآخرة سنة ٤٠١هـ . كما قتل أولاده الذين هربوا إلى الشام ، وكاتبوا باسيل ملك اليونان . أما القاضي محمد بن عبد العزيز بن النعمان فقد حدثت له فضيحة تتعلق بحضور مجلس شراب ، فخاف من الحاكم وهرب مع حميه ابن جوهر ، فلما عاد قتله مع ابن جوهر في سنة ٤٠١هـ . ولاة مصر ص ٥٩٩ ـ ٦٠٣ .

أسلفناه إلى الله تعالى، وإليه. ودفع القائد إلى الرسول ألف دينار من العين، فقال الرسول: آآخذها وقد أخذت من أمير المؤمنين حين مسيري مثلها بكلتا اليدين؟ ٣٧٢/ لكني / أسألك انتساخ هذا السجل الشريف، الذي أزعجكما حين وقفتما على عالي علامته، وليس هو مما كتب في ديوان الإنشاء، فأطلب من هنالك شريف نسخته؛ فدفعا إليه، وهو هذا أوردناه بجملته:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: فإنك بأمير المؤمنين ظهرت، وبسقياهم[1] بنت، وأغصانها أقلتك، ودوحاتها أظلتك، وعهدها تميمتك، وعقدها ذخيرتك وغنيمتك، وكم لآباء أمير المؤمنين على آبائك نعم[2] أمثالها، وفيهم عوائدها وبواديها وأشكالها فاشتروهم من أيدي[3] التجار، وملوكهم أزمة الأحرار، وأعطوهم أعنة الكبار، وجعلوا أعقابهم ملوك الأقطار، وأعلام الأمصار، فصاروا رؤساء بعد أن كانوا أذنابا، وصدروا بعد أن كانوا أعقابا، فقادوا جموع[4] العساكر، ورقوا رؤوس المنابر، وسكبوا[5] رقاب الدهر، وحكموا في الأموال والدماء بنافذ الأمر، ٣٧٣/ وأبقى ذلك أمير المؤمنين ووفره، وأفاض بسجاله وأدره، ولم / يقتصر بك على ذلك حتى جذب بضيعك من مطارح العبيد، إلى مطالع الأحرار الصيد، فعقد لك الوزارة والقيادة، وجللك رداء العز والسيادة، وألقى إليك مقاليد الأمر، وبسط يديك في البدو والحضر، وأعطاك ما لم تسم بك إليه همة، وخولك ما لم يبلغ[6] بك إليه أمنية، وفضلك على كثير من مواليه، وعصبه وأدانيه

---

(١) وبسقياهم: وبسقيا نعمه نبت في ب.
(٢) نعم: نعمة في ب.
(٣) أيدي: سقطت في جـ.
(٤) جموع: سقطت في ب.
(٥) وسكبوا: وركبوا في ب.
(٦) يبلغ: بلغ في ب.

وأقاربه ، وعظم خطرك وقدرك ، وأنفذ صيتك وذكرك ، تنهي وتأمر ، وتورد وتصدر ، وتنفع وتضر ، وتسوء وتسر ، وصرت بشدة أمرك ، ورفعة قدرك ، جباراً عظيماً ، وسلطاناً قوياً ، تمضي ما شئته ولا تناقض وتملك ما أردت ولا تعارض ، ولم يدر أن مثل إحسانه إليك يكفر ، ومثل متجره فيك يخسر ، فبطرت عيشك ، ونسيت أمسك [1]، وجهلت نفسك ، وخنت ولي نعمتك ، وعصيت مالك ناصيتك ، فاستبدلت بشعار الطاعة جلباب المعصية ، وركبت بمركب العبودية مركب الحرية ، وأوضعت وأوجفت قائد الضلالة والجهالة ، ونقضت العهد ، / وحللت العقد ، وخيل إليك بسوء نيتك ، وسقم طويتك ، ٣٧٤/ الغدر الذي وليت عليه ، وظننت أن أمير المؤمنين ـ وبعض الظن إثم ـ حال عما[2] عاهدك ، وبدا[3] له في ما عاقدك ـ وحاشاه عن ذلك وما عسى يخفر الله لك أن تقول إذا [تناقلت زلتك][4] الألسن العادلة ، وبث حديثك الأندية الحافلة ، وما عذرك إذا قيل لك لم خرجت ، وقلدت نفسك عارا[5] لا يدحضه الاعتذار ، ولا يعفيه الليل والنهار ، ولم يثلم لك مال ، ولا يغير لك حال ، ولم تبتز ثوب الكرامة ، ولم تسلب ظل السلامة ، نعوذ بالله العظيم من نعمة تتعرى عن جلبابها ، ومرهبة[6] تسلخ من إهابها ؛ ومع ذلك فتدعي أنا نبتغي لك الغوائل ، وننصب لك الحبائل ، ونقصد منك المقاتل ، ونشره إلى حيازة مالك ، ونسارع إلى استضامة حالك ، لا عن دلالة تقيمها وتظهرها ، ولا عن حجة تدلي بها وننكرها[7] إلا إرادة أن يتداول الناس دعواك ، ويتفاوضوا شكواك ، فيخيل في نفوسهم ، ويقرر في قلوبهم ، أن لك رخصة في ما ارتكبته ، وفسحة فيما اجتبيته ، وبالله لو

---

(١) أمسك : اسمك في ب .
(٢) عما : سقطت في ب .
(٣) وبدا : وبدل في ب .
(٤) تناقلت زلتك : تنازلتك في ب .
(٥) عاراً : سقطت في ب .
(٦) ومرهبة : وموهبة في ب .
(٧) وننكرها : وركنها في ب .

/ ٣٧٥ كانت التهمة / منك بنا واقعة ، لكانت طاعتك لنا أزين من مخالفتنا ، كيف وعلام الخفايا والغيوب ، والمطلع على الضمائر في القلوب ، يشهد عليك باستحالة ما تذكره ، وتناقض ما تضمره ، ولو كان أمير المؤمنين يريد بك سوءا ، ويبغي لك مكروها ، لكان مرامه أيسراً ، وطريقه أحضراً ، ولأخذك جهرا ، وأسرك قهرا ، ولم يراقب فيك أمرا ؛ فإن الله أقدره ، ولله تعالى القدرة التي لو رام بها البر لأغرقه ، والبحر لأحرقه ، أو الجبل الراسي لدكدكه ، والفلك الدوار لأمسكه ؛ فإن نزلت عن مطية العصيان ، وخلعت خلعة الطغيان ، واستقلت عثرتك ، واستغفرت ذنبك ، فأتيت إلى باب مولاك ، ورجعت إلى آخرتك وأولاك ، وجدته عليك عطوفا ، وبك رؤوفاً ، ولعذرك ممهدا ، ولجريرتك متغمدا ، فيسحب ذيله على ذنوبك ، ويسبل ستره على عيوبك ، ويشملك أمانه الذي [لا يمسه[1] بوفر] النار ، وتصرف عنه آيات[2] الليل والنهار ، ويردك إلى سبيل وفائك ، ويعيد إلى

/ ٣٧٦ أرضك صوب سمائك ، ويعطف / عليك بالحفظ والإستقامة إليك ، والشح عليك ، ورفع الظنة عنك ، وإلقاء كلام الموحشين منك ، فيرد اقطاعك ورسومك ، ويراعي أمورك ، وحقوقك ، فتسعدا[3] وأخيك ، وتحمي نواحيك ، وتزداد على ما كنت تحويه ، وتعطى أكثر مما ترومه وتبتغيه ، وتكون في أيامه مرفهاً مبجلا ، وفي دولته[4] معززا مفضلا ، مرفوعاً عن بذله الخدمة ، محمولا على جلالة الحرمة ، مسامحاً فيما تطلبه وتهواه ، مسوغاً ما تقترحه[5] وتتمناه ، مشفعاً فيما تلتمسه[6] ، مجاباً إلى ما ترومه وتفعله ؛ فإن أبيت إلا الإباء والعلو [والجموح والعتو][7] فما أهون انتسافك ، وما أيسر اختطافك ، وما أقرب ما تلتف عليك

(١) لا يمسه بوفر : لابسه يوقي في ب .
(٢) ايات : افات في ب .
(٣) فتسعدا : فتشتد في ب .
(٤) دولته : دوله في ب .
(٥) تقترحه : تقترحك في ب .
(٦) تلتمسه : تلتبسه في ب .
(٧) والجموح والعتو : العلو والجماح في ب .

الحبائل ، وتحيط بك الغوائل ، وتساورك المنية ، وتحيط بك الأمنية ، وقد أعذر من أنذر ، والسلام على من أبصر وفكر .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه ، وعلى آله الطاهرين ، وسلم تسليماً .

ولم يلبث القائد حسين بن جوهر ، والقاضي محمد بن عبد العزيز بن النعمان ، بعد ورود سجل أمير المؤمنين أن قدما تائبين متنصلين / مما قدما ‎/٣٧٧‏ حين امتطيا مطايا العجلة إلى بني قرة ، وزائلا أبواب الإمامة ، وشريف تلك الحضرة ، ونزل الوزير أبو الفرج القسوري في لقائهما ، ورجال الدولة على تكاثرها[1] وتوافرها ، وأعيان من بقي من الدولتين المعزية ، والعزيزية ؛ وطوائف من الإخشيدية ، والكافورية ؛ والعساكر الوافرة الحاكمية ؛ فكان ذلك اليوم كما ذكر من الأيام المشهورة ، وشق[2] القائد الحسين بن جوهر البلد وعلى رأسه الرايات الحاكمية خافقة منشورة ، والوزير إلى جانبه ، والجموع والعساكر العظيمة محدقة به .

ولما أن بلغ درب الكرد لقيه هنالك خزان بيت المال ، وصاحب الاصطبلات مع الشدادين ، فأفرغ عليه ، وعلى القاضي من الحلل[3] الموشية المذهبة ، المنظومة فيها الدرر والجواهر المعجبة ؛ وقد عرضت بعد فراغها من الخياطة على أمير المؤمنين فارتضاها ، وأمر أن تحمل إلى القائد فيعطاها ، وأن يكسو[4] معه القاضي / ‎/٣٧٨‏ من بديع كساها ، وقيدت لهم الخيل بالسروج المذهبة المجرسة[5] ، وانتهوا إلى الحضرة الإمامية ، في جلالة[6] لهم عن ما خافوه ، وحاذروه[7] ، مؤنسة . وحمل إلى

(١) تكاثرها : تدابرها في ب .
(٢) وشق : ورشق في ب .
(٣) الحلل : الحلال في ب .
(٤) يكسو : يكسيان في ب
(٥) المجرسة : المجوسة في ب .
(٦) جلالة : سقطت في جـ .
(٧) وحاذوره : وحذروا في ب .

دورهم ما كان أخذ عليهم من بيوت[1] الأموال ، وعادوا إلى الإكرام من فضل أمير المؤمنين ، والإجلال .

وظهرت لأمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع .م ، فضائل لم يسمع بمثلها ، ودلائل ظاهر بيان فضلها ، ومعجزات بهرت الألباب ، وآيات لا يشك فيها إلا أهل الزيغ والإرتياب ، فغلا فيه من غلا ، وسفل بذلك من حيث[2] ظن أنه علا ، ووقع في أهل الدعوة والمملكة الإختباط ، وكثر الزيغ والإختلاط ، فجرد ٣٧٩/ أمير المؤمنين السيف / في الغالين والمقصرين ، واشتدت الظلمة على الشاكين المتحرمين ، وأعرض ولي الله عنهم ، وأغلق أبواب رحمته ، فعم الإمتحان في الحضرة ، فشملت مع قرب النور عظيم ظلمته ، حتى ورد إلى الحضرة الشريفة النبوية الإمامية ، ووفد إلى الأبواب الزاكية الحاكمية ، باب الدعوة الذي عنده فصل الخطاب ، ولسانها الناطق بفضل الجواب ، والبراهين المضيئة ، والدلائل الواضحة الجليلة ، مبين سبل الهدى للمهتدين ، حجة العراقين أحمد بن عبد الله ابن حميد الكرماني ، قدس الله روحه ، ورضي عنه ، ولا حرمنا نور بيانه ، والإقتباس منه ، مهاجراً عن أوطانه ومحله ، ووارداً كورود الغيث إلى المرعى بعد محله ، [فحل ببيانه][3] تلك الظلمة المدلهمة ، وأبان بواضح علمه ونور هديه فضل الأئمة ؛ وكان ما وصفه في ترجمة رسالته التي سماها بمباسم البشارات ، وأقام فيها على فضل الحاكم بأمر الله واضح الدلالات ، حيث يقول : أما بعد فإني لما ٣٨٠/ وردت الحضرة النبوية مهاجراً ، وللسدة[4] العلوية زائراً ، ورأيت السماء /

---

(١) بيوت : نبوات في ب .

(٢) يذكر التاريخ أن الحاكم ألغى ما جرى به الرسم من مواكب الصلاة في الجوامع في أيام الجمع من شهر رمضان وفي العيدين . بل ألغى كل ما يتعلق بالمذهب من الاحتفال بأعياده ، وأبطل مجالس الدعوة العامة والخاصة ، وما كان يؤخذ لها من مال الخمس والزكاة والفطرة والنجاوى . المقريزي : خطط جـ٢ ص٢٢٣ . واستمرت هذه التدبيرات أن صحت مدة ثلاث سنوات . ولكن ابن خلدون يقول : إنه زعم لا يقبله ذو عقل ، ولو صدر من الحاكم شيء منه لقتل لوقته .

(٣) فحل ببيانه : فحلو بيانه في ب .

(٤) وللسدة : للسيدة في ب .

قد أظلت بسحاب عميم ، والناس تحت ابتلاءٍ عظيم[1] والعهد في الرسوم السالفة قد نقض ، وعن أولياء الدين بما كسبت أيديهم قد أعرض ، والرسم في عقد مجالس الحكمة جريا فيهم بالإحسان قد رفض ، والعالي منهم قد اتضع ، والسافل منهم قد ارتفع ، وشاهدت أولياء الدعوة الهادية بسط الله أنوارها ، والناشئين في عصمة الإمامة وأولي ولائها ، قد حيرهم ما يطرأ عليهم من هذه الأحوال ، التي تشيب لها النواصي ، وبهرهم ما تجدّد لهم من الأسباب التي[2] لا يهلك بها إلاً أولو النفاق والمعاصي ، وهم يومئذ يموج بعضهم في بعض ، ويرمي كل واحد منهم صاحبه بفسق ونقص ، تتلاعب بهم الأفكار الردية ، وتتداولهم الوساوس المردية ؛ ثم لا يعلمون ما أظلهم من الدخان المبين ، ولا ما ألم بهم من الامتحان المستبين[3] فصار البعض منهم في الغلوّ مرتقين[4] إلى ذراه ، والبعض في النكوص على أعقابهم تاركين عصمة الدين وعراه ، والقليل منهم قد تزعزع أركان اعتقادهم ، وما قبلوه من الدين باختيارهم ، و/ ارتيادهم ، وهم على شفا إنحلال ، وحؤول ، واختلال ؛ واعناق أولى الطرفين [5] من الأبالسة إلى اختلاسهم[6] ممتدة ، وهمّها[7] في اصطيادهم عن اعتقادهم محتدة ، والآحاد منهم قد رضوا من أنفسهم لأنفسهم ، إذا تخلصت نفوسهم[8] مكتفين بقوله تعالى : ﴿ لاَ يَضُرُّكُم مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾[9] حملني فرط الشفقة في الدين على أن أناجي الأخوان المستضعفين من دون من فسد جوهره ، بما حدث فيه من المقال ، وانعكس عنصره بما تشرّب[10] قلبه

٣٨١ /

(١) بسحاب عميم ، والناس تحت ابتلاء عظيم : سقطت في ب .
(٢) تشيب لها النواحي ، وبهرهم ما تجدد لهم من الأسباب التي : سقطت في ب .
(٣) المستبين : المتين في ب
(٤) الغلو مرتقين : العلوم تقين في ب .
(٥) أولى الطرفين : ولي الطريقين في ب .
(٦) اختلاسهم : اختلال أسهم في ب .
(٧) وهمها : وهمهم في ب .
(٨) نفوسهم : سقطت في ب .
(٩) سورة : ٥ / ١٠٥.
(١٠) تشرب : نشرت في ب .

من ماء المحال ، وصار كالفضة المحرقة التي لا تعود إلى فضيتها بصناعة ، ولا إلى حالها الأولى ، وأن تعنى بفضل جهد واستطاعة ، بما يكون تقوية لقلوبهم ، وتثبتا لأقدامهم ، من بيان إقامة الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ع .م ، وصدقها . له ، والبشارات الواردة من الأنبياء ع . م والحكماء بحقها ، وما ينجز الله تعالى له من وعده ، ويقربه من الأمر من قبله لبعده ، والكلام على الأسباب العارضة ، وأنها ليست إلاً لما يريد الله تعالى من تصديق قول أنبيائه ، بقيام ما قالوه مقام

٣٨٢ / الصدق ، وما هي إلاً إمارات تقوم مقام النص ، بأنه ولي الحق ، ليزدادوا إيمانا ، وبالله تعالى وبوليه ع .م إيقانا ، هو قوله . ثم أورد في هذه الرسالة من الدلالات والإشارات ، من الأنبياء والحكماء ، ومن نبينا محمد خاتم الأنبياء ، ما يبان بالحق ، ويظهر الصدق ، وذلك موجود مشروح يعرفه من نظر إليه فسلك سبيل العدل والانصاف ، ومال عن طريق المين والخلاف ؛ ثم ان أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع .م ، بعد أن أعرض عن أهل دعوته ، وأغلق عنهم أبواب رحمته ، جزاء بما كسبت أيديهم ، وعملاً بمقتضى الحكمة فيهم ليمتحنهم بذلك ، فيتميز المؤمنون بالإخلاص ، ويبقى المنافقون في الحيرة والانتكاص ، فنظر إليهم نظرة نعشهم بها من الخمول ، وأفاض عليهم من فضله وكرمه المأمول ، وفتح لهم أبواب علومه وحكمته ، واسجل لهم سجال رحمته .

وخطب أختكين[1] الضيف في الدعوة لهداية أولي الشك والارتياب ، وإفادة

٣٨٣ / من هداه الله بقدر الإستحقاق ، / والإستيجاب ؛ ولقبه بالصادق المأمون . والداعي حميد الدين أحمد بن عبد الله هو أساس الدعوة الذي عليه عمادها ، وبه علا ذكرها ، واستقام منارها ، وبه استبانت المشكلات ، وانفرجت المعضلات ،

---

(١) يعتبر أختكين الضيف من أقطاب الدعوة الكبار ، كان يعمل مع البويهيين الشيعيين بالعراق ، ثم هاجر إلى مصر ، ولقب بالعضدي نسبة إلى عضد الدولة البويهي ؛ الذي كان يعتقد في إمامة الفاطميين . فعينه الحاكم داعية للدعاة ، ومنحه لقب الصادق الأمين . وقد بذل أختكين جهده في تنوير الدعاة بحقيقة الدعوة ومنزلة الإمام الحاكم فيها ، النجوم الزاهرة : جـ٤ ص٢٢٢ .

وقد ذكر ذلك حميد الدين أعلى الله قدسه في بعض رسائله حيث قال[١] : أما بعد فإن أبناء الدعوة الهادية بسط الله أنوارها ، لما عمتهم المحنة بإمساك السماء عن القطر[٢] ، وملكتهم الحيرة بوقوف الأرض عن تربية البذر ، وشملهم الضر باستيلاء القحط ، وتداولتهم أسباب الخبط ، وعضتهم نواجذ الإمتحان ، وتنكرت لهم صروف الزمان ، فبهت أعقلهم ، وتحير أحلمهم ، وضعف رجاؤهم وأملهم ، فاستيأسوا[٣] ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، جاءهم نصر الله بنظر وليه وابن بنت نبيه سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين - إليهم - رحمة لهم ؛ فأضاء لهم ما كان مظلما ، وأنار لهم ما كان مستبهما ، وكان ذلك اختياره سلام الله عليه ، وعلى آبائه الطاهرين[٤] ، من بينهم أصدقهم لهجة ، وأأداهم أمانة ، وأقومهم ديانة ، وأثبتهم في / الطاعة قدماً ، وأقدمهم في الهجرة قِدماً[٥]، ذلك أختكين الضيف ، حرس الله عليه جمال الطاعة ، فجعله بابا لرحمته ، ولقبه بالصادق المأمون داعي الدعاة ، ليجمع شملهم ، ويحفظ نظامهم ، فتباشروا بتجدد الموهبة في ذلك لهم ، وعظمت المنّة بالمنحة فيه لديهم ، وشكروا الله تعالى ولوليه في أرضه ع . م ، وكانوا مجلسه[٦] يحضرون ، وبعضهم مع البعض يتذاكرون ، إلى قوله : والداعي حميد الدين هو حجة المقام الأعظم ، المبين لما استبهم ، والموضح لما أشكل ، ولم يفهم وهو من العلماء الذين لا يحارون ولا يسلك معهم في أمم ، وهو بين العلماء كالعلم ، وله تأليفات تحتوي على فنون من العلوم والحكم ؛ مما استفاده عن الأئمة الطاهرين ع .م ، مما وجدنا من تآليفه ، ووقفنا عليه من تصنيفه ، كتاب راحة العقل[٧] أربعة أجزاء في التوحيد ومعرفة الملائكة وعلو مراتبها ، وسمو صفاتها ، /٣٨٤

---

(١) قال : مال في ب

(٢) القطر : المطر في ب .

(٣) فاستيأسوا : سييأسوا في ب .

(٤) الطاهرين : سقطت في ب .

(٥) قدماً ، وأقدمهم في الهجرة قِدماً : سقطت في جـ .

(٦) مجلسه : مجلس في ب .

(٧) حققه وقدم له الدكتور مصطفى غالب منشورات دار الأندلس بيروت .

والدلالة على أوائل الموجودات ، وأسرار الطبائع والشرائع ، وذكر فضل ثواب الله

/ ٣٨٥ تعالى للعاملين العالمين ، وما ترتقي إليه / النفوس العالمة من الثواب الأبدي مع النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، في درجات الجنات ، وأطباقها العاليات ، ومنازلها الساميات ، وكيف يكون عذاب المعذبين ، وإدراك نار الجحيم ، وورود النفوس الهاوية في العذاب الأليم ؛ وذكر القيامة والنشور ، والبعث الذي فيه اجتماع الأول والأخير ، ما قامت دلائله ، وظهرت فضائله ، وهو سر أولياء الله المكنون ، وعلمهم المحفوظ المصون ؛ ثم له كتاب الرياض[1] في الإصلاح بين الشيخين أبي يعقوب وأبي حاتم ، في ما أورد أبو حاتم في كتاب الإصلاح ، وأبو يعقوب في كتاب النصرة ، في شرح ما قاله الشيخ حميد في كتاب المحصول نضر الله وجوههم جميعا ، برحمته وأعلا قدسهم في جنته ، وفي كتاب الرياض المذكور فصل الخطاب ، وإبانة الحق المتجلي عن الارتياب ، وله الرسالة الدرية[2] في معنى التوحيد جواباً لمسائل ألفت إلى اختكين الضيف ، لتكون

/ ٣٨٦ / إلى الإمتحان ذريعة ، ولما يبسط الشغب مزيعه ، وله الرسالة الموسومة بالوضية في جواب من يقول بقدم الجوهر ، وحدوث الصور . وله الرسالة الموسومة باللاذمة في الصوم في شهر رمضان وحينه، ودلائل وقته ، وأوضح براهينه . وله رسالة الروضة في معنى الأزل ، والأزلي ، والأزلية ؛ وبيان التوحيد لله ع .ج عن الصفات اللائقة بخلقه ، والتنزيه له سبحانه بمحض البيان وحقه . وله الرسالة الموسومة بالزاهرة في رسالة وقعت إلى بعض السائلين ، ونسبت إلى الداعي أبي يعقوب نضر الله وجهه ، وإن تلك لا من نظم الشيخ أبي يعقوب ولا من صيغة ألفاظه ، وإن العبارة فيها ليست من عبارته ، ولا المورود فيها من اعتقاده ، لما فيها من ركاكة المباني ، وإحالة المعاني . وله الرسالة الحاوية في الليل والنهار في جواب ما أورد السؤال في أيهما كان بالقبلة قبلاً ؟ وبالبعدية بعدا ؟ ورسالة مباسم

---

(١) حممه عارف تامر من منشورات دار الثقافة بيروت .

(٢) حققها الدكتور محمد كامل حسين من منشورات دار الفكر مصر .

/ ٣٨٧ البشـارات[١] بالإمـام الحـاكم بأمـر الله أمـير المؤمنـين ع . م ، / وعـلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين . والرسالة الواعظـة[٢] تجمـع مواعظـاً وأجوبـة عن مسائل المارق عن الدين حسن الفرغاني الأجدع . والرسالة الكافية في الـرد على الهاروني الحسيني الزيدي ، في مسائل عدة تجمع إثبات الإمامة للحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ع .م ، ألفها للنائب عنه الداعي بكرمان والعراقين ، رحمة الله عليه ، وهو عبد الملك بن محمـد المازنـي ، وكتبهـا إليه من القاهـرة المعـزية ، والحضرة الشريفة . والرسالة الوضية في معالم الدين وأصوله ، وهي مقالتان في العبادة لله تعالى العملية . ومن الموجود لسيدنا حميد الدين كتاب العقائد ولباب الفوائد . وله كتاب تنبيه الهادي والمستهدي في العظة ، والتشويق ، والترهيب بالموت والتحذير ، والحث على العبادة والترغيب، في طلب الزلفى عند الله تعالى ، والسعادة ؛ وفيه وصايا الأئمة ع .م لأشياعهم ، وفضل الإيمان ، وما فيه للنفس من نيل الكمال ،

/ ٣٨٨ الـذي هو العفـو والغفـران ، وبيان / فرائض الإسـلام ، من الطهارة والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد ؛ وما فيها من المنفعة للنفس ، والترغيب في العلم ، والتأويل ؛ وفيه إقامة الحجة على الفرق من أهل الإسلام ، وبيان ما عليه كثير منهم من فساد الإعتقادات ، والتنبيه لأمر من يجب أخذ الدين منه وافتراض طاعته ، وافتخار المعتصمين بحبل الله تعالى وطاعة أئمة دينه ، بأمر الله تعالى ، وأمر رسوله ، ومخالفة غيرهم ، وبيان وجوب أخذ العهد والميثـاق ، والدخول تحت شرائطه . ومن الموجود في تأليفه الجزء الثاني من معاصم الهدى . والإصابة في تفضيل علي على الصحابة . وله كتاب الخزائـن في فنـون العلـم ، والتأويل . وكتاب المصابيح[٣] في الإمامة جاء فيه بالبراهين الواضحة ، والدلائل البينة في دفع قول المعطلين ، وإثبـات الإلهية لله تعـالى مبـدع العالـم الجرمانـي

---

(١) نشرها وحققها الدكتور مصطفى غالب في كتابه الحركات الباطنية في الإسلام منشورات دار الكاتب العربي بيروت .

(٢) نشرها وحققها الدكتور محمد كامل حسين من منشورات جامعة فؤاد القاهرة .

(٣) حققه الدكتور مصطفى غالب من منشورات دار حمد بيروت .

والجسماني ، لا إله إلا هو ، وإبانة مراتب الأنبياء والأوصياء ، القائمين بعدهم ، وإثبات النبوة ، والوصاية ، ودلائل الإمامة ؛ وأنها بالعقب ، والنص ؛ ومن المستحق بعد الرسول / صلى الله عليه لها ، ومن الخالي من فضائلها ، وفيه براهين مضيئة ، ودلائل عقلية . وله كتاب الأقوال الذهبية[١] في كتاب وقع إليه محمد بن زكريا الرازي ، فوجده فيما تصدى له[٢] بزعمه من الطب الروحاني ، لا كهو فيما نشأ[٣] عليه من الطب الجسماني، لكونه في هذا[٤] كفارس في ميدانه ، وكونه في الطب الروحاني كحاطب ليل يجمع ما لا يدري ، وهكذا[٥] الأطباء الروحانيين ؛ لكون[٦] تلك رتبة الأنبياء المؤيدين من السماء ، الهادين إلى سبيل ما يكون به الكون في الحياة الدائمة ، والبقاء . ومن كتبه[٧] التي لم توجد في اليمن ، وقد ذكر أنها من[٨] تأليفاته : رسالة الفهرست ، رسالة المفاوز والحدائق ، تاج العقول ، كتاب ميدان العقول في المعاد ، كتاب النقد والإلزام ، اكليل النفس وتاجها ، كتاب المقاييس ، المجالس البغدادية والبصرية ، الرسالة التأويلية ، الجزء الأول من معاصم الهدى ، والإصابة في فضل علي على الصحابة . فتلك تسعة وعشرون كتاباً تنسب كلها إليه في تأليفها وتنسيقها ، وله فيها الدلائل العقلية ، / والبراهين الواضحة الجلية ، التي لا تدفع إلاً بالبهت والمكابرة ، ولا ينكرها إلاً أولو الجحد لما يرون بأعينهم الباصرة ، فأقام الداعي أحمد بن عبد الله الكرماني ما أفاد وأزال عنها ما شملها ، من طعن الباغين في الأرض بالفساد ، وأبطل قول أولي الغي والالحاد ، وهدى إلى اتباع من لم يخل الله كل عصر منهم

٣٨٩ /

٣٩٠ /

---

(١) حققه الدكتور مصطفى غالب من منشورات دار محيو بيروت .

(٢) تصدى له : قصد إليه في ب .

(٣) نشأ : شاء في ب .

(٤) لكونه في هذا : سقطت في جـ .

(٥) وهكذا : وذلك في ب .

(٦) لكون : يكون في ب .

(٧) ومن كتبه : سقطت في جـ .

(٨) ذكر انها من : ذكر في ب.

من إمام هاد ، وقامت الدعوة الشريفة الحاكمية على ساق ، وجرت أمور أهلها على انتظام واتساق ، وزهرت مصابيح الهدى بنور وإشراق ، وعمت الدعوة أكثر الأقطار والآفاق ، وقام السيف والقلم ، ورفع بآل محمد ع .م العلم ، والعلم .

وأمر الإمام الحاكم بأمر الله إلى مدينة النبي ع .م بعض من اختصه ، ففتح بيت الإمام جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين سلام الله عليهم ، وقد دلهم الإمام الحاكم ع .م على علامات في البيت ، فلما فتحوه أخرجوا كتبا فيها كنوز من علم الأئمة ع .م ، والصلاة ، ومصحفاً ؛ ومالاً وسلاحاً ، وذلك معروف مشهور ، وقد ذكره الشريف الحميري الحسيني في كتابه المعروف بكنز / ٣٩١ الأخبار ،في السير والأخبار، وذلك في سنة عشر وأربعمائة من الهجرة الطاهرة النبوية ، وقد اجتمع عليه كثير من أهل التواريخ ، وأقروا بصحة الروايات فيه ، وهل ذلك إلاّ مما توارثه من علمهم الأئمة الصادقون ، وعرفوا خبيئة جدهم الصادق الأمين ، لتظهر باستخراجه معجزة الإمام الحاكم ،ويتبين أنه الخالف له ، الذي هو في مقامه من الإمامة قائم[1] .

وأذن المؤذنون[2] أو ان خلافة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع .م ، فنادوا في أذانهم بعد الشهادة أن محمداً رسول الله أشهد أن مولانا علياً ولي الله ، تأكيداً لنداء للنبي (ﷺ) في يوم الغدير : من كنت مولاه فعلي مولاه . وذلك اعلان بموالاة الرسول ، وولاية وصيه الذي نص عليه ، وأشار إليه (ﷺ). ثم نادوا في الأذان محمداً وعلياً خير البشر ، وعترتهما خير العتر . إبانة لفضل رسول الله (ﷺ) الذي فخروا بفخره ، وعلوا من المجد إلى أعلى قدره ، ولم يكن أقرب إليه من أخيه ووصيه علي بن أبي طالب / ٣٩٢ ، وابنته فاطمة الزهراء ، وسبطية الحسن

---

(١) وقد بذل أختكين جهده في مؤازرة حجة العراقين أحمد حميد الدين الكرماني ودعم حملته على الغلاة ، وأرسل إلى المدينة بأمر الإمام الحاكم بأمر الله يبحث عن كتب جعفر الصادق ـ جد الأئمة الفاطميين ـ في سنة ٤١٠ ؛ فوجدت في دار جعفر كتب فيها كثير من علم الأئمة . النجوم الزاهرة جـ٤ ص٢٢٢ .

(٢) المؤذنون : المؤذنين في ب .

والحسين ، والأئمة الطاهرين ، الذين اختارهم الله من ذرية رسوله ، وجعلهم هداة خلقه ، إلى نهج سبيله . وقد سئل عبد الله بن العباس من أولى القربى ؟ فقال : علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ؛ فلم يدع ذلك عبد الله بن العباس مع فضله ، وعلمه ، وقرابته ؛ وعترة الرجل رهط[1] الأدنون . وهم يروون عن أبي بكر بن أبي قحافة أنه قال : نحن عترة رسول الله . ولعمري ، ما كان أبو بكر من قرابة الرسول (ﷺ) إلاَّ أنه من قريش ، وذلك بعيد[2] إذا نسب ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، أولى وأدنى من كل من صحب واقترب ، وقد قال الكميت :

بنـي هاشـم رهـط النبـي محمد بهم ولهم أرض مراراً وأغضب

فدل على أنهم قرابته ، وقد ذكرنا من أولي القربى ، وما أتى عن ابن عباس في ذلك من البيان ، وقد أنكر كثير من العوام أن علياً خير البشر فلا تسلم ذلك في علي ، لأن البشر أنبياء ، وهو قول جهلوا[3] صوابه ، ولم يعلموا أسبابه ، وهو قول / مكابرة ، وحجة قائلة داحضة داثرة ، وقد اجتمع جميع المسلمين أن /٣٩٣ أمة محمد خير الأمم ، لقول الله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[4] وفي الأمم قبلهم[5] أنبياء مرسلون ، وأولياء مفضلون ، فإن قالوا ذلك على الإستعارة والتعظيم ، قلنا كما قالوا ، وخاب كل معتد أثيم ، وقد قال النبي (ﷺ) وعلى آله في صحيح الرواية عنه عن حذيفة بن اليماني وغيره : إني مخلف فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق . وقال (ﷺ) : علي خير البشر ، من أبى ذلك فقد كفر . فكفى بهذا دليلاً لمن جعل سبيل الحق له سبيلا ، والأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس .

---

(١) رهط : ربط في ب .

(٢) ذلك بعيد : ذبعيل في ب .

(٣) جهلوا : توجهوا في ب .

(٤) سورة : ٣/ ١١٠ .

(٥) قبلهم : قبالهم في ب .

فقد جاء عن الأئمة ع .م بيانها ، وقد ذكرنا ذلك في هذا الكتـاب ، وفي الرواية المسندة عن علي بن الحسين القاري في القصر المعمـور بالقاهـرة ، قال : كنت مع مولانا الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ع .م بالقرافة ، عند مسجـد يعـرف بالقفاعي ، وهـو قائـم ع .م، إذ سمع / صيحة عظيمة وجلبـة ، فقـال لبعض الركابية : إمض فأنظر ما هذه الصيحة[1] والجلبة واخبرنـي بهـا ؟ فمضى الغلام ، وعاد ، فقال: يا مولانا ! هم أهل اطغيج ، وهم مفترقون فريقين . فقال ع .م : أحضرهـم إليَّ . فمضى الغـلام فأحضرهـم ، فإذا فيهـم أسـود متعلـق برجل ، وقد ضيق عليه ، فقال له مولانا ع .م : أطلق الرجل . فأطلقه ، فقال للأسود : من تكون ؟ فقال : أنا الخـطيب بأطغيج . قال له : ومـن الرجـل[2] الآخر؟ قال : هو الداعي . قال : فأي شيء جرى بينكم ؟ قال : يا مولانا أظهر في بلدنا ما لم نسمعه[3] قط ، قال: وما هو؟ قال : أذن فقال في أذانه محمد وعلي خير البشر ، ولا يجـوز أن يكون علي خـير البشر ، لأن في البشر آدم ، ونوحـا ، وإبـراهيم ، ومـوسى ، وعيسى ، ولا يجـوز أن يكون هو خـير من هؤلاء الأنبياء أصحاب الشرائع . فقال مولانا ع .م : لعمري ان هذا ما هو في أصول الأذان ، وإنما أحدثه سعد الدولة بن حمدان ، ولكن سأبين لك أيها الشيخ أن علياً[4] خير البـشر مـع النبـي (ﷺ) . هـل قرأت أيهـا الشيخ من الحـديث / شيئـاً ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين كثيراً . فقال ع .م : هذا خبـر أورده لك فان كان صحيحـاً فصححه ، وإن كان باطلا فأبطله ، حتى أورد لك غيره . فقال : نعم يا مولانا . قال : حدثنا ابن خلاد شيحة بن سويد يرويه عن المأمون عن أبيه الرشيد ، عن أبيه المهدي ، عن أبيه المنصور ، عن عبد الله بن العباس ، قال : اجتمعنـا في بعض الأيام عند رسول الله (ﷺ) وهو يحدثنا ويفقهنا[5] في ديننا إذ أتته ابنته فاطمة

(١) الصيحة : الصاحة في ب .
(٢) الرجل : سقطت في ب .
(٣) نسمعه : سماعه في ب .
(٤) علياً : علانا في ب .
(٥) ويفقهنا : ويفقه في ب .

الزهراء ، وعيناها تهملان بالدموع ، فوثب (ﷺ) وقال : يا بنية ما يبكيك ؟ قالت : يا أبتي فقدت ولديَّ الحسن والحسين ، وخشيت قلبي يتصدع لفقدهما يا أبتاه ! قال : فرمق (ﷺ) إلى السماء بطرفه ، وتزعزع ، ودعا[1] إذ هبط عليه جبرائيل الأمين سلام الله عليه ، فقال : يا محمد ! لا ترم السلم ، يقربك السلم ، وهو يقول لك : ولداك الحسن والحسين مضيا إلى حضرة بني النجار، فلعبا[2] بها ، فغشيهما النوم ، فبعثت اليهما ملكاً من الملائكة شفيقاً رفيقا ، فوطىء لهما جناحه الأيمن ، وغطاهما بالأيسر فأدركهما ، / وخذهما ؛ فمضى رسول الله ﷺ ، ٣٩٦ /

وأصحابه معه إلى حضيرة بني النجار ، فرأى الحسن والحسين ع .م ، نائمين ، والملك قاعد يحفظهما بأمر الله ع . ج، فاحتملهما على كتفيه ، فقال أبو بكر : دعني يا رسول الله أحمل عنك ! قال : ذرهما فنعم المطي مطيهما ، ونعم الراكبان هما ، وأبوهما خير منهما ، فحملهما على عاتقه ، وجعل يسرع في المشي ليبشر فاطمة حتى وصل إلى المسجد ، فأصاب جماعة من الناس قد فزعوا لذلك فقال (ﷺ) : أيها الناس ! ألا أخبركم بخير الناس أبا وأما ، هما هذان الحسن والحسين ، أبوهما علي وصي أفضل الوصيين ، وأمهما فاطمة الزهراء إبنتي أفضل نساء العالمين ؟ ألا أخبركم بخير الناس جداً وجدة ، هذان الحسن والحسين ، عمهما جعفر الطيار في الجنة ، وعمتهما أم هانيء بنت أبي طالب ، ما أشركت بالله طرفة عين ؟ ألا أخبركم وجدهما رسول الله ، وجدتهما[3] خديجة أول من آمن بالله وبرسوله ؟ ألا أخبركم بخير الناس خالاً وخالة ، / هذان الحسن والحسين ، خالهما القسم ٣٩٧ / ابن رسول الله ، وخالتهما زينب بنت رسول الله ؟ ثم قال : اللهم إنك تعلم أنهما وأباهما وأمهما وجدهما وجدتهما وخالهما وخالتهما ، وعمهما وعمتهما ، وشيعتهما ومحبيهما ، في الجنة . أصحيح هذا الحديث ؟ فقال : أي والله يا أمير المؤمنين ، وانه لمن عيون الأخبار . قال أمير المؤمنين : وفي هذا الحديث أن رسول الله (ﷺ)

(١) ودعا : وراعى في ب .

(٢) فلعبا : فلاعبا في ب .

(٣) جدتهما : جداها في ب .

قال في ملأ[1] من أصحابه : ولداي هذان إماما حقٍّ قاما أو قعدا ، وأبوهما خير منهما . قال : نعم . قال : وقال : ولداي هذان سيدا شباب أهل الجنة . الخبر صحيح يا شيخ أم لا ؟ فقال : صحيح يا أمير المؤمنين . قال : أوليس في الخبر قول رسول الله (ﷺ) / أن أهل الجنة شباب لا يهرمون ؟ قال : نعم . قال : صحيح ذلك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال له : يا شيخ ! ففي الجنة آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، أم لا ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين . فقال : يا شيخ ! فإذا كان الحسن ، والحسين ، سيدا شباب أهل الجنة ، وأبوهما خير منهما . فقد ثبت أن علياً خير البشر مع النبي (ﷺ) . فقال الشيخ : عند ذلك آمنت ، وصدقت . ثم التفت مولانا الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين إلى الداعي ، فقال : أيها الشيخ ! أذن كيف شئت ، فلن يعارضك أحد . ثم قال : إذا دخلت مدينة أهلها عور ، فأردت السكنى معهم ، فغمض عينك الواحدة . وانصرف القوم ، وطلع مولانا أمير المؤمنين ع .م ، إلى القاهرة .

/٣٩٨

والحمد لله رب العالمين ، وكما غلبت الشيعة من خالفها أوان الإمام الحاكم بأمر الله ع . م ، أظهروا سب من تقدم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ومن خالفه ، وباينه ، وحاربه ، وسموهم بأسمائهم ؛ حتى / كثر سب أبي بكر ، وعمر وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وغيرهم ؛ في ذلك الأوان ، وظهر من السر إلى الإعلان ، فجهر به على المنابر ، وتحدث به البادي والحاضر ، وعلق على المنابر ، والألواح ، وأبواب الحمامات ، وحيث يكون اجتماع الجماعات ، فأنكر ذلك الإمام الحاكم بأمر الله ع . م ، وأنشأ هذا المسطور ، وأمر بقراءته على البادين والحضور ، وأجرى كل أحد من الناس على مذهبه ، وأن يظهر ما في ضميره ، ويعلن به ، وكان سجله[2].

/٣٩٩

---

(١) ملأ : ملائك في ب .

(٢) يؤكد المقريزي أن هذا اللعن كان من رأي جماعة المصريين ، الذين كتبوه بالأصباغ في سائر المواضع على أبواب الحوانيت والبيوت وسائر المساجد ، وعلى المقابر أو حتى في الصحراء =

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله ووليه أبي علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، إلى كل حاضر وباد .

أما بعد : فإن أمير المؤمنين يتلو عليكم آية من كتاب الله المبين ، ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ . مضى أمس بما فيه ، وجاء اليوم بما يقتضيه الصلاح والإصلاح بين الناس أصلح ، والفساد والإفساد بينهم مستقبح ؛ إلا من شهد الشهادتين أحق أن / لا تنفك له عروة ، ولا توهن له قوة . بحي على خير العمل يؤذن المؤذنون ولا يؤذنون ، ويخمس المخمسون[1] ، ويربع المربعون في الصلاة على الجنائز ، ولا يعترض أهل الروية فيما هم عليه صائمون ، ولا ينشتم السلف ، ولا يبغي الخالف على من قبله خلف ، تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ، ولكم ما كسبتم ، ولا يسألون عما كانوا يعملون . معشر المؤمنين ، نحن الأئمة ، وأنتم الأمة ، عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ، إلى الله مرجعكم ، فينبئكم بما كنتم تعملون . ٤٠٠ /

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على رسوله سيدنا محمد وآله الأكرمين .

وقوله : لا يسب السلف . كقول بعض آبائه الأئمة ع.م ، في وصيته لشيعته : لا تكونوا سبابين ، ولا عيابين ؛ وكقولهم : حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون .

= مبالغة . والواقع أن الحاكم لم يكن مسؤولاً عن لعن السلف وسبهم في عهده ، وعلى العكس كان يأمر بمحوه ، ويؤدب بالعقاب من يسبهم إلى حد قتله . وينقل عن الحاكم قوله : لا يسب السلف لقول بعض آبائه الأئمة ـ في وصيته لشيعته ـ ولا تكونوا سبابين ولا عيابين . وهذا السجل الذي أصدره الحاكم ، ليقرأ في كل مكان على جميع الناس ، في رمضان ٣٩٨ هـ ، يظهر فيه منع الحاكم سب السلف . خطط جـ ٤ ص ٨٩ ـ ٧٠ ؛ ١٦٠ ، ١٨٥ .

(١) المخمسون : الخمسون في ب

وكثر في أيام الإمام الحاكم ع . م الإنفاق ، وزاد للناس على ما اعتادوه من
٤٠١ / الأرزاق ، وكان يتصدق / على الفقراء والمساكين ، ويغدق عليهم الأموال ، ويعطيهم من يده بلا حاجب ، ولا حاجة[1] لهم إلى ذل السؤال ، وكل من هاجر إلى الحضرة الطاهرة قوبل بالقبول ، وأعطى فوق الأمل والسؤال ، حتى كثر المهاجرون ، وأمَّ إلى أبواب ولي الله الطالبون ، فرفع الناظر بالديار المصرية إليه ع . م ، كتاباً يقول فيه : إن لم يغلق باب القبول عمن هاجر إلى الدعوة النبوية ، لم يبق أحد في مشارق الأرض ومغاربها ، إلاّ وهاجر إليها ، وكان ما يدفع إليهم يستغرق فضول الإرتفاع ، فوقع الإمام الحاكم بأمر الله ع . م على رقعته[2] :

الغربة مذلة الأعناق ، والفاقة مرة المذاق ، والمادة من الله الرزاق ، فأجرهم على عوائدهم في الإنفاق ، ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق .

فلم يقطع ع . م تلك العادة ، ولا اصدار بغير النجح والربح قصادة ، وكان
٤٠٢ / من عادته ع . م أن يقعد في طاقة / من طاقات قصره على ربع الليل يفرق الصدقات على السائلين ، وكانوا يعرفون ذلك الوقت فيجتمعون فيه ، وكان ذلك دأبه ، وتلك آدابه وكرمه ع . م ، مذكور ؛ وهو بالشجاعة معروف مشهور ، فإنه كان يسير وحده في القرى والفلوات ، وربما لقيه بعض المعاندين ، واجتمعوا له راصدين ، فحين يعاينوه تملأ الهيبة قلوبهم ، وصدورهم ؛ ويبطل خوفه أمورهم ، فكان يقتل كثيراً منهم بحسامه ، ويأمر بعضهم بقتل بعض ، فلا يقدرون على التخلف عن أحكامه .

---

(١) حاجة : حوج في ب

(٢) لم يكن الحاكم مثل ملوك زمنه يعمل على إمتلاء خزائنه ، بل كان يفرقها على الفقراء والمساكين ، والإنعام بها على كل من يطلبها باستحقاق . فكان في خروجه اليومي يحمل في كمه شيئاً من المال يفرقه ، كما كان من عادته أن يجلس في شباك « طاق » من شبابيك القصر في وقت محدد ليفرق الصدقات ، فيأتيه الفقراء الذين يعرفون وقت جلوسه ؛ وكان ذلك دأبه ، وتلك آدابه . ولم يكتف بتوزيع المال ، وإنما وزع الكساء بكثرة ، فظهر في عهده ما عرف : بطراز العامة ، وطغى على طراز الخاص . ويشهد له المؤرخون بأن يده لم تمتد إلى أخذ مال أحد إطلاقاً .

وأمر ع . م أبا الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الأعلى بن يونس الشامي المصري الحاكمي ، فعمل زيجاً في الحساب ، وفي علم النجوم ؛ أَصَّلَ فيه الحاكم بأمر الله ع . م أصوله ، وكان إلى ما أشكل عليه دليله ، وكان هذا الزيج المصنف أفضل زيج عمل ، وخبره في ذلك العلم ، وزاد على الزيج الحاكمي في استخراج التقاويم ، المأمون العباسي / ، فأكثر العلماء من المنجمين يجعلون عمدتهم[1] على الزيج الحاكمي في استخراج التقاويم ، والنوبهرات ، ومعرفة الكسوف والحادثات ؛ ومن الإمام ع . م استنباط علمه ، وهو الذي دل علي ابن عبد الرحمن بن يونس الحاسب على ما غاب عن فهمه ؛ وكل علم يوجد فعنهم ع . م أخذ مبتدأه ، ومنهم من أداه .

٤٠٣ /

وقد ذكر أن أصل الأعراب ما أصله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأبي الأسود الدؤلي حين اختلط[2] العرب والعجم ، وكثر الخطأ في المشكل والكلام ؛ وكذلك روى القاضي النعمان بن محمد في كتاب الحروف أن الخليل بن أحمد كان في أيام الإمام الصادق جعفر بن محمد ع . م ، وأنه الذي أمره أن يصنع[3] علم العروض في أوزان الشعر ، والكلام ؛ وأصل له فيه الأصول ، وأراه الأعلام ، فعنهم أصل العلم وفرعه ، ومنهم أخذه وجمعه ؛ وعلم النجوم فهو من العلوم النافعة لمن أراد النظر في الحساب ، والمواقيت[4] في الليل والنهار ، والتفكر في عجائب[5] خلق الله ع . ج والإعتبار ، / ليعلم ما لله جل وعلا من عظيم القدرة ، وما في ذلك من توحيده[6] جل جلاله ، وكان ذلك له من العبرة ، وليس

٤٠٤ /

---

(١) عمدتهم : عرادتهم في ب
(٢) اختلط : اختط في ب
(٣) يصنع : يصانع في جـ
(٤) والمواقيت : الأوقات في ب
(٥) عجائب : عجيب في ب
(٦) توحيده : وحده في ب

هو كل علم الأئمة ع . م ، بل علمهم علم الآخرة ، وقدرة الله تعالى ، وما في شرائع الأنبياء ، وأسرار الحكماء ، وتوحيد الخالق جل وعلا ، لا كما يظن من الخلائق الأغمار أن علم النجوم هو كل علمهم ، ومنتهى فهمهم ، إن ذلك لضلال مبين ؛ وإنما علمهم من علم أنبياء الله المرسلين .

فقد أتى عن القاضي النعمان بن محمد (رضي) قال[1] : ذكر الإمام المعز لدين الله ع . م [وأنا بين يديه][2] يوماً التنجيم والمنجمين ، فقال : من نظر في علم النجامة[3] ليعلم عدة السنين والحساب ، ومواقيت الليل والنهار ، وليعتبر بذلك عظيم قدرة الله جل ذكره ، وما في ذلك من الدلائل[4] على توحيده جل ذكره ، ولا شريك له ، فقد أحسن وأصاب ، ومن تعاطى بذلك علم [غيب الله][5] والقضاء بما يكون ، فقد أساء وأخطأ .

ولقد كان المنصور بالله ع . م ، من أعلم الناس بها ، ولقد قال لي غير مرة :
/ ٤٠٥ والله ما نظرت فيها إلاّ طلباً لعلم توحيد الله / سبحانه ، وتأثير قدرته ، وعجائب خلقه ، ولقد عاينت ما عاينت من الحروب وغيرها ، فما عملت بشيء - والحمد لله رب العالمين - من ذلك [باختيار من دلائل][6] النجوم ولا التفت إليه .
ثم قال ع . م : أتاني بعض المنجمين بكتاب ألفه يذكر فيه خلق آدم وكيف كانت الكواكب يوم خلقه الله تعالى ، وما دلت عليه مما [آل أمره][7] وأمر ذريته إليه ، ورأى أنه قد أتى في ذلك بفائدة ، وعلم سبق إليه ؛ فلما وقفت على كتابه ، سألته فقلت : هذا خلق آدم قد ذكرته ، وكيف كانت الكواكب يوم خلقه الله تعالى ، وما دلت عليه؟ فيما زعمت فهل كان قبل آدم شيء؟ قال : نعم ، قد كان قبله ؛ قلت :

(١) المجالس والمسايرات جـ ٢ ص ٣٠٢ - ٣٠٣
(٢) وأنا بين يديه : سقطت في ب
(٣) النجامة : النجوم في ب
(٤) الدلائل : الدليل في ب
(٥) غيب الله : الغيب في ب
(٦) باختيار من دلائل : في اختيار من علم في ب
(٧) آل أمره : سقطت في ب

فيما كان قبله ، وما كان ، وكيف كانت هذه الكواكب قبل ذلك ، وما دلت عليه ، قبل خلق آدم؟ فلم يحر جواباً ، وقال : هذا شيء ما ظننت أني أسأل عنه . قلت : وهذا الذي تكلفته[1] وجئت به ما سألت عنه [أيضاً فكيف تكلفته][2] فعجبت من قوم يتيهون بما لا يعلمون ، ويتعاطون ما لا يدركون ، وحسبهم لو أخذوا عن أولياء الله ما / يعطوهم إياه ، ويسألوهم عما ينبغي لهم أن يسألوهم عنه ، ولم يتكلفوا ما لم يتعبدوا به ، ولا كلفوه ، ولا سألوا عنه .

/٤٠٦

وروى القاضي النعمان قال[3] : وأقحط المطر أوان الحرث ووقت الحاجة إليه ، وكان المنجمون قد ذكروا أنها تكون سنة جدب وقحط ، فما [كانوا بأوشك][4] من أن أتى الله ع . ج ، من الغيث والمطر والسقيا ، بما لم يروا عن بعيد مثله ، ودام أياماً ، حتى خاف الناس من أجله ، وحضرت مجلس المعز ع . م ، في وقت ذلك ، فذكر عنده قول أصحاب النجوم ، وما قالوه . فقال ع . م : ما كان هذا الغيث إلا تصديقاً لقول رسول الله (ﷺ) في الخبر المأثور عنه لما أمطروا بالمدينة فجعل بعض الناس يقولون : أمطرنا بنجم كذا . وقال قوم : أمطرنا بفضل الله ورحمته ، فقال رسول الله (ﷺ) : أصبح الناس اليوم رجلين : رجل مؤمن [بالله كافر بالكواكب، ورجل مؤمن][5] بالكواكب كافر بالله . ثم قال المعز ع . م : لقد أجمعوا كلهم على ما أجمعوا عليه من القحط والغلاء ، فجاء / الله ع . ج ، بخلاف ما أجمعوا عليه ، وما كان إجماعهم غلطاً على ما قاله أصحاب النجوم ، بل كل قولهم وما جاء من المتقدمين منهم ، دل على ما قالوه ، وما تكلموا به ، إلا على ما قاله الأوائل ، وما هو في الكتب بلا اختلاف بينهم فيه . ولكن جاء الله جل اسمه بخلاف قولهم تصديقاً لرسوله (ﷺ) وعلى آله ، وتكذيباً لمن ادعى علم

/٤٠٧

(١) تكلفته : كلفته في ب
(٢) أيضاً فكيف تكلفته : سقطت في ب
(٣) المجالس والمسايرات : جـ ٢ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ .
(٤) كانوا بأوشك : فما كان أوشك في ب
(٥) بالله كافر بالكواكب ، ورجل مؤمن : سقطت في ب

غيبه الذي لم يطلع عليه إلاً من ارتضى من رسله ، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع. في كلام ذكر عنه : أيها الناس ! إياكم وتعلم النجوم ، إلاً ما يهتدي به في البر والبحر ،فإنها تدعو إلى الكهانة ، والمنجم كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار .

فقد أمروا بتعلم علم النجوم للإهتداء بها في البر والبحر ، لمعرفة علم الحساب والسنين والأوقات ، وأصل ذلك كله للنظر[1] في خلق الله تعالى ، وعظيم قدرته ، والإستدلال / على توحيده ، لا على الإعتقاد أن ذلك دين يدان /٤٠٨ به ، أو أن للكواكب فعل بغير أمر الله سبحانه ، وقضائه وقدره ، وأن بمعرفة ذلك يكون له شريكاً في عينه ، فذلك كما قالوه سلام الله عليهم ، كفر وضلال ، وإفك ومحال ، وإنما حُضوا على علمه بمعرفة حساب الأيام ، والسنين والدلائل[2] على عجائب خلق الله .

نرجع إلى ما كنا فيه قال حيدرة بن محمد بن ابراهيم صاحب السيرة الكتامية : وكان علي بن عبد الرحمن بن يونس صاحب الزيج الحاكمي ، وراصده وحاسبه على الإسناد عن النبي (ﷺ) ، عالماً بالفلسفة ، والهندسة ، وعلم المنطق ، وعلم الهيئة ، وكان له شعر حسن ، وقد ذكره ابن خلكان في تاريخه ، وذكر علمه ، قال : وكان مع علمه كثير البله[3] والتخلف ، فمن ذلك أنه كان يدخل إلى حضرة الحاكم بأمر الله ويقف عنده ، ونعله[4] معلق في يده ، فيبتسم الحاكم بأمر الله إذا نظر إليه . وقال حيدرة بن محمد بن ابراهيم / : ومن /٤٠٩ أخباره أنه ابتاع[5] داراً بالقرابين بمسجد عبد الله ، وجعل عليها لوحاً[6] منقوشاً ،

---

(١) للنظر : فنظر في ب
(٢) الدلائل : سقطت في ب
(٣) البله : الأبله في ب
(٤) ونعله : وفعله في جـ
(٥) إبتاع : باع في ب
(٦) لوحاً : سقطت في ب

وأذهب نقشه فيه[1] : هذه الدار بجميع حقوقها إلى آخر ما يكتب في ألواح الدور ، لعلي بن عبد الرحمن بن يونس بن عبد الأعلى الحاسب ، مولى ترف المولدة المغربية ، والدار من فضل الله ، وفضل العزيز بالله ع . م ، وجزيل عطائه .

وبلغ ذلك العزيز بالله ع . م ، وذلك على عهده ، فركب فيمن يختص به في خفية وعبر[2] ظهراً وقرأ اللوح واستظرفه ، فلما حضر مائدته في غد ، وانقضى[3] الطعام ، قال له أمير المؤمنين ع . م العزيز بالله : يا أبا الحسن ! أنازعك أحد في جاريتك ترف ؟ قال[4] : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : ففي الدار ؟ قال لا . قال : فبحياتي عليك إقلع اللوح عنها ، واعفنا من كونه . ففعل ذلك .

ومن شعر علي بن عبد الرحمن الحاسب المقري المذكور[5] قوله :

أأفقد هبّات النسيم بسحره   وأهجر إخواني فأسكن ملحدا

/ ٤١٠ فيا ليتني من قبل كوني لم أكن   ويا ليتني إذ كنت كنت مخلّداً /

وأنشد أيضاً له :

ومن أعجب الدنيا سلامة ظالم   وعزة ذي بخل وذلّ كريم

ومن كان في عزٍّ فصار لذلّةٍ   فقد ذاق في الدنيا عذاب جحيم

ومن أعظم البلوى كريمٌ أصابهُ   قضاءٌ فأصبحَ تحتَ حُكْمِ لئيمِ

---

(١) وفي سنة ٤٠٤ هـ نهى الحاكم أن يسترشد الناس بالنجوم ، وأن يباشروا علم الفلك ، وأمر بنفي جميع المنجمين عن البلاد ! فاستغاثوا بقاضي القضاة مالك بن سعيد الفارضي ، وتابوا على يديه ، لأن الحاكم عد ذلك جريمة ، وبذلك ألغيت عقوبة النفي . أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٧٩ .

(٢) وعبر : وعبارة في ب

(٣) وانقضى : وقضاة في ب

(٤) قال : سقطت في ب

(٥) المذكور : الذكر في ب

وقال متغزلاً :

غنــت وأخفــت صوتهــا في عودها فكأنمــا الصــوتــان صــوت العود
غيداءُ يأمُــر عودُهــا فيطيعها أبــداً فيتبعهــا اتّبــاعَ وَدُودِ
أنــدى من النّــوّارِ صُبحــاً صوتُها وأرقُّ من نشــر الثنــى المعهود
فكأنّمــا الصــوتينِ حين تمازجــا مــاء الغمــامــة وابنــة العنقـود

وله في مثل ذلك :

يجــري النسيم علــى غلالــة خدّه وأرقّ منــه مــا يمــرُّ عليه
ناولتــه المــرآة ينــظــرُ وجْهَــهُ فعــكَسْــتُ فتنــةَ ناظـريه إليه

قال حيدرة صاحب السيرة الكتامية الحميرية : وله ديوان كبير يشتمل على ستة آلاف بيت ، فمع هذا من شعره مع فضله ، وسمو ذكره يكون ذلك اللوح المكتوب على داره بفرضه واختياره ، وإنما أوردنا ما أوردناه ، لذكر فضل الإمام الحاكم بأمر الله ع . م ، وإنشاء الزيج الحاكمي بأمره ، واستمداد مؤلفه من فيض / بحره. /٤١١

ومن سجلات أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع . م ما كتبه إلى هرون بن محمد[1] الداعي باليمن رحمة الله عليه ورضوانه[2].

---

(١) هو الداعي هارون بن محمد بن رحيم تولى الدعوة في اليمن في عهد العزيز ، وبعد موته خلفه داعية آخر اسمه يوسف بن أحمد بن الأمشج ، ثم خلفه سليمان بن عبيد الله بن عامر الزواحي ، وعلى يده قويت الدعوة الإسماعيلية في اليمن ، مما مهد إلى دعوته الدولة الإسماعيلية في اليمن من جديد في المستنصر بن الظاهر .

(٢) ونشره حسين همداني نقلاً عن عيون الأخبار في كتابه : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٣٠١ ملحق رقم ١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .

من عبد الله ووليه الإمام ، المنصور بالله أبي علي ، الحاكم [بأمر الله][1] أمير المؤمنين ، إلى هرون بن محمد .

سلام الله عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو ، ويسأله أن يصلي على جده محمد[2] خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، (ﷺ) وسلم تسليماً .

أما بعد : فالحمد لله الذي نعمه لا تحصى على من أطاع وعصى ، فذو الطاعة لما به من نعمة يملأ ، وذو[3] المعصية إلى أمدها له يملا يستفيد هذا بشكره [رحمة ورضواناً][4]، كما يستزيد ذلك بكفره إثماً وعدواناً ، وكل سوف يؤتى كتابه ، ثم لا شك يوفي حسابه . فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ، ويصلي سعيراً .

/٤١٢ وإن الذي كتبت به يا هرون بن محمد عنك وعن المؤمنين بأرض اليمن ، على يد المعروف بأبي الخير بن محمد بن يوسف ، بتاريخ يوم الإثنين لثماني ليال خلون من شهر[5] شوال سنة تسعين وثلاثمائة ، قد وصل . فأما ما شرحت من خبر من طلب ما لم يكتب له ويقسم ، فأمره لا بد أن ينقم[6]، وذكره بعار له سوف يرسم .

---

(١) بأمر الله : سقطت في ب

(٢) محمد : سقطت في ب

(٣) وذو : وذا في ب

(٤) رحمة ورضواناً : رحمته في ب

(٥) شهر : سقطت في ب

(٦) ينقم : ينقسم في ب

وأما ما ذكرت إنفاذه على يد رسولك من قرابين المؤمنين ؛ فهو من الذهب وزن تسعين درهماً ومن الورق ألفا درهم . فالله يتقبل لمن عمل ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ، فلا كفران لسعيه ، وإنا له كاتبون . وعليك أن تسلك بالمستجيبين الواجب ، وتتجنب بهم كل طريق مجانب ، لكتاب الله وسنة رسوله جدنا محمد ، والمأخوذ عن آبائنا الأئمة المهديين [صلوات الله على النبي][1] وعلى وصيه وعليهم أجمعين ، والمسموع من أفواه المحققين[2]، لا المأخوذ عن ألسن المتخرصين[3] ، وليكن فتواك للمستفيدين في الحلال والحرام ، من كتاب الدعائم ، دون سواه من الكتب المفتعلة .

وأما ما سألت إنفاذه إليك من الدواء المبارك ، فسيأتيك منه ما يجب في وقته على [يد من يوثق بتأديته][4] وأمانته . وقد كتب إلى الحضرة [مظفر بن زياد كتاباً ذكر حامله أنه ضاع منه في طريقه ، وسئل عما تضمنه ، فحكى أن الذي يحفظه منه استدعاء من يأخذ عليه من الحضرة][5] فأجيب إلى الرجوع / إليك في هذا ٤١٣ / إذ كنت منه قريباً ، ولما هذه سبيله منصوباً . فاعرف ذلك ، واطلع ما عند مظفر وفقه الله ، وطالع الحضرة إن شاء[6] الله ، والسلام عليك ورحمة الله .

وكتب لعشر ليال خلون من ذي القعدة من سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ، وسلم عليهم أجمعين .

وكانت أيام الإمام الحاكم بأمر الله ع . م طاهرة ، ومعجزاته باهرة ، أظهر فيها

---

(١) صلوات الله على النبي : سقطت في ب
(٢) المحققين : المحقين في ب
(٣) المتخرصين : المتمرضين في ب
(٤) يد من يوثق بتأديته : يد مريوش بتأديه في ب
(٥) مظفر بن زياد كتاباً ذكر حامله أنه ضاع منه في طريقه ، وسئل عما تضمنه ؛ فحكى أن الذي يحفظه منه استدعاء من يأخذ عليه من الحضرة : سقطت في ب
(٦) إن شاء : سقطت في ب

البينات ، وأقام البراهين والآيات ، ما يكثر ويبهر ، ويشرق[1] فيه نور الحق ويزهر ؛ وكانت دولته قاهرة للدول ، بالغاً فيها وليه الأمل ، خافقة فيها في الشرق والغرب الأعلام ، ظاهراً فيها عز الدين والإسلام .

ونصب ولده الإمام الظاهر لاعزاز دين الله ، وولاه عهده ، وجعله الخليفة القائم بأمر الله بعده ، وكتب بذلك إلى الجزائر ، والدعاة القائمين[2] بها ؛ ونشره في البادي والحاضر ليعلقوا من ولايته . ثم كانت غيبة الإمام الحاكم بأمر الله ع . م ليلة الإثنين لليلتين بقيتا من شهر شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، فإنه خرج / ٤١٤ / كما كان يخرج إلى البراري ، فلم يعلم أحد بأمره كيف كان ، ورفعه الله إليه سلام الله عليه ، وصلواته ورضوانه ؛ وعمره ست وثلاثون عاماً ، وسبعة أشهر . وكانت ولايته ، وأيام خلافته ، خمساً وعشرين سنة ، وستة عشر يوماً . لأن مولده بقاهرة مصر آخر الليل من ليلة الخميس الثالث ، وقيل الرابع من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة . فالحمد لله على ما قدر على الأنام ، من نزول الحمام ، وجعله حتماً على كل فاضل ومفضول جارياً ، وحكماً ماضياً على الخاص والعام ، وعلى محمد النبي ، ووصيه أمير المؤمنين علي ، وآلهما أفضل الصلاة والسلام ، حسبنا الله ، ونعم الوكيل[3] .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين . الحمد لله الذي جعل دينه ظاهراً وباطناً ، وفضل أوليائه بارزاً

---

(١) ويشرق : وشارف في ب

(٢) القائمين : القادرين في ب

(٣) اختلفت الروايات حول غيبة الحاكم بأمر الله ، فيزعم البعض بأن أخته ست الملك هي التي دبرت قتله ، وهناك من يزعم أن من رافقه أثناء خروجه من القاهرة هما اللذان قتلاه . بينما يرى أتباعه الحاكم اختفى في سنة ٤١١ هـ أي غاب عن عيون الناس لكثرة الجهل والمفاسد ، وسيعود إذا زالت المفاسد المنتشرة في العالم . وقد كان اختفاء الحاكم لليلتين بقيتا من شوال سنة ٤١١ الثلاثاء ، وعمره يومئذ سبع وثلاثون سنة ، بعد أن أمضى خلافته خمساً وعشرين سنة ، وستة عشر يوماً .

وكامناً ، ودعوتهم من الضلال حرماً آمناً ، وصلى الله على محمد رسوله الفائز من كان بدينه دائناً ، ومن أتباعه وأتباع وصيه كائناً ، وعلى وصيه الذي لم يزل لأهل الشرك والكفر ضارباً طاعناً ، علي بن / أبي طالب الخاسر من كان على أوليائه طاعناً ، وعلى الأئمة من ذريته الناجي من كان لهم موالياً ، والهالك من كان لهم مبايناً ، الذي جعل الله في كل عصر منهم إماماً هادياً ، لمن اهتدى بهدائه بالثواب ضامناً ؛ وسلم عليهم أجمعين .

٤١٥ /

ذكر خلافه الإمام علي بن الحسين بن نزار الظاهر لاعزاز دين الله أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله ونبين مما كان في أيامه عليه الصلاة والسلام وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين :

وقام الإمام علي الظاهر لاعزاز دين الله أمير المؤمنين[1]، ابن الإمام الحسن المنصور الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، بعد غيبة أبيه ، وعلى آبائهما ، والطاهرين من أعقابهما ، وكانت ولادته في عهد أبيه الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، بكرة الأربعاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، فكان على الفضل والطهارة منشؤه، وكان الزهد والعبادة عادته وهجيراه ، حتى أفضى إليه أبوه ع . م بأمره ، وجعله ولي عهده الخالف له بعد انقضاء عمره ، فبويع ببيعة الخاصة / يوم غيبة أبيه ع . م ، وقد اندمج من مكنون علمه على ما غاب عن الأنام ، ولم يطلع عليه إلاَّ من اختصه الله من رسول ، أو وصي ، أو إمام . فكتم أمر أبيه ع . م من غيبته في شهر شوال سنة إحدى عشر إلى شهر صفر من سنة إثني

٤١٦ /

(١) كانت ولادة أبو هاشم الظاهر في ليلة الأربعاء ، في اليوم العاشر من شهر رمضان سنة ٣٩٥ هـ ، وولي الخلافة بعد اختفاء أبيه بأيام ، وذلك في شهر شوال سنة ٤١١ هـ ، إذ كان الناس يرجون ظهوره ، ويتبعون آثاره ، إلى أن تحققوا عدمه ، فأقاموا ولده الظاهر في يوم النحر من السنة المذكورة ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٣٦٧ . وكان الظاهر حين ولي الخلافة في السادسة عشرة من عمره . وقد قامت عمته ست الملك بالوصاية عليه في الفترة الأولى من حكمه ، فأظهرت كفاية ممتازة في إدارة شؤون البلاد ، وبذلت العطاء للجند ، وظلت تشرف على أعمال الدولة إلى أن توفيت في سنة ٤١٥ هـ .

عشرة . ثم أظهر أمر غيبته ، وما رفعه الله إليه من دار كرامته ، وبايعه أهل مملكته ، وجميع المتصلين به من أهل دعوته ، وعمره يومئذ سبع عشرة سنة ، وأشهر . وكان قد كتب إلى دعاته في الجزائر ، وإلى جميع أعمال أقطار ملكه الأكابر ، وأعلمهم بما اختار الله لوليه الحاكم بأمره ، وأمرهم بضبط ما لديهم من المملكة ، وحفظ كل منهم لثغره ؛ وأقام ع . م دعائم الإسلام ، وقام بدعوة الإيمان خير قيام ، وأنفذت بأمره القضايا والأحكام ، ونشرت بيمينه وسعد دولته الأعلام ، وأمات البدعة ورفض قائليها ، وأحيا السنة في جميع أقطار مملكته ونواحيها ، ثابتة في جميع الأعمال ، والناس بعز دولته آمنون ، وفي ظلها قائلون ، وأبوابه ودعاته لفضله / ناشرون ، وبلسان الدعوة إليه قائلون. ‎/ ٤١٧

وخطب له ع . م ، أيام حياته في مصر ، وجميع أعمالها ، وفي الحرمين ، وفي القيروان ، وأعمال أفريقية ، وما ينسب إليها من البلدان ، والمهدية ، وبرقة ، وغيرها من أطراف الجزائر ، والأمصار ، ودعاته في الجزائر داعون إليه ، دالون[١] عليه ؛ منهم من هو بدعوته مجاهر ، ولفضله وعلمه شاهر ؛ حيث كانت أعلامه منشورة ، وأتاح الله ظهوره . وحيث التغلب في الستر والكتمان ، كما يجري ذلك في جميع الأعصار والأزمان ، ولم يعانده ع . م معاند ، ولا ثار في أطراف مملكته حاسد ، ولا سفك[٢] دم ، ولا حدث حادث ، ولا نجم ناجم ؛ بل كانت المملكة مشيدة ، والدعوة به راسخة موطدة ، والبلاد ساكنة ممهدة ، والأيام ضاحكة مستبشرة ، والأحكام في كل صقع منتشرة .

وكان الفرغاني حسن الأجدع ممن قال في وقت الحاكم بأمر الله ع . م بالغلو، وخرج عن دعوة أولياء الله بالكبر والعتو[٣]، وأمهل في أوان الحاكم بأمر الله ع . م أن يقطع بسيف نقمته عنقه ، / ويجري عليه من الأحكام ما أجراه على أمثاله ‎/ ٤١٨

---

(١) دالون : دلوا في ب

(٢) ولا سفك : ولا رد في ب

(٣) والعتو : والعتق في ب

من أهل الزندقة ، وإملاء له وإمهال ، لتقوم[1] الحجة عليه ، ويجري في العتق والضلال إلى ما جرى إليه .

وكان الداعي الأجل حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرماني (قس) وهو حجة الإمام الحاكم بأمر الله ووليه ، القائم بنشر العلم بين الأنام ، قد قدم إلى المارق الفرغاني المواعظ ، وأقام عليه حجة الحق ؛ فعل المحامي عن الدين المحافظ ، وكتب بالرسالة الواعظة أيام الحاكم بأمر الله ع . م ، وكتبت هذه الرسالة عن الداعي حميد الدين سنة ثمانٍ وأربعمائة ، في فسطاط مصر ، وهي تتضمن الوعظ له ، والتذكير والتحذير أن يصير بما هو عليه من الغلو والعتو شر مصير ، وفيها أجوبة سؤال سأل عنه أراه فيه نهج[2] الحق والصواب ، وأبان له الصدق فيما أصدره إليه من الجواب ، فقال له في الرسالة الواعظة ، بعد حمد الله ، والثناء عليه ، والصلاة على نبيه ، محمد والطاهرين من آله ، سلام الله عليهم وصلاته .

٤١٩ / أما بعد : فقد رفقك وصلت أوضح الله لك منار الهدى، / وعاد بك إلى الطريقة المثلى ، ووقفت على ما ضمنت من مسائلك التي تنطق عنك بالكفر والإرتداد ، وتشهد[3] عليك بفساد الإعتقاد ، فكانت في اختلال مبانيها ، وفساد معانيها ، على حالة لا يصدر مثلها ، إلاَّ عن تمييز مختل ، واعتقاد[4] معتل ، فلم أر الإجابة عنها ، والنص على ما يتضمنه من الكفر منها ، إلاَّ بلين القول ، وحسن التلطف ، وسلوك طريقة الوعظة والتعطف ، إذ كانت المواعظ للأنفس العليلة دواء ، وبذلك أمر الله ع .ج سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، محمد (ﷺ) وعلى آله الطاهرين ، بقوله جل من قائل : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[5] أي أدع من كان من أهل الحكمة ، ويؤمن بالحكمة ، ومن كان من

(١) لتقوم : لتقام في ب
(٢) نهج : منهاج في ب
(٣) وتشهد : وشاهد في ب
(٤) واعتقاد : وعقد في ب
(٥) سورة : ١٦/ ١٢٥

أهل الجهالة ، والضلالة بالموعظة الحسنة ، فقلت رجاء أن ينجع فيك فترعوي ، وعن الفتنة التي أنت فيها تنثني ، وقلت لعل وعسى ، وتتذكر وتخشى ، فتصبح بقبولها وقد جملك ظاهر الإسلام ، ونورك باطن الإيمان ، فما زادتك العظة / إلاً في غيك استمراراً ، ولا لين القول ، والتلطف بك إلاً في ضلالك تمادياً واستكباراً ؛ فظللت تواصل برقاعك تارة ، وتراسل على لسان أتباعك أخرى ، تطلب أجوبة ما كتبته ظناً منك أنه حق يتبع ، وأن الطريق إلى إبطاله ممتنع[1] ، وأنا أعطيك ثانياً قبل تتبع ما كتبت ، وإظهار الكفر فيما أوردت .

٤٢٠ /

وأورد الداعي أحمد بن عبد الله نصر الله وجهه مواعظ مذكرة ، وبينات في ما أورده وأصدره ، وأتى بقوله من الكفريات ، وأجاب عنها بما يدحضها مما استفاده عن أولياء الله ، الأئمة الهداة ، حتى انتهى إلى قوله في الرد على ما صرح به من كفره ، وبيان إفكه ، وغلوه ونكره ، فقال (رضي)[2] : وأما قولك وقول أصحابك ان المعبود تعالى هو أمير المؤمنين سلام الله عليه ، فقول كفر تكاد السموات أن ينفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هدا ؛ إن دعوا للإله المعبود[3] جل وتعالى غيراً ، ونداً فيا لجسارة على الله تعالى حين[4] جعلوا له سبحانه شريكاً ، ما أعظمها والجراءة على الله حين جعلوا المعبود / غيره تعالى ما أفظعها ، لقد قالوا قولاً عظيماً ، وافتروا إثماً مبيناً ، وأن ذلك إلاً كفر محض[5] ؛ فما أمير المؤمنين إلاً عبد لله خاضع ، وله طائع ، يسجد لوجهه الكريم ، ويعظمه غاية التعظيم ، وباسمه يستفتح[6] ، وعليه في أموره يتوكل ، وأمره إليه يفوض ، والله تعالى قد فضله على خلقه ، وجعله من جهة رسوله محمد (ﷺ) خليفة له في أرضه ،

٤٢١ /

---

(١) ممتنع : تمنع في ب
(٢) رضي : سقطت من ب .
(٣) المعبود : العود في ب
(٤) حين : حينا في ب
(٥) محض : رفض في ب
(٦) يستفتح : يفتتح في ب

ووسيلة لعباده إلى جنته ، وأوجب طاعته على عباده ، وهو سلام الله عليه ، يتبرأ إلى الله تعالى ممن يعتقد ذلك فيه ، وكيف يكون معبوداً وهو جسم ذو أبعاض[١] مؤلفة ، ونفس ذات قوى مكلفة ، يـأكل ويمشي وينـام ، ويستيقـظ وتطـرى عليه الأحوال المتضادة ، من رضى وسخط ، وغم ومسرة ، وسقم وصحة ، كغيره من البشر ؛ وهو ع . م ينفي ما تنسبه[٢] أنت وأصحابك إليه عن نفسه ، كلا إن المعبود ليس إلاَّ الله سبحانه ، الإله الذي يسجد له أمير المؤمنين سلام الله عليه ، ويوحده[٣] ويسبحه ، وعن النعوت والصفات يقدسه ، وله يسجد من مضى من النبيين / والأوصياء ، والأئمـة وتابعيهـم ؛ وإياه نعبـد ، ولـه يسجـد من يخرج إلى الكون منهم ، ما دام عقل ، وفاض عدل ، الذي خلق السموات بأفلاكها ، والنجـوم بأنوارهـا ، والأركان بطبائعها ، والمواليد على أجناسهـا ، لا تسجـدوا للشمس ، ولا للقمر ، وأسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون . وأمـا قولك وقـول أصحابـك ان الشريعـة[٤] والتنـزيل والتـأويل خرافـات ، وقشور وحشو ، لا يتعلق بها نجاة ، وأنهم[٥] لا يوجهون وجوههم إلى القبلة لأنها حائط ، ولا يسجدون إليها فهو شقاوة تدعو إلى حر النيران ، وكفر من عمل الشيطان ، وارتداد عن الإسلام ، وخروج من أهل الإيمان ، وكيف يكون التنزيل المستنير ، والتـأويل المنير ، والشريعـة الغـراء التـي هي أس العبـادة ، وبهـا ينـال الفـوز والسعادة ، قشور وحشو ، ولا تطلب حكمة إلاَّ كانت لها مجرا ، ولا يلتمس نور في معرفة إلاَّ كانت في أفقها بدراً ؟ أم كيف تكون كذلك ، وهي سبب الخـيرات[٦] / الجسمانية ، ومجمـع السعـادات النفاسـنية ، ومنبـع البـركات القدسانية ،

٤٢٢ /

٤٢٣ /

(١) أبعاض : بعصه في ب
(٢) تنسبه : تنساه في ب
(٣) ويوحده : يجده في ب
(٤) الشريعة : الشرعة في ب
(٥) وأنهم : وهم في ب
(٦) الخيرات : الخير في ب

وبها توطد مهد الأمن والإستقامة ، ومن جهتها[1] فاض نور العدل والسلامة ، وبسببها عرف الآباء والأمهات ، وبشرائطها علم البنون[2] والبنات ، وبأحكامها استتب أمر العبادات ، وبسننها انحفظ الحريم ، وباستعمالها عز الكريم ، ولأجلها أنسدت أبواب الفتن ، وببركتها انطفت نيران الأحن ، وعليها ثياب العامل ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، كلا إن كتاب الفجار[3] لفي جحيم ، وأن قولك لقول سقيم ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب[4] لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب ، ولولا اسبال أمير المؤمنين ستر الأمن على المؤمن ، والمنافق والمسلم ، والكافر حتى استوت الأقدام، فيه لكان الجواب عن ذلك التنكيل بك؛ ثم قطع الوثين منك ، وتجريد[5] حد السيف عليك،لكن الأمر لله تعالى، ولوليه ع . م، ولا تحسبن الذين كفروا وإنما نملي لهم خيراً لأنفسهم ، إنما نملي / لهم ليزدادوا ٤٢٤ / إثماً ، ولهم عذاب مهين . ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه ، حتى يميز الخبيث من الطيب ، وما كان الله ليطلعكم على الغيب ، ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ، ما آمنوا بالله ورسله ، وأن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ، وبعد فإني أنصحك ، ومن نكال الدنيا والآخرة أحذرك ، وإياك وهذه المقالات[6] الشنيعة ، فلا تعتبك إلاَّ البعد من الله تعالى ، قبل أن يضيق بك عرصة الإمهال ، ويثمر لك ما أنت فيه من الضلال ، عالماً أن الدنيا وما فيها إلى انقضاء ، ودثور ، والإنسان من بينها إلى حشر[7] ونشور ، والويل لمن أفنى عمره في ما لا يرضي الله تعالى ولا وليه ، فيضل ويفسد ، وإذا قيل لهم : لا تفسدوا في الأرض . قالوا : إنما نحن

---

(١) جهتها : وجهتها في ب
(٢) البنون : البنات في ب
(٣) الفجار : الفخار في ب
(٤) وهب : ذهب في ب
(٥) تجريد : تجديد في ب
(٦) المقالات : القالات في ب
(٧) حشر : حسر في جـ

مصلحون . إلا أنهم هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون . جعلنا الله وجماعة[1] المؤمنين التابعين للحق وأهله ، من الثابتين على عهده ، والقائمين بطاعته ، ولوليه . وختم[2] لنا بالحسنى ، وحفظنا من مصارع الهوى ، / وحشرنا[3] مع الأبرار المتقين ، في جوار[4] رب العالمين بمنه .

٤٢٥ /

هذا من قول الداعي حميد الدين أحمد بن عبد الله (قدس) ، وقد أبلغ في الإحتجاج ، ووعظ في الإستقامة على سواء المنهاج ، فلم يرتدع المارق الفرغاني عن غلوه ، وتمادى[5] في بغيه وعتوه ، يظن ما كان من اعوجاجه هو المستقيم ، ويحسب اعتقاده صحيحاً ، وهو العليل[6] السقيم ، ولم يزل في دعوة أولياء الله يغير ويفسد ، ويدخل بالإضلال مع كل ملحد ، حتى كثر من اتبعه على كفره العظيم ، وضلاله المورد لأمثاله ، وإشكاله في عذاب الجحيم ، من الغلو في الأئمة ، والإعتقاد المخرج له ولاتباعه من النور إلى الظلمة ، فردع عن ذلك فما ارتدع ، واستتيب فما تاب ، ولا أقلع ، ومضت وهو على ذلك الأيام ، حتى قضى أمر الحاكم بأمر الله ع . م ، وأفضى الله بأمره إلى ولده الظاهر لإعزاز دين الله الإمام ابن الإمام، وما برح ع . م ، وفضلاء أوليائه يردعون / الفرغاني عن اعتقاده الخبيث ، ويمنعون[7] في سوقه وأشياعه إلى الهدى السوق الحثيث ، وهم في طغيانهم يزدادون ، ولقائدهم إلى الهدى لا ينقادون ، فحين كثر عتوهم ، وظهر غلوهم ، وازدادوا إمعاناً في الفساد ، وضلوا وأضلوا عن سواء السبيل الرشاد ، أمر أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله ع . م ، بقتل حسن الفرغاني الأجدع ،

٤٢٦ /

(١) وجماعة : جراعة في ب
(٢) وختم : وحلم في ب
(٣) حشرنا : حسرنا في ب
(٤) جوار : سقطت في جـ
(٥) وتمادى : وأدى في ب
(٦) العليل : القليل في ب
(٧) ويمنعون : وينعون في ب

وأصحابه ؛ وصاروا بكفرهم[1] ونكرهم إلى لعنة الله ، وأليم عذابه ، وطهر الله الأرض من رجسهم ، وأطلع سعد دولته المنورة بإخماد نجسهم ؛ ثم بسط أمير المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله لأوليائه بساط الرحمة ، والرأفة .

وأقام القاضي قاسم بن عبد العزيز بن النعمان (رح) في القضاء والدعوة بباب الخلافة ، وأمره بإقامة الدعوة[2] والهداية ، وقراءة مجالس الحكمة ، ونشر علوم التأويل لأهل الولاية ، وأن يقيم من أوامر الدعوة العلوية الفاطمية ما اندرس ، ويمحو[3] ما أثره / فيها أولو البغي ، ويبين ما انطمس. ‎/ ٤٢٧

وكتب سجلاً بذلك أنشأه إلى جميع أهل دعوته ، وأمر كل داع من دعاته ، أن يتلوه على من كان من المؤمنين في ناحيته ، وذكر فيه قتل الكفرة من أصحاب الأجدع بعد قتله ، وتتبعه في الأقطار ، وتلك سنة الله الجارية في مثله ، وهذا نصه وفصه[4] :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله ووليه علي بن الحسين الظاهر لاعزاز دين الله أمير المؤمنين ، ابن الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، إلى كافة أولياء الدولة[5] وجنودها ، وسائر أهل الملة من رعاياها وعبيدها ، سلام عليكم ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو ، ويسأله أن يصلي على جده محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين .

أما بعد : فالحمد لله الغامر طوله ، القاهر[6] صوله ، الصادر عن الحكمة

---

(١) بكفرهم : كرهم في ب
(٢) الدعوة : الرعاة في ب
(٣) ويمحو : ويلحو في ب
(٤) وفصه : سقطت في ب
(٥) الدولة : الدالة في ب
(٦) القاهر : الناصر في ب

والمعرفة فعله وقوله ، الذي خلق الخلائق ابتداعاً واقتداراً ، وكلفهم العمل بطاعته ابتلاءً واختباراً ، وانتجب منهم المرسلين ، وجعلهم شموساً للأمم ، وأقماراً ؛ وأنجب أئمة الحق المهديين ، / وصيرهم[1] مصابيح في الظلمة وأنواراً ، ٤٢٨ / موجد[2] الموجودات ، ومالك ملكوت الأرض والسموات ، مقدر المقادير الجاريات ، والمتعالي بعظمته عن أن تحيط[3] به حدود الصفات ، فما يجده لسان ، ولا تدركه عيان ، ولا يتصوره جنان ، ولا يجوزه مكان ، ولا يخفى عليه أسرار ولا إعلان ، ذلكم الله ربكم لا إله إلاّ هو ، خالق كل شيء فاعبدوه ، وهو على كل شيء قدير ، والحمد لله الذي رضي لمن ارتضاه من عباده دين الإسلام ، وأيده بالأعوان والأعظام ، وأنار[4] بهديه سدف الظلام ، وابتعث نبيه محمداً سيد الأنام ، فأكمل بمبعثه الصنائع ، ونسخ بشريعته الشرائع ، وأطلع من مشكاة نوره النجوم الطوالع ، واختصه بالقرآن العزيز ، والذكر الحكيم الوجيز ، أوضح[5] المعجزات برهاناً ، وأكثرها آية وشاناً ، وأثبتها على تصرف الأزمان دليلاً وبياناً ، وأمره أن يهدي الجن والأنس ، ويزيل ببرهانه غمرة الشك واللبس ، فحين قام بحقه ، وبلغ ما أمر به عجز عن معارضته البشر ، وأنشدت مطالع[6] القول فيه على المبطلين / إلاّ من أطلقه الجهل والأشر. أنه فكر وقدر، فقتل كيف ٤٢٩ / قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس[7] وبصر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال : إن هذا إلاّ سحر يؤثر، إن هذا إلاّ قول البشر ، دفعاً للحق[8] وتخرصاً ، والحق أغر أبلج مأثور الأثر ، ولما وجبت[9] الحجة على الثقلين ، ووضح الصبح

(١) وصيرهم : وصارهم في جـ
(٢) موجد : واجد في ب
(٣) تحيط : حاط في ب
(٤) وأنار : ونور في ب
(٥) أوضح : ضوح في ب
(٦) مطالع : مطلع في جـ
(٧) عبس : عاس في ب
(٨) للحق : حققه في ب
(٩) وجبت : جابت في ب

لذي عينين ، نص بالخلافة على السابق[1] إلى الإيمان ، والناطق بالحكمة والبيان ، والمعصوم من عبادة الأوثان ، والمخصوص بخير النسوان ، والمتوج بغرر[2] المناقب ، والمفرج لهم[3] النوائب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، الذي بأهل به سيد ولد آدم غواة ضلوا في عبد الله ورسوله عيسى بن مريم ، وقال له مستوزراً مستخلفاً ، أنت مني كهرون من موسى فاجتباه بالرفع على الصحابة والاثافة ، وخصه بمزية الإمامة والخلافة ، وأوجب بولايته الهداية ، وأعطاه بوحي من الله الراية ، وجعله المفزع والغاية ع.م ، وعلى الأئمة من ذريتهما الذين اصطفاهم على ٤٣٠ / الخلق ، وأوضح بهم / مناهج الحق ؛ والحمد لله ولي المنايح ، وميسر المناجح ، وموفق أمير المؤمنين للأفعال المشتملة على المنافع والمصالح ، صنعاً من الله ع.ج جميلاً وسياً ، وتأييداً هداه به صراطاً مستقياً ، ذلك الفضل من الله ، وكفى بالله علياً ؛ وأن أمير المؤمنين بموقعه من أيالة الأمة ، وموضعه من وراثة آبائه الهداة الأئمة ، الذي جمع[4] الله بهم الشتات ، وأحيا بعلومهم الموات ، ونور بحكمهم الظلمات ، وحل بحججهم الشبهات ، لا يألو حرصاً في ما حاط[5] الدين ورفع مناره ، وأعز جانب المؤمنين وحمى ذماره ، وعمر قلوب المؤمنين بالذكرى النافعة ، وشرح صدور[6] المستبصرين بالحكمة البارعة ، وأقام حجة الإيمان بكل مكان ، ونهج محجة الرضوان[7] لكل قاص ودان ، إعزازاً للدين الذي هدانا الله بأضوائه ، وشرفنا بسنائه ، ووطد بنا قواعد بنائه ، وانتجبنا لتشييده وإعلائه ، نظر للعارفين الذين اهتدوا بهدينا ، وسلموا إلينا فسلموا ، ونالوا معالم ٤٣١ / الدين والدنيا / فظفروا ، وغنموا أولئك هم بررة العباد ، وعمدة سبيل

---

(١) السابق : سبق في جـ
(٢) بغرر : غرر في جـ
(٣) لهم : وهم في ب
(٤) جمع : جوع في ب
(٥) ما حاط : أحاط في ب
(٦) صدور : صور في جـ
(٧) الرضوان : العوان في ب

الرشاد ، ونحن أولياؤهم في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة وهداتهم ، ولكل قوم هاد ، وإن للفرات أحكاماً معلومة ، وأقساماً من المصالح مفهومة يزيد الله بها المهتدين هدى واستبصاراً ، والمضلين ضلالاً وخساراً ، ولم تزل أئمة الحق يجرون أمر الحكمة في الإطلاق والمنع ، والإباحة ، والحصر على ما يوجب الصواب ، ويحتمله الألباب ، وتقضيه المصلحة في الأوقات ، وتستدعيه نوازع المطالب والرغبات ، وقد كان[1] باب الحكمة مفتوحاً وكنز الرحمة ممنوحاً ، وشرع العلم للطالبين مباحاً ، ومفتاح الرحمة مقبولاً[2] مباحاً ، وبحر الحكمة مسجوراً متاحاً إلى أن أمر مولانا الحاكم بأمر الله ع.م بإغلاق بابها لما رآه من المصلحة . بحكم مشاهدته الأمور ، وسياسة الجمهور ، وإذ كان للكلام في عصره حكم ينفرد بقضيته ، ويتوحد بمزيته ، بذلك جرت أحكام أئمة الهدى على مر الزمان ، والله جل جلاله كل يوم هو في شان .

/٤٣٢ ولما / أفضى الله إلى أمير المؤمنين بخلافته ، وصير سعد العالمين في ضمن إيالته ، وأعلا بسط قدرته وتمكينه ، وجعله[3] الظاهر لإعزاز دين الله كامل الحال في ذلك تأمل المؤيد حكمة المسدد عزمه ، الكاشف بهداية الله لغوامض الأشياء علمه ، فوضح له أن السبب فيه والداعي إليه ما كان اعتمده جهله ، مرقوا عن الدين وفسقوا[4] عن أمر الأئمة الراشدين ، من تحريف الكلم عن مواضعه ، وتأول ما يسمعونه من العلم بغرائب الجهل وبدائعه ، إغراقاً في قول المحال ، واعتقاداً للكفر والضلال ، فحلاهم الله عن موارد شربهم ، وجزاهم ذلك بكفرهم وغيهم ، ورفع العلم تنزيهاً له عنهم لعظيم دينهم ، كما رفع التابوت عن كفرة بني إسرائيل ، وفيه سكينة من ربهم ، لا جرم إنا تتبعناهم في الأقطار

(١) كان : سقطت في ب
(٢) مقبولاً : قبل في ب
(٣) وجعله : جاعله في جـ
(٤) وفسقوا : وفاقوا في ب

وبوأناهم مباءَ[1] الخزي والصغار، ووضعنا في من ظفرنا به منهم سيف الحق الذي أمضى الله مضاربه، وجعل هؤلاء الكفرة ضرائبه، حتى أئمت حلائلهم، وخلت منهم منازلهم، واعتبر بمصائبهم المعتبرون؛ / فتلك[2] بيوتهم خاوية، بما ظلموا، إن في ذلك لآية لقوم يعلمون؛ قاتلهم الله من فسقة أصروا على الكفر ومرتعه وخيم، فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم. ٤٣٣ /

ولما تجلت الغمرة، وتولت الفترة، ونكص الشيطان على عقبه مثبوراً[3] مدحوراً، وأسلم حزبه إلى الهلكة، وتولى منهم خاسراً مدبراً، ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله، وما كان منتصراً؛ وأذن الله تعالى في زوال الفتنة المضلة وانقراضها، ورجوع عزائم الإرشاد إلى منازعها وأعراضها، عزم أمير المؤمنين على مداواة البصائر من عللها وأمراضها، وعمارة العلوم التي ترتع خواطر المحقين في رياضتها، فأمر داعي الدعاة ثقة الدولة، وأمير الأمراء قاسم بن عبد العزيز محمد ابن النعمان سلمه الله، ووفقه وأعانه، بفتح باب الحكمة لطالبيها، وقراءة المجالس في قصور الخلافة، بحيث جرت الرسوم المتقدمة في قراءتها فيها إذ كان ثقة أمير المؤمنين وأمينه، وداعيه الذي استوضح مذهبه الحميد ويقينه، ومواليه الذي استنصح / معتقده الرشيد ودينه، مع ما له من التمييز مما لسلفه في خدمة الدعوة الهادية من الخصائص المأثورة، والمآثر المذكورة، والسوابق المشكورة، فأرشد بهم سلفاً إئتمنهم أئمة الحق على سرائر الحكمة، وأنجز به خلفاً جرى على شاكلتهم في تأدية الأمانة بإخلاص الخدمة، وأوعز إليه أمير المؤمنين بالإقبال على المخلصين، والإشتمال على الأولياء المتخصصين، وتعريفهم[4] مكانهم من حنو أمير المؤمنين، وجميل رأيه القاضي لهم بجزيل الحظ في الدنيا والدين، وأن يدأب في شحذ خواطرهم، وإرهاق بصائرهم، والرفع من نظائرهم، وإذكار ناسيهم، ٤٣٤ /

(١) مباء: مبوء في ب
(٢) فتلك: فذلك في جـ
(٣) مثبوراً: مبثوراً في ب
(٤) تعريفهم: تحريفهم في ب

وتنبيه[1] ساهيهم ، وإجابة داعيهم ، وإيجاب حق ديانتهم ، ومن يرضي مذهبه ، ويزكي أدبه ، حتى ينتهي ذلك إلى ما رسم له ، وأمر به ، بمشيئة الله وعونه .

وهذه معشر المؤمنين رحمكم الله تعالى متجددة عليكم ، ومنه منساقة إليكم ،

٤٣٥ / ولقد كنتم قبل اليوم بمثابة قوم كانوا على ضفتي / نهر عذب ، ماؤه سائغ شرابه ، مريع جنابه ، تشربون منه النهل والعلل ، وتشفون[2] الأوصاب والعلل ، فريد وعز وارده ، وامتحنوا بجزره بعد مدة ، فظلوا عطايفا إلى الورود ، وكابدوا مشقة[3] الظمأ إلى أجل معدود ، وأقاموا برهة من الدهر يغادون شدة الأزل والمحل ، فلما كابدوا[4] مشقة الظمأ إلى أجل معدود ، وأقاموا يئسوا من الغوث ، ويقنطوا من نزول الغيث ، نشأت سحائب الرحمة فبشرت بالخصب والنعمة ، وأذنت بزوال الغمة ، وأسلبت جودا من وابلها هاطلاً ، وأفاضت من وجودها ريا شاملاً ، فعاد ذلك النهر إلى امتلائه ، وعادوا إلى استقاء مائه ، ورتعوا في مرتع كلائه ، وابتهجوا بسوابغ فضل الله تعالى وجسيم عطائه ، فأنتم اليوم بمنزلة من سقى من عطش شديد ، وأدنى من أمد بعيد ، وأعطى سوله من حد سعيد ، فارتبطوا نعمة الله بشكره ، وازدلفوا إليه بمواصلة ذكره ، وانتبهوا في طاعة ولي

٤٣٦ / أمركم ، وإمام عصركم ، إلى حدود أمره ، / وأقبلوا على علوم الأئمة سلام الله عليهم بقلوب سليمة ، وعقائد مستقيمة ، وصدور عامرة[5] بالتقوى ، وآذان واعية للذكرى ، ونفوس مستعدة لما ينجيها في الدار الأخرى ، وتجنبوا مقاصد من حاد عن الواجب وجنف ، وإياكم وإطلاق هجر القول في أحد ممن سلف ، تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسألوا عما كانوا يعملون ، واعلموا ان المؤمن الموقن[6] من أقبل على شأنه ، وأمن الناس من بوادر يده ولسانه ، وتبرى من

---

(١) تنبيه : سقطت في جـ

(٢) تشفون تشفعون في ب

(٣) مشقة : شقة في ب

(٤) كابدوا : كادوا في ب

(٥) عامرة : عابرة في ب

(٦) الموقن : الواقي في ب

القبيح بجهده، وذكر القول الجميل في صدره ووروده، ودفع بالتي هي أحسن، وقصد من الأمور ما هو أحمد ذكراً، وزين وتورع عن محارم الله تقدس اسمه، وزجر نفسه عن كل ما يورط أمره ويوبق إثمه، وهذه أقسام من نكب عن جوازها حار أين سلك، وأين عدل عنها إلى اضدادها ضل بل هلك، فليكن طلبكم العلم تديناً لا تعصباً، وتأدباً لا توصلاً إلى التقرب[1] وتسبباً، فإن العلم إذا أخذ بحقه، وقصد مقصد الانتفاع في الدين به زكت ثمرته، وعمت منفعته، وتضاعفت مثوبته، وإذا استفيد لتناول الحطام والتكبر به / على العوام شملت مضرته، وانعكست مصلحته، وعدمت فائدته، وكان علمه مبدياً جهله، وكان حجة عليه لا له، وأمير المؤمنين يحرم على كل منكم تحريف[2] ما سمعه من العلم والإقدام على تأويله من تلقاء نفسه، والرجوع في استنباطه وتفسيره إلى رأيه وجدسه، فإن فاعل ذلك مأثوم، والمعترض له مأثوم، محروم؛ ونستعين بالله ونهتدي بهداه، ونسأله أن يوفقنا[3] لمايحبه ويرضاه، ويقطع بأسيافنا دابر من اتخذ إلهه هواه ، والحمدالله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فاعلموا معاشر دولتنا، وجنود مملكتنا، وبسائر رغبتنا ما أعلمناكم في سجلنا هذا لتزيد في بصائركم في اكتساب الحسنات، واجتناب السيئات، واعملوا بها يقربكم إلى الله ع. ج تنأه زلفى[4] ويجزل لكم برحمته الحظ الأجزل الأوفى وما تفعلوا من خير يعلمه الله، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، إن شاء الله.

٤٣٧ /

وكتب لخمس خلون من شعبان سنة سبع عشرة وأربعمائة، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله الطاهرين، وسلم عليهم أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

٤٣٨ / فنفذ هذا / السجل إلى الأقطار، وقرىء على المنابر في الأمصار،

---

(١) التقرب : القرايب في ب
(٢) تحريف : تخويف في ب
(٣) يوفقنا : يرفقنا في ب
(٤) زلفى : زكا في جـ

ونشر أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله عدله ، وعرف كل من الناس فضله ، وقامت به قواعد الملة ، واستقامت الأمور على ساق ، وأخمد الله ناجم البغي والعدوان ، وانتظمت له الأحوال ، ونال به أهل دعوته الآمال[1] ، وأكثر عليهم من الإنعام والأفضال ، ودانت[2] جهات المملكة ، ولم يعانده فيها معاند ، خوف الجزاء والهلكة ؛ وأيد الله به دينه ، وأظهر حججه وبراهينه ، وظهرت دعوته بشيراز، وأرض فارس ، والأعواز ، على لسان داعيه هبة الله بن موسى المؤيد في الدين (قس) ، والدعوة هناك متقدمة على مر الأيام على عهد أئمة الستر ع.م قبل الظهور ، واتفقت واتسقت للظاهر لإعزاز دين الله الأمور ، وهابته ملوك بني العباس ، ومن تعلق بهم ، وخافوا أن يقضي الله بزوال ملكهم وعطبهم ، وفيه يقول الداعي المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي الفارسي نضّر الله وجهه ، حيث يقول[3] :

/٤٣٩ قَدْ عَزَّ دِينُ اللهِ بالظَّاهِرِ ... مَوْلى الأنامِ البَاطِنِ الظاهِرِ/
نَجْلُ الإمامِ الحَاكِمِ المُجْتَبى ... وابنِ الإمامِ الطيِّبِ الطَّاهِرِ
شَمْسُ الضُّحى [بَحْرُ النُّهى والحِجا][4] ... شَمْسٌ بَدَتْ[5] مِنْ قَمَرٍ زَاهِرِ
أشرَقَتِ الأرْضُ بأنوَارِها ... وأصْبَحَتْ مَيْمونَةَ الطَّائِرِ
وأبرَزَتْ راياتِ حَقٍّ لَها ... يَنْقادُ صَرْفُ الفَلكِ الدائِرِ
جَاءَتْ سُيُوفُ اللهِ مَسْلولة ... مِنْ غَرْبِها تَفْتِكُ بالغَادِرِ
تُجَرِّعُ الأعْداءَ ما جرَّعوا ... عَشيرَةَ الصَّادِقِ والبَاقِرِ

---

(١) الآمال : سقطت في ب
(٢) ودانت : ورامت في ب
(٣) القصيدة الرابعة عشرة من ديوان المؤيد في الدين ص ٢٣٨ .
(٤) بحر النهى والحجا : بدر الدجى والندى في ب
(٥) بدت : سقطت في ب

قُل لبنـي العبَّـاسِ أصْبَحْتـم ما لكم في الأرضِ [مـن ناصِرٍ][1]

قد انْقَضَـتْ دوْلَـةُ أوْثَانِكم وأصْـبَحَـتْ مَقْطـوعَـةَ الـدَّابِـر

أَيَسْتُـمْ عُـود الهُـدَى بُرْهَـةً فَعـادَ غَضًّـا نُـزْهَـةَ النَّاظِـر

مَنابِـرُ الإِسْـلامِ قَدْ عُطِّلَتْ[2] مِـنَ سِمَـةِ الطَّـائِعِ والقَـادر

ولَيْسَ يَعْلُوهـا لهُـم خاطِبٌ مـن فَاجِرٍ يَنْمـي إلـى فَاجِرِ

عَـادَتْ إلـى آلِ أبـي طَالِب تَسْتَبْـدِلُ[3] الغامِـرَ بالعَـامِـر

مُنَّ علـى مُسْتَضْعِفـي قَـوْمِهم وحـاقَ سُوءُ المَـكْرِ بالماكِـر

وأُوْرِثـوا الأَرضَ بِرَغْـمِ العِدَى[4] فمـا لهُـمْ في النَّـاس من قاهِرِ

قد وضَـحَ الصُّبْـحُ وَجـنَّ الدُّجى فهـلْ لضَـوْءِ الصُّبْـحِ من ساتِرٍ[5]

يا ابنَ رَسُـول الله يا خَيْرَ مَنْ أنشىء من بادٍ ومـن حاضِرِ

مَنْ ذا يُجَـاريك[6] وضَـوْءُ الضُّحى مُقْتَبسٌ من نـورِكَ الزَّاهِر[7]

أمْ مَنْ يُبـاهيك وعـز الوَرى مُكْتَسَـبٌ من [نـورِكَ القاهِرِ][8]

/٤٤٠ عِزٌّ سنيٌّ [مـن لدن][9] آدم / يـتـركه الأَوَّلُ للآخِـر

ماضِيكُمُ أشْـرَفُ من قد مَضى كذلك الغابِـرُ في الغابر

يا ظاهِـراً وَجْـهُ الهُـدى[10] ناضر مسـتبشـر من وجهـه النـاضـر

يا غَيْثَ رَاجيه ويا غَوْثَهُ وجَـارَهُ من دهْـرِه الجَائِـر

يا مَلجـأَ الضُّعفـا ومَنْجـاهُـمُ ويا مُقيـلا عَـثْـرَةَ العـاثـر

---

(١) من ناصر : بأنوار في ب

(٢) عطلت : طهرت في ب

(٣) تستبدل : بدل في ب

(٤) العدى : الهدى في ب

(٥) ساتر : سائر في ب

(٦) يجاريك : يباريك في الديوان

(٧) الزاهر : الباهر في الديوان

(٨) نورك القاهر : عزك الوافر في الديوان

(٩) من لدن : من له دا في ب

(١٠) الهدى : التقى في ب

أنْـتَ الـذي قد قمـت من أحمدٍ حقـاً[1] مَقـامِ القلـب والناظر
سَيْبُـكَ[2] عيش للموالـي كما مَـوْتُ العِـدَى من سيْفِـكَ الباتِر
أنـتَ الثُـرَيَّا والـوَرَى كالثَّرَى وأنـتَ قُصْوَى [3] مَفْخَـر الفَاخِرِ
عِلْمُـك بَحْـرٌ وعلُـومُ الـوَرَى كقـطـرةٍ مِنْ بَحْـرِكَ الزَّاخِرِ
يا صَفْـوةَ الأبـرارِ يا خَيْرَ مَن قَـدْ قَام مِنْ نَاهٍ ومَـنْ آمِرِ
يا بَلَـد الله الأمين الذي قـد زَاغَ عَنـه بَصَـرُ الكافِرِ
يا جابـرَ الحـقِّ الـذي كسَّرُوا ويا مُزيلاً دولةَ الكاسِـرِ
وكاسـراً باطـلَ ما أبـدعُوا نَفْسـي فِدَاء للكاسِـرِ الجَابـر
صَلّـى عـليكَ الله سُبْحانه مـا يُسْمَـع[4] التَّغـريـدُ مِنْ طائِـر
وابـنُ أبـي عمـران إن كان في مـدحـك عَيْنُ العَـاجِـزِ القاصرِ
غَيْـرَ مَـلـومٍ إنمـا مَدْحكم تَضيقُ عَنْـهُ سِعَـةُ الخاطِرِ

ويروى لأمير المؤمنين الإمام الظاهر لاعزاز دين الله ع.م ، في عيد الغدير ، قوله :

عيد في يوم الغدير المسلم وأنـكر العيـد المـريد المجـرم
/ ٤٤١ يا جاحـدي المـوضـع[5] اليـوم وما جاء به المختار تبـاً / لكم
ما لذوي الإسـلام [6] عيد مثله فالمصـطفى اختـار به مولاكم
وأنـزل الله تعالـى جـده اليوم أكملـت[7] لكم دينـكم
اليوم أتممـت[8] عليـكم نعمتي فنحمـد الله ومنـه[9] النعم

(١) حقاً : حتماً في ب
(٢) سيبك : سعيك في ب
(٣) قصوى : أقصى في ب
(٤) يسمع : سمع في ب
(٥) الموضع : الوضع في ب
(٦) الإسلام : السلام في ب
(٧) أكملت : أكلت في ب
(٨) أتممت : أترت في ب
(٩) ومنه : وله في ب

قد سمعوه ورأوا مكانه ... فأعرضوا عنه وصموا وعموا
أوّلُ ما خُولِفَ في أسامةٍ ... يا أمّةً تعجبُ منها الأمَمُ
لو سيّر الجيش الأساميُّ لمَا ... بُويعَ إلاّ الهاشمِيُّ العلمُ
ولا ثنى الأوّلُ عِطْفَيْ بيعةٍ ... جَذّاءَ ما فيها لئِيمٍ قَدَمُ
قا أقيلوني فما أقاله ... ثانيةً بلْ كلهمْ قد ظَلَمُوا
مَهَّدَهَا لنفسه في غيره ... تالله ما يفعلُ هذا مسلمُ !

وولد الإمام المعد المستنصر بالله ع . م بالقاهرة ، وكان والده الظاهر لا عزاز دين الله ع . م ، يتوسم فيه الفضل على صغر سنه ، ولاحت[1] فيه لوائح من فضل الله الذي يؤتيه من يشاء بطوله ومنه ، فقلده الخلافة من بعده ، وجعله ولي عهده ، ونص عليه بالإمامة وتوجه[2] تاج الفضل والكرامة ، وكتب بذلك ، إلى دعاته وولاته في جميع الجزائر ، وأشعر به في البادي والحاضر ، وجعل الأبواب ، والحجج ، والدعاة حوله ؛ بعد أن عرفهم بشرفه وفضله ؛ ثم اختار[3] الله سبحانه لوليه / الظاهر لإعزاز دين الله ما لديه ، ونقله[4] جل جلاله إليه ، وكانت وفاته قدس الله روحه وصلى وسلم عليه ، وواصلنا ببركاته في شهر شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وكان عمره ع . م يوم وفاته اثنتان وثلاثون سنة ، وولي الخلافة وله سبع عشرة سنة ، وأقام في الخلافة والإمامة خمس عشر عاماً وجاءته الوفاة ، عليه السلام ، والرضوان والصلاة ، وهو في بستان بقرب القاهرة يسمى عين الشمس ، وحمل إلى القاهرة في محفة على ظهر بغلة[5] ، والجرجاني الوزير يساير المحفة حتى دخل به قصر القاهرة قبل أن يشعر أحد بموته ، فأرسل الإمام المستنصر

٤٤٢ /

(١) ولاحت : ولوحت في ب
(٢) وتوجه : وتوجهه في جـ
(٣) اختار : خيار في ب
(٤) ونقله : سقطت في ب
(٥) ظهر بغلة : ظهور بغلات في ب

بالله معد أبو تميم القاضي محمداً بن القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان[١] لخواصه، وأبوابه، ودعاته؛ فحضروا الصلاة عليه بعد غسله، ودفن بالقاهرة عند[٢] آبائه ع . م، وبركاته ورحمته عليهم أجمعين، وعلى آبائهم وأبنائهم الطاهرين، والحمد لله ولا إله إلاّ الله، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، وعليه نتوكل، وبه نستعين.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الحميد الشكور، مبدي الأشياء، والذي ٤٤٣ / إليه تصير الأمور، / ناصر دينه بأوليائه الذين أتاح لهم الظهور، الجاعل لأوليائهم العصمة عن الإصرار على المعاصي والطهور، وصلى الله على رسوله الذي أنزل معه النور، محمد الموحى عليه، والطور وكتاب مسطور، وفضله على من أنزل عليهم التوراة والإنجيل والزبور، وعلى وصيه علي بن أبي طالب سيف الله المشهور، وبحر حكمته المسجور، وبيت رحمته المغمور، وحجته الدامغة[٣] لكل جاحد وكفور، وعلى الأطهار من ذريتهما الذين جعلهم الله شفعاء شيعتهم يوم ينفخ في الصور، وافترض طاعتهم على البادين والحضور، وجعلهم نجوم دينه التي تطلع وتغور، وسلم عليهم أجمعين، سلاماً يبقى بقاء الدهور.

ذكر نبذ من الأخبار مما كان في أوان الإمام أبي تميم معد المستنصر بالله أمير المؤمنين بن علي الظاهر لإعزاز دين الله ع . م، وعلى الأئمة من أبنائهما الطاهرين، وآبائهما الأكرمين :

مولد الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين بقاهرة مصر بكرة يوم الثلاثاء السادس عشر من شهر رمضان[٤] المعظم، سنة عشرين وأربعمائة، وبويع له بالخلافة يوم

---

(١) النعمان : سقطت في جـ

(٢) عند : عن في ب

(٣) الدامغة : الدمخة في ب

(٤) ولد أبو تميم محمد بن الظاهر يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر جمادي الآخرة سنة =

/ ٤٤٤ نقلة أبيه الإمام الظاهر لإعزاز دين الله / أمير المؤمنين ، في شهر شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وذلك أن الجرجرائي[١] الوزير لما أدخل إليه أباه الظاهر لإعزاز دين الله ع . م ، كما ذكرناه بعد وفاته ، أمر صلى الله عليه الوزير علي بن أحمد الجرجرائي الملقب نجيب الدولة ، فأحضر الأمراء ، وأمرهم بالقعود في مجلس دون الستر ، والإمام المستنصر بالله ع . م قاعد على مرتبة الخلافة خلف الستر ، وهو يومئذ لسبع سنين من العمر ، وقد لبس قميصاً طول كمه إثني عشر ذراعاً ، قال الجرجرائي للأمراء : إن مولانا الظاهر لإعزاز دين الله شديد العلة ، وهو خلف الستر بحيث يسمعكم ويراكم ، وقد عقد عهده ، والخلافة بعده ، كما قد علمتم لولده ، المستنصر بالله فبايعوا له ، فحين عقدوا البيعة ، أمر نجيب الدولة الأستاذين فجردوا السيوف ، ثم قال : إن مولانا أمير المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله ، قد نقل إلى ما نقل إليه جده محمد رسول الله ، والإمام علي بن أبي طالب ، والأئمة من ذريتهما ع . م وسلامه ؛ ثم رفع الستر عن الإمام المستنصر بالله أمير
/ ٤٤٥ / المؤمنين ع . م فبايعوه مرة أخرى، وقبلوا الأرض بين يديه ، ومدوا كمه فقبلوه ، وحدثهم ووعظهم ، ووعدهم بكل ما يرجونه ، ويأملونه ، وكان ع . م ممن أتاه الله الحكم صبياً ، وورثه الله علم آبائه ، وجعله ولياً[٢] .

ويروى أن ع . م أراد المعلم أن يمسك يده ويعلمه الكتابة ، فقال له : إرفع يدك يا معلم ، فإنها يد لا تعلوها يد ! وكتب ع . م بأحسن خط ، ولم يتوف والده ع . م إلاّ وقد أتاه الله كمال الفضل ، وبرع في العلم ، حتى وقف دونه العلماء ،

= ٤٢٠ هـ . وبويع له بالخلافة في يوم الأحد النصف من شعبان سنة ٤٢٧ هـ ، وهو في السابعه من عمره ، وظل في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر . وكان أطول الخلفاء عهداً .

(١) يذكر إبن خلكان بأن الظاهر لم يتمتع بالخلافة مدة طويلة ، فقد مرض بالإستسقاء ، وتوفي ليلة الأحد منتصف شعبان سنة ٤٢٧ هـ . ولما علم وزيره الجرجرائي بذلك ، أخذ البيعة لإبنه ابي تميم الذي تلقب المستنصر . وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٦٧ .

(٢) وقد أقر المستنصر علي بن الجرجرائي وزير أبيه في الوزارة ، وكان الحاكم قد أمر بقطع يديه من المرافق، فاتخذ القضاعي كاتباً له . وظل الجرجرائي في الوزارة إلى أن توفي سنة ٤٣٦ هـ فخلفه أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحي .

في مقام ذوي التخلف والجهل ، وكان علمهم عند بحره بالثماد ، وتلك مخائل الأئمة من الأزل ؛ ان الأنبياء الذين جعلهم الله هداة العباد .

قال القاضي محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي : وهو الإمام الكريم ، الرؤوف الرحيم ، العادل الحكيم ، لم يرد قط سائلاً سائله ، ولا خيب أملاً أمله ، ولا قال لا ، في شيء سئل فيه ، حتى ان خادمين من خواص خدمه تواضعاً بينهما ألف دينار على أن هل قال لا قط، وسألاه ؟ فأشار بسيفه أن لا ولم يلفظ بها لسانه ، ومن كرمه أنه ما أجاز أحداً جائزة ، / ومات وله ولد إلاً ورثها إبنه ، [وأضاف جائزة][1] أبيه إلى جائزته ، وأن عظمت . ومن كرمه أن أحد وزرائه أراد التوفير على الخزانة ، فحط من أرزاق أهل الصلات ، بعضها توفيراً من الوزير ؛ فلما انتهى العلم إليه ع . م ، أنكر ذلك إنكاراً شديداً وأعادها إلى أربابها ، وأضعفها لهم بأمثالها ، ومن رأفته ورحمته ، أنه ما بلغه علم مستوجب للقتل إلاً فكه وفداه[2] من ماله ، وأطلق سبيله من حباله ، ومما يعرف من بره وطاعته لوالدته ، أنه لم يخرج لها قط عن رأي ، ولا خالف عليها في شيء ، ولم ينسب إليه ع . م شيء من سفك الدماء التي جرت في أيامه ، بل إلى الوسائط ؛ ولم يكشف أحد من المخالفين لمذهبه[3] على ما ينحو ويذهب إليه ، ولا اعتراض على أحد في فطر ولا صوم ، ولا غير ذلك في الدين ؛ ومن عدله أنه لم يتمكن أحد من خدام دولته فرأى منه ما يوحشه ، ولم ير قط أكثر منه سماحاً ، ولا أدر منه عطاء[4] لمن يستحق ، ومن لا يستحق ؛ لا يحمله تضايق الأموال على ظلم أحد من الرعية ، / ولا يلجئه تقاصر الإرتفاعات[5] على مخالفة نفسه عن ما ألفها من حسن السجية ، بل يأمر بالتشديد ، ويخاف سوء المعاملة .

٤٤٦ /

٤٤٧ /

---

(١) وأضاف جائزة : وأضيف جوائز في ب

(٢) وفداه : وأداه في ب

(٣) لمذهبه : ذهبه في ب

(٤) عطاء : عطى في ب

(٥) الارتفاعات : سقطت في ب

ولقد اضطرب الجنود إلى أمور أنفد فيها ذخائر الملك ، وأخرج مخبآت الخزائن ، ولم يعلم أن أحداً أصيب[1] في الفضة بدرهم واحد فما فوقه من قبله ، لا على سبيل فرض ولا غيره ، ولا صودر أحد في دولته ، ولا تعرض لميراث ميت في أيام ولايته مع الشدائد التي جرت ، والخلاف الذي وقع ، وهو لم يؤاخذ أحداً بجرم ، ولا أقدم على سفك دم ، بل يرجع في كل الأمور إلى الأخلاق لنبوته ، والعواطف الإمامية ، ويأخذ فيه بقول الله تعالى : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَالله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[2] فهذا قول الله تعالى عليه ، إذا انتهينا إليه .

وقال الداعي الأجل المؤيد في الدين عصمة المؤمنين ، هبة الله بن موسى السلماني الداعي بشيراز ، وما يليه حين انتهت إليه الأخبار ، بوفاة الإمام الظاهر لإعزاز دين الله ، وقيام المستنصر بالله :[3]

الله يَنصُرُ رأيَه المسْتنصِر ... بالله ، مولانَا الإمامِ الأَطهرَ[4]

/٤٤٨ ويُتمُّ نورَ أبي تميم جَالياً ... بِسَناهُ أغساقَ الظَلام الأكدَر/

وَيُديمُ دَوْلَتَه وَيَجْبُر كسْرنَا ... في الظاهر [القمر البَّهي الأنور][5]

السيِّدِ المَولى الموارَى في الثَّرى ... [لما ثوى غض الشباب الأخضر][6]

[نور من العقل يصدع نوره ... ومن النَّبي الهاشمي وَحيْدَر][7]

عافَ الحِصار الضَّيِّقُ الحَرج الذي ... زُحلُ يَلي تَدبيرَهُ والمشتَري

وسَمَا إلى العليا مِنَ الأفق الذي ... هُوَ [نجلها وشبيهُها][8] في الجوْهَر

---

(١) اصيب : صاب في ب

(٢) سورة : ٣/ ١٣٤

(٣) القصيدة السابقة من ديوان المؤيد في الدين ص ٢٢١ .

(٤) بالله ، مولانا الإمام الأطهر : بالله مولانا الإمام الأزهر في ب

(٥) القمر البهي الأنور : الغصن الرطيب الأخضر في الديوان

(٦) لما ثوى غض الشباب الأخضر : غض الشباب بنور وجه أقمر في الديوان

(٧) ورد هذا البيت فى الديوان هكذا :

غصن من القلم المد وصنوه ... ومن النبي الأبطحي وحيدر

(٨) نجلها وشبيهها : شكله وشبهه في ب

قد كان مَحْمـولاً فأصبَـح حـاملاً ... ومؤثِّـراً في جرْمٍ كـل مُؤَثِّر

لـكن تحرَّقـت القلـوب لفقـدِهِ ... وتَخرَّقـتْ شجـواً ثيابُ تصبُّري

وتصاعَـدت نحـوَ الجفُـون دِماؤنا ... فهَمَتْ [كمثـل الوابـل المنحدر][1]

صلَّى الإلـهُ عَلـى مُقـدَّس رُوحِهِ ... أبداً وجِسـم [فـي التـراب معفر][2]

وأدامَ[3] مَولانـا مَعـداً بَاقِياً[4] ... حتـى يورث عمـر كـل معمر

أهـلاً بِطيبِ زمَـانِ مولانـا الذي ... وافَـى بـوجـهٍ بـالسعادة مُسْفر

زَمـنٌ يُبَشِّرنـا بِـخَير مُـقْبِلٍ ... [ببهـاءِ عُـزتـه وشـرٍّ مُدْبِرٍ][5]

أمعـدُّ عُدَّةُ عبـدِهِ وعِـمَادِه[6] ... وسنـاده[7] والمـرْتَجـى لـلمحْشر

449 / أشْبهْـتَ عيسَـى فـي الـذي أُوتيتَه ... طِفْلا [مِنَ النُّعْما ولمَّا تُقصير][8] /

إنْ أثمـرَ الجِـذْعُ اليَبيسُ بِفَضلهِ ... [رُطَباً فأحرى به المسيح وأجْدَر][9]

فَكَمثلـهِ الـدنيا تُنيلكَ مُلكها ... ثمـراً فلا تَعجَـل فَدَيتُـك واصبر[10]

لله شأنٌ فيك [يظهـر أمره][11] ... قـامـت بـهِ الأعـلامِ لـلمُتدَبر

[واللهُ يُنْجِـزَ فيكَ][12] صادق وَعدِهِ ... بِـكَ للنبـي أبيك خَيْر مُبَشر

أنـت الـذي يَعْنـو الزَّمـانُ لِبأسه ... صِغَـراً [فتُلبسـه لِبـاس مُسَخَّر][13]

---

(1) كمثل الوابل المنحدر : بفرط تنزل وتحدر في الديوان .

(2) في التراب معفر : في ثراه مطهر في الديوان

(3) وأدام : وأعاش في الديوان

(4) باقياً : خالداً في الديوان .

(5) ببهاء عزته وشر مدبر : تترى وشرٍ لا محالة مدبر في الديوان .

(6) وعماده : وعتاده في ب

(7) وسناده : وعتاده في الديوان

(8) من النعما ولما تقصر : وتلك سجية من حيدر في ب

(9) رطبا فأحرى به المسيح وأجدر : رطبا فأحرى به كذاك وأجدر في ب

(10) ورد هذا البيت في النسخة ب هكذا:

أو ألقـت الـدنيا إليك قيادها ... فلسـوف تملكهـا فديتـك فأصبر

(11) يظهر أمره : جدٌ معظم في الديوان .

(12) والله ينجز فيك : أن ينجز الرحمن في الديوان ص ٢٢٢ .

(13) فتلبسه لباس مسخر : فتحكم فيه كالمتسخر في ب

فتجدْ دابِرَ كلٍّ ضِدٍّ كاشِح … بمهند ماضي الغِرارِ وأسْمَر
وتخوض أوْدية الدماء خُيولهُ … بَجيادها من أدْهم أو أشقُر
وتؤم ما بين الفرات ودجلة … [وتزل كل معاند متجبر][1]
فبأرض بغداد إليك تشوق … شوق البلاد إلى السحاب الممطر
وتزيل لبْسِ الشافعي ومالكٍ … ببيان زينِ العابدين وجَعْفَر
وقياسَ أصحاب القياس وما أتى … في الإعتِزْال [به وقول][2] المُجبر

ويقول فيها :

إني ابن موسى عبدك القنُّ[3] الذي … بك في الأنام أجُرُّ ذيْلَ تَبَخُر
العلم سَيْفي والرَّشاد مَطِيَّتي … والسِّتْر دِرْعي والأمانة مفخر
أنا آدمي في الرُّواءِ[4] حقيقتي … مَلَكٌ تَبيَّنَ[5] ذاك للمُستَبصِر
٤٥٠ / جسمي حَمُولٌ للنوائب كلِّها / … [لكن لي في الجسم قلبَ غَضَنفَر][6]
ما راعني من صَائلٍ صولٌ ولا … ضَعُفتْ قوى جَلَدِي لبأس مُسيطر
يَعْمي عُدَاة بني عليٍّ مَنْظري … ويصمهم في كل صُقْع مَخْبَري
فَلقَدْ تَطيَّر بي النَّواصبُ كلُّهم … لما أقمتُ وسرتُ أيَّ تَطَيُّر
[فَتَخالُني إما][7] مَررتُ بمعْشَر … مِنْ بَغضِهم لي حَتْفَ ذاك المعشر
[قد طاب لي في الله أن أوذي وأن … أجْفَى فما أنا بالأذى بمفكر][8]

---

(1) وتزل كل معاند متجبر : للفتك بالدجال ذاك الأعور في الديوان .
(2) به وقول : وترهات في ب
(3) القن : القز في ب
(4) الرواء : الدواء في ب
(5) تبين ذاك : تعين ذاك في الديوان .
(6) لكن لي في الجسم قلب غضنفر : أبدا وفي جسدي فؤاد غضنفري في ب
(7) فتخالني إما : يدنو بقربي إن في ب
(8) ورد هذا البيت في النسخة ب هكذا :
في الله إن أوذي وإن أجع فما … أنا بالذي لاقيته يفكر

وصلى عليكَ الله يا ابن محمدٍ ووصيهِ وابن الصفا والمشعر[1]

وكان في أوائل أيام الإمام المستنصر بالله ع . م ، قصة سكين ، وابن عاني . وكان سكين اللعين قد تشبه بالحاكم بأمر الله ع . م ، ومخرق على الناس ، فأدخل على عقول أقوام من جهلاء الناس بذلك ، وسخر بهم ، وعاهدهم وعاقدهم على النصرة ، وكان يركب حماراً ، ويتزيا بزي الحاكم بأمر الله ع . م ، فأقبل يوماً حتى دخل قصر القاهرة من بعض أبوابه ، فلما انتهى إلى داخل القصر ، ونزل موضع لم يكن الحاكم بأمر الله ع . م ينزل منه ، وعرفه الخدم ، وثبوا عليه فأمسكوه ، وأمسكوا إبن عاني / معه ، وكانا يظهران السحر ، ويستعملان أموراً شنيعة تخالف حكم الشريعة ، فأمر الوزير علي بن أحمد برميهما بالنيل ، بعد أن أمسكا وأوثقا ، فرميا حتى هلكا ، ووقى الله شرهما ، وأبطل سحرهما ، وأنزل بهما مكرهما . قالوا : وكانت في القصر نخلة يوجد في علم النبوة للمخزون أنها تنقصف لأمر عظيم ، فانقصفت النخلة حين دخول سكين القصر ، فاشتد خوف الذين عند الإمام المستنصر بالله ، وخشوا أن يناله مكروه ، فأحاطوا به ، وقد أخذوا أهبة الإمتناع ، فدفع الله ببركته الشرف المكر ، وجل الأمر .

٤٥١ /

وكان صالح بن الزرقلية أمير ذي كلاب ، قد ظهر نفاقه ، وأعلن شقاقه ، وجمع إليه العربان ، وأظهر الخلاف على إمام الزمان ، فخرج إليه الثوبري أمير الجيوش من حضرة الإمامة في عدد وعدة ، وجرت بينهما حروب عدة ، وأقاما على ذلك مدة ؛ ثم أظهر الله قائد جيوش وليه وأظفره ، وأعلا أمر عبده المستنصر به وأظهره ، فقتل صالح بن الزرقلية في عدة من أصحابه وخواصه ، ولم يجد سبيلاً / إلى مناصه ، وأتى قائد الجيوش برأسه إلى الحضرة الشريفة المستنصرية ، فطيف به في الأمصار ، وكان للظالمين سوء عقبى الدار ، وتمهدت لأمير المؤمنين المستنصر بالله ع . م البلاد ، ودان له العباد ، وانتشر عدله في الحاضر والبادي ،

٤٥٢ /

(١) سقط هذا البيت من الديوان ص ٢٢٣ .

ونادى باسمه في الخطبة في جميع الأمصار المنادي ، فكانت مملكته في مصر والحرمين ، والشام وبلاد الغرب كافة[1] ، وملك داعيه الأجل الأوحد علي بن محمد الصليحي اليمن عنوة ، وأظهر له فيه الدعوة ، وظهرت دعوته في شيراز ، وأرض فارس ، وخطب له فيها الداعي المؤيد في الدين أياماً ، وأعلن باسمه ، واستجاب له الملك برهة . ثم تغير عليه ، وكذلك خطب له في بغداد والكوفة أياماً ، وسنذكر من ذلك كله إذا انتهينا إلى موضع ذكره .

وأظهر الداعي المؤيد في الدين الدعوة بشيراز ، وأرض فارس ، وكور الأهواز ، لأمير المؤمنين المستنصر بالله ع . م ، في سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، واستجابت له أمم كثيرة / من الديلم ، فعلا أمره ، وارتفع صيته وذكره ، / ٤٥٣ وكان آباؤه من قبله متقدمين في الدعوة إلى الأئمة من آل محمد ع . م ، وعليهم من أوان الستر ، وقبل ظهور الإمام المهدي بالله ع . م ، حتى أطلع الله شمس الخلافة من غربها ، وأضاءت البلاد مشرقة بها ، وفي ذلك يقول الداعي المؤيد في الدين مخاطباً للإمام المستنصر بالله ، من قصيدة يقول فيها[2] :

وأن ابن موسى وآباءه معاهد ودهم[3] عامرة
فقد خدموكمْ وما نَشّرت لواء الفتوح يَدٌ ناشرة

---

(١) امتد سلطان الفاطميين في القسم الأول من عهد المستنصر على بلاد الشام وفلسطين والحجاز وصقلية وشمال أفريقية ، وكان اسمه يذاع على كافة منابر البلاد الممتدة من المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً ، وكذا في صقلية واليمن والحجاز والموصل ، بل في بغداد نفسها عاصمة العباسيين نحو من سنة . ولكن بعض هذه البلاد لم يلبث أن خرج من سلطان الفاطميين ؛ فقد خرجت بلاد المغرب سنة ٤٤٣ هـ ، وفي سنة ٤٧٥ هـ زالت سلطة الفاطميين من بلاد المغرب الأقصى التي استولوا عليها من الأدارسة سنة ٣٤٧ هـ واستولى روجر النرمندي على صقلية التي كانت تابعة للفاطميين، وخلع أمير مكة والمدينة طاعتهم في سنة ٤٦٢ هـ .

(٢) من القصيدة الحادية والأربعون من ديوان المؤيد في الدين ص ٢٨٧ .

(٣) ودهم : حقهم في الديوان

وكان الداعي المؤيد في الدين نضر الله وجهه ، له بلاغة لسان ، وفصاحة وبيان ، وعلم عظيم القدر ، كأنما يستملي في ما يفوه به من البحر ، فانتشرت الدعوة في أيامه فظهرت ظهوراً لم يكن وقت آبائه ، واستعلن ذكرها وأظهر أمرها ، واجتمعت له أمم كثيرة من الديلم ، لما رأوا من فضله ، وعلمه ، وزهده ، وورعه ، وحسن حاله ، وحميد خصاله ، وكان إن صمت فورعه وزهده قدوة ، وإن نطق فعز بيان وقوة ، وسوف نذكر من ذلك في زمان الملك / أبو كاليجار ، وهو يومئذ ملك شيراز وأعمالها ، وصاحب مدنها ورجالها ، وقد كان نشأ مع أستاذ له مغرق في بغضه أهل البيت ع . م ، والعداوة لشيعتهم ، ومن ينضاف إلى جملتهم ، وكانت حاشيته كذلك من الأتراك على العداوة ، والبغضاء لأهل البيت قد جبلوا ، وفيها علوا ونهلوا، فكان يأخذ من أقوالهم ، ويصغي إلى انتحالهم ، على ما كان للملك من عقل وجودة رأي وفهم ، [فهؤلاء كشفوا للملك][1] أمر الداعي المؤيد في الدين ، وقالوا انه إلى صاحب مصر يدعو ، ونخاف أن يغلب[2] على أمرك ، ويكون له أقطار ملكك ، وأكثروا من التشانيع ، والقول الذي لا يفوه به إلاَّ كل جاهل رقيع ؛ فلم يزل هذا الحديث يدخل في سمعه ، ويجافيه عن التمهد على مضجعه .

٤٥٤ /

قال الداعي المؤيد في الدين نضر الله وجهه[3] : فلما كان يوم[4] عيد الفطر من سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، كنت بيوم قبله مستعداً له في تحصيل سجادات له ، وفرش وآلة يصلي عليها المصلون ، ولا يستغني عنها المتعبدون[5] ، فرفع الخبر بأنني استجمع الجموع للصلاة / والخطبة في غد ، وأضرب في ساحة داري المضارب والغارات ، وأن في ذلك مراغمة للملك ظاهرة ، ومخالفة حاضرة ، فنشأ

٤٥٥ /

(١) فهؤلاء كشفوا للملك : فهو لوالدي الملك في ب
(٢) يغلب : غالب في ب
(٣) السيرة المؤيدية : للمؤيد في الدين ورقة ٣ مخطوطة في مكتبة المحقق الخاصة .
(٤) يوم : سقطت في ب
(٥) المتعبدون : المعبدون في ب

من هذه الجهة [سوء رأي][1] عظيم ، وقع به على القصد والنفي عزم وتصميم ، قال :

ولما كان في غد وهو العيد اجتمع الجمع[2] الكثير من الديلم للصلاة فصليت بهم ، فلما أتممت عطفت[3] عليهم بالوعظ والإنذار ، وقلت : تخفى[4] عليكم صورة الوقت والأعداء في الشدة والكثرة ، فإنهم عاكفون على تقبيح الجميل من آثارنا، ونسب العظائم إلينا من حيث اننا[5] المبرزون في تحمل أثقال العبادات والقيام بالمفروضات والمسنونات[6] فينبغي أن تزموا أنفسكم وتحسنوا أفعالكم وأعمالكم وتتقوا الله حق تقاته، وتتحفظوا من أن يتعلق أحد عليكم باختلاف عيب، أو يجد[7] لسان مساغ إنطلاقاء فيكم بثلب، وعليكم بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين.

قال : ولما كان عشية ذلك اليوم كان الناس يطلبون الهلال على جاري عاداتهم في مثله ، فغم عليهم ساعة ، وتباشروا / لهذه الجهة ، إذ كانوا صاموا تسعة وعشرين يوماً ، وطلبوا أنهم يكملون [في غد][8] العدة ثلاثين[9] ، ويبسطون أيديهم وألسنتهم فينا لافطارنا قبلهم بيومين ، ليكون ذلك أبلغ في التشنيع ، وأعون على ما يرونه من التشنيع ، فما كان إلا هنيهة إذ ظهر الهلال ، فجفت ألسنتهم في أفواههم ، وماتت قلوبهم في أجسادهم من فرط الغيظ والحنق .

/ ٤٥٦

---

(١) سوء رأي : سواري في ب
(٢) الجمع : الخلق في السيرة المؤيدية ورقة ٥
(٢) عطفت : عكفت في السيرة المؤيدية المنشورة في القاهرة دار الفكر .
(٤) تخفى : تخاف في ب
(٥) أننا : أنا في ب
(٦) المسنونات : المنسوبات في ب
(٧) يجد : يجر في ب
(٨) في غد : سقطت في ب
(٩) من المعروف أن الفاطميين وأتباعهم لا يصومون حسب رؤية الهلال ، بل لهم تقويم خاص بحيث يكون شهر رمضان ثلاثين يوماً بصورة دائمة . الرسالة اللازمة لشهر رمضان : للكرماني، المجالس المؤيدية: للمؤيد في الدين الشيرازي.

ولما كان في الغد سعوا إلى مصلاهم فصلوا ورجعوا ، وباعاتهم [1] موفورة على ذكرنا ونصب الأشراك علينا ، إلا أنه لم يكن في ذلك اليوم شيء . قال : ولما كان في غد استدعاني وزير المملكة بهرام بن مافنة[2] بن شهل الملقب بالعادل ، (رح) وهو كامل في عقله ، مبرز في فضله ، مصلح في جميع أحواله ، مهذب في تصرفاته وأعماله ، فقربني وأدناني ورحب بي ، وهو كاره لما يريد من مواجهتي به من القبيح ، عارف أن ذلك في غير وجهه ولا مكان وجوبه ، إلا أنه كان مأموراً من جهة من لا يخالف أمره ، ولا ينافي رسمه . فقال : تعرف عنايتي بك وإيثاري الجميل لك ، [وأنني لا أشير][3] عليك إلا بما فيه مصلحتك ، وأرى أمرك قد تجاوز في الفساد حده ، وبلغ أمده ، ولقد كان السلطان [أمس في][4] عامة

/ ٤٥٧ / الطريق من داره حين ركب إلى المصلى [وإلى أن عاد ،][5] في حديثك وممتلئاً من الحنق عليك ، وقال في حديث كثير إنك إن لم تدع هذا البلد ولم تمض لوجهك ، أنفذ من يفعل بك كذا وكذا مشيراً إلى القتل ، سوى أنه يتحاشى عن تصريح القول فيه ، فانظر هل بقي بعد ذلك غاية ، أم هل وراءه نهاية . ثم إنه كان حضر الغداة قاضي البلد واجتمع إليه القصاص وأهل المسجد وقالوا : عجز[6] الصبر [فيما يأتيه][7] فلان عنك من نشر البدعة ، ورفض السنة ، وأننا نجتمع ونقصد باب السلطان ونستدعي منه رخصة ، فنهجم على داره بالقلع والحريق والقتل ، وجميع ما نستطيعه من الفساد . قال الوزير : فأجبته : أن ذلك ليس بالهين ، فإن هذا الأمر يؤلف بين كلمة الديلم عامة ، ومتى حرك ساكنه

---

(١) وباعاتهم : وساعاتهم في ب

(٢) هو الوزير أبو منصور بهرام بن مافنة الملقب بالعادل ولد سنة ٣٦٦ هـ وتوفي سنة ٤٣٣ هـ . إبن الأثير جـ ٤ ص ٣٤٤ .

(٣) وأنني لا أشير : وإني مشير في ب

(٤) أمس في : أمر في ب

(٥) وإلى أن عاد : سقطت في ب

(٦) عجز : عيل في ب

(٧) فيما يأتيه : بثه في ب

انتبهت عين الفتنة بإراقة الدماء ، واستباحة الحريم ، وتعدى إلى مفاعيل . قال :
وكان جواب القاضي إنه إن استنجد بهؤلاء الديلم ، استنجد خصومهم بغيرهم - يعني به الأتراك - ثم قال لي : لو لم يكن في هذا الكلام مع مقت السلطان الذي لاقرار عليه ولا ثبات معه إلا حديث العامة وهيجانهم لكان التقدير فيك وفي / عقلك أن لا تكون أصل الفتنة ، وأن لا تختار أن تصير سبب الفساد والنائرة ، فالأولى أن تستخير[1] الله تعالى في الخروج من البلد في هذه الساعة لأضم إليك عدة من الفرسان يخرجون بك إلى حيث توخي قصده من البلدان .

٤٥٨ /

فأجبته وقلت : إن[2] الأمر أمركم والمملكة لكم ، ولكل كلام جواب ، غير من يقول لأحد في داره أخرج من داري فلا جواب له ، ولكني أفكر في قولكم أخرج من ديارنا ، فلا أدري أهو مشبهي أو مشبهكم ، ومستحقي أو مستحقكم ، لأني أنظر نفسي فلا أعرف لها عليكم كداً[3] ولا ثقلاً ، إذ لا حظ لي في خيركم ، ولا ذكر لي في ديوان عطاياكم ، ولا رزق في حال من الأحوال من جهتكم ، وأرى كل من دب ودرج من قاض وفقيه وعالم وكاتب وجميع طوائف الناس ممن له مداخلة لداركم ولقاء لمجلسكم محظوظين منكم ، بين ما يأخذونه أخذا ، أو ينالونه بتوقيعكم معيشة ورفقاً ، وصحيفتي[4] بيضاء من جميع هذه الوجوه ، وسوى هذا فأنتم أعرف[5] الناس بقضاتكم وعدولكم وعلماء مساجدكم فيما هم مرتهنون[6] به من المعائب ، / وما يشوبهم من المناقص وذميم الشوائب ، ولا تعرفونني توسمت بسمة من سمات معائبهم ، أو أشبهتهم في شيء من مناقصهم ومثالبهم ، فإني لم أزل بالسداد والرشاد علماً ، وباستشعار [البر والتقوى][7]

٤٥٩ /

(١) تستخير : تجيز في ب
(٢) إن : سقطت في ب
(٣) كداً : كلا في ب
(٤) وصحيفتي : وصحفاً في ب
(٥) أعرف : من في ب
(٦) مرتهنون : متهمون في ب
(٧) البر والتقوى : الستر والتقى في ب

مقدماً، ولولا تبرحي بزينة التشيع لاتخذت[1] العامة تراب [نعلي كحلاً][2] لاعينها ، وماء طهور في شفاء لسقمها . وغير ذلك فإن هم الجميع حيازة ملك[3] وإقامة دخل وإضافة درهم إلى درهم ، ولم يلقني إنسان شغلت بشيء منه فكراً ، أو قصرت عليه من عمري يوماً ، بل كانت الدنيا في عيني مرفوضة ، وأعراضها لديّ مهينة ، وأسباب مطامعي مقطوعة ، فإخراجكم من هذه سبيلة من دون تعلق عليه بعيب يشينه ، أو تبرم [4] بمؤونة له عليكم يثقلكم باستحقاق مني ، وأنا من الوجهين بريء ، وباستحقاقكم بأن لا تستوجبوا كوني لديكم ومقامي بين ظهرانيكم . ومعلوم أنه إذا كانت مؤونتي هذه المؤونة فكل مقصود يقبلني وكل أرض تحملني ، ولست أقيم عندكم ما أقيم إلا / عصبية للدين الذي أدين الله تعالى به ، ومحافظة عليه من وهن يحل بساحته ، ولولاها لكان أكبر باعث على التخلي عنكم نفسي ، وأدعى داع إلى مفارقتكم قلبي ، لأستريح[5] من مغاداة الذل ومراوحته ، لا سيا ومعلوم أن لي مولى يقصده القاصد متوسلاً إليه بسطور من خطي ولفظي فيكرم مثواه ، ويكفيه ما أهمه من دنياه ، فلو قصدته بنفسي لكان يتقاصر حظي عنده دون حظ من يقصده بكتابي ، فليس الخروج يرهبني ولا شيء دون ما قدمت ذكره يمنعني ، وأنا أجتهد [إن شاء][6] الله [تعالى وأصوب][7] وأصعد في كفايتكم أمري ، وتوليه[8] هذه النعم التي لي في دياركم ظهري ، ليزول شغل قلوبكم . فأما القاضي وتجرّده للجهاد ، فليت الحديث كان معه ومع العامة الذين يفزعنا[9] بهم حتى كان يرى الأعاجيب ، ولكنها أمر السلطان في الوسط

٤٦٠ /

(١) لاتخذت : لإتخذ في ب
(٢) نعلي كحلاً : فعلي كحلها في ب
(٣) ملك : ملكك في ب
(٤) تبرم : برم في ب
(٥) لأستريح : لا أريح في ب
(٦) إن شاء : شيء في ب
(٧) تعالى وأصوب : وأصوت في ب
(٨) وتوليه : توليته في ب
(٩) يفزعنا : فزعنا في ب

يضعف المنة ، وقصده يهد ركن[1] الثبات والمكنة ، والقاضي إذا لا يأسي على أمواله الموفورة ، وضياعه المذخورة ، وتنازعه / نحو الجهاد نفسه ، ودينه عليه عمى ، لم لا ينشط له من لا يملك من الدنيا شبراً ، ولا يحوي إلا قوتاً قشفاً وطمراً ، وهو على بصيرة من ربه ، فليتكم خليتم بيني وبينه حتى كان يجرب كلانا بخته ، والسلام[2].

٤٦١ /

وعاد الداعي المؤيد في الدين نضر الله وجهه إلى بيته ، وجعل يفكر أي جهة يقصد ، وأي أمر يعتمد ، مع كون الطرق مشحونة بالأعداء ، إن عرفوا السبيل الذي يقصد إليها ، أعملوا له فيها الغوائل[3] ، وتلقوا لقطع السبيل وإتيان المنكرات ناصبين الحبائل ، لا سيما مع الوصمة التي وقعت من السلطان ، وخروجه من بلده على غير قرار ولا اطمئنان ، ثم عاد إلى مجلس الوزير ثاني ذلك اليوم معرفاً[4] له بقضيته وخوفه أن يكون على أيدي الأرذال وورود منيته ، فيكون على نفسه جانياً ، وإلى إلقائه إلى التهلكة[5] دانياً ، وقال أين أقف في موضعي، أوطن نفسي على أن أقتل مظلوماً ، فلا أكون عند الله وعند الناس ملوماً ، وتكون / اللائمة عائدة إليكم ، وواقعة عليكم ، فما لي عن مكاني براح ، ولا غدو ولا رواح ، دون أن تمدوا لي في النظرة سبعة أيام ، لأحتال في الخروج ، وأقضي وطرا فيما أعده من عدة السفر ، وآخذ له من الزاد ما يسهل . فأجابه الوزير واشترط[6] عليه أن يغلق عن الديلم بابه ، ولا يسعف من يريد إليه منهم لحاجة ، بإجابة . فخرج الداعي من عنده وحال بينه وبين من يتصل به من الديلم لقصده ، وتوفر على الدعاء إلى الله ع . ج ، والإبتهال إلى الله أن يكشف عنه ما يجده من البلاء ، فاستجاب الله دعاءه ، إذ كان مخلصاً ، وسبب رفع المحنة عنه بما شاء تعالى منقذاً مخلصاً ؛ وجمع قلوب[7] الديلم له ، فتذاكروا ما يجري عليهم من السلطان ، وأنهم

٤٦٢ /

(١) ركن : ركبه في ب
(٢) السيرة المؤيدية : للمؤيد في الدين الشيرازي مخطوطة ورقة ١١ .
(٣) الغوائل : الغائل في ب
(٤) معرفاً : معروف في ب
(٥) التهلكة : الهلكة في ب
(٦) واشترط : وشارط في ب
(٧) قلوب : قلب في ب

مقصودون بذلك من بين أهل الأديان على اقامتهم لشرائع الإسلام ، وفرائض الايمان ، وقالوا : هؤلاء فرق المسلمين ، واليهود ، والنصارى في دينهم قاطنون ، وفي قرارهم آمنون ، / ونحن نقصد من بين الناس بالوهن ، وتغلي لنا مراجل القلوب الحرى[1] بالإحن ؛ واجتمع منهم عدد كثير ، وقالوا : نركب الأهوال ، ونقطع الآمال ؛ فحين بلغ ذلك الملك كاليجار أمر الوزير بإخماد تلك الثائرة ، وقطع جرثوم المكابرة ؛ فبادر الوزير يستحضر القاضي ومر[2] القاضي وهو في طريقه إلى الوزير بين جموع الديلم ، وهم يصيحون عليه ، ويرجعون كل منكر من الفحش إليه ، فما خلص منهم إلاًّ بعد الشدة ، ولا خلص إلاًّ بعد أن ظن ألا خلاص من تلك الورطة ، فلما صار عند الوزير أغلظ عليه في القول والتعنيف ، وقال له : هذا الشغب على السلطان فعلك ، فلا تنطق[3] بعدها في المؤيد بحرف ؛ وأرسل إلى الداعي المؤيد في الدين أن أظهر أمرك ، ولا حرج عليك ، وافتح بابك لمن قصد إليك ؛ ففتح الداعي بابه ، وأعاد في نشر الحكمة والموعظة الحسنة خطابه ، وجرى على ما عليه عادته ، وأتيحت له من كرم الله إرادته ، وما زال حتى جرت بينه المراسلة وبين السلطان ، وانتهى بعد ذلك المشافهة والخطاب ، والدنو بعد نهاية / البعد والإقتراب ؛ وكان مما أوصى به الداعي المؤيد في الدين إلى السلطان مع بعض من يدنو إليه من كبراء الديلم ، أن قال له : إن هذا الأمر الذي أتولاه ، ما أنا أبدعته ، ولا في أيامي أحدثته ، فإنه قديم نقضت عليه السنون ، واندرج في معرفته أو مشافهته الملوك ، ولو علم أنه يوقع ملكاً ، أو يحدث فساداً ، لما نامت عيون محولة ملوك[4] بني بويه عن إحالته ، وتغييره وقصر باعه ، وقص أظافره[5] ، ولما كان أكثرهم يؤثره لنفسه ديناً يلقى[6] الله تعالى به ويتبرج بزينته ، ولكن

٤٦٣ / ، ٤٦٤ /

---

(١) الحرى : الحرب في ب
(٢) ومر : ومن في ب
(٣) تنطق : تلطف في ب
(٤) ملوك : سقطت في ب
(٥) أظافره : أظافير في ب
(٦) يلقى : يلقح في ب

[المقبحين قبحوا][1] الصورة بحضرة الملك ، ولو أنه استقصى الأمر لوجد قدماءه[2] أكثرهم بذلك دائنين وبشعاره منادين ، فأما ما انتهى إلى عالي مجلسه من اعتقادي [كان البروز][3] إلى الصحراء بالصلاة والخطبة فإن ذلك ما جال في خاطري ، ولا هجس في خلدي ، وإني لأرجو أن أكون أبلغ ما يجري به القال من ذلك في ظل دولته وبركة إيالته ، وسوى هذا فإن الملك نشأ في سماع كلام المخالفين والطاعنين علينا ، وتلقن منهم [كل شيء مما يزيغنا في عينه ، ويثقلنا][4] على كريم قلبه ، وقد انتشر الذكر في كونه من / وفور العقل والكمال بحيث يوجب[5] عليه أن يسمع كلامنا ، ويصغي لحجتنا ، ثم إن وضح له شيء مما ينسب إلينا من الكفر والتعطيل ، كان وسيع العذر عند الله تعالى وعند نفسه فيما يقصدنا به من القتل والنفي ، فاعلاً للشيء في وجوبه واستحقاقه ، وإلا وجب عليه الإستحلال عما مضى وتلافي ما سبق بالحسنى .

٤٦٥ /

قال المؤيد في الدين فنفذت هذه الرسالة وعاد الجواب دفعة ودفعتين بما كان [يتهدأ كلما][6] عاد من التحريش ، ويشتمل على الكلام اللطيف ، فعن لي أن أكتب رقعة أودعها ما يجمع [بينه وبين هذه من][7] كلام محق لا يتحاشى في الله ولا يحابي ، وأنهاه[8] عن الظلم الذي ضاق عن الصبر على مضضه إهابي ، قال : فكتبتها وأصدرتها ، وهناك فضل معرفة بالألفاظ الجزلة والمعاني الرائقة ، فوقف عليها وقوف مستعجب بها ومستحسن لها ، وأصدرها إلى حضرة الوزير مقرونة

(١) المقبحين قبحوا : المقيمين فجوا في ب
(٢) قدماءه : قدماه في ب
(٣) كان البروز: سقطت في ب
(٤) كل شيء مما يزيغنا في عينه، ويثقلنا: سقطت في ب
(٥) يوجب : يجب في ب
(٦) يتهدأ كلما : يتهرب كل في ب
(٧) بينه وبين هذه من : سقطت في ب
(٨) وأنهاه : وأبثه في ب

برسالة في استدعائي والتلطف بي والتسكين مني، والمخاطبة لي على أن أقف في الأمر الذي أقوم به حيث بلغت، ولا أتجاوز به حد الأسرار إلى الإظهار، فاستدعاني الوزير / وأكرمني وبذل الجميل لي، وقال لي ما قدمت[1] ذكره من القول فأجبت: بأنني قد أخرت هذا الأمر من حيث تظنونني قدمته، ووضعته من حيث تحسبونني رفعته، والدليل على ذلك أن والدي[2] كان في هذا البلد متسما[3] بهذا الإسم، مرتسماً بهذا الرسم، وكان له من المكنة واليد والقدرة ما كان يغنيه عن أن يطأ عتبة باب، أو يقاسي ذل حجاب، فكان الوزير أبو غالب الواسطي الملقب بفخر الملك وزير الوزراء، الذي كان ما كان باتساع مكنته[4] وانبساط يده، نازلا في هذه الدار التي تنزلها، فلم يعهد والدي[5] قط داخلاً إليه ولا مسلماً عليه، ووجد الوزير غير دفعة يزوره ليلاً في بيته ويغشاه في منزله، وأنا طول الدهر على الأبواب طائف، وعلى الزورات[6] عاكف، فلو أمكنني التعزز أكنت أختار التذلل؟ وجرى في مثل هذا كلام طويل وخرجت ساكن القلب، واثقاً بحسن كفاية الرب سبحانه.

٤٦٠ /

قال: وكان السلطان أزمع الخروج للتصيد[7] عشية / ذلك اليوم، ولم يكن أكتحل بنظري قط، لأني كنت ألزم الزاوية وأطلب العافية، ولا [أوثر أن ينثلم][8] ديني أو يسجد لغير الله جبيني، [وكانت صورتي في][9] التقاعد عن

٤٦١ /

---

(١) قدمت: تقدم في ب
(٢) والدي: والذي في ب
(٣) متسما: مسمى في ب
(٤) مكنته: مكنه في ب
(٥) والدي: والذي في ب
(٦) الزورات: الدويرات في ب
(٧) للتصيد: للتصديق في ب
(٨) أوثر أن ينثلم: أوثرته يثلم في ب
(٩) وكانت صورتي في: سقطت في ب

الخدمة تقبح زيادة تقبيح ، وأنسب فيه إلى كل أمر فظيع ، قال : فحدثت نفسي بالتعرض لموكبه والنزول والدعاء ، ليرق قلبه ، ويندم عن سوء الرأي همه ، فوقفت في بعض الصحارى له ، ولما دنا نزلت وتخضعت[1] ودعوت ، فسأل عني ، فقيل فلان ، فرسم أن يقدم مركوبي[2] لأركبه ، فارتفعت ضجة المطرقين والركابية بين يديه [بذلك ، وقدم لي مركوبي][3] وركبت ووقفت مكاني أنتظر عودة الوزير[4] من تشييع ركابه ، فلما عاد ذكر أنه قال فيك خيراً ، وأثنى عليك ثناء حسناً ،واستخبرني هل سكنت بالغداة منك ،وأديت رسالته إليك قال:فقلت نعم.

قال: وغاب الملك أياماً ثم رجع ، ولما كان يوم رجوعه تلقيت ركابه قدر فرسخين ، ونزلت وخدمت ودعوت ودخل البلد ، ورسم للوزير تبرعاً استحضاري إلى عالي مجلسه أي وقت حضر، ففعل ذلك ، وكنت أحضر ، / وسبب الإقتراب يعمر[5] ، ثم رسم مناظرة عدة من المخالفين مكاتبة ، فتناوبت بيننا وبينهم ابتداءات وأجوبة ، فكان يقف عليها ويميز بين الصحيح والسقيم منها ؛ وهي رسائل طويلة قد أتى سيدنا المؤيد في الدين نضر الله وجهه بجملتها وأورد جميع قصتها ابتداء وجواباً فأعجب الملك أبوكاليجار قول المؤيد في الدين ، وما أورد من واضح حجة ، وتبين له سوي منهجه ، وسأله أن يعفيه مما كان سبق منه إليه بسوء التعليم ، وأفصح له كل أفاك أثيم ، وكان أكثر المناظرة مكاتبة لا مشافهة لتحرج[6] المؤيد في الدين نضر الله وجهه عن المخاطبة صونا للعرض [مما يخلط

٤٦٨ /

---

(١) وتخضعت : وخضعت في ب

(٢) مركوبي : مركبي في ب

(٣) بذلك ، وقدم لي مركوبي : سقطت في ب

(٤) هو محمد بن علي بن خلف أبوغالب الواسطي المتوفى سنة سبع وأربعمائة : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ٢٥٧ . وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٢ ص ٢١٥ .

(٥) يعمر : يعم في ب

(٦) لتحرج : لتخرج في ب

بالمشافهة في المناظرة من سوء الآداب][1] . ثم اني قصدت أن يكون ما يدور بيننا من الكلام يتجسم بالكتابة لتبقى فائدته لمتأمله ،][2] وينقدح في حضرة الملك من نيران الأذى ، فسكن جأش الملك واطمأن قلبه ، وتبين له صدق المؤيد في الدين ، ووضوح حجته ، وقال للمؤيد في الدين إني [أسلمت نفسي وديني إليك وإنني راض بجملة ما أنت عليه][3] وأدخل في دعوتك ، وأكون من أولياء / أئمتك فكان الداعي المؤيد في الدين يحضر حضرته ليلة كل جمعة فيقف عنده حتى يمضي هزيعاً من الليل ، فيبدأ بقراءة ما تيسر من القرآن ، ثم يثني بباب من كتاب دعائم الإسلام ، ويسأله الملك عما يريد بيانه فيجيبه فيه ، ويوضح برهانه ، ويختم القول بالخطبة لمولانا أمير المؤمنين المستنصر بالله سلام الله عليه ، ثم للملك أبو كاليجار شاهنشاه ، وينصرف كل إلى منزله ، فطالت عند الملك يد المؤيد في الدين ، وارتفع قدمه ، ونطق بلسان الحق فمه وقلمه ، وكان الملك كل يوم يزداد به إعجاباً ، ولحقه إيجاباً ، ويندم على ما فرط منه بكونه سمع فيه زوراً محالاً ، وكان يحسب ما هو عليه من الحق ضلالا ، وكان يثني عليه عند وزيره العادل ، وكان يذكر حسن ما هو عليه من الأخلاق والشمائل ، فقال له الوزير : سبحان الله بينا كنت تبغض هذا الرجل البغض الذي يضيق عنه جلدك حتى صرت تحبه هذه المحبة التي يقصر دونها وصفك، / وإن هذه سعادة لا تنكر مثلها من سعادات مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع . م، فمن سعاداته أن حصل لهذا الرجل من القبول عندك ما انتهى إلى هذا الحد . فأجابه الملك بقوله : إننا أصحاب أذن ومهما وجدنا الناس مجتمعين على القدح في إنسان ونسبه إلى الكفر والضلال فلا لوم علينا أن نصدقهم ونقبل منهم ، ونحن نحمد الله الذي أيقظنا من سنة الغفلة ، وردنا من الأقدام إلى الشبهة .

٤٦٩ /

٤٧٠ /

وقال الداعي المؤيد في الدين نضرالله وجهه يمدح الملك أبوكاليجارحين لحظ

(١) مما يخلط بالمشافهة في المناظرة سوء الآداب: لما يكون من البداء في ب .

(٢) سقطت الكلمات المحصورة داخل قوسين من ب .

(٣) سقطت الكلمات المحصورة داخل قوسين من ب .

إليه بعين مودته ، ورفعه على من عاداه وأشاعوا كلمته ، حيث يقول[1] :

لَحَظَتْكَ حيثُ خَلَلْت عَينُ الله ... من آمرٍ في الخَافِقين وناهي
يا مالكا ملك الزمان بمُلكِهِ ... فَغَدَتْ به الأرضُ السماءَ تباهي
يا منْ كَسَا التاجَ الجَمالَ وطالما[2] ... قد كان زَيْن مَفَارِقٍ وَجِبَاهِ
وإذا بَدَا فوق السرير جَبِيْنه ... وَسَمَ الملوكُ له الثرى بِشِفَاه
وله أقَرُّوا مُذْعِنِين بأنه ... مَوْلاهُمُ طُرا بلا إكْراه
إني اعتصمت بحبل[3] آل محمد ... في الدين والدنيا بشاهنشاه
ملك الملوك يَمِينُ آل محمد ... غَوْثُ العباد عِمادُ دين الله
سَعْدَيْنِ[4] ذلك آجِلاً خَلْفي كما ... ذا عاجلا في العالمين تجاهي
471 / لا زال جُلاَّبُ الميَامِن رأيُه / ... العالي وجلاءً لخطب داهي
يا أيها الملك الذي أنْشاه في ... عَلْيائه ربي[5] بلا أشباه
ضَيَّعْتُ عمرا قد تقضي لي ولم ... أعْلِق [بخدمته وإني][6] ساهي
والعذر اني كنت فيه مفزعاً ... زورا ببطشة ساخط جباه
ما المال همي بل بقاؤك سرمدا ... موفور مالي ما بقيت وجاهي

ثم انه كان سبب الوحشة بين المؤيد والسلطان أبوكاليجار أن المؤيد في الدين هجن إليه شرب الخمر ، وأورد في ذلك من المنع والحظر ، كقول النبي (ﷺ) : لعن الله الخمر وعاصرها ومعتصرها ، وبايعها وشاربها ، وساقيها ، وآكل ثمنها ، وحاملها ، والمحمول إليه ، إلى غير ذلك من آيات القرآن ما لا يختلف فيه من كلام النبوة اثنان ؛ وكان قوم مع الملك ينادمونه ويجتمعون معه في مثل ذلك ، وفي

(1) القصيدة الحادية والخمسون من ديوان المؤيد في الدين ص 299 .
(2) طالما : طل ما في ب
(3) بحبل : بجد في ب
(4) سعدين : سعدون في ب
(5) ربي : فعلا في ب
(6) بخدمته وإني : تجد منه فأين في ب

الضلالات ، والعكوف على المجون والخلاعات ، فكبر عليهم في ذلك الأمر وعظم ، عليهم فيه الضر ، وقالوا : هذا الإنسان يريد أن يستأثر بالسلطان دوننا والأولى أن نحتال في أمره حتى نبعده عنا ، فسعى منهم كثير في إدخال الوحشة بين الداعي والسلطان ، وسعوا في جلب المكر والخداع من كل جهة ومكان ، وكان منهم / رجل قد قرب من السلطان ، وزاد في البغي والعدوان ، فسعى في الإفساد بين الداعي والملك بجهد ، وجاء بمنكر[1] من القول ، وزور لفقه ببغيه وحسده ووافق ذلك وفاة الوزير العادل ، وقيام وزير ممن يرى غير رأي الشيعة ، ويرى مناصبة[2] أهل البيت له فالشريعة ، فكان ذلك مما قوى البعد بين السلطان وبين المؤيد في الدين ، مع أن السلطان بفطنته ، وثبات رأيه وعقله ، قد علم من الداعي المؤيد في الدين ما تحقق أنه عين[3] الصواب ، وعرف أن الساعين عليه متحاملون في كل الأسباب ، إلاّ أنه يؤثر رضى خاصته مع رضى العامة الذين عليهم المعول ، وهم عمود المملكة الأطول .

/ ٤٧

قال المؤيد في الدين نضر الله وجهه :[4] وكنت أقوم بالمحاجة[5] عن ذلك والدفع بما هو أحسن وجرى بيني وبين الملك يوماً فصل عجيب وقلت: إني أرى قوماً تعاونوا على فساد حالي عندك ، وأطمعتهم نفوسهم أنهم بتسوقهم يبلغون المبلغ الذي يريدون فيما[6] يجعل حظي عندك / منقوصاً وعقد أمري محلولا ، ويردون الحال في الوحشة جزعاً ، والأمر الذي يشرعون فيه هو من باب الممتنع ، وضربت له مثلاً وقلت : بلغني في الأمثال السائرة أن رجلاً كانت صنعته كسر الحطب من الصحارى ونقله إلى المدينة وبيعه ، وكان ذلك معاشه وكان لا يخلو من

/ ٤٧٢

---

(١) بمنكر : نكر في ب

(٢) مناصبة : نصب في ب

(٣) عين : عان في ب

(٤) السيرة المؤيدية للمؤيد في الدين الشيرازي ص ٣٨ .

(٥) المحاجة : الحجة في ب

(٦) فيما : إن في ب

شظف عيش ومقاساة ضر، وأنه أتى عليه في خلل الشتاء يوم في غاية البرودة فكلما هم بالتوجه لطلب[1] معاشه ثنت وجهه وصدته[2] البرودة، ولم يجد [في بيته][3] مع ذلك ما يقتاته ويقتات به أطفاله ، فأجهدهم الجوع ، وقالوا له : نحن مضرورون بالجوع فجاهد[4] نفسك وابلغ طرف صحراء المدينة ولا تبتعد عساك أن تظفر بشجرة تكسر منها مقدار ما تشتري بثمنه لنا طعاماً نطعمه ، فقام الرجل ولم يبعد حتى لحق مثل ما وصفوه من شجرة فزحف إليها بفأسه للقطع ، فنودي منها لا تقطع وانظر كم يحصل لك في كل يوم من كسبك هذا فاحضر كل غداة وخذه [هنياً مهنئاً][5] قاراً وادعاً قد كفيت التعب والنصب ، فقال الرجل : محصول كسبي في اليوم [درهمان][6] أو ثلاثة ، قالوا : قد حصل لك ذلك من / غير تعب ، وكان الرجل يقصد الموضع في كل يوم فيأخذ القدر الميسر له ٤٧٤ /
فينفق البعض ويدخر[7] البعض حتى صلحت حاله واستقام أمره ، وحملته الجدة على مركب البطر وقال في نفسه : ما لي أغدو كل يوم إلى هذه الشجرة وآخذ منها درهمين أو ثلاثة على سنة الكدية ، وما أظن إلاً تحت الشجرة كنزاً مكنوزاً وقد تسلط عليه جني أو شيطان [يمانعني عنه ،][8] ولو أني توصلت إلى قطع الشجرة واستخلاص المال من تحتها وتحصيله في منزلي لكان خيراً من التوجه ، كل صبحة لدرهم آخذه ، فجعل في نفسه أنه[9] يأخذ فأسه غداة غد ويمضي إليها ويخرج الكنز من تحتها ، فلما كان في الغداة تجهز على هذه النية فعلا الشجرة بفأسه كي يقطعها ،

---

(١) لطلب : سقطت في ب
(٢) وصدته : صدمه في ب
(٣) في بيته : بايته في ب
(٤) فجاهد : فجالد في ب
(٥) هنياً مهنئاً : هنيئاً في ب
(٦) درهمان : درهماً واثنين في ب
(٧) ويدخر : ويؤخر في ب
(٨) يمانعني عنه : سقطت في ب
(٩) أنه : إن في ب

فقيل له : يا إنسان شجرة أفضت بك من المسكنة والمجاعة إلى الثروة والحال الحسنة لم تكافئها[1] بالقطع ؟ ولم تعلوها بالفأس ؟ فقال : اغربوا عنكم هذا الكلام فإنه لا بد لي من قطعها لاستخراج ما تحتها ، فقيل له : إذا كان لا بد من ذلك فدونك وإياها ، فلما رفع يده بالفأس ليهوي بها[2] في الشجرة جفت يده في الهواء / ٤٧٥ / والفأس فيها وبقيت لا تنزل ولا تنضم ، فقيل : يا جاهل إنما كان لك السبيل على قطعها حين لم تعرفها ولم تعرف الخاصية التي فيها ، وبعد معرفتك لها فلا سبيل لك عليها . وكذلك أنت أيها الملك فلا سبيل لك عليّ بعد أن عرفتني وعرفت خاصتي .

وما زال الدخيل بين الملك والداعي المؤيد في الدين حتى جرت الوحشة بعد الأنس ، وأكثروا على الملك من اللبس ، وخوفوه خليفة بغداد على قربه من داره ، وقالوا إنه ومن معه من الأتراك والديلم يسعون في الإستيلاء على ملكك ، واغراق فلكك ، وصاحب مصر منك بالمكان البعيد وهؤلاء يكونون إليك أقرب من حبل الوريد حتى جال ذلك في أنفاسه ومال إليهم برأسه .

قال المؤيد في الدين نضر الله وجهه : فصاروا عليَّ يداً واحدة فيما[3] كانوا عليه ، وكنت لا أفكر بهم اشتداداً مني بمعونة[4] الله تعالى إذ كنت مجاهداً في سبيله ، وقائماً بنصرة آل رسوله (ﷺ) لا يستفزني[5] حرص ولا طمع ، واني منقبض [عما تبسطوا][6] [له فيه من طلب][7] دنياهم ، متجمع . قال : فقضى من القضاء / ٤٧٦ / أنني توجهت إلى الأهواز وكنت قد احتويت على مسجد

(١) تكافئها : تكافها في ب
(٢) بها : فيه في ب
(٣) فيما : إذا ما في ب
(٤) بمعونة : بعون في ب
(٥) لا يستفزني : لا يشعرني في ب
(٦) عما تبسطوا : عن بسطوا في ب
(٧) له فيه من طلب : سقطت في ب

شعث[1] بها كانت تأويه الصوفية وأهل النصب . قال :[2] فعكفت على عمارته إلى أن جعلته بهجة للنواظر ، وكتبت على دور محرابه أسماء النبي (ﷺ) وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، والحسن والحسين فصاعداً إلى جعفر الصادق ، واسماعيل بن جعفر ، ومحمد بن اسماعيل ، ووصلتها باسم المهدي والقائم والمنصور فصاعداً إلى مولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ذهباً على ألواح ساج يكاد يخطف الأبصار من لالائه[3] وحسنه من المدى البعيد ، فرأى أهل تلك[4] المدينة من ذلك ما لم يعهدوه ، وشاهدوا منه ما كادوا[5] يكذبون عيانهم فيه ، ثم لم أكتف بذلك حتى أقمت الآذان بحيّ على خير العمل من فوق سطحه فبلغت القلوب الحناجر وصادفت فيها مثل وقع[6] الخناجر ، قال : فوقفت وتركت[7] مديدة ثم قلت في نفسي ما قال القائل :

[انتهز الفرصة أما مرت فربما طلبتها فأعيت][8]

٤٧٧ / وقلت لمن كان يحضرني من الديلم إني أريد إقامة صلاة / الجمعات في هذا المسجد مشفوعة بالخطبة لمولانا الإمام المستنصر بالله ع.م ، فهل عندكم من مساعدة عليه ، فقالوا : افعل ما ترى . فلما كان يوم الجمعة أمرت عشرين نقيباً[9] يصعدون [إلى سطح المسجد ويؤذنون بحي على خير العمل ، فقامت ضجة في

(١) شعث : سقطت في ب
(٢) السيرة المؤيدية ص ٥٥ .
(٣) لالائه : لألأته في ب
(٤) تلك : سقطت في ب
(٥) ما كادوا : وكدوا في ب
(٦) وقع : تواقع في ب
(٧) وتركت : سقطت في ب
(٨) ورد هذا البيت منثوراً ومغلوطاً في ب
(٩) نقيباً : رجلاً في ب

المدينة شغلت الناس عن][1] المسجد الجامع ، وفاض الديلم عن الموضع فيضاً حتى ضاقت المنافذ والمسالك بدوابهم ونجائبهم وغُلمائهم ، وكان الأمر جارياً على هذه المثالة في كل جمعة والدنيا تموج بأهلها خوضاً وكلاماً كيف كان سبب هذا ؟ وكيف تم ؟ وما يجري هذا المجرى؟ وكان بالأهواز قاض يعرف بابن المشتري[2] كان السلطان أبوكاليجار[3] أرسله إلى الخليفة ببغداد [قبل ذلك][4] فحمل على يديه اللواء واللقب ، فوقع في الحريق من هذه الأحوال وكتب ابن المشتري إلى بغداد كتاباً ينعي فيه خلافة بني العباس ويذكر دثور ذكرهم[5] في الرسوم الداثرة كل ذلك ليثير[6] من الخليفة ومن يتعلق به من ملوك بني بويه الحمية ، ويحرضهم على محو ذكر آل النبي (ﷺ) بشيراز والأهواز بالكلية ، ويشير عليه أن يتلافى نفسه قبل فوت التلافي[7] ، / وأن يصانع أبو كاليجار[8] بأنفس ما يجده في ملكه ، وأعز ما ٤٧٨ / احتوت عليه يده ، وأن يشترط عليه تسليم المؤيد في الدين إلى يد رسوله مكبلاً بالحديد ، وأنه إن لم يفعل ذلك صالت عليه التركمانية ، وحازت ممالكه ، وما إليه من الرعية ، فما كان إلاَّ قليل حتى وصل ابن مسلمة إلى البصرة رسولاً من العباسي إلى أبو كاليجار[9] وكان وزير العباسي في ذلك الوقت ، وحين علم الملك أبو كاليجار[10] بورود ابن مسلمة إليه من الخليفة العباسي جمع من بحضرته ، وقال

(١) سقطت الكلمات المحصورة داخل حاصرتين من ب وجـ فأخذناها من السيرة المؤيدية ص ٥٥ .

(٢) هو أبو الحسن عبد الوهاب بن منصور بن المشتري قاضي خوزستان وفارس ، وكان شافعي المذهب توفي سنة ٤٣٦هـ . (ابن الأثير جـ ٩ ص ٣٦٠) .

(٣) أبو كاليجار: كالنجار في ب

(٤) قبل ذلك : سقطت في ب

(٥) ذكرهم: ملكهم في ب

(٦) ليثير: ليشور في ب

(٧) فوت التلافي: اتلاف نفسه في ب

(٨) أبو كاليجار: كالنجار في ب

(٩) أبو كاليجار: كالنجار في ب

(١٠) أبو كاليجار: كالبخار في ب

لهم : هذا رسول الخليفة قد ورد فكيف الحيلة في المؤيد ، وبأي حجة نحتج عليه ونوجه الشر إليه ، وما الذي نلقاه به ، أو نحتج عليه بسببه ، هذه والله حيرة ودهشة ، وأمر لا يعلم كيف يصير عقباه ، فقال بعض القوم للملك وهو أشدهم على المؤيد في الدين عداوة ، وأعظمهم في الغلظة والقساوة : عندي في هذا المخرج ، وهذا فلان العلوي يقوم الليل ويصوم النهار ، وهو زيدي المذهب ، وله خلطة بالصوفية والقصاص [وأصحاب الحديث][1] والرأي أن نعزم عليه

٤٧٩ / / في مناظرة المؤيد ونحن نجتهد أن نفجر المؤيد ونكثر عليه القول ، وهو ذو عزة في نفسه ، فلعله يحمله الغيظ على الخروج من آداب المناظرة ، فيجعله الملك عليه من الحجة ؛ وما زالوا بالسلطان حتى أجابهم إلى ما طلبوا وأسعفهم بما أملوا ، وأحضر الملك العلوي والزمه المناظرة ، وجاءت رسل الملك إلى المؤيد في الدين نضر الله وجهه ، فقالوا : إن فلاناً العلوي يدعوك إلى البراز في مناظرته على مذهبك ، وإن السلطان يريد اجتماعكما ليسمع ما يجري بينكما ، فقال لهم المؤيد في الدين : سبحان الله ، لا تعرب بعد هجرة ، ولا مزيد[2] على ما دار بيني وبين خصومي من مناظرة وقف الملك على سطورها وعرف تقواها من فجورها ، ولكن هذا عنوان رأي فاسد ، وهو ابتداء سؤال محالة وارد ، فوقع التعيين على ليلة من الليالي ، وحضر السلطان ، وحضر العلوي ، والمؤيد في الدين ، وذلك في أوائل شهر رمضان .

٤٨٠ / فقال المؤيد في الدين للعلوي : أيها الشريف إني أريد / أن أحدثك بحديث في نفسي قبل المناظرة . قال الشريف : وما هو ؟ قلت[3] : بلغني أن علويا غزا في جملة الغزاة الروم ، فأحيط بهم وملكوا وفي السجون والمطامير وردوا ، فلما كان يوم من مشاهير أيامهم التي يعظمونها ويقربون القربان[4] عندها ، أخرجوا

---

(١) وأصحاب الحديث : والراي في ب

(٢) ولا مزيد : ولا زيد في ب

(٣) قلت : قال في ب

(٤) السيرة المؤيدية ص ٦٠

الأسارى فأطلقوهم إلاّ العلوي فإنه ضرب ضرباً وجيعاً ، ورد إلى حبسه ، حتى حال الحول ، ورجع مثل ذلك اليوم فأطلق الأسارى وعملت به العادة في إيجاعه ضرباً ورده إلى الحبس ، فكان تألمه[١] من اشتباه وجه[٢] ذلك عليه وموجب[٣] فعله به أشد من ألم الضرب والمكروه الذي كان يناله وتمادى به الأمر إلى اليوم الثالث من السنة الثالثة ، فحين رأى المثالة فيه محفوظة والسنة [بضربه ورده][٤] في الحاضرة قائمة استغاث ، وقال : يا قوم ألا تدلوني على وجه اختصاصي بهذه العقوبة من بين قوم كانت قصتي وقصتهم واحدة فأولئك مُنَّ عليهم بالإطلاق[٥] وأنا باق يجدد عليّ العذاب في مثل كل / يوم أطلقوه فيه من الوثاق ، ثم أضربوا رقبتي بعد أن تشعروني بمقتضى قصتي ، فحمل إلى الملك أو بعض أصحابه وسأله : مَنْ الرجل ؟ فقال : علوي . قال : ما معنى قولك[٦] علوي ؟ قال : المعنى فيه أنني أنتسب إلى علي بن أبي طالب . قال : ومن علي بن أبي طالب ؟ قال : أخو محمد رسول الله ووصيه ، قال الرومي : فكيف جرى حال علي هذا بعد موت محمد ؟ قال : قتل . قال الرومي : أقتلناه نحن ؟ قال : لا . قال : فمن ؟ قال : المسلمون . قال الرومي : أفكان له أولاد وذرية ؟ قال : نعم وأجلهم الحسن والحسين اللذان كانا من بنت رسول الله (ﷺ) . قال : فما قصتهما ؟ قال : سمّ الحسن وقتل الحسين وسبي أهله وذريته . قال الرومي : أنحن الفاعلون ذلك بهم ؟ قال : لا . قال : فمن ؟ قال : المسلمون ، قال الرومي : فأنت يا إنسان ، طوائلك في المسلمين وأبوك وأهلك ممن قتلوهم ، وأتيت[٧] تغزو الروم الذين لا جناية لهم عليك ، لأي معنى ؟ فهذا وجه معاقبتك الذي سألت عنها وتحيرت

/٤٨١

---

(١) تألمه : سقطت في ب
(٢) وجه : سقطت في جـ
(٣) وموجب : ووجوب في ب
(٤) بضربه ورده : برده في ب
(٥) باق : سقطت في جـ
(٦) قولك : سقطت في ب
(٧) وأتيت : وأنت في ب

/ ٤٨٢ لاشتباه وجه / موجبها . وكذلك أنت يا شريف وطوائلك مع الحشوية والقصاص الذين هم الهادمون لمجدك والمنتقصون لأبيك وجدك ، وأنت تزرع المحبة في تربتهم ، وتميل إلى جهتهم ، وتزحف بسلاحك وعدتك إلى قتالي ، وتجمع حولك وقوتك ، إلى نزالي وأنا غصة في حلوق[1] القوم ، وشرقة لاشتهاري بنشر فضائل أهل بيتك وإقامتي عمد قومك فما هذا لك بعلامة خير. قال: فاصفر وجه العلوي وتلجلج لسانه ولم يدر كيف يقوم ويقع ، فقال الملك: أغربوا عن هذا التوبيخ والتقريع وأثبتوا على مسألة تتكلمون عليها . فقلت : أيها الملك معلوم عند هذا الشريف وعند أمثاله أنني أصلح أن أكون مسؤولاً ، لأنه لا يمكنني أن أبوح بحقيقة ما أسأل عنه ، فإنني بزعمهم باطني ، واعترافهم بكوني باطنياً يمنع من مطالبتهم[2] بحقيقة ما أعرفه فيجعلوني بالكشف عنها مثلهم ظاهرياً ، وإنما أصلح

/ ٤٨٣ أن / أكون سائلاً فيردون الجواب الذي لا منعة دونه عندهم ولا حجاب . قال العلوي: أوما سمعت قول رسول الله (ﷺ) من سئل عن علم [عنده فكتمه][3] ، ألجمه الله تعالى بلجام من نار . قلت : الله أكبر قد حصل ما نتكلم عليه إن الله تعالى أعطانا من حيث العقل بصيرة بها نستبصر ، كما أعطانا من حيث المشاهدة بصراً به نبصر ، وقد عرفنا من شأن النار أنها تفرق الأجزاء وتحلل الأجسام المجتمعة ، واللجام من النار الذي هو مجموع من جوهر منها[4] يفرق أجزاء ما تسلط عليه ، ويحللها ليس يكاد يتمعنى[5] لي ولا لمن له عقل ، وكلام رسول الله (ﷺ) الحق الذي لا يشوبه باطل ، وعسى أن يكون ضرب فيه مثلاً يحتاج الشريف أن يستصحه ويعرف المعنى الذي تقوم عليه بينة العقل منه ، فأما على مقتضى تصوره فيه لا يصح . فقال : أما تؤمن بقدرة الله سبحانه ؟ قلت : كيف لا أؤمن

---

(١) حلوق : حلقوم في جـ
(٢) مطالبتهم : مطالبتها في ب
(٣) عنده فكتمه : فيكتمه في ب
(٤) منها : سقطت في ب
(٥) يتمعنى: فيعني في ب

بقدرة الله سبحانه وهذه السموات المبنية المرفوعة السمك[1] والأرض المدحوة

٤٨٤ / الوسيعة العرض وما بينهما جميعاً من صنائع حكمته وقدرته . غير أنه / لما لم أجد فيها اللجام من النار تعجبت مما قال الشريف فطفقت أطالبه بالبينة عليه .

قال فأخذ الشريف لا يمر ولا يجيء في الجواب ، وتقطعت به الأسباب ، حتى صار القوم الوقوف من الحاشية والأستاذين يتضاحكون منه ويستهزؤون[2] به ، والقوم المدسوسون[3] لتذليقي[4] والكلام في نوبتي والقصد لإحماء صدري حاضرون يهيمون في كل واد ، وأنا لا أعبأ بهم ولا أنصب لهم ، معرفة مني بكونهم مدسوسين ، وعلى تذليقي محمولين ، فقال الملك : دعوا هذا الباب وتكلموا في أمر الصيام ووجوبه على الرؤية[5] أو على غير الرؤية . فقال العلوي : يحكى عن رسول الله (ﷺ) أنه جمع أصابعه الخمس وقال : نحن قوم[6] أميون لا نعرف[7] الحساب؛ الصوم مرة هكذا حتى استوفى في العدة ثلاثين في ست مرات، وأنه جمع الأصابع مرة ثانية فلما انتهى إلى الآخر نَقّص واحداً من الأصابع، ثم قال: ومرة هكذا.

فقلت حاشا[8] لله أن النبي (ﷺ) وعلى آله الذي شرفه الله بالمعراج ،

٤٨٥ / / وأراه ما وراء الحجاب يكون به من العي واللكن وإن كان أمِّياً أن لا يفصل ثلاثين من تسعة وعشرين بلسانه فيغني عن جمع الأصابع وتحريك اليد هذه

---

(١) السمك : السمكة في جـ

(٢) ويستهزؤون: ويتهزءون في ب

(٣) المدسوسون: المدسسون في ب

(٤) لتذليقي ؛ لتفتري في ب

(٥) الرؤية : الرواية في ب

(٦) قوم : سقطت في ب

(٧) نعرف : نحسب في ب .

(٨) حاشا : حشي في ب .

الدفعات الكثيرة مما يقوم به راعي البقر والغنم، ثم ان النبي (ﷺ) وعلى آله قال : أنا بطرقات السماء أعرف منكم بطرقات الأرض ، فلو أنه (ﷺ) وعلى آله ، على كون هذا الكلام العظيم محصوراً مثبتا ، يتكشف السماء في طلب[1] رؤية الهلال لقام الناس لموافقته يقولون فأين هذا من قولك[2] بالأمس إنك بطرقات السماء أعرف منا بطرقات الأرض ؟ وسوى هذا فلو كان طلب الهلال شيئاً يتعين وجوبه ولزومه لكان ذلك لنا خاصة ، ولكان هو (ﷺ) بالغني عنه لكون جبرائيل يعتاده[3] بالوحي ينزل عليه ، ولكان سؤاله جبرائيل هَلْ أهَلّ الهلال أولى به من التكشف للسماء لطلبه ، وفي مضماره التشكيك في أمر نفسه[4] وتعليل نزول الوحي عليه . ولو وجد واحد منا السبيل إلى ملك من الملائكة يستفتيه ويستجيزه عن مغيبات الأمور أكان يتكل على نفسه في الطلب والاجتهاد؟ وهذا ما لا / ٤٨٦ يقوم عليه دليل ولا برهان . قال : فخزى العلوي من هذا الجواب خزيا قام وهو يتعثر بذيوله وانصرف كل منا إلى داره .

وغشي الملك من غواشي[5] الحيرة والحشمة إن غدر بي وشراني بثمن بخس ما لم يسعه جلده فيه واتبعني نصف الليل بأستاذ من حضرته محتشم صعد وصوب في الاعتذار عنه وتقطيع الخجل مترسلاً منه ، ولما لم يجد الذين أغروا بين السلطان وبين المؤيد في الدين مغمزا يدخلون به معه في المناظرة، وكلما راموا ربحا ابوا بالصفقة الخاسرة ، عادوا للجري في غير ذلك الميدان ، وشنعوا عليه عند الملك بالأشانيع أنه استجمع الديلم ، ويريد أن يفعل ويفعل ، واكثروا في ذلك المكر[6]

(١) طلب : سقطت في ب .
(٢) قولك : دعواك في ب .
(٣) يعتاده : يقاد به في ب .
(٤) نفسه : أمره في ب .
(٥) غواشي : سقطت في ب .
(٦) المكر : المرا في ب .

والجدال ، وبقي الملك حائراً مخافة[1] بلوغ الخليفة العباسي بعض ما أمله مع ما اصطنع إليه ، ووجه من الهدايا والألطاف له ، وخاشيا من إبعاده له بتسليط التركمانية عليه ، ومع هذا خوف الله سبحانه ضمير قلبه ، ويحتشم[2] أن يقصد

/ ٤٨٧ المؤيد في الدين بمكروه ، ولم يظهر منه / ما يعتد عليه به ، وهو قد أخذ منه الصفقة في حفظه والمدافعة عنه ، وبايعه للمستنصر بالله ع .م ، ثم ان الهوى غلب عليه فيما رامه ولم يملك العقل زمامه ، مع كثرة ما يتصل به من قول الساعين بالنميمة ، الرامين المؤيد في الدين بالأمور العظيمة ، وأنه يجمع الجموع ، ويبطن غير ما يظهره من الكلام المصنوع ، وكان بين المؤيد في الدين ومن يكرهه في حضرة الملك منافرة كثر فيها منهم التشنيع ، وقام الملك من مجلسه معرضا لما سمع منهم هذا الكلام الفظيع ، واجتمع أهل النميمة بالقاضي وغيره ، وحملوا العامة القيام على السلطان ، والنداء إليه ، والصياح نحوه ، والإرجاف عليه ، في أنه قد أنقذ الله الإسلام بالملك حين أعرض عن هذا الانسان ، وأبعده منه بعد القرب الذي منه كان ، فخشدوا العامة ، وجمعوا الجمع العظيم من العامة والرعاع ، فاصطفوا يوم الجمعة من دار الملك إلى المسجد الجامع يصيحون بالشكر للملك والدعاء على ما

/ ٤٨٨ كفى به الإسلام عن عادية هذا الإنسان ، ويرمونه / بالزور والبهتان ، وارتجف قلب الملك لما سمع من صياح العامة وأنها قد اجتمعت كلمتهم على هذا الرجل بتوجيه الملامة ، فحين انفض العامة وافترقوا أرسل السلطان إلى المؤيد في الدين اثنين من بعض خواصه من الأستاذين يقول : لا شك أن هذه الصيحة التي كادت أن تخرق الأرض ، وتشق الجبال ، وقعت في مسامعك ، وعلمت أن هذه الأمم التي لا يحصيها عدد إلا الله سبحانه أعداؤك وخصماؤك ، وكانوا أعداءنا فيك أيام كنا نقربك وندنيك ، وينبغي الآن[3] أن تأخذ لنفسك وتبتغي سبيل نجاتك ، وتأخذ أي صوب شئت . قال المؤيد في الدين : فقلت لهما : قولا للملك خف ربًّا

(١) مخافة : ايثارات في ب.

(٢) ويحتشم : وحشم في ب .

(٣) الآن : سقطت في ب .

إليه إيابك وعليه حسابك ، واذكر أيامي عندك ومعك ، فانك لا ترى فيها[1] شيئا تذمه وتنكره[2] ، ولي في رقبتك من أمانة الله تعالى ما هو لازم لك لزوم القلادة ، فلا يخلصك أحد من عهدته ولا ينجيك شيء من تبعته . وأما النفي فليس ذلك مما ترعبني به ، إذ كانت هذه النعم التي / أتقلب فيها من ابتداء أيام مملكتك وإلى هذه الغاية قصداً بالروح والمهجة وسَوْما . بسوء العذاب في كل حين وساعة ليست مما يضيق على إنسان أن يوليها[3] ظهراً ، ويملك عنها[4] صبرا ، والسمع والطاعة لأمرك . ثم ان السلطان أرسل إلى المؤيد في الدين قوما من أجلة أصحابه يعتذر إليه ويقول انه ورد كتاب الخليفة البغدادي بالعظائم ، فانظر فيه واعذرني فما كلفني إلاَّ ما تنشره من مطاويه ، وكان في كتاب صاحب بغداد سب الأئمة الطاهرين ، وتلقبهم بالمغاربة ، والطعن في أنسابهم ، والقول بالمنكر والزور ، والتواعد للملك أبو كاليجار[5] بتسليط التركمانية عليه ، فحين وقف المؤيد على الكتاب رمى به عنه ، وقال : لا أعرف خليفة غير المستنصر بالله ، وهذا الكتاب لا حاجة لي بالنظر فيه[6] . ثم وصل إبن المسلمة[7] رسول البغدادي ، وصحبته الهدايا من ثياب السقلاطون الرفيعة ، والأكسية الحسنة البغدادية ، وتماثيل الكافور وغير ذلك ؛ ثم وأكثر ما اقترحه تسليم المؤيد في الدين / إلى يده ، ليحكم فيه بحكمه ، ويفعل فيه برأيه ، فحماه الله من بأسهم ، ولم يبلغهم ما في أنفاسهم بفضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، والأئمة من ذريته الطاهرين ، وأرسل ابن مسلمة صاحب الخليفة البغدادي إلى المؤيد في الدين يلاطفه ، ويقول له : إنني أتعرف خبرك ، واتغمم لما نالك ، وأنه استقر في نفسي ذكر فضلك في

٤٨٩ /

٤٩٠ /

---

(١) فيها : فيه في ب .

(٢) تذمه وتنكره : تزمه وتفكره في ب.

(٣) يوليها : يوليه في ب .

(٤) عنها : عنه في ب .

(٥) أبو كاليجار : كالنجار في ب .

(٦) السيرة المؤيدية ص ٦٥ .

(٧) المسلمة : سلمة في ب .

نفسك وعلمك ورجاحتك ، غير أن تجاهرك بأمر تستنفر[1] به العامة[2] على نفسك ، وتقيمهم على ساق في معاداتك ، وتستخصم معه الخليفة ، لانسان بمصر لا يضرك ولا ينفعك ، مما ليس له مدخل في العقل ، ولا يليق صدور[3] مثله عن العقلاء الفهماء ، وينبغي أن تنزع عن هذا الرأي . وما أشبه ذلك من القول ، فأجابه المؤيد في الدين ، وكان من قوله : ان الأمر الذي أنا بصدده أمر دعاني إليه التدين[4] به ، واعتقاد اكتساب مرضاة الله سبحانه فيه ، وليس اعتقادي في هذا الإنسان الذي هو بمصر وقلت إنه لا يضرني ولا ينفعني ، كاعتقادك في مرسلك ، ولست أقف موقف المعتذر إليه[5] / في ذلك ، وان قتلت ألف قتلة ، ولم يكن لي في خدمة الملك فائدة فيصبو قلبي إلى الرجوع لتلك الفائدة. ٤٩١ /

وما زال الملك يرسل إلى المؤيد في الدين بالأقوال المحرجات ، ويحضه[6] على الخروج عن كور مملكته لطلب الخلاص والنجاة ، حتى وافق المؤيد في الدين رجلاً من أمراء البوادي ، يسمى منصور بن الحسين[7]، فخرج المؤيد في الدين إلى ناحية لتنطفي الثائرة التي من أجله شب وقودها ، وقام على ساق عمودها ، وشرح لمنصور ابن الحسين قصته ، وما يعاني من السلطان مدته ، فبشره بما يسره ، ووعده إن وصل السلطان الأهواز أن يسعى في الاستصلاح ، ويدفع عنه الملك شره ، فحين وصل الملك الأهواز سار إليه الأمير منصور بن الحسين شارحاً لقصة المؤيد في الدين وخاطبه في أمره ، وما يتصل به من المعتدين ، فأفضى إليه الملك بجميع السرائر في

---

(١) تستنفر: تستفز في ب.
(٢) العامة : العالم في جـ .
(٣) صدور : صدر في ب .
(٤) التدين : التدبير في ب .
(٥) إليه : سقطت في ب .
(٦) ويحضه : وحضه في ب .
(٧) هو منصور بن الحسين الأسدي الذي ملك الجزيرة الدبيسية بجوار خوزستان سنة ٤١٨هـ . وقطع خطبة جلال الدولة البويهي وخطب للملك أبي كاليجار (ابن الأثير جـ٩ ص٢٦٠) ومن هنا نفهم الدالة التي كانت لمنصور على أبي كاليجار .

ما احتالوا على المؤيد في الدين من المكر ، وما وجهوه إليه من الأمر ، وشرح قصة المؤيد في الدين لمنصور ، كما كان له شرحها ، وبينها له مبرهنة وأوضحها ،

٤٩٢ / / وقال : إن إقبالي على هذا الرجل يباعد بيني وبين الخليفة ، واني لذلك منه أوجس في نفسي الخيفة ، وكان قد وافق وفاة ملك بغداد الذي هو أبو طاهر[١] ، وتأكدت رغبة أبو كاليجار[٢] في تملكها ، وكان ذلك شيئا لا يبلغه إلاّ بنظر الخليفة إليه ، ونصره له ، فصار على ذلك يداريه ، وهو يعلم أن قول المؤيد في الدين هو الحق الذي لا شبهة فيه ، ولكنه يداري صاحب بغداد ، ويتقيه .

وأقام المؤيد في الدين سبعة أشهر في البادية مع أمير الحلة منصور بن الحسين ، وكان منصور المذكور يكتب إلى السلطان في شأن المؤيد في الدين ، ويشرح له قصته ، ويسأله أن يقوم معه في نقض كيد الكائدين ، فكان من جواب السلطان له أنك من الشفقة على ملكنا ودولتنا بحيث لا تعتمد لأحد هوادة فيها ، وترى مراعاة زمامنا[٣] في هذا الباب أمس من مراعاة زمام[٤] كل نزيل عليك ، ومستند إليك ، وقد عرفت صورة المؤيد في الدين أبي نصر أحسن الله توفيقه، واننا

٤٩٣ / كل يوم في صداع من جهة الديلم باحتجاجات باطلة يتشبثون / بها ظاهراً وهو مغزاهم وغرضهم منها باطنا ، ثم انه قامت رغبتنا في بغداد وامتلاكها وليس يكاد يتم الغرض فيه إلا بالمجلس الخليفي الامامي ، وإذا استقر به العلم أن هذا الإنسان مقيم بفناء حضرتنا على جملته كان ذلك ردماً في وجه ما نؤثر بلوغه ، وحاجزاً بيننا وبينه ، وقد انتهى إلينا أنه على معاودة الأهواز ، فالله الله أن توجده سبيلاً إلى ذلك فإنه إن عاود وقعت فتنة نصلى بنارها مليا .

---

(١) الأمير جلال الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه بن ركن الدين الحسن ولد سنة ٣٨٣هـ ومات في شعبان سنة ٤٣٥هـ . (ابن الأثير جـ٩ ص٣٥٢ ومختصر الدولة ص٣٢٠ ولكن صاحب النجوم الزاهرة يقول في جـ٥ ص٣٧ انه توفي في شعبان سنة ٤٣٦).

(٢) أبو كاليجار : كالنجار في ب .

(٣) زمامنا : ذمتنا في ب.

(٤) زمام: سقطت في ب .

فحينئذ خرج المؤيد في الدين هبة الله بن موسى عامدا للكوفة وزيارة مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، والحسين بن علي ع .م ، وعلى الطاهـرين من آلهما ، وقد نوى بعد ذلك التوجه إلى الجهـات المصرية ، والمصـير إلى الأبـواب الشريفة المستنصرية ، فقصد الكوفة وتبرك بقبر أمير المؤمنين ع .م ، وبقبر الإمام الحسين بن علي ع .م ، والتوجه بهما إلى الله تعالى أن ينفع غلته ، ويشفي كربته ، وينتصر له من قوم سعوا له بالباطل، ونصبوا له الحبائل، فلم يكن إلاّ أياما قليلة بعد انتهائه إلى الحضرة الشريفة المسـتنصرية حتـى دمـر الله / الباغـين عليه ، وأخلى منهم الديار ، وجعلهم طعمة للسيوف وأكلة للدمار ، وذلك أن خواص الملك أبي كاليجار تآمروا أن يسقوه سماً فمتى هلك أقاموا أحد أولاده الصغار ، ورجوا أن يكون الأمر أمرهم ، والتقديم والتأخير لهم ،فجاءوا صبياً من استاذيه وعبيد مملكته فاعلمه قصتهم ، وقال له : إن الملأ يتآمرون بك ليقتلوك ، فتتبعهم السلطان قتلا ونفيا ، ومنهم من قطع أعضاؤه قبل قتله عضوا عضوا ، وكانت تلك معجزة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب حين لاذ عبده المؤيد في الدين وأخلص بالدعـاء عنـد قبره ، والتوسـل لديه فقضى الله على الظـالمين الـذين اجتمعـوا عليه بالتدمـير ، ورماهم بالنار العنقفير ، وقال الداعي المؤيد في الدين بالكوفة قصيدة[1] :

٤٩٤ /

ويا ليت شعري كيف قد أدرك العدى[2] ... بِتَفْريق ذات البَيْن فينـا المباغيـا

أإخوانَنـا صبْـراً جَميلا ، فإنني ... غَـدَوْتُ بهـذا في رضـى الله رَاضيا

وفـي آل طه إن نفيتُ فإنَّني ... لأَعْدائِهـم ما زلـتُ والله نافيَا

فما كنْتُ بِدعاً في الأولى فيهـم نَفوا ... (وحسبي)[3]أنْ أغدو لجُندبِ ثـانيا /

٤٩٥ /

(١) القصيدة السابعة عشرة من ديوان المؤيد في الدين الشيرازي ص ٢٤٥ .
(٢) ويا ليت شعري كيف قد أدرك العدى : ويا ليت كيف شعت في درك العدى في ب .
(٣) وحسبي : آلا فخر في الديوان ص ٢٤٦ .

لئن مسَّنــي بالنَّفــي قُرْحٌ فإنني بلغــتُ به في بعض هَمِّــي الأمانيا
فقــد زُرتُ في كوفــان للمجْــدِ قبَّة هــي الـدين والـدنيا بِحَـقٍ كمـا هيَا
هي القبَّــةُ البيضــاءُ قبَّــةُ حيدر وصـيٌّ الــذي قد أرســلَ الله هاديا
وصي النبـي المصطفى وابـن عمه [ومن خصه للخلق مولى وواليا][1]
ومــن قال قومٌ فيه قولا مُناسبا لقول النَّصـارى في المسيح مُضاهيا
فوا حبــذا التطــوافُ حوْل ضريحه أصلِّــي عليه في خُشُــوع تواليا
ويا حبــذا تعْفيرُ خدِّي فوقه ويا طيب إكبابــي عليه مُناجيا
أناجــي وأَشْــكو ظالمي بتَحَرُّقٍ يثير دُموعــا فوق خدِّي جَوَاريا
وقدزرت مثوى الطُّهر في أرض كربلا فدتَ نَفسي المقتولَ عطشانًا صاديا
ففي عشر ما نال الحسين ابن فاطم [لنا أسوة تهـدي الولـي المواليا][2]
ولــي عَزْمــةٌ إن تمَّــمَ الله أمرها [إلى القصد كان][3] العزم للصدر شافيا
حُلـولٌ ببــاب القصــر يشفــي لُبانَة لِنفسـي وأُلفــى بابــن[4] الأُنس دانيا
فأُونِسُ فيه نَجْــم سَعــدي طَالعا كمـا منه ألفـي ناجِـمَ النَّحس هاويا
ببابٍ غدا[5] حيْثُ السِّمـاكُ حلوله[6] أجلْ بَلْ سما[7] فوق السِّماكين عاليا
لمولـى الـورى المستنصر الكاشف الدجــى
وصفـوةِ من يغدو[8] على الأرضِ مـاشيا /
٤٩٦ /
ومن ضمَّت الـدنيا من وطـأ الثَّرى وأشـرف من أجـرى العتـاقَ المذاكيا
إمــامٌ يمُــدُّ الشــمس نورُ جَبينِه كمــا جودُ كفَّيه يمــدُّ الغَواديا

(١) ومن خصه للخلق مولى وواليا : ومن قام مولى في الغدير وواليا في الديوان.
(٢) جاء الشطر في الدبوان هكذا : لِمثْلي مسْلاةٌ لئن كنتُ ساليا . ص ٢٤٦ .
(٣) إلى القصد كان : كفاني تمام في الديوان .
(٤) بابن : نائي في الديوان .
(٥) غدا : ثوى في الديوان .
(٦) حلوله : علوه في الديوان .
(٧) سما : غدا في الديوان .
(٨) يغدو : أمسى في الديوان .

حَوَى كفُّه فيْض نوالٍ وحِكمةٍ غدا بهما يُحيي العظامَ البَواليا
ولا يأسَ من روحِ الإلهِ[1] بأن أرى على جدِّ عزمي فيه جدًا مُؤاتيا
فأنفُضُ عني كلَّ همٍّ ببابه وأختِمُ من أيّامِ عُمْري البَواقيا
فيا شامتا بالنَّفي لي كُفَّ إنني عقدتُ به فوقَ المعَالي مَعاليا
أآل عليّ كم وكم في ولائكم قُصدْتُ وكم فيكم لقيتُ الدَواهيا
وكم قدْ طويتُ البيدَ فيكُمْ مسافرا[2] وكم بتُّ مِنْ روحي على اليأسِ طاويا
فلمْ يُثنِ وجه العزْمِ لي عن وَلائكم وكيف أرى عنكم لوجهيَ ثانيا
وأنتم عِمَادي في مَعادي وعدتي ومثوى رجائي كي تغيثون راجيا
وأنتم [هداة الدين يهدى بهديكم] [3] [الى نهجه الوضاح من كان غاويا][4]
أغيثوا وليا خاض في بطشه العِدى بحبِّكمْ بحْراً من الهمِّ طَاميا
وفكوا ابن موسى من ضنى الهمِّ والجوى فقد صار من لبْسِ الضّنا متلاشيا
وكونوا لمنْ آذاه خصْما فإنه على عَجلٍ لا شكَّ يَلقى المَهاويا
٤٩٧ / عليكم سَلامُ الله يا آل أحمد مَدى الدهر ما تبدُو النجومُ سَواريا /

ثم ان الداعي المؤيد في الدين نصر الله وجهه ، بعد أن شفى صدره بالزيارة ، وبلغ منها مراده متبركا بقبة حل فيها شريف جسد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وزيارة ابنه الحسين بن علي ع . م ، توجه إلى قرواش[5] صاحب الموصل ، وهو في ملك وعز وقوة وبأس ، وعزم وبسطة وسطوة ، وهذا قرواش

---

(١) ولا يأس من روح الإله : فلا بأس من فضل ربي في ب .
(٢) مسافراً : مروعاً في الديوان ص ٢٤٧ .
(٣) هداة الدين يهدي بهديكم : كتاب الله يثبت راشداً في الديوان .
(٤) إلى نهجه الوضاح من كان غاوياً : محقا ويمحو مبطلا عنه غاويا في الديوان .
(٥) هو أبو المنيع قرواش بن المقلد أمير بني عقيل وكان الخليفة الحاكم بأمر الله أول من استماله فخطب له ببلاده ثم رجع عن ذلك ولقبه الخليفة القادر العباسي بمعتمد الدولة ثم عاد فدعا للفاطميين وتوفي سنة ٤٤٢ هـ (النجوم الزاهرة جـ٥ ص٤٩ تاريخ مختصر الدول ص٣١١) .

هو الذي مدحه بعض الشعراء بعد هجو ، فقال :

وليل لوجــه البــر فبعــدي ظلمة	وبــرد اعــانيه وطــول قرونه
فســريت به والنــوم عنــي مشرد	كعقــل سليمــان بن فهــد ودينه
علــى أولــق فيه التفــان كأنه	أبــو جابــر في خبطــه وجنوبه
إلــى أن بدا وجــه الصبــاح بنوره	كعــزة[1] قرواش ونــور جبينــه

وهذا الشعر مما وصف فيه حسن التخلص في الهجاء ، ثم إلى المدح ، وشبه فيه عزة قرواش بنور الصبح ، وكانت قد انتهت إلى قرواش من الحضـرة النبوية المستنصرية خلع شريفة تقضي[2] له بالتشريف ، وألقاب كريمة ترفع قدره في المكان الزليف ، فوافاه المؤيد في الدين ، ورجا أن يشحـذ في ولاء أهـل البيت عزارة ، / ويدلـه على سبيل التوبـة التـي يرخص بهـا[3] أوزاره ، فوجده قد طبع الشيطان على قلبه ، ومال بما صار إليه من الدولة النبوية إلى العباسي متقربا به ، فحينئذ أعرض عنه المؤيد في الدين وتوجه إلى باب امامـه ، وألـم بحضرته[4] الشريفة ليشفي ببرودها حر أوامه ، فجرت أمور في سيرته ذكرها يطول شرحها ، ويبعد غورها ، من امتحان يقضي له في رتـب الإيمـان ، بالعليا في المكان الأطول ، لقول النبي (ﷺ) أعظم الناس امتحانا في الدنيا الأنبياء ، ثم الأولياء ، ثم المؤمنون الأول فالأول ، والأفضل فالأفضل ، وسـوف نذكر قصـة وروده إلى الحضرة ، وما كان على يديه من ظهور أمر الإمام المستنصر بالله ع . م ببغداد وغيرها ، وكيف أتاح الله نصره ، وبذكر ما انتهى إليه عند أولياء الله من المقام الأسنى ، والقدر الذي قصر عنه كل ولي ، بعون الله سبحانه وفضله ومنه ، والحمد لله حق حمده ،/ وصلى الله على محمد خير رسله ، والخلفاء الطاهـرين من

/ ٤٩٨

/ ٤٩٩

(١) كعزة : كغرة في ب .
(٢) تقضي له : تقاضي به في ب .
(٣) يرخص : يصحف في ب .
(٤) بحضرته : خضرته في ب .

بعده ، وسلم وكرم وشرف وعظم ، وحسبنا الله ، ونعم الوكيل .

كان الفراغ من نساخة هذا السبع السادس من عيون الأخبار في اليوم الثامن من شهر ذي القعدة إحدى شهور سنة ثمانية وأربعين ومائتين بعد الألف ، من الهجرة ، صلوات الله عليهما في عصر داعي الله الأمين في بندر سورة في القبة المنورة ، نسخ من الكتاب الذي نسخ من الأصل ، بخط مصنفه وقل بحسب الطاقة قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، ورزقنا شفاعته ، آمين ، بخط الأقل عبيد عبيده ،

الراجي عفو ربه حميد بن علي حسين محسن الجيل اليعبري .

الفهرست